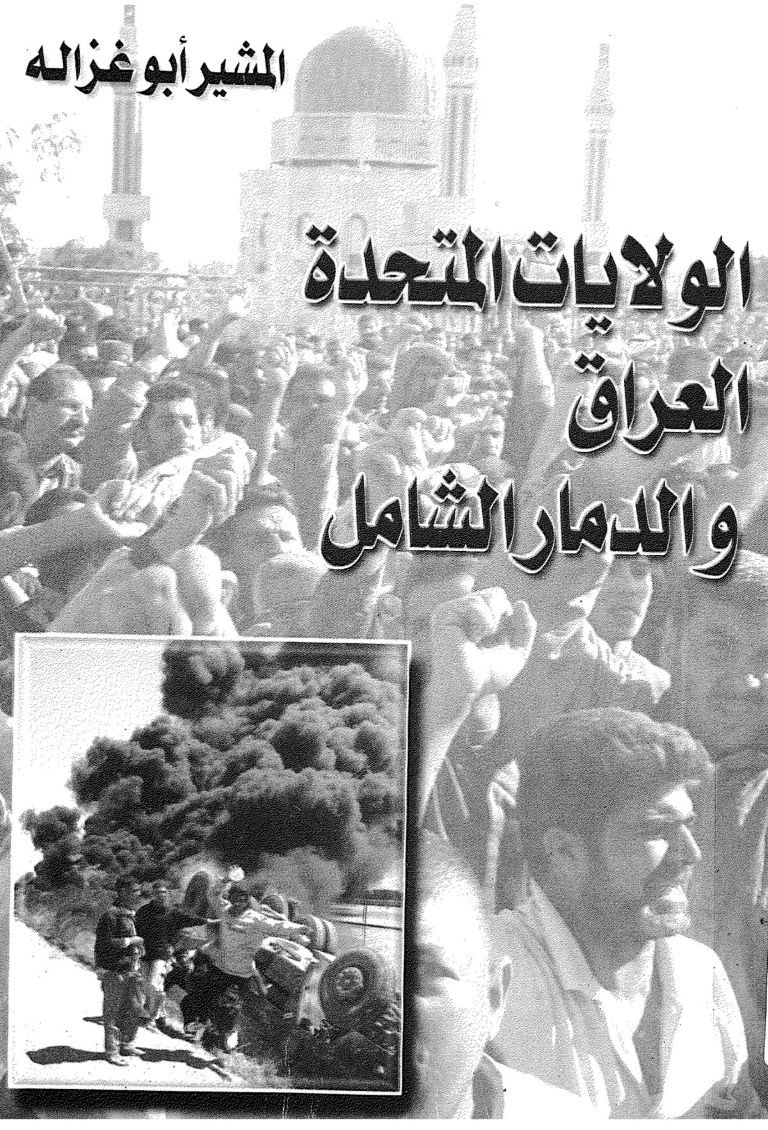

المشير أبو غزاله
الولايات المتحدة
العراق
والدمار الشامل

بسم الله الرحمن الرحيم

أمة تنشئ الحياة وتبنى   كبنـــاء الأبوة الأمجـــاد

(أحمد شوقى)

الولايات المتحدة
العراق والدمار الشامل

المشير/ محمد عبد الحليم أبو غزالة

٢٠٠٤

مقدمة

حفلت الحقبة الأخيرة من القرن العشرين بأحداث هامة وخطيرة أدت إلى تغيير جذرى فى الأوضاع الدولية، فلقد شهدت بدايتها بداية انهيار الإتحاد السوفيتي وتحلله، وحدثت حرب الخليج الثانية (درع وعاصفة الصحراء) التى شنتها الولايات المتحدة مع حلف شكله الرئيس جورج بوش الأب لطرد العراق من الكويت التى أحتلتها عام ١٩٨٩ونجحت هذه الحرب فى هزيمة العراق وتدمير أكثر من نصف قواتها المسلحة وبنيتها الأساسية وصناعاتها العسكرية والشبه عسكرية وفرضت عليها الأمم المتحدة عقوبات شديدة أدت إلى أنهيار أقتصاد العراق، واشتركت دول الخليج ودول عربية أخرى فى التحالف الذى طرد العراق من الكويت، ونجحت الولايات المتحدة فى عقد أتفاقيات مع عدد من دول الخليج لاضفاء شرعية على تواجدها بالخليج وأستخدام قواعد جوية وبحرية فى المنطقة، بل لقد منحتها قطر حق أستخدام قاعدة جوية بها أصبحت المركز الرئيسى للقيادة المركزية الأمريكية. وأعتقد الكثيرون أن هذا سيغير من الموقف الأمريكى المنحاز لإسرائيل بالنسبة للمسألة الفلسطينية، ولكن ذلك لم يحدث وسقط جورج بوش الأب وجاء بعده كلينتون الذى قضى ثمانى سنوات فى البيت الأبيض ولم يفعل شيئاً شافيا فى حل المشكلة الفلسطينية، وحدثت الأنتفاضة الفلسطينية لتضيف سخونة جديدة للموقف.. وأستمر الأنحياز الأمريكى للاسرائيلين بل أزداد شدة بعد أن جاء جورج دبليو بوش إلى البيت الأبيض واتهم المنظمات الفلسطينية بالإرهاب واعتبروا أعمال القتل والتدمير الذى قامت بها اسرائيل فى الضفة وقطاع غزة حق دفاع عن النفس لإسرائيل. ثم جاء حادث الحادى عشر من سبتمبر ضد مبنى التجارة الدولى فى نيويورك والبنتاجون-فى واشنطون العاصمة ليتخذه جورج دبليو بوش فرصة لاعلان حربه على الأرهاب وينجح فى الحصول على قرار من مجلس الأمن بمهاجمة أفغانستان للقضاء على طالبان وقاعدة بن لادن على زعم أن القاعدة هى التى قامت بهذا العمل الأرهابى وأن القضاء على طالبان والقاعدة هى حرب ضد الأرهاب. ووقفت دول عربية وأسلامية إلى جانب الولايات المتحدة فى هذه الحملة إذ لولا مساهمة باكستان بمنحها أحد قواعدها الجوية لتستخدمها

الولايات المتحدة ولها حق مرور أجواءها ومياهها للقوات الأمريكية، ولولا أستخدام القواعد الجوية العربية فى الخليج والموانى العربية فى الخليج.. وأمور أخرى كثيرا لما نجحت الحملة الأمريكية ضد طالبان.. فلقد قامت قوات تحالف الشمال الأفغانية بالعمل البرى الرئيسى فى هذه الحملة كما سمحت دول أسلامية بأسيا الوسطى بأستخدام أجوائها وقواعدها.. وكان هذا أسهام ضخم مؤثر على نجاح الحملة..!

ومع كل ذلك صدرت تصريحات من الرئيس چورج دبليو بوش ومن وزير دفاعه لورد الحرب دونالد رامسفيلد، ومن مستشارة الأمن القومى بالإدارة الأمريكية أن الأرهاب الأسلامى وراء كل الحركات الأرهابية الدولية.. وكان ذلك صدمة لكل العالم الأسلامى لأن الأسلام يدين الأرهاب ويحرمه..!

وفى أفغانستان جربت الولايات المتحدة كل أنواع أسلحتها الجديدة التى قامت بتطويرها بعد حرب الخليج، بل أضافت إلى ترسانتها أنواع جديدة من الزخائر الفائقة الذكاء والصواريخ المتطورة وقنابل جديدة موجهة وأستخدمت الطائرات الموجهة بدون طيار فى أداء مهام تغلبت على الطائرات العادية وأمور أخرى كثيرة. ومن خبرة الحرب فى أفغانستان قامت بتطورات جديدة لأسلحتها وذخائرها وطائراتها ووسائل الأستطلاع الجوية والفضائية.

ثم أعلن الرئيس الأمريكى چورج دبليو بوش عن عقيدته الجديدة«الحرب المسبقة»(أو حرب الاحباط) التى تمنح الولايات المتحدة الحق فى مهاجمة أى دولة ترى أنها تمثل تهديدا للولايات المتحدة أو مصالحها أو أنها قد تمثل تهديدا مستقبليا. وكان واضحا أن هذه العقيدة الجديدة ذريعة لتقوم الولايات المتحدة بفرض هيمنتها على العالم. وبدأ الرئيس الأمريكى يصنف الدول طبقا لهذا المخطط الذى تضمن السيطرة على الشرق الأوسط الأكبر وبترولة وعلى أوراسيا. ولتبرير خطته أعلن أن دولا معروفة تخطط لامتلاك أسلحة دمار شامل لتهدد الولايات المتحدة ومصالحها فبدأ بكوريا الشمالية وايران والعراق التى أطلق عليها دول محور الشر. وكان من الطبيعى أن يختار العراق ليبدأ بها لعدة أسباب:

● العراق خرج من حرب الخليج وقد خسر الجزء الأكبر من قواته المسلحة وبنيته الأساسية وصناعاته العسكرية، وتعرض لأزمة اقتصادية حادة ووصلت ديونه إلى أكثر من ٢٠٠مليار دولار.

● فرضت عليه الولايات المتحدة منطقتين حظر فيهما الطيران أو فتح قوات فيها - منطقة فى الشمال ومنطقة فى الجنوب بلغت ثلثا مساحة العراق. وقامت الولايات المتحدة ولفترة طويلة بتوجيه ضربات جوية وصاروخية ضد العراق بحجة أنه خرق الحظر، ويبدو أنها كانت تمهيدا للهجوم على العراق.

● تأكد الولايات المتحدة من عدم امتلاك العراق لأى أسلحة نووية أو أسلحة تدمير شامل وأن المنشآت التى لها صلة بهذه الأسلحة تم تدميرها بواسطة لجان التفتيش الدولية التى عملت لمدة ثمانى سنوات وقدمت تقريرا لمجلس الأمن بأنها دمرت البرنامج النووى والصواريخ سكود التى كان يمتلكها.

وعليه كانت العراق صيدا سهلا لعملية عسكرية خاطفة ناجحة دون خسائر تذكر. ورغم معارضة الرأى العام الدولى وفشل الولايات المتحدة فى الحصول على قرار من مجلس الأمن بإستخدام القوة ضد العراق(لم تحصل على الأصوات اللازمة فى المجلس) كما أن فرنسا وروسيا والصين هددت باستخدام الفيتو لمنع صدور هذا القرار. وضربت الولايات المتحدة عرض الحائط بكل ذلك وقامت بعمليتها العسكرية ضد العراق واحتلته فى خلال ثلاث أسابيع وتخلصت من نظام صدام حسين وعينت حاكما أمريكيا على العراق وادعى الرئيس جورج دبليوبوش أنه سيقيم عراقا ديمقراطيا ليكون نموذجا لآخرين فى الشرق الأوسط. ولم ينجح فى ذلك حتى الآن وواجه مقاومة من شعب العراق، ولم يثبت - بعد بحث وتنقيب لقوات الاحتلال - امتلاك العراق لأى أسلحة دمار شامل. وأعلنت الولايات المتحدة أن احتلالها للعراق والقضاء على قواتها المسلحة ونظامها ازال أحد التهديدات لإسرائيل وهو اعتراف واضح بانها ترمى إلى اعادة ترتيب خريطة الشرق الأوسط الأكبر لتتربع اسرائيل على قمته كوكيل للولايات المتحدة فى السيطرة على تلك المنطقة.

أن الولايات المتحدة الأمريكية لإنها أصبحت القوة العظمى الأوحد وتمتلك قدرات عسكرية تقليدية وغير تقليدية ضخمة تعتقد أن من حقها أن تهيمن على العالم وأن لها الحق حتى إذا ما رفض الرأى العالمى ذلك أن تهاجم من تشاء من الدول وقتما تشاء، وأن تغير النظم بالقوة العسكرية. ومع ذلك فإنها لن تجرؤ على مهاجمة اى دولة تمتلك سلاحا نوويا حتى لو لم تطل الأراضى الأمريكية وإنما يمكنها أن توجه ضربات نووية محددة إلى مصالح الولايات المتحدة وقواعد قواتها التى أصبحت منتشرة فى كثير من الدول. والدليل على ذلك أنها

أعلنت أنها لن تـهاجم كوريا الشـمالية بعـد أن أعلنت الأخيرة امـتلاكهـا لقدرات نووية وصاروخية.

وهناك اعتقاد من البعض أنه لو سقط جورج دبليوبوش فى الانتخابات هذا العام وجـاء إلى البيت الأبيض رئيسـا من الديموقراطيين ستـتغيـر استراتيجـية الولايات المتحدة، وفى رأيى أن هذا فهم خـاطىء لأن استراتيجية الولايات المتحدة التى أعلنهـا صقـورها لن تتغـير وإنما قد يـتغيـر الأسلوب ولكن الهدف سـيظل ثابتـا. والوسيلة الـوحيـدة لمنع هذه التـهديدات هى القـوة الذاتيـة التى ستـردع العدوان حتى ولو كانت قوة لا تقارن بقوة الولايات المتحدة وإنما قوة يمكنها أن ترد بصورة مؤثرة على أى عدوان.

أننا لا نهدد الولايات المتحدة أو مصالحها، بل أن أحد أهم المصالح الأمريكية فى أيدى عربية تصون هذه المصالح وتحافظ عليها، ولنا جالية عربية وإسلامية كبيرة فـى الولايات المتحدة سمعتـها ممتازة وملتزمة بإنتمـائها وولائها للولايات المتحدة التـى أصبـحت وطنهـا، وهى جاليـة ملتـزمـة بالقانون وتعـمل بأمـانة وأخلاص لـوطنها بل منهـا علماء قـدموا للولايات المتـحدة الكـثير مـن الإنجازات والإبحاث. وإذا ما قمنا بدعم قوتنا العـسكرية وامتلاك وسيلة لردع العدوان فإن ذلك لا يعنـى أننا نهـدد الولايات المتـحـدة وإنما نحـمى أوطاننا وأبـناءنا من العدوان.

١

العراق

الحرب تدق ابواب العراق

اميركا وبريطانيا أعدتا خطة الغزو وبقي تحديد ساعة الصفر

بداية حرب الاطاحة بصدام مرتبطة بانتهاء شارون من مخططه الارهابي

سيناريو افغانستان لا يصلح للعراق لأن الظروف الجغرافية والعسكرية مختلفة

اقتناع العرب باخطاء وخطايا صدام لا يعني سماحهم بضرب العراق

أميركا ستخسر سياسيا وعسكريا اذا ظنت ان الحرب القادمة مضمونة

الترتيبات الاميركية لضرب الدول بأي ذريعة شهادة وفاة للأمم المتحدة

واشنطن على وشك اخراج كوريا الشمالية من محور الشر ليبقى عربيا اسلاميا فقط

تحدثت الإدارة الأميركية بوضوح عن تصميمها على التخلص من الرئيس العراقي صدام حسين، وبررت ذلك بانه سيقلل من تهديد اسلحة التدمير الشامل. وقال رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ان أسلحة التدمير الشامل العراقية التي طورها صدام حسين اخيرا بما فيها الصواريخ الباليستية لا تهدد الدول المجاورة للعراق فحسب بل تهدد العالم بأسره أيضا. وان المفتشين الدوليين تمكنوا رغم الصعوبات التي واجهتهم من اكتشاف ألوف الاطنان من المواد الكيماوية بما في ذلك ٦٠٠ طن من غازات الاعصاب ولكنها فُقدت بعد اكتشافها. وقال ان المفتشين وضعوا ايديهم على ثمانية آلاف لتر من مادة الانثراكس، و١٦ ألف لتر من مادة البوتالينوم بالاضافة الى مصنع لانتاج هذه الأسلحة الفتاكة.

وصدور هذه التصريحات في الوقت الحالي من رئيس وزراء بريطانيا الذي يتهمه المعلقون بانه تابع للولايات المتحدة، رغم نفيه ذلك تماما، يوحي بان النية أصبحت مبيتة لشن هجوم على العراق بواسطة الولايات المتحدة وبعض حلفائها وبالقطع ستكون بريطانيا أول المشتركين في مثل هذا الحلف. كما ان عددا من مراكز الدراسات الاستراتيجية بدأ يتحدث عن أفكار لعمليات عسكرية ضد العراق وعن تكتيكات هذه العمليات وحجم القوات وأسلوب القتال. وهذه اشارة الى أن هذا الموضوع أصبح جديا بل ومن المحتمل ان يكون قد تقرر رغم ان عددا من دول أوروبا طالب واشنطن بان تركز على المشكلة الفلسطينية – الإسرائيلية وان تصرف النظر عن فكرة مهاجمة العراق ولو إلى حين. ولكن مع كل ذلك يبدو ان الولايات المتحدة عازمة على القيام بهذه الحملة أو انها على الأقل وضعت خططها لذلك.

وفي هذا المجال يرى المحللون والمراقبون ان الولايات المتحدة وضعت لذلك خطة شبيهة

بخطة «عاصفة الصحراء» مع فارق مهم هو انها لن تحشد ٥٠٠ ألف جندي كما فعلت في «عاصفة الصحراء» وان الأمر كما قال رئيس الأركان المشتركة الأميركية لا يتطلب أكثر من نصف هذا العدد، بل ذكر رقم ٢٠٠ ألف جندي. وفي تقدير الخسائر الأميركية المحتملة في مثل هذه العملية يرى المحللون انها لن تكون منخفضة كما كان الحال في «عاصفة الصحراء» بل ستكون أكثر.

وقالوا أيضا ان هناك أفكارا اخرى تم تخطيطها احداها ان يعتمد الغزو على وقوع تمرد في العراق عن طريق قوات من الاكراد والشيعة اساسا بالاضافة الى عدد محدود من القوات الخاصة الأميركية اسوة بما حدث في افغانستان «تم الاعتماد اساسا على قوات تحالف الشمال في الاعمال البرية». لكن المحللين يعتقدون ان ذلك أمر غير محتمل وان التخلص من صدام حسين يتطلب قوة حاسمة. وفكرة فتح ٢٠٠ ألف جندي أميركي وحوالي ١٠٠٠ طائرة هي الانسب لتحقيق المهمة بالاضافة لأي مساهمة من المعارضة الكردية والشيعية العراقية.

وان فتح هذا الحجم من القوات يحتاج الى أرض ولا يمكن الاعتماد على وسائل النقل البحري. ففي «عاصفة الصحراء» تم فتح القوات في السعودية ودول الخليج وتم استخدام القواعد الجوية السعودية والخليجية.. فهل ستسمح تلك الدول بفتح القوات البرية والجوية الأميركية لشن حملة ضد صدام حسين أو بتعبير أدق غزو العراق في ظروف واحوال ما يجري في فلسطين؟ أم ستفكر الولايات المتحدة في ان يتم فتح هذه القوات في تركيا ثم غزو شمال العراق كمرحلة أولى لتنضم اليها قوات المعارضة الكردية لتتم مرحلة ثانية لاستكمال الغزو للاستيلاء على كل العراق والتخلص من صدام ونظامه بصورة نهائية؟

وضع مختلف

ويؤكد الخبراء والمحللون ان التكتيكات التي استخدمت في أفغانستان لن تنجح في العراق للأسباب الآتية:

■ التفاوت بين قوات الحكومة العراقية وقوات المعارضة العراقية «المحتملة» أكبر بكثير من التفاوت بين قوات طالبان وقوات تحالف الشمال في أفغانستان.

■ طبيعة الأرض والتكتيكات في افغانستان كانت لصالح القوة الجوية الأميركية المتعاونة مع المعارضة الأفغانية «قوات تحالف الشمال» في حين بالنسبة للعراق يجب على الولايات المتحدة ان تخطط للتعامل مع بيئة تكتيكية تشمل المناورة المفتوحة بالقوات على مستوى كبير والقتال في المدن والمناطق السكنية.

■ تعلمت القوات العراقية الفتح والعمل بطريقة تخفض من حدة القصف الجوي.

■ قُدر حجم قوات طالبان والقاعدة «قاعدة ابن لادن» في أفغانستان بحوالي خمسين ألف مقاتل في مواجهة قوة تحالف شمالي قوامها ١٥-٢٠ ألف مقاتل، ولحسن حظ الولايات المتحدة بعد ذلك ان ميليشيات البوشتون الجنوبيين انضمت الى قوات تحالف الشمال لترفع حجم قوة التحالف إلى ما يزيد قليلا على حجم قوات طالبان. اما في العراق فان قواتها المسلحة تشمل

٤٢٥٠٠٠ قوات نظامية عـاملة «تشمل حوالي ٧٠٠٠٠ حرس جمهـوري وهم اكفأ تلك القوات، والباقي ٣٢٥٠٠٠ جنود عـاملون لا يجب اعتبارهم غـير فاعلين بل يجب ان يؤخذ في الاعـتبار انهم قادرون على القتـال وان كانوا أقل كفاءة من الحـرس الجمهوري». كمـا ان آخر تقرير عن حجـم الاحتيـاطي العراقي يـقول ان العراق قـادر على تعـبئة ٦٥٠٠٠٠ جنـدي احتيـاطي رغم انخفـاض مستوى كـفاءتهم القتـالية، وان كان بعض المحللين يشـككون في ولائهم لصدام وهو أيضا رأي محل شك.

■ احتـفظت القوات العـراقية باعـداد لا بأس بها من الأسلحة والمـعدات ولكن قدرات قـواتها المدرعة أقل من ٥٠ في المئة عما كانت عليه قبل عاصفة الصحراء.

■ تشمل المعارضة الـعراقية: ١٥٠٠٠ مقاتل للحزب الديموقـراطي الكردي، و١٠٠٠٠ مقاتل لاتحاد كردستان الوطني و٦٠٠٠ مـقاتل للشيعة وذلك طبقا لتقـديرات وكالة المخابرات المركزية الأميـركية. ويزعم الاكـراد ان حجم قواتهم سـيتضـاعف مع بداية العمليـات العسكرية. وإذا تم حساب كل ذلك فهذا يعني ان حجم قوات المعارضة العراقية يصل الى ٣٠-٤٠ ألف رجل. ولكن هذه القوة تفـتقر الى الأسلحـة المضادة للطائرات والمضـادة للدبابات. ورغم ان الولايات المتـحدة يمكنها تدبير هذه الأسلـحة إلا ان التدريب عليها يحتـاج الى وقت غير قصيـر إلا إذا تم توفيرها باطقم اميركية كاملة.

■ يتسـاءل المحللون الى أي مدى يمكن لقوات المعـارضة الكردية ان تتسلل الى عـمق العراق حيث مناطق قوة صدام حسين.. وبفرض تـسللهم بحجم مناسب هل يمكنهم مواجهة الآلوف من صفوة القوات العـراقية؟ ويردون على ذلك بان مصير مثل هذه العناصـر الكردية سيكون داميا حتى لو رافقتها بعض عناصر من القوات الخاصة الأميركية.

ومع ذلك يرى المحللون ان القوات العراقية التي ستتصدى للقوة الكردية المدعومة من القوات الجوية الأميركـية ستواجه تحديا وسـيكون من الحكمة بالنسبة لها التـخندق في المدن وانتشار القوات وتمويهها في صحراء مـفتوحة كما حدث في «عاصفة الصـحراء» وكما فعلت طالبان في افغانستـان. والضرب من مواقع ثابتة سيجعلهـا لقمة سائغة للقوة الجوية الأميـركية وذخائرها الذكية المتطورة، وعليها ان تقبع في كمائن مخـفاة لتنتهز الفرصة للانقضاض على أي قوة غزو كردية للقـضاء عليها. ويعـتقدون ان مراكـز القيادة والسـيطرة للقوات العراقيـة ستتمـركز في ملاجيء عميـقة تحت العمارات السكنية ومحصنـة بصورة كبيرة يصعب معـها حتى على القوة الجوية الأمريكية تدميرها.

ويقول المؤيدون لمحاربة صدام وقد شجعتهم نجاحـات عملية «الحرية الثابتة» في أفغانستان ان قدرات الولايات المتحدة تطورت بصورة كبيرة عمـا كانت عليه في «عاصفة الصحراء» وانهم على ثقة بالنجاح بغض النظر عن المكان الذي يقاتلون فـيه قوات صدام حسين وبغض النظر عن بيئة القتال التي يحتمل ان يواجهوها.

ويقـولون ان أكثر مـن نصف الذخائر التي اسـقطت واطلقت في أفـغانستـان كانت ذخـائر

موجهة ذكية في حين ان أقل من ١٠ في المئة من اجمالي الذخائر في «عاصفة الصحراء» كانت ذكية.

ويعترف المحللون بأن عدة محاولات تمت لقتل صدام حسين ولكنها جميعا فشلت رغم انها تمت باستخدام أسلحة وذخائر ذكية دقيقة. ويقولون ان الذخيرة الذكية الدقيقة لم تتمكن من القضاء على أسلحة الدمار الشامل العراقية لأن المخابرات لم تتمكن من تحديد اماكنها بدقة –هذا بفرض وجود مثل هذه الأسلحة– لان معلومات حرب الخليج «عاصفة الصحراء» وما تبعها من لجان تفتيش للأمم المتحدة قالت انه تم القضاء تماما على هذه الأسلحة وعلى القدرات العراقية بالاضافة الى أن الحصار المفروض على العراق وظروفه المالية والاقتصادية الصعبة تجعل من المشكوك فيه نجاحه في اعادة الحياة الى ذلك البرنامج وانتاج أسلحة تدمير شامل وصواريخ بالسيتية كما تدعي بريطانيا والولايات المتحدة. ويبدو ان البعض نسى الخبرة من عملية الناتو في كوسوفو، فلقد كان أكثر من ثلث ذخائر حلف شمال الأطلسي «الناتو» ذخائر ذكية ومع ذلك ثبت ان نسبة الاصابة في القوات الصربية كانت منخفضة، واعترف الجنرال كلارك ويسلي الذي كان قائدا أعلى لهذه العملية بأنه بعد انتهاء العملية وقبول ميلوسوفيتش «الرئيس اليوغوسلافي السابق» لشروط «الناتو» دخلت قوة حفظ السلام الى كوسوفو ودُهشت من ان التدمير الذي تم الابلاغ عنه خلال العمل كان أقل مما قدرته عملية تقييم التدمير للمعركة. والولايات المتحدة الأميركية تقاتل حاليا بأسلحة استخدمت في كوسوفو وأيضا بتكتيكات طبقت هناك.

اضاءة الهدف

ويقول الخبراء ان نوعا من الذخيرة أطلق عليه "JDAM" وهو اختصار «JOINT DIRECT AT-TACK MUNITION» وربما اقرب ترجمة لذلك هي «ذخيرة الهجوم المباشر المشترك» الذي كان فعالا الى حد كبير ضد قوات طالبان المتخندقة سوف لا يكون مؤثرا ضد مدرعات عراقية داخل مدن عراقية لأن الخطأ المحتمل لهذا النوع هو ١٠–١٥ مترا. وفي المدن سيؤدي مثل هذا الخطأ المحتمل إلى تدمير مصاحب ومن المتوقع الا تحدث اصابات مباشرة في المدرعات. كما ان الذخائر الموجهة بالليزر تكون أكثر فاعلية في الاحوال الجوية الجيدة وضد المدرعات المكشوفة، ولهذا السبب تم في افغانستان دفع مجموعات تحمل أجهزة ليزر لاضاءة الأهداف لتتجه إليها القذيفة الموجهة بالليزر بدرجة دقة عالية فتدمرها. اما إذا اعتمدت الطائرات على وسيلة اضاءة الهدف بشعاع الليزر الخاصة بها فانها ستضطر للطيران على ارتفاع منخفض الأمر الذي سيعرضها لوسائل الدفاع المضادة للطائرات ومنها الصواريخ «ستينجر» أو مثيلاتها المنتشرة في كل جيوش العالم. وبالنسبة للعراق إذا كانت المدرعات ستتخذ مواقعها داخل المدن فإن تعرض الطائرات التي ستعتمد على وسائلها الخاصة لاضاءة الأهداف سيكون أكثر لإمكانية تواجد هذه الصواريخ «صواريخ الكتف» فوق المنازل ومختفية بصورة جيدة، وكذا للمدفعية المضادة للطائرات. ولقد نشرت احصائية عن حرب الخليج «درع وعاصفة الصحراء» تقول انه في الأيام الثلاثة الأولى لعملية عاصفة الصحراء وبسبب تحليق الطائرات على ارتفاعات

منخفضة تعرضت ٢٧ طائرة لاصابات ودُمر بعضها.

ويرى المخططون لعملية الغزو ان تواجد حجم ملموس من القوات البرية الأميركية سيكون عاملا حاسما لتحقيق نجاح عسكري للعملية. ويعتقدون ان الوحدات العراقية قد تنقلب ضد صدام إذا رأت حشدا كبيرا من القوات يتقدم في اتجاهها، ويعتقدون ان ولاء كثير من قادة القوات العراقية لصدام حسين نابع من الخوف على حياتهم. ومع ذلك لا يمكن توقع حدوث مثل هذه التغيرات في الولاء بصورة شاملة، بل ان الموقف الأميركي من قضية فلسطين وانحياز الولايات المتحدة المطلق بالصورة التي حدثت في هذا الاجتياح الإرهابي للضفة الغربية سيجعل من الصعب أو من المستحيل ان يتغير ويتبدل ولاء تشكيلات القوات العراقية بالصورة التي يتمناها المخططون.

والأمر الثاني انه بالرغم من تردي حالة الأسلحة والمعدات العراقية بعد حرب الخليج والحصار المضروب على العراق وتدني موارد الدولة وصعوبة استيراد قطع غيار للمعدات وعوامل اخرى كثيرة لا تخفي على أحد فإن القتال في المدن والمناطق السكانية يمكن للقوات العراقية ان تديره بفاعلية مؤثرة، كما ان عملية حشد القوات الأميركية -من خبرة حرب الخليج- ستستغرق شهرين على الأقل، وهي مدة كافية لتحصين المدن والمناطق السكنية العراقية استعدادا للغزو. والدفاع عن المدن يمكنه ان يعتمد على أسلحة غير ثقيلة مثل صواريخ الكتف المضادة للطائرات «سام» والقواذف المضادة للدبابات مثل «الاربي جي» والرشاشات والقنابل اليدوية المختلفة...إلخ. ومن المؤكد انها متوفرة بصورة جيدة في العراق.

والأمر الذي يكاد يكون مؤكدا ان قوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص موالية لصدام لانها تحصل على امتيازات خاصة وهي أول المستفيدين من وجوده في الحكم ستقاتل بضراوة وشراسة ما لم تحدث تطورات ليست في الحسبان وهي أمور لا يجب ان يعتمد عليها أي تخطيط.

وطبقا للمراجع الأميركية الحديثة تقدر نسبة الخسائر في القتال داخل المدن والمناطق السكنية من ١ إلى ٤ أي واحد للمهاجم و٤ للمدافع بفرض توفر تفوق حاسم للمهاجم. وهنا اسأل هل ستتحمل الولايات المتحدة ان تخسر بضعة ألوف من جنودها داخل مدن العراق؟ وماذا لو وصل العدد الى عشرة آلاف قتيل على سبيل المثال نتيجة مغامرة يقوم بها الرئيس جورج دبليو بوش لتغيير حاكم دولة تبعد عن الولايات المتحدة أكثر من عشرة آلاف ميل وتصدر بترولها لدول غربية؟

ان الأهداف العراقية التي تمثل أهمية كبرى لقوات الغزو ستشمل مراكز القيادة والسيطرة وعناصر القيادة، وكذا ما بقي لدى العراق من قدرات أسلحة تدمير شامل «إذا كان ذلك حقيقيا». وإذا أمكن تدمير هذه الأهداف بسرعة فان المعركة ستنتهي بسرعة. ولتحديد اماكن هذه الأهداف يتطلب الأمر عناصر استطلاع بشرية ولابد ان تكون هذه العناصر عراقية ليمكنها ذلك، فهل سيتوفر ذلك للولايات المتحدة كما توفر لإسرائيل في تحديدها لأفراد معينين تريد اغتيالهم أو القبض عليهم في الضفة الغربية وقطاع غزة؟

ويعتـقد المخططون ان صدام قـد يبقى داخل كوردون من قـوات الحرس الجمهـوري وقواته الخاصــة لتـفادي إمكانيــة القبض عليـه، وإذا حدث ذلك فـان على قوات الغـزو ان تدمـر الجزء الرئيـسي من القوات المسلـحة العـراقيـة أو تجبـرها على الاسـتسـلام خاصــة قوات الحـرس الجمـهوري والحرس الخـاص.. وفي هذه العمليـة ستسـتخدم الولايات المتـحدة عدة مـئات من الطائرات المقاتلة والقـاذفة المقاتلة والشـبح لمهاجمـة الأهداف الاستراتيـجية وتوفيـر دعم قريب للقوات الأميركـية وأي قوات تحالف اخرى. وبالنسبـة للقوة البرية سيتطلب الأمر عـددا معقولا من الدبابات ومركبـات القتال المدرعة والمدفـعية وخليط من المشاة والمدرعـات. وفي تقدير حجم القوات المناسب لهذه العمليــة يقول المحللون انها قد تشمل: فرقتي مدرعات ثقـيلة وفرقتي مشاه ميكانيكية والفرقة ١٠١ ابرار جوي وحجما مناسبا من القوات الخاصة وفرقتي مشاة اسطول.

حشد القوات

وناقش المخططون مسألة منطقة حشد القوات والتسهيلات المطلوبة لمثل هذه العملية ووصلوا إلى ان انسب المناطق هي نفس المناطق التي استخدمت لعاصـفة الصحراء بالاضافة الى الكويت. ومع ذلك قالوا انه ربما ترفض السعودية استخدام اراضيها ولكنهم يعتقدون ان الكويت ستوافق دون اعتراض. ويعتقـدون ان عملية الحشد ودفع القوات واعدادها للعملية سـتستغرق من ٤ إلى ٦ أشـهر.

ويرى المحللون ان الدولة الوحيدة التي يضمنون انضمامها للتحالف مع الولايات المتحدة هي بريطانيا. امـا باقي دول أوروبا أو حلف الناتو فهناك شك في انضمـامها لهذا التحـالف لانها لا ترى ان غزو العراق أمر ضروري خاصة انه في موقف لا يجعله يمثل تهديدا لاحد.

وتحدث المحللون عن ان على المخططين أن يضعوا في الاعتبار احتمال استخدام صدام حسين ما أمكنه اسـتعادة صلاحيـته من أسلحة التدمـير الشامل. ويرى هؤلاء انه إذا أُخذ في الاعـتبار استخدام الأسلحة الكيماوية فان نسبة الخسائر السابق ذكرها سترتفع بمقدار ٥٠ في المئة.

وإذا كان لدى صدام صواريخ «سكود» فقد يستخدمها ضد القوات الأميركية أثناء الحشد أو ضد القواعـد الجوية التي تنطلق منها طائرات التحـالف وكذا ضد الدول التي تسمح باسـتخدام اراضيها لشن هذه الحملة.

ويعتقد المحللون ان التخلص من صدام حسين يتطلب اجراءات لتنفيذ غزو بري يتبعه احتلال للعراق لفتـرة غير قصيـرة. ويقولون انهم لا يتصورون ان ادارة امـيركية احد اعـضائها وزير الخـارجيـة كولن باول لا تخطط لاسـتـخدام حـجم قوات ضـخم لتطبـيق عقـيدة باول «القـوة الحاسـمة» وان المنطق والعـقل يشيران الى ذلك واذا كـانت الخطة الموضوعـة تقضـي بذلك وان الفتح سيتم على هذا الاساس فانهم يعتقـدون ان الجيش العراقي سينهار قبل ان يقاتل وبالقطع هذا ما يتمناه الاميركيون لكنني لا اعتقد ان الاعتماد على ذلك فيه حصافة فهي مجرد امنية قد لا تتحقق واعتقد ان توقع تحقيق نصر سـهل أو اعادة تطبيق نموذج الحملة الافغانية قد يؤدي الى خسائر كـبيرة في الجيش العراقي وخسـائر ملموسة في قوة الغزو ومن المؤكـد ان ذلك سيؤثر

سلبا على علاقات الولايات المتحدة بكل منطقة الشرق الاوسط.

وتدور في اوساط العالم الخارجي غير الاميركي تساؤلات تحتاج الى اجابات أو تفسير اهمها:

■ من الذي اعطى الحق للولايات المتحدة لغزو دولة اخرى لتغيير نظام الحكم فيها اعتمادا على حجة لا سند لها وهي ان نظام الدولة يمثل تهديدا للعالم كله؟ فالعراق بوضعه الحالي لا اعتقد انه يمثل تهديد للعالم حتى بفرض امتلاكه لصواريخ «سكود» فإن مدى ٢٨٠كم لا يشكل تهديد لدول اوروبية ولا للولايات المتحدة والدول التي قد تقلقها هذه الصواريخ هي الدول العربية اما باقي دول المنطقة فلا تقلقها هذه الصواريخ لانها تمتلك وسائل ردع قوية تمنع العراق من تنفيذ هذا التهديد اذا كان له وجود.

■ اين الامم المتحدة وسلطاتها في هذه الامور وكيف تقبل ان تقوم دولة بغزو دولة اخرى دون اذن من هذه الهيئة؟

■ رغم كراهية العديد من الدول العربية لنظام صدام حسين إلا انني اعتقد انها لا يمكن ان توافق على قيام الولايات المتحدة بغزو بري للعراق للقضاء على صدام ونظامه واحتلال العراق لفترة غير قصيرة لترتيب نظام جديد موال للولايات المتحدة رغم ان الادارة الاميركية ستقول انها قصدت بهذا العمل اقامة نظام ديمقراطي في العراق وللاسف الشديد تفعل ذلك دون توكيل من الشعب العراقي أو من الامم المتحدة وإنما باوامر من الرئيس جورج بوش.

■ في الوقت الذي تتصدى فيه الولايات المتحدة لنظام صدام حسين بحجة انه نظام دكتاتوري صنفه الرئيس جورج بوش على انه احد عناصر محور الشر نجد نظاما اسرائيليا يعيث فسادا في الاراضي الفلسطينية ويرتكب المجازر ويرفض دخول لجنة تقصي الحقائق ويقبض على فلسطينيين دون سند قانوني ثم يقول الرئيس جورج بوش ان شارون «رجل سلام». لقد صدق المحللون الذين قالوا ان غزو العراق سيسيء الى موقف الولايات المتحدة في منطقة الشرق الاوسط لان كل دولة بالمنطقة قد تجد نفسها في اي وقت من الاوقات معرضة لغزو اميركي لتغيير نظامها لان الادارة الاميركية تريد ذلك لسبب أو لاخر.

■ الامر العجيب حقا ان تتفاوض الولايات المتحدة مع كوريا الشمالية التي تمتلك صواريخ عابرة للقارات وتقوم بصناعة قنابل نووية وتمثل تهديدا خطيرا لمصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الاقصى ولكن لا تخطط الولايات المتحدة لغزو تلك الدولة لتغيير نظامها الدكتاتوري الى نظام ديمقراطي.

■ امر اخر هو ان المخططين قالوا ان صدام حسين سيتحصن في المدن وسيدير معارك في المدن والمناطق السكانية. كيف ستتفادى الولايات المتحدة التدمير المصاحب عندما تهاجم العراق والخسائر الكبيرة التي سيتعرض لها المدنيون العراقيون من اطفال ونساء وشيوخ. ولعلنا نذكر رد الفعل الذي حدث في الحملة الجوية لحلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة ضد يوغوسلافيا نتيجة خسائر حدثت في المدنيين واعتراض دول من الحلف على ذلك. فهل سيقبل الرأي العام

العالمي والشعب الاميركي تدميرا مصاحبا بقتل مئات الاطفال والنساء؟ لقد قبلت الادارة الاميركية قيام شارون بمجزرة بشرية في احدى مدن الضفة الغربية - جنين - ولم تحرك ساكنا بل وصفت شارون بانه رجل سلام. هل سيتكرر ذلك في العراق؟ هل ارواح الصربيين اغلى من ارواح العراقيين؟ سؤال يحتاج الى اجابة.

لماذا لا تترك الولايات المتحدة مهمة تغيير النظام العراقي لشعب العراق ويمكن لها ان تقدم العون للمعارضة اذا كانت هذه المعارضة تريد حقا اقامة نظام ديموقراطي عادل في العراق؟ اليس استخدام اكراد وشيعة ضد العراق اشعالا لفتنة طائفية داخل العراق قد تؤدي الى تقسيمه وتفتته؟.

إعداد المسرح العربي للحرب

الحرب ليست هتافا ولا شعارا وإنما هي تعبئة الدولة من القاع إلى القمة

هزيمة ٦٧ درس عملي عن خطورة اقتحام الحروب بلا إعداد

انتصار أكتوبر محصلة خطة مدروسة في تعبئة كل الموارد للحرب

الإنسان هو العنصر الأهم في الحرب والسلم مهما تطورت الصناعات العسكرية

الحروب الحديثة لم تعد لها جبهة محددة وأصبحت كل أراضي الدولة مسرحا لها

الدول العربية لديها القدرات والإمكانيات لكن الإرادة مفقودة

التهديدات المحيطة تفرض على العرب التحرك في كل اتجاه للاستعداد للمواجهة

الإعداد للحرب لا يعني العدوان أو تهديد الآخرين لكنه يعني ردع المعتدي

كثر الحديث في الآونة الاخيرة عن الحرب. وهي حق مشروع للدفاع عن النفس ضد المعتدي. لكن الحرب ليست مجرد شعار يطلق في وقت وصلت فيه الآلة العسكرية الى مستوى خطير من القدرات والامكانات.. بفعل ثورة المعلومات والشؤون العسكرية. فكم من دولة شنت حربا دون أن تعد نفسها فكانت النتيجة كارثة.. ولست هنا بصدد ضرب الأمثال فالتاريخ القديم والحديث مليء بالأمثال الناصعة.

والاعداد والاستعداد للحرب مطلوب من خلال الاعمال التي يجب على الدولة أن تقوم بها.. وهو ما يطلق عليه الاستراتيجيون.. اعداد الدولة للحرب.

وليس معنى اعداد الدولة للحرب الرغبة في العدوان أو التوسع على حساب الاخرين أو فرض سيطرة على أحد وانما الغرض هو الردع.. والردع هو ان يعي العدو أو الخصم أن عدوانه سيكون فاشلا وانه سيتعرض لخسائر جسيمة، لذلك رأيت أن اتناول مسألة اعداد الدولة للحرب ليعرف شبابنا وشعوبنا أن الحرب ليست شعارات وهتافات وانما هي جهد كبير لازم وضروري لأمننا القومي.. وتأمين شعوبنا وحياتنا ضد العدوان.

ولقد ثبت من خبرة الحروب السابقة والمعاصرة أن هذا الردع لا يتحقق دون اعداد دقيق للدولة «بما في ذلك شعبها، وأجهزتها الحكومية، وقواتها المسلحة واقتصادها، ونظامها السياسي وكيانها الاجتماعي». بل أن أي حرب أو معركة يتقرر مصيرها اثناء هذا الاعداد. ومن الأقوال المأثورة لبعض مشاهير القادة ما قاله الزعيم الصيني ماوتسي تونج لمواجهة التهديدات السوفيتية: «ان السبيل الوحيد لأن تمنع العدوان المتوقع يكمن في أن نكون نحن دائما على

استعداد لمواجهة هذا العدوان».

ومفهوم اعداد الدولة الحرب يعني تطوير واستخدام قدراتها الاقتصادية والبشرية والسياسية والدبلوماسية والمعنوية في تنمية قدراتها العسكرية لتحقيق النصر في أسرع وقت وبأقل خسائر وتحقيق اهداف وغايات الدولة.

واتفق علماء الاستراتيجية على اتجاهات مهمة لاعداد الدولة للحرب هي: اعداد القوات المسلحة واعداد الاقتصاد الوطني واعداد الشعب واعداد اراضي الدولة كمسرح للعمليات المحتملة وادارة السياسة الخارجية بما يتفق مع أهداف الحرب.

ويجب في نهاية المطاف أن يحقق هذا الاعداد القدرة على صد أي عدوان مفاجيء من أي تهديد محتمل وهزيمته بأقل خسائر ممكنة، والقدرة على ادارة حرب طويلة اذا تطلب الامر ذلك.

والأمر الذي يجب أن يفهمه الجميع ان اعداد القوات المسلحة في ظل الظروف الدولية والاقليمية الحالية أمر بالغ التعقيد، ولكنه ممكن اذا اعتبرنا أن هذا يتوقف عليه كل شيء. ويرى الاستراتيجيون أن هذا الامر يتأسس على الموقف السياسي للدولة واهدافها السياسية والسياسة العسكرية والاستراتيجية والموقف الاقتصادي ومدى التقدم العلمي والتكنولوجي لها وطبيعة الحرب المحتملة والتهديدات القائمة.

الردع

وفي ظل الظروف والاحوال المعاصرة التي أصبح فيها التهديد باستخدام اسلحة تدمير شامل خاصة الاسلحة النووية يجعل مهمة اعداد الدولة للحرب أمرا حيويا مع الأخذ في الاعتبار توفير قدرات لتحييد هذا التهديد النووي اذا لم يكن بامتلاك السلاح النووي يكون بامتلاك الوسيلة القادرة على ردعه.

واعداد القوات المسلحة أمر يعرفه كل العسكريين في كل الدول العربية سواء بالنسبة للتخطيط الاستراتيجي وتحديد حجم وتكوين القوات المسلحة لوقتي السلم والحرب وتعبئة القوات المسلحة والتدريب. الخ ولذلك سأركز على عدة موضوعات أرى أنها في حاجة الى تفهمها والاهتمام بها.

لابد ان تكون هناك خطة واضحة لتعبئة القوة البشرية وهذه التعبئة تشمل اجراءات محددة لتحويل الدولة كلها من حالة السلم الى حالة الحرب، وهي تشمل بالاضافة الى تعبئة القوات المسلحة تعبئة كل أجهزة الامن بالدولة وتعبئة الصناعة والنقل والزراعة والمصادر المائية والتجارية وقوات الدفاع المدني وأجهزته وكل أجهزة الدولة دون استثناء. وتعبئة القوة البشرية في الدولة عنصر مهم وحيوي ولذا يجب أن يكون التخطيط لها بعيد المدى. فقد اوضحت خبرة الحروب على مدى التاريخ وخاصة في القرن العشرين ان تعويض الخسائر في القوة البشرية أمر حيوي للغاية. كما أن الحرب الحديثة ادخلت خصائص جديدة على اعداد الاقتصاد القومي الدولة للحرب لأن معدلات تعويض الاسلحة والمعدات ارتفعت بصورة كبيرة بسبب القوة التدميرية الهائلة للاسلحة الحديثة، ناهيك عن دخول الذخائر الذكية ابتداء من اواخر القرن

العشرين وزاد تطورها الى حد كبير في بداية القرن الحالي وهو ما شاهدناه في حرب الخليج عام ١٩٩١ وفي حروب البلقان بعد ذلك ثم في الحرب الدآئرة الآن في افغانستان.

ويشمل اعداد الاقتصاد الوطني للحرب اعداد الصناعة والزراعة والنقل، وكلها امور لا يمكن أن يتم اجراؤها بطريقة فورية سريعة بل لابد أن تسبقها حالة من الاستعداد في كل قطاع حتى لا تفاجأ الدولة بحرب وهي في حالة عجز لا يمكن ازاؤه - كمثال - تنفيذ مخططات الانتاج الحربي لإنتاج ما تتطلبه المعارك وسد الخسائر، وكمثال لذلك بدأت النازية اجراءات سرية منذ عام ١٩٢٣ لتوثيق الاتصالات بين الصناعات المختلفة وقواتها المسلحة، وبظهور هتلر على مسرح القيادة بعد ذلك بعشر سنوات «عام ١٩٣٣» بدأ توجيه الصناعة الالمانية لتأمين اعداد الصناعة للحرب .

وبسبب تفوق القدرات الصناعية لدول الحلفاء انتهى الامر بهزيمة المانيا واستسلامها دون قيد ولا شرط. ومثال اخر هو فرنسا فقد كانت تشعر بخطر احتمال مواجهة المانيا في حرب منذ عام ١٩٣٣، وأعدت لذلك عدتها بتعبئة جيش وطني كبير وبناء خط ماجينو الحصين الشهير ولكنها عجزت في الفترة ما بين ١٩٣٢،و١٩٣٩ عن تحقيق تعبئة صناعية قادرة على تأمين قواتها المسلحة بالاسلحة والمعدات لمواجهة قوة التهديد الرئيسي لها وهي المانيا. ففي عام ١٩٤٠ خلال الحرب لم يكن لدى الجيش الفرنسي من الذخيرة ما يكفي إلا لقتال ثلاثين يوما فقط ولم يكن منتظرا أن تتمكن الصناعة من بدء انتاج كبير لسد احتياجات قواتها المسلحة والحرب قبل انقضاء عامين منذ بداية نشوب الحرب. وكانت النتيجة اجتياح القوات الالمانية لفرنسا واحتلالها.

النكسة

ومثال آخر من واقع حياتنا المعاصرة حرب يونيو ١٩٦٧ «النكسة كما نسميها» فلقد أدخلت مصر نفسها الحرب دون أن تقوم باعداد الدولة أو القوات المسلحة للحرب، وفتحت على نفسها جبهة ثانية في وقت كانت تقاتل فيه على جبهة أخرى هي اليمن وهذا خطأ استراتيجي بكل ما يحمله المصطلح من معنى. وفي حديث للفريق اول عبدالمحسن مرتجي الذي كان قائدا للجبهة عام ١٩٦٧ قال ان اكثر من ٥٠ في المئة من القوات التي كانت تحت قيادته كانت من الاحتياط الذي تم استدعاؤه قبل أيام قليلة من الخامس من يونيو ١٩٦٧ وهذا يعني افرادا غير مدربين على القتال، وما تعلموه قبل ذلك اثناء تجنيدهم نسوه كما أن تطورات التسليح جعلت الاسلحة الجديدة بالنسبة لهم مجهولة فلا يعقل لجندي مدرعات مثلا خدم على دبابة «شيرمان» انجليزية أن يعمل على دبابة «ت - ٥٤ أو ت - ٣٤» سوفيتية تختلف عن الشيرمان كثيرا كما أن القاعدة المتبعة في الدول التي تعد نفسها لأي حرب محتملة أن جندي الاحتياط يستدعى سنويا لفترة٢ - ٣ اسابيع للتدريب ويستمر ذلك لعدد معين من السنوات بعدها لا يستدعى لأن هناك ممن سُرح حديثا من يمكنه سد الثغرة. كما أن الدولة تعلن التعبئة الجزئية أو الكاملة اذا شعرت بأن تهديدا محتملا بالحرب قائم أو انها تعد لشن حرب فتقوم بتدريب جنود الاحتياط لفترة لا تقل عن ٤٥ يوما في بعض الدول وفي بعض الدول الاخرى أطول من ذلك. وفي حرب ١٩٦٧ استدعى الكثيرون من ديارهم الى سيناء رأسا دون أي تدريب. وهذا يعني انه لم تكن هناك

خطة لاعداد الدولة للحرب. ولذلك كانت النتيجة نجاح اسرائيل في الاستيلاء على جزء كبير من سيناء بل وصولها في بعض القطاعات الى الشاطيء الشرقي لقناة السويس. وهناك اخطاء اخرى في اعداد الدولة للحرب لا داعي للخوض فيها في هذا المقال. ولكنه كان درسا وعته مصر وتلافت هذه الاخطاء في خطة حرب اكتوبر ١٩٧٣ التي كانت انتصارا كبيرا لها على اسرائيل كان من الممكن أن يكون انتصارا ساحقا لولا تدخل الولايات المتحدة بجسر جوي عوضت به اسرائيل خسائرها فوصلت دبابات باطقمها وقطع صواريخ موجهة «تاو» بأطقمها وطائرات الى جانب توفير استطلاع جوي وبالاقمار الصناعية بواسطة الولايات المتحدة ساعد اسرائيل على تجنب الهزيمة الكاملة حتى أن كيسنجر وزير الخارجية الاميركية الاسبق قال «انه تعادل وأن الولايات المتحدة لا تقبل ان يهزم السلاح السوفيتي السلاح الاميركي» ، وواقعيا تدخلت اميركا لمنع تعرض اسرائيل لهزيمة كاملة.

الأمثلة كثيرة والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: اي الدول العربية قامت بوضع خطة لتعبئة صناعة يمكنها تغطية احتياجات اي حرب ولو بضعة اشهر؟

خلاصة القول أن الامن القومي لأي دولة يتطلب اعداد صناعة الدولة مبكرا وقت السلم وأن تكون لديها خطة متكاملة للتعبئة الصناعية والتي تعني تحويل نشاط الانتاج الصناعي من انتاج سلم الي انتاج حرب - هذا بفرض وجود صناعة راسخة لانتاج السلم.

وهذا يتطلب اجراءات كثيرة من بينها اجراءات فنية حيوية من النمطية بمعنى عمل تصميمات متماثلة في المعدات المدنية لتناسب المعدات العسكرية، والتجانس في الاسلحة والمعدات «أو ما يطلق عليه التوحيد القياسي» أي تقليل تعدد الانماط والمقاييس لأقل حد ممكن بما يفيد في تحقيق انتاج على نطاق واسع وتوحيد قطع الغيار وسهولة الصيانة والتعويض.

وعندما يكون البنيان الاقتصادي في دولة ما على درجة معقولة من المرونة فمن الممكن له القيام بإعادة التخصص لتلبية احتياجات اي صراع مسلح تتعرض له الدولة.

كما يمكنه كذلك التأقلم لتوزيع الثلج على أفراد الشعب لاشباع أكبر قدر من احتياجاتهم. ويلعب التنظيم السياسي في الدولة دورا مهما في تحديد ما يمكن للمجتمع ان يحققه من الأهداف التي ارتضاها لنفسه في اطار السلم أو في ظروف الحرب. والتنظيم السياسي الفعال يمكنه مواجهة مقتضيات اقتصاد حالة الحرب ويمكنه اقناع الشعب بضرورة تقديم التضحية المطلوبة لتحقيق الهدف القومي.

كما أنه في ظروف الحرب يعتمد تحقيق أقصى زيادة ممكنة في الانتاج على العنصر البشري والارادة الشعبية - أي على الشعب وخصائصه وقدراته. واذا أمكن توجيه هذه القدرات بصورة سليمة فان ذلك يلعب دورا فعالا في زيادة الانتاج لمواجهة ظروف الحرب الصعبة.

العالم العربي يعتمد اساسا على استيراد السلاح ومن الضروري التخطيط لشرائه من دول صديقة أو حليفة، كما تظهر أهمية التخزين المسبق للاحتياجات الكافية لمواجهة اي حرب محتملة مع التهديد الرئيسي للدولة، الى جانب تعدد مصادر التسليح.

وهنا ايضا سؤال يطرح نفسه وهو: هل أعدت الدول العربية نفسها في هذا المجال لمواجهة اي حرب محتملة؟ خاصة وانها محاطة بتهديدات كثيرة - وعلى الاقل بالنسبة للتهديد الرئيسي لأمنها القومي.. وهو معروف للجميع؟

سبق أن تعرضت لما نشرته مراكز الدراسات الاستراتيجية عن الانفاق العسكري للدول العربية وذكرت أنه بلغ في عام واحد ٢٧ مليار دولار وذكرت اعداد الاسلحة والمعدات بكل الدول العربية دون استثناء. وذكرت فيما ذكرت التنوع الكبير لهذه المعدات لأنها تشترى من مصادر مختلفة الامر الذي خلق عدة ملاحظات اهمها:

■ لا نمطية في تسليح الدول العربية الامر الذي يلغي التبادلية العملياتية بين هذه الدول بمعنى عدم امكانية استخدام معدات واسلحة في دولة ما بواسطة دولة عربية اخرى عند الضرورة، رغم ان التهديد الرئيسي لكل الدول واحد، وأن مسرح العمليات المنتظر مسرح واحد أو على الاقل متماثلا.

■ ان الدول العربية تنتمي جميعها الى جامعة الدول العربية ونظريا ترتبط جميعها باتفاقية دفاع مشترك ولكنها لم تطبق في أي وقت من الاوقات على حد علمي، بل لقد اعتدت دولة عربية على دولة عربية مستقلة عضو في الجامعة ودارت حرب لتحرير هذه الدولة وللاسف الشديد انقسمت الدول العربية فيما بينها فشارك بعضها في تلك الحرب التي طردت المعتدي واعادت الشرعية للدولة المعتدى عليها، ورفضت دول الاشتراك بل أخذ البعض منها جانب المعتدي. وهذا موقف يتعارض مع ميثاق جامعة الدول العربية. ورغم ذلك فمن الممكن تفعيل هذه الاتفاقية الآن خاصة وأن الامة العربية تواجه تحديا خطيرا من تهديد رئيسي واحد يحتاج ردعه الى تكاتف وتضامن من المفروض أن يتحقق.

■ لا أجد سببا واحدا في عدم تعاون الدول العربية - ان لم يكن جميعها - فعلى الأقل عدد منها بينها تقارب وتوافق في توحيد التسليح واقامة صناعة حربية لانتاج هذا التسليح خاصة وان عددا من هذه الدول لديه الى حد ما بعض انواع التسليح التي حصل عليها من مصدر واحد. والفرصة قائمة وما قصدته بحديثي عن اعداد الدولة للحرب هو أن نبدأ الان لنتمكن من الصمود أمام اخطار تحيط بنا وتهددنا واذا لم نبدأ فسنندم ولن ينفع الندم اذا حلت المأساة.

■ تحدثت عن أهمية الانذار المبكر والاستطلاع لتتوفر لنا فرصة انذار مبكر في وقت حقيقي ضد أي تهديد لنا. وطالبت بتعاون الدول العربية في اطلاق عدد من الاقمار الصناعية العسكرية لخدمة قواتنا المسلحة وامدادها بالمعلومات والانذار المبكر في عصر ثورة المعرفة والمعلومات. وقلت ان اسرائيل لها قمران صناعيان عسكريان في الفضاء وهي ترى وتشاهد كل شيء في كل مكان بالأمة العربية.

التهديد الاسرائيلي

تحدثت في مقال سابق عن التهديد النووي الذي يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة للاستقرار والسلام في منطقتنا، وان اسرائيل التي اصبحت نووية وصاروخية تشعر بأن في مقدورها أن

تملي شروطها وأن تصبح قوة عظمى اقليمية، وهذا تهديد حال ومستقبلي خطير. وهناك وسيلتان لتحييد هذا التهديد، الاولى هي امتلام قدرات نووية وفي مقدورنا ان نفعل ذلك ولكن الظروف الدولية السائدة وموقف الولايات المتحدة من هذا الامر قد يمنعنا. والوسيلة الثانية هي القدرات الصاروخية أي صواريخ أرض – أرض ذات مدى يغطي منطقة التهديد وهذا أمر ممكن ولا يحتاج الا لقرار. وقلت أن الامكانات متوفرة وهي الامكانات المادية والفنية والصناعية. بل ان بعض الدول العربية نجح في تصنيع هذه الصواريخ. ولو تضافرت وتعاونت كل الدول العربية، أو على الاقل عدد معين منها، لنجحت في خلق قوة صاروخية قادرة على الردع. وأبلغ دليل على قدرة هذا السلاح على الردع ما نشرته مجلة «فورن ديفنس» الاميركية عن ان اسرائيل تفكر في ضرب مواقع الصواريخ ارض – ارض السعودية– أي الصواريخ الباليستية المتوسطة المدى في اي حرب جديدة.

وتقول المجلة أن تفاصيل المعلومات عن المنشآت والصوايخ التي حصلت عليها السعودية من الصين الشعبية عام ١٩٩٠ معروفة في مجتمعات المخابرات والدفاع لمعظم الدول المهتمة وهي تعني بذلك اسرائيل ودولا غربية اخرى وبالطبع في مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية. ومن المعروف أن ما تعرفه المخابرات الاميركية مباح للمخابرات الاسرائيلية وهو أمر مؤسف. وتقول المجلة أن السؤال المطروح هو لماذا التركيز الان على هذه المنشآت. وكتبت صحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية في ٢٧ مارس ٢٠٠٢ أن المنشآت المبنية في صحراء السليل جنوب الرياض بحوالي ٥٠٠ كم تحتوي على «مواقع محفورة ومجهزة تحت الارض» لاطلاق الصواريخ ومناطق ايواء ومصانع في مدينة الملك خالد. ونشرت الصحيفة صورا حصلت عليها من اقمار صناعية اميركية استنتج منها وجود قاعدتين للصواريخ ومجموعة من ١٥ مبنى ثمانية منها صالحة لتخزين صواريخ باليستية ذات المدى من ٢٥٠٠ الى ٣٥٠٠ كم طبقا لصافي الحمولة، وتؤكد الصحف الغربية والاسرائيلية أن السعودية لا تمتلك أي رؤوس نووية لهذه الصواريخ.

وبغض النظر عما ذكرته هذه الصحف الا أن هذا التركيز على هذه الصواريخ وسكوت الادارة الاميركية ازاء نشر هذه المعلومات يوحي بأن اسرائيل لن تتورع عن ضرب هذه الصواريخ رغم العلاقات القوية بين المملكة والولايات المتحدة وهو أمر لا يمكن أن يقبله العرب او العالم الاسلامي فللسعودية مكانة خاصة في قلوب العرب والمسلمين واي اعتداء عليها ستكون له اخطار بالغة. وخلاصة القول ان الصواريخ ارض – ارض سلاح ردع قوي وناجح ضد أي تهديد نووي أو صاروخي والا ما كان هذا القلق من عدد محدود من الصواريخ على بعد الوف الكيلومترات من دولة التهديد الرئيسي للأمة العربية.

أعود من جديد الى اعداد الدولة للحرب، ليس من اجل العدوان ولكن من أجل ردع العدوان وتحقيق السلام والاستقرار فأقول ان من أهم عناصر اعداد الدولة للحرب اعداد الشعب وهو يتناول اعداد الانسان الذي يعتبر عاملا مشتركا في كل اتجاهات اعداد الدولة الاخرى وله أثر فعال ومباشر على كل قوى الدولة المختلفة. فالانسان من أهم عناصر الانتاج التي تعتمد عليها

كل الانشطة الاخرى لتحقيق الاهداف. ولقد عبر العلماء عن ذلك بثلاث معادلات مهمة:

كفاءة الانشطة = عوامل فنية × عوامل انسانية

العوامل الفنية = اساس نظري + موارد مادية + اساليب عمل

العوامل الانسانية= القدرة على العمل × الرغبة في العمل أو الأداء

ان التقدم الفني والمادي لا يتحقق الا من خلال العنصر البشري بل ان هذا العنصر قادر على تعويض القصور في الموارد المادية والاساليب الفنية المتاحة اذا اعترضته الندرة والصعوبة.

ان الثورة في المعرفة والتكنولوجيا والمعلومات تتطلب الاهتمام بالتعليم في كل مراحله لرفع المستوى العلمي والثقافي للشعب، والقوات المسلحة كقطاع رئيسي يضم نخبة من الشعب تتعامل مع معدات واسلحة في غاية التطور ويتطلب الامر أن يكون أفرادها ضباطا وجنودا على مستوى عال من المعرفة والتأهيل. ولقد شاهدنا دور الجندي والضابط في الحرب الحديثة.. فالعمل العلمي والمعرفة هي الطريق الوحيد والقوة القادرة على طي المسافة من التخلف الى التقدم.

ان الهدف من اعداد الشعب تحقيق الاستخدام الامثل للقوة البشرية في كل المجالات وتحقيق تعبئة العناصر المختارة من التخصصات المختلفة للعمل في القوات المسلحة لتحقيق الاداء المناسب لتحقيق الردع وتحقيق الانتماء والروح المعنوية المرتفعة باعتبار ذلك من أهم عناصر القوة الشاملة للدولة.

قادرون على التعبئة

وفي اعتقادي ان لدى العديد من الدول العربية جميع الدعامات اللازمة لتعبئة شعب قادر على تحمل المسؤولية وتحقيق القوة الرادعة لأي تهديد ولكل دولة مصالحها الذاتية وأهدافها القومية التي تسعى للحفاظ عليها وتأمين سلامة اراضيها وامنها القومي ضد أي تهديد. ونتيجة التطور الهائل في وسائل الصراع الحديثة والثورة التكنولوجية في الشؤون العسكرية اختفى الخط الفاصل بين الجبهة وعمق الدولة الامر الذي جعل كل اراضي الدول واقعيا مسرحا للعمليات بغض النظر عن مساحتها وعمق اراضيها. واصبح مفهوم اعداد ارض الدولة لمواجهة اي عدوان أمرا مهما ويحتاج الى جهد كبير وهذا الاعداد يعني اعداد شبكة من المطارات وتنظيم دفاع جوي عنها في كل الاوقات واعداد القواعد البحرية المدنية والعسكرية وتأمينها واعداد مراكز القيادة والسيطرة بالمفهوم الحديث بمعنى توفير كل ما يلزمها من وسائل اتصالات حديثة مؤمنة واعداد مراكز التدريب والتعبئة واعداد المستشفيات مدنية كانت او عسكرية ليمكن قيامها بدور ناجح ومؤمن في أي حالات طارئة أو قتال.

وأمور آخرى كثيرة تحتاج الى تخطيط وتنظيم دقيقين على مستوى الدولة يراعى فيهما مواجهة كل الظروف والاحوال التي تتطلبها العمليات العسكرية، ومن البديهي أن مستوى اعداد اراضي الدولة للحرب تختلف فيه درجة وطبيعة تجهيز المناطق المختلفة في اراضي الدولة فتلك التي ينتظر أن تجري فيها اعمال قتال يجب أن تجهز تماما على مستوى العمليات، كما يجب

تجهيز المناطق ذات الاهمية الاقتصادية والعسكرية الحيوية في عمق الدولة بصورة خاصة وعادة ما تقوم بوضع هذه الخطة القيادة العامة للقوات المسلحة لتنفيذ كل هذه النشاطات الخاصة باعداد اراضي الدولة لمسرح اي عمليات محتملة يتم التصديق عليها من أعلى سلطة في الدولة وتشترك فيها كل الوزارات المدنية وكثير من المؤسسات وبصدور هذه الخطة تصبح في حكم القانون الملزم لجميع المسؤولين عن التنفيذ.

بعد هذا العرض الموجز عن اعداد الدولة للحرب يطفو الى السطح تساؤل مهم وحيوي وهو: هل قامت الدول العربية باعداد نفسها لمثل هذه الطوارىء في ظروف الموقف السائد حاليا في منطقتنا - الشرق الاوسط - بل وفي العالم كله؟ هل سنقوم بتفعيل اتفاقية الدفاع العربي المشترك بصوة ما أم ستظل حبرا علي ورق؟ هل سنتعاون في اقامة صناعة حربية تخدم امننا القومي؟ هل ستحقق امتنا قوة ردع تمنع عنا التهديد التقليدي والنووي؟ أم سنظل نعتمد على آخرين في هذا المجال؟ واذا استحال ذلك على كل مستوى الامة العربية فلا أقل من أن يحدث بين دول المشرق العربي الذي يتعرض لتهديد حال وخطير!

ان السلام الذي نسعى لتحقيقه يحتاج الى قوة تحميه. ولدينا كل المقومات لنكون قوة مؤثرة على خريطة المنطقة بل على خريطة العالم!

■ لماذا لا تتفق دول الخليج ومصر والاردن وسوريا على صنع دبابة واحدة وباشتراك تلك الدول توفر لها كثيرا من الاموال الطائلة التي تنفق على استيراد الدبابات من اسواق ودول خارجية ويتم اختيار دبابة متفوقة وشراء رخصة تصنيعها وتقسيم عناصرها على تلك الدول لتقوم بانتاجها ويتم التجميع في كل دولة؟ وهذا يحقق خفض تكلفة انتاج الدبابة الى النصف وضمان توفر قطع الغيار وضمان التبادلية العملياتية بين تلك الدول الشقيقة وزيادة الدخل القومي وامور كثيرة كلها لمصلحة شعوب تلك الدول وأمنها القومي.

■ لماذا لا تتفق نفس الدول على انتاج طائرة قاذفة مقاتلة يتم اختيارها بدراسة وعناية وما قلته بالنسبة للدبابة ينطبق على الطائرة؟

■ لماذا لا تتعاون تلك الدول في انتاج صاروخ أرض - أرض بمواصفات وبمدى يحقق الردع للتهديدات التي تتعرض لها كل هذه الدول وهي تهديدات مشتركة؟

ولو تابعت طرح سؤال لماذا لتطلب الامر صفحات وصفحات، والامر المؤكد أن كل القادة السياسيين والعسكريين يفهمون هذه المزايا ويدركون المصلحة القومية المشتركة ويدركون ويتفهمون التهديدات التي نتعرض لها، ويعلمون انه ليس بين هذه الدول أي خلافات او قضايا تجعلها متناحرة.. ولكن السؤال المحير اذا كان الامر كذلك فلماذا لا نتحرك؟

اعداد المسرح لغزو العراق

الولايات المتحدة استبعدت خيار الاعتماد على الانقلاب الداخلي

رحلة بوش الأخيرة الى اوروبا محاولة لحشد التأييد لخيار الغزو

الخلافات مازالت واضحة داخل الادارة الاميركية بشأن التدخل المباشر

واشنطن اوقفت دعمها المالي للمعارضة وقررت الاطاحة بصدام

سيناريو افغانستان لا يصلح للفارق الكبير بين معارضي صدام والتحالف الافغاني

فرنسا والمانيا وروسيا عقبات ضخمة امام الخيار الاميركي بغزو العراق

العراق لم يعد تهديدا لجيرانه لكن ادارة بوش لا تنوي التراجع عن مخططها

ترى واشنطن أن النظام العراقي يمثل تهديدا واضحا لجيرانه العرب وللولايات المتحدة وحلفائها. وكما هو معروف تمكنت الولايات المتحدة بتحالف ضم دولا عربية «دول الخليج ومصر وسوريا» من احباط خطط صدام حسين التوسعية عسكريا بادارة حرب الخليج «درع وعاصفة الصحراء»، واستمرت الولايات المتحدة منذ نهاية تلك الحرب في احتواء هذا التهديد بفرض عقوبات على صدام ومنطقتين يحظر فيهما الطيران مع الضغط لقيام مجموعة مفتشين من الامم المتحدة بالتفتيش على التسليح في العراق. ويعتقد المحللون ومراكز الدراسات الاستراتيجية أن وجود القوات الاميركية في الخليج عام ١٩٩٠ كان الشرارة التي اطلقت غضب اسامة ابن لادن، وان استمرار هذا التواجد العسكري هو السبب الحقيقي لحملته ضد الولايات المتحدة، كما يعتقدون كذلك أن استمرار هذا التواجد الذي يقدره المحللون بحجم ٥٠٠٠ جندي اميركي، مكن ابن لادن من تجنيد افراد قاعدته. رغم أن ان المحللين يرون ان الضغط المستمر على العراق يهدف لضمان امن ومصالح دول الخليج العربية.

ويقول المحللون ان الرأي العام العربي يرى في التواجد العسكري الاميركي بمنطقة الخليج امتدادا لسياسة خارجية اميركية ترمي الى الهيمنة على منطقة الشرق الاوسط والخليج لحماية اسرائيل والمنابع البترولية. ويقولون ان القول بأن اشنطن تريد أن تحرر العرب مما سمته خطر صدام، يدحضه واقع الاحداث والانحياز الكامل لاسرائيل.

وفي الوقت ذاته ترى الادارة الاميركية أنه اذا لم تقم واشنطن بكبح جماح صدام حسين وتدمير ما تدعيه من امتلاكه لاسلحة تدمير شامل فسيكون من الصعب عليها احتواء طموحات ايران النووية بل يتمادون في ذلك بالقول بأنه اذا لم يتم منع ايران من أن تكون نووية فإن

الدول العربية في المشرق ستسعى ايضا لأن تصبح نووية وهو منطق غريب لأن التهديد النووي الحقيقي والحال للأمة العربية هو من اسرائيل،أما التهديد النووي الايراني فهو تهديد محتمل وليس حالا. ومع ذلك فأنا أوافق على أن تحول ايران الى دولة نووية أمر يؤدي الى أزمة استقرار في منطقة الخليج.

والامر الذي يجمع عليه المحللون ومراكز الدراسات الاستراتيجية أن الادارة الاميركية تدرك الرفض السائد لاستمرار العقوبات على العراق وان ذلك خلق في المنطقة العربية بوجه عام وفي منطقة الخليج بوجه خاص احساسا بأن استمرار هذه العقوبات ضد النظام العراقي يدفع ثمنها الشعب العراقي اساسا وليس صدام حسين. وكانت الادارة الاميركية قد ايدت مبادرة بريطانية باسم «العقوبات الذكية» كانت ستلغي كثيرا من القيود على التجارة مع العراق بهدف اظهار ان ما يتعرض له شعب العراق من مصاعب سببه الاساسي هو سياسات صدام حسين وليس الولايات المتحدة، ولكن هذه المبادرة لم تنجح في المرور بمجلس الامن بسبب معارضة روسيا لها. فلروسيا علاقات اقتصادية متنامية مع العراق تريد المحافظة عليها وتخشى رد فعل اقتصاديا عراقيا. ومع ذلك فان المحللين يرون أنه حتى «العقوبات الذكية» لم تكن لتقنع العالم العربي بأنها لصالح الشعب العراقي.

اختفاء صدام

وتؤكد مراكز الدراسات الاستراتيجية ان الاعضاء الاساسيين الفاعلين في الادارة الاميركية مقتنعون بضرورة تغيير النظام العراقي، وانهم قاموا بحساب التكاليف السياسية الدولية لفترة طويلة من الاحتواء والمحافظة على العقوبات.

ومن وجهة نظرهم فإن التكاليف تتزايد مع تناقص الاذعان. وطالما أن الادارة الاميركية ملتزمة ومتمسكة بسياستها الحالية تجاه العراق فإن الامر يتطلب استمرار تواجد القوات الاميركية بمنطقة الخليج رغم ما سببه ذلك من عدم رضا شعبي في الامة العربية خاصة مع الانحياز الاميركي لاسرائيل والوقوف الى جانبها فيما ترتكبه في الضفة الغربية وقطاع غزة من اعمال ارهابية. ويرى هؤلاء أن الحل الامثل هو تدمير نظام صدام حسين وقبول مخاطرة سياسية في المستقبل القريب لتحقيق مكاسب في المستقبل المتوسط والبعيد. ويعتقدون أن الفوائد التي يمكن أن تتحقق نتيجة ذلك تشمل ايقاف سعي العراق للحصول على سلاح نووي واسلحة غير تقليدية اخرى، وتوفر حرية انسحاب القوات الاميركية من السعودية ودول الخليج، واستعادة حسن الظن بالاميركيين في عقول وقلوب الشعوب العربية «على حد تعبيرهم» وتحسين العلاقات مع روسيا وفرنسا. وفي الوقت ذاته يعتقدون أن مقتل صدام او اختفاءه نهائيا لا يؤدي بالضرورة الى ظهور نظام جديد أكثر تعاونا مع الغرب «مع الولايات المتحدة الاميركية اساسا».

ويقول المحللون ان النجاح الملموس للحرب ضد طالبان والقاعدة جعل احتمال قيام الولايات المتحدة بعمل عسكري ضد العراق كبيرا. ويقولون انه بحلول مارس عام ٢٠٠٢ تضاعف عدد الجنود الاميركيين في الكويت «من ٥٥٠٠ جندي الى ١٠٥٠٠ جندي»، وهناك دلائل على أن

اجهزة حاسبة ومعدات اتصالات تم تحريكها الى السعودية وقطر. وفي رأيهم أن هذا يشير الى أن القيادة المركزية الاميركية تخطط لعمل عسكري ضد العراق حتى دون دعم السعودية لهذا العمل. ويبدو أن رحلة الرئيس جورج دبليو بوش الاخيرة التي شملت المانيا وروسيا وفرنسا وايطاليا كانت بغرض اقناع اوروبا بمساندة خطته للاطاحة بصدام حسين ويؤيد ذلك ما نشرته مراكز الدراسات الاستراتيجية عن العراق بعد صدام حسين.

تقول هذه المراكز أن التنبؤات بقيام الولايات المتحدة بعمل عسكري رئيسي للاطاحة بالنظام العراقي والقضاء على صدام حسين تشير الى أن هذا سيحدث في المستقبل القريب وانه سيتم عن طريق تدخل عسكري خارجي وليس عن طريق ترتيب انقلاب داخلي، ولذلك فهي ترى ان الأمر يستحق دراسة ماذا يمكن ان ينتج عن هذا العمل. ورغم انه يصعب التنبؤ بما قد يحدث بعد عمل عسكري الا انه بسبب المشاكل الكثيرة المرتبطة بأي محاولة لاعادة تأسيس سياسات العراق فمن الواضح ان القوة التي ستحتل العراق عليها ان تعمل من خلال القوى السياسية الموجودة في المجتمع العراقي -بعضها معارض للنظام الحالي والبعض له علاقات قوية مع النظام والبعض الآخر متأرجح الى حد كبير- ومن الواضح ان الانطباع بان الإطاحة بالنظام الحالي القائم في العراق لا يمكن أن تتم الا بغزو عسكري بقيادة الولايات المتحدة هو اعتراف بضعف القوى الداخلية المعارضة لحكومة صدام حسين. ودلالة على ذلك فشل الانتفاضة الشعبية عام ١٩٩١، وفشل محاولات الاغتيال والتآمر العسكري في التسعينات، والنشاط المحدود لما يسمى الحكومة الكردية الاقليمية، كل ذلك اثبت محدودية المعارضة الداخلية والسؤال الحيوي الآن هل يتوقع المخططون انه في حالة قيام الولايات المتحدة بغزو شامل للعراق ونجاحها في ذلك، ان يجدوا الأمور مختلفة عما هي عليه الآن داخليا؟

ويرد المحللون ومراكز الدراسات الاستراتيجية على ذلك بانه من الممكن ان يكون هناك من يعتقد ان الغزو يمكن ان يكون سببا لانقلاب قوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص ضد صدام حسين. ويرون ان تحالفا منظما من كبار الضباط هو الطريقة الفعالة الوحيدة للإطاحة بنظام له قواعده ومتخندق تماما. ويقترحون ان يكون هذا التحالف المتآمر قادرا على توجيه ضربة الى قلب النظام وذلك بقتل صدام حسين وقادته في ضربة واحدة. كما يجب أن يكونوا على ثقة بقدرتهم على تعبئة قوة عسكرية كافية لردع أي مقاومة من قادة وحدات مخلصين لصدام. ولهذا السبب فان العمل الناجح يجب ان يأتي من قوات الصفوة وهي الحرس الجمهوري والحرس الخاص.. كيف؟ وهل هذا محتمل؟

من المعروف ان كل ضباط وضباط صف وجنود تشكيلات الحرس الجمهوري والحرس الخاص العراقية من مجموعات قبائل في شمال غرب العراق وان معظم الضباط من قبيلة صدام حسين «آل أبوناصر» من منطقة تكريت وهذه التشكيلات تعتبر جزءا من النظام المطلوب عزله. ومع ذلك -يرى المحللون- انهم ممزقون بالحزبية والتنافس العشائري والتنافس من أجل الحصول على المزايا التي تعتبر أحدى خصائص نظام صدام حسين. كما انهم جميعا يعلمون انهم في وضع يمكنهم من احداث تغيير لو ارادوا وذلك بالمقارنة بباقي عناصر القوات المسلحة.

ولذلك فان المحللين يرون انه من الممكن تصـور ان الغزو الاميركي بقوات متـفوقة في كل شيء ستكون نتيجـته هزيمة ساحقة للقوات المسلحـة العراقية –وهو ما حدث في عاصـفة الصحراء– وربما يؤدي الانتصار إلى قيام كبار الضباط بانقلاب ضد صدام لتفادي المصير المشؤوم.

ويقول المحللون ان هؤلاء القـادة قد ينقلبون لتـفادي استخـدام أسلحة التدميـر الشامل على أساس ان النظام قد يقـوم باستخدامها إذا كـان مصيره في خطر «وهذا بفرض امـتلاك العراق لأسلحة تدمـير شامل وهو مـا أشك فيه». ومع ذلك فقـد يكون تصرفهم لتـأكيد انهم وامـثالهم سيستمـرون في ان يكون لهم دور حاسم في سياسات العراق بعد سقـوط صدام حسين وعليه فان مـثل هذا العمل قد يـكون مخططا على أساس أن قـادة الانقلاب سيـكونون مفيـدين لقوات الاحتلال الأميركية.

خيارات

ويقول المحللون انه سواء حدث مثل هذا التمرد في اللحظة الأخيرة أو قامت القوات الأميركية باحتلال بغـداد بدون مساعدة من أي قطاع من الـدولة أو المجتمع العراقي فان الـولايات المتحدة ستواجه مشاكل مماثلة من حيث المضمـون ويقود ذلك الى التساؤل: كيف تقوم الولايات المتحدة بإعادة تشكيل أو بناء دولة العراق وسياساتها، وعلى أي عناصر باقية من القوات العراقية يمكن ان تعتمد الولايات المتحدة عليها؟ ويقولون ان النتـائج الفعلية ستتوقف على عدد من العوامل لا يمكن منطقـيا التنبـؤ بها الآن. ولكن لابد ان تـؤخذ في الاعتـبار المشـاكل التي سـتواجـه قوات الاحـتلال الأمـيركـية في الاخـتيـار بين الإدارة الميكرو "MICRO- MANAGEMENT" أو عدم التـدخل في شؤون الآخـرين "LAISSEZ- FAIRE" فـالإدارة الميكرو تستلـزم جهـدا أميـركيـا متواصلا لإعادة تشكيل السياسات العراقية، ليس مؤسسـات الدولة العامة فحسب ولكن شبكات القوة، والعمل من خلال هذه الشبكات، وتستلزم أيضا تقديم وتنمية قيم جديدة في حياة المجتمع العراقي ودعم ذلك بقوة كافية لتأمين قبول الشعب لها على كل المستويات.

ويرى المحللون انه توجد مـشكلتان في هذا السـيناريو: الأولى غياب حلفـاء العراق ممن لهم نفوذ اجتماعي كاف وتصميم على انجاح هذا المشروع. وكل قوى المعارضة العراقية الحالية غير مناسبة لهـذا الدور. فالحزب الكردي الديموقراطي والاتحـاد الوطني الكردستاني يمكنهمـا قيادة اعداد ملموسة ولكن في كـردستان فقط، حيث منافستـهم واساليبهم السياسيـة تتعارض بشدة مع اعلان تأييدهم لحكومة مفتوحة ومسؤولـية ديموقراطية. وحزب الشيعة الإسلامي «الدعوة» والمجموعات الملتـفة حول سيد باقر الحكيم في مجلس الثورة الإسـلامية الأعلى في العراق وهو يتمتع بشعبية مؤكدة داخل العـراق ولكن رأيه في القيادة السياسية بواسطة رجال دين أدى إلى اغضـاب الغالبـية في العراق. والاحـزاب الصغيـرة الأخرى المرتبطة بالمعـارضة ليس لهـا اتباع بالمعنى المفهوم.

والتزاما بالقواعد المميـزة للمباراة السياسية العراقيـة بواسطة كل اللاعبين فانها تخلق تحديا ثانيا للولايات المتحدة. والتخلي عن هذه القواعد قد يؤدي إلى مقاومة كبيرة. ولن يحدث ذلك من الصفـوة المتبقـية من الدولة التي ترأسهـا صدام فحـسب بل أيضا من أولئك الذين يخـشون ان

نظاما جديدا قد يقلب عالمهم رأسا على عقب.

ويعتقد المحللون ان الولايات المتحدة بعد احتلالها للعراق ستواجه بعدد من المشاكل التي تتطلب حلها:

■ لابد من خلق قوات أمن جديدة على الولايات المتحدة ان تشكلها، ولابد ان تعتمد على عناصر معينة من الشعب العراقي. وستجد مشكلة في الخلافات القائمة بين الشيعة والسنة والاكراد.

■ إذا تصورت الولايات المتحدة انها ستنجح في خلق نظام علماني في العراق بعد الاحتلال فانها ستقابل مشكلة كبيرة لا اعتقد ان لديها حلا لها.

■ على الولايات المتحدة التفكير في كيفية مواجهة طبيعة المجتمع السياسي العراقي – العشائرية والقبلية والمذهبية والتي كان صدام حسين يتعامل معها بالتخويف الاكراهي– وهذا قد يؤدي إلى نوعين من رد الفعل. فسيكون هناك انهاء للمشكلة باستبعاد أو تخويف وتهديد المناوئين للقوة المحتلة الأميركية. وسيكون هناك تنافس من أجل الحصول على الحظوة ولن يقل ضراوة عما كان عليه قبل الاحتلال، وهناك قبائل متنافسة تتصارع من أجل المركز الاجتماعي ومن أجل الحصول على فرصة لممارسة القوة. وقد يصبح العنف جزءا من اللعبة «إذا جازت هذه التسمية» ويوجه ضد مؤيدي الولايات المتحدة واهدافها واقليميا فان مثل هذا الموقف قد يدعو إلى تدخل دول مجاورة مختلفة، مثل ايران التي تشعر بالقلق من التواجد الأميركي بالعراق. وتركيا التي سيقلقها الموقف الكردي الجديد في العراق وتأثيره على اكراد تركيا. كما يمكن تصور صدامات بالوكالة «التفويض» وكفالة الافراد والاحزاب في مباراة السياسة العراقية بعد صدام والتي ستكون أحد الاساليب لتأمين المصالح.

تحت هذه الاحوال والظروف من المحتمل الى حد كبير ان تجد الولايات المتحدة نفسها مجبرة على عدم التدخل في شؤون العراق وقد تضطر لأن تقبل واقع بناء القوة للمجتمع العراقي الذي سيحتفظ بكثير من الخصائص الموجودة فيه الآن. وقد تضطر الولايات المتحدة الى الاعتراف بالقوات المسلحة العراقية وبأجهزة الأمن «التي يمكنها المحافظة على النظام». ومع هذا قد تضطر ايضا الى الاعتراف بالكثير من سياسات العراق غير الرسمية –طائفية وعشائرية واثنية ومذهبية– والتي ستجد في الوضع الجديد فرصة أكبر للتعبير عن نفسها بعد اختفاء نظام شمولي ديكتاتوري. وهنا أيضا يمكن الفول ان عددا من التنظيمات السياسية التي ستعطي فرصة للتعبير عن نفسها –الاكراد والتركمان والآشوريون والشيعة– قد تلعب ادوارا بارزة وتتنافس فيما بينها من أجل التمثيل الطائفي بدلا من البحث عن اقامة دولة خاصة بها، وهذا هو أفضل ما يمكن ان يتوقع.

هذه تصورات المحللين ومراكز الدراسات الاستراتيجية عن العراق بعد اختفاء صدام حسين. ولكنهم لم يتحدثوا عن احتمالات تفتت العراق وانقسامه الى ثلاث دويلات ضعيفة ومعزولة – دولة للاكراد في الشمال ودولة للشيعة في الجنوب ودولة للسنة في الوسط. ومن الطبيعي ان

تكون هناك توترات وصـراعات بين الدويلات الثـلاث سواء من أجل البـترول أو من أجل المـياه والأرض الزراعيـة وترسيم الحدود..إلخ. وهذه الخلافـات الاثنية والعرقيـة تكرست بسبب حكم صـدام حسين الذي لم ينجـح في خلق وحدة وطنيـة في العـراق.. فالفـئـات الثلاث عـراقيـون مسلمـون.. ولا اتصور ان يكون هناك صراع بين الشـيعة والسنة بأي صـورة من الصور، وان وجد فهو خطأ كبير في حق الاسلام والمسلمين.. وإذا كانت الدول التي توجد فيها اديان مختلفة تنعم بالوحدة الوطنية فكيف لا تنعم العراق بهذه الوحدة وكل شعبه مسلم، شيعة وسنة واكراد، وكلهم عرب وعاش العراق موحدا لقرون.!

أمر غريب

اما الهجوم الأميـركي المتوقع على العراق للقضاء على صدام حسين ونظامـه فهو أمر غريب حقا لأن التغييـر حق الشعوب وليس حقا لدولة اجنبية.. وما يقال عن التـهديد العراقي قد انتهى الى غيـر رجعة والعراق الان غـير قادر على تهديد احـد، ولا اعتقد انه قـادر الان على انتاج أي أسلحة تدمير شامل.. فبالنسبـة للسلاح النووي كان المعروف قبل حرب الخليج ان لديه برنامجا في هذا المجال ولكن كل الخبراء والمحللين كانوا يؤمنون بانه بعيد عن تحقيق ذلك بأكثر من عشر سنوات، ثم تعرض لهزيمة ساحـقة في حرب الخليج تم خلالها تدميـر صناعة العراق العسكرية بل والمدنية وبنيته الاساسيـة، كما قام مفتشون من الأمم المتحدة بينهم اميركـيون بتدمير كل ما له صلة بأي نوع من أنواع أسلحة التدمير الشامل.. وحال العراق بعد حرب الخليج أصبح سيئا اقتصاديا وسـياسيا وعسكريا.. ولذلك فان مـقولة تطويره لأسلحة تدمير شـامل أمر لا يصدقه عاقل.. ومع ذلك فان الولايات المتحدة مصرة على غزو العراق.

والأمر العجيب ان في الادارة الاميركية ذاتها خلافـات تكتيكية، بالنسبة لهذه المسألة، فبعض المسؤولين بالإدارة يفضلون تدعيم قوى المعارضـة العراقية الداخلية –المجلس الوطني العراقي– وامدادها بالأسلحة والقوة الجوية للإطاحـة بصدام. ويرى البعض ان هذا المجلس لا يمكنه حسم هذه المسألة لأن هذه القـوات ستواجه خـصما قويا يتـمثل في قوات صدام حـسين وليس قوات المعارضة مثل تحالف الشـمال ضد طالبان. كما ان المعارضة الشيـعية في جنوب العراق –والتي تدعمـها ايران– قد ابعـدت نفسهـا عن المجلس الوطني العراقي. وفي مارس عـام ٢٠٠٢ أوقفت الخارجـية الأمـيركـية الدعم المالي لهـذا المجلس، كمـا ان معظم القـادة العسكـريين الاميركـيين يفضلون اسـتخدام قوة امـيركية متـفوقة الى حد كـبير برا وجوا لتـحقيق نصر سـريع حاسم وتحتاج الولايات المتحدة لوقت غير قصيـر لبناء القوة وحشد التسليح المطلوب وخاصة الذخائر الذكية التي استنفـدت في حرب افغانستان، وان تعد حكومة جديدة لحكـم العراق كما فعلت في افغانستان على اساس ان تلبي تلك الحكومة الحاجـات السياسية والمادية لكل العراقيين «خاصة الاكراد والشيعة» حتى لا تحدث قلاقل وصراعات داخل العراق قد تؤدي إلي نشوب حرب أهلية.

ومن المعـروف ان نائب الرئيس الأميـركي ديك تشيني واجـه خلال زيارته للشـرق الأوسط معارضة العرب لأي عمل عسكري ضد العراق وان كان قد ذكر انه شعر بانهم يعتقدون مع ذلك ان المنطقة بدون صدام حسين ستكون أحسن حالا.

وفي الوقت الذي تدرك فيه واشنطن من ان بريطانيا ستدعم العمل العسكري ضد العراق فإنها متأكدة من ان دولا اوروبية مثل فرنسا وألمانيا لن تدعم هذا العمل العسكري، بل ان باريس وبرلين يمكنهما ان تخلقا عوائق عملياتية امام المجهود العسكري الاميركي مثل منع استخدام اجواء فرنسا أو استخدام القاعدة الأميركية في واستن بألمانيا في أي عمليات عسكرية، كما ان في مقدورهما ايضا خلق عقبات دبلوماسية.

هل سينجح الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش في اقناع فرنسا وألمانيا بتدعيم العمل العسكري ضد العراق؟ وهل ستصمد الدولتان امام الضغط الاميركي من أجل مصالحهما ولأن القضية التي يقفون الى جانبها قضية عادلة، واغضاب العالم العربي له اثاره رغم ما يقال بخلاف ذلك. كما ان على بوش أيضا ان يغير موقف روسيا إزاء هذه المسألة ولا اعتقد ان روسيا سترضخ للضغط الاميركي هذه المرة.

والسؤال المحير الذي يحتاج الى اجابة هو: لماذا لم نسمع تعليقا من إيران يوضح موقفها من هذه الحملة الجديدة المحتملة ضد العراق؟ أم هل سيكون موقفها مائعا كما حدث بالنسبة للحملة ضد افغانستان بل انتهى الأمر بها الى غلاق حدودها امام اللاجئين الافغان.

وما هو موقف تركيا من هذه الحرب المحتملة؟ وما رأيها في ان تحرك الاكراد في شمال العراق سيثير من جديد المسألة الكردية التركية.. وما رأيها لو انتهت هذه الحرب بخلق كيان كردي له استقلال ذاتي في شمال العراق؟ الن يكون ذلك حافزا للاكراد الاتراك للمطالبة بالمثل؟ واود ان أوضح معلومة لعلها الآن غائبة عن اذهان الجميع وهي ان الاتحاد السوفيتي السابق كان يسعى لخلق دولة كردستان في جزء من تركيا وشمال العراق وجزء من ايران في تخطيط استراتيجي للوصول الى منطقة الشرق الأوسط.

وقد قلت دائما ان حشد قوات قوامها ٢٠٠ ألف جندي يحتاج لمنطقة حشد على الحدود مع العراق.. فهل ستسمح تركيا باستخدام أراضيها لحشد هذه القوات؟ اتمنى الا تفعل ذلك لانه سيكون له اثر بالغ على علاقة تركيا بالعالم العربي بغض النظر عن كراهية صدام حسين ونظامه.

حرب بلا نهاية

النصر السريع والمفاجيء لأميركا في العراق قد يغريها بحروب أخرى

كل شيء يجري تحت العلم الاميركي والأمم المتحدة في مقاعد المتفرجين

الشواهد تؤكد أن واشنطن لن تنجح في خلق تحالف ضد سوريا

لا أحد يأسف لزوال نظام صدام لكننا نتطلع الى عراق عربي موحد

العرب مطالبون باستيعاب الدرس والتحرك الجماعي لمواجهة ازمات قادمة

انتهى نظام صدام حسين. ولم يأسف أحد على اختفاء هذا النظام الذي كان نكبة على الأمة العربية بكل الصدق وبكل المقاييس. لكن شعب العراق سيبقى ويجتاز المحنة وسينهض من هذه الكبوة ليكون أحد عناصر القوة للأمة العربية. ولقد اسعدني ان اسمع من زعيم كردي ان الاكراد يريدون ان يكونوا جزءا من عراق ديموقراطي، كما انني متأكد من ان الشيعة أيضا يريدون عراقا واحدا ديموقراطيا مستقرا.. وهو أمل لكل عربي وأتمنى ان يتحقق في وقت قصير دون مضاعفات.!

وبدأ الحديث يدور في كل مكان عن ماذا بعد صدام.. وعندما سُئل قائد قوات التحالف «وهو تحالف أميركي بريطاني» الجنرال تومي فرانكس هل الحرب قد انتهت وما إذا كان يمكنه ان يعلن انه انتصر أجاب بانه لا يعتبر الحرب قد انتهت الا بتحقيق مهام محددة أولها: التخلص من نظام صدام حسين ويمكنه ان يقول ان هذا النظام لم يعد له وجود وليست له أي سيطرة على أي عنصر من القوات المسلحة العراقية. وثانيها: التأكد من خلو العراق من أسلحة تدمير شامل ورغم قيام قوات التحالف بالبحث في أماكن كثيرة عن هذه الأسلحة لم يثبت بعد وجودها- وقال ان امامه التفتيش في حوالي ٣٠٠٠ موقع وتقوم قواته بتفتيش من عشرة الى خمسة عشر موقعا يوميا. وهذا في رأيي لن يتحقق وان كانت الإدارة الأميركية تأمل في الحصول على أي شيء يوحي بوجود أسلحة كيماوية وبيولوجية حتى تقنع العالم بان غزوها للعراق كان شرعيا من وجهة نظرها وانها أرادت نزع أسلحة تدمير شامل عراقية. كما اعتقد ان هذا عذر مخطط مسبقا ليقال ان الحرب لم تنته بعد وهذا يؤجل لأطول فترة ممكنة انتقال السلطة إلى حكومة عراقية ينتخبها شعب العراق.

وثالث المهام التي حددها فرانكس هي: القضاء على عناصر إرهابية داخل العراق. وأكد فرانكس ان لديهم معلومات عن وجود ٣٠٠ إرهابي دخلوا العراق لشن هجمات ضد القوات الأميركية والبريطانية. وانهم اكتشفوا في عدة مدارس معاطف مفخخة ومجهزة ليرتديها أفراد

يقومـون بتفجيـر أنفسهم.. ولما سُئل عن جنسيات هؤلاء قال انه لا يعرف. وفي رأيي ان ذلك سبب آخر تريده الولايات المتحدة لاضفاء شرعية على حربها ضد العراق بانها امتداد للحرب ضد الإرهاب.

حكومة انتقالية

وقال فرانكس إن حالة الفوضى التي تشهدها العاصمة العراقية بغداد وعدد من المدن ستتراجع مع مرور الوقت. وتحدث عن توقعاته باهتمام العراقيين بالمشاركة في عملية إعادة بناء بلدهم.

ومن المعروف ان الولايات المتحدة تنوي الانفراد باختيار وتعيين حكومة انتقالية في العراق وقررت تعيين جنرال أميركي للسيطرة على هذه الحكومة. ولا أحد يعرف بالضبط كيف سيكون شكل هذه الحكومة وكيف سيتم اختيارها. لكن الأمر الذي أصبح واضحا ان الولايات المتحدة ستنفرد بهذا الموضوع. وأعلن وزير خارجيتها كولن باول ان الدور الذي ستقوم به الأمم المتحدة سيقتصر على المعونات الإنسانية وان الولايات المتحدة ستمارس بعض النفوذ.

وفي الوقت ذاته تطالب دول كثيرة في مقدمتها فرنسا وألمانيا وروسيا ومعظم ان لم يكن كل الدول العربية ان يكون للأمم المتحدة الدور الرئيسي في اختيار الحكومة الانتقالية وان يكون لها اشراف على هذه الحكومة بممثلين مع تحديد مهام لهذه الحكومة تتلخص في العمل على تحقيق الاستقرار في العراق. والاشراف على الاعمار. وفرض الأمن والنظام واحترام القانون وان تمثل كل قطاعات وفئات الشعب العراقي وتتولى انشاء المؤسسات اللازمة لإدارة الدولة وتطبيق القانون. مع وضع دستور جديد للعراق يعرض في استفتاء عام وينص على الديموقراطية والتعددية والعدالة والمساواة.

ويرى المحللون ان دخل البترول العراقي لن يكون كافيا لمواجهة الاحتياجات اللازمة لإعمار العراق أو لمواجهة سداد أقساط الديون «التي تقدر بأكثر من ١٣٠ مليار دولار» واصلاح ما تسببت عنه الحرب من دمار. والموازنة بين الأمرين ستكون لها أهمية بالغة في تحقيق الاستقرار وخلق اندماج سياسي بين الاطراف المختلفة. ومن بين المطالب التي يراد تمويلها من دخل البترول اعادة اصلاح البنية الاساسية للعراق التي دمرتها الحرب إلى جانب تمويل موازنة الدولة. وإذا أمكن لانتاج البترول ان يعود إلى مستواه السابق فان العراق سيظل في حاجة إلى استثمارات أجنبية كبيرة لتطوير اقتصاده وانقاذه من كبوته. ومن المعروف ان بترول العراق كان يتم تصديره عن طريق سوريا والسعودية وتركيا ومن موانىء الخليج العربي، ومعظم خطوط الانابيب تعطلت أو اغلقت وهناك حاجة ماسة لاصلاحها واعادة تشغيلها. كما ان بعض وسائل الإعلام تحدثت عن خط انابيب إلي حيفا باسرائيل وهو أمر لا يمكن ان يتحقق في ظل استمرار القضية الفلسطينية دون حل حتى الآن رغم ما اذيع من مقولة للرئيس الأميركي بانه سيسعى فورا لاحياء خريطة الطريق. ومن المعروف ان لجنة «ايباك» اليهودية الأميركية تشن حملة تهدف

إلى نسف هذه الخريطة حتى قبل ان يبدأ الحديث عنها كما ان الحكومة الإسرائيلية وانصارها تحث اعضاء الكونجرس المساندين لها للضغط على الإدارة الأميركية لفرض شروط على الحكومة الفلسطينية الجديدة قبل تطبيق الخريطة.

مصداقية مفقودة

والأمر المهم الذي لم يتحدث عنه أحد هو اثار هذه الحرب على الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط فلقد فقدت الولايات المتحدة مصداقيتها في انها تريد استقرار المنطقة.. فهي تنحاز إلى إسرائيل بصورة شاذة.. كما انها بدأت تهدد سوريا بغرض عقوبات إذا لم تمتنع عن ايواء أعضاء النظام العراقي الفارين على الرغم من ان سوريا انكرت ذلك تماما كما انها اعلنت منذ فترة اغلاق حدودها مع العراق. كما ذكر وزير الدفاع الأميركي -لورد الحرب- ان سوريا حصلت على أسلحة تدمير شامل من العراق وهو يعلم ان العلاقات بين سوريا والعراق كانت دائما متوترة وان هذا الاتهام باطل تماما.

والملاحظ ان هناك سيلا من التصريحات الاميركية التي حملت في طياتها تهديدات مباشرة وغير مباشرة لسوريا، وتوج الرئيس بوش هذه التصريحات باتهام سوريا بأنها تمتلك اسلحة كيماوية. وقال: نحن جادون «أي الاميركيون» بشأن منع استخدام اسلحة الدمار الشامل وأن على سوريا التعاون مع واشنطن وعدم توفير المأوى لزعماء عراقيين قد يفرون عبر الحدود الى اراضيها وان عليها ألا تأوي اي بعثيين عراقيين وأي مسؤولين عسكريين واي اشخاص ينبغي محاسبتهم.

ويرى بعض المحللين ان اسرائيل هي المحرض الرئيسي على ذلك وانها تحاول ضرب العلاقات السورية الاميركية بل يرى بعضهم ان ذلك يرقى الى درجة التنسيق بين حكومة شارون والادارة الاميركية وبرروا ذلك بأن وزير الدفاع الاسرائيلي قال إنه يعتقد ان الاميركيين لن يمروا مرور الكرام على ما فعلته سوريا. ورغم ان وزير الخارجية الاميركي كولن باول قال أنه على الرغم من اهتمام الولايات المتحدة بموقف سوريا الا انه لا يوجد للولايات المتحدة حاليا اي نوايا للهجوم على اي دولة سواء لتغيير نظامها أو لفرض الديموقراطية عليها ولا توجد قائمة بذلك في الوقت الحالي. فهو في رأيي كلام لا ينفي عدم وجود نوايا اميركية في هذا المجال وانما يعني انه امر ليس على قمة أولويات الولايات المتحدة حاليا.

ومن المعروف ان اسرائيل قدمت بعد الحرب على العراق سلسلة من المطالب الى سوريا بواسطة الولايات المتحدة وهي طرد حزب الله من جنوب لبنان وازالة قواذف الصواريخ بعيدة المدى التي نصبها الحزب ومنع شحنات السلاح من ايران الى حزب الله عن طريق سوريا وطرد زعماء المنظمات الفلسطينية من دمشق.

ان المشكلة الرئيسية التي يواجهها المجتمع الدولي الآن هي انفراد الولايات المتحدة بالقرار بغض النظر عن موقف الأمم المتحدة أو الرأي العام الدولي، فلقد شنت الحرب دون تفويض من مجلس الأمن، وترفض قيام الأمم المتحدة بدورها القانوني بعد الحرب لاعادة النظام والإعمار

إلى العراق.. وستواجه الولايات المتحدة صعوبات ومشاكل فيما تنوي ان تفعله في العراق.

فالحزب الديموقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني يرفضان التنازل عن الحكم الذاتي الذي يتمتع به الأكراد لعقد من الزمن ويقال انهم اعدوا مسودة لدستور يحدد كردستان جغرافيا في اتحاد فيدرالي مع العراق. واكراد العراق يتوقعون قيام عراق فيدرالي ديموقراطي تكون فيه منطقة الاكراد ولاية فيدرالية عراقية. كما ان فصائل الشيعة في الجنوب تقدمت بتصور لحكومة تقوم على الفيدرالية وترى ان هذا سيحقق لها مزايا كثيرة لانها تمثل ٦٠ في المئة من شعب العراق. فهل سيقبل شعب العراق هذا أم سيفرض عليه؟

والسؤال المهم هنا: من الذي اعطى الولايات المتحدة الحق في ان تفعل ما تريد؟ ان الأمر من اختصاص شعب العراق وهو وحده الذي يقرر دستوره ونظامه ويجب ان تشرف على ذلك الأمم المتحدة وليس دولة بعينها..!

إن احدى المشاكل التي خلقتها الحرب انها بدأت وانتهت بسرعة وبلا خسائر تذكر في قوات التحالف، بل انهارت قوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص للرئيس العراقي والتي كان يتفاخر وزير اعلامه بانها ستدمر الغزاة، ولكننا لم نشاهد دبابة ولا طائرة عراقية تدخل معركة واحدة..! واخشى ما اخشاه أن هذا المظهر سيجعل الإدارة الأميركية تتصور انه نمط سيسود في كل حرب تشنها على أي دولة اخرى تريد ان تطبق عليها استراتيجية الحرب المسبقة بحجة انها بعد ١٥ عاما أو أكثر قد تمثل تهديدا للمصالح الأميركية..!

كانت الولايات المتحدة قد عقدت اجتماعا مع المعارضة العراقية في مدينة الناصرية لبحث اقامة حكومة انتقالية.. وبعد جلسات استمرت لأكثر من ٢٤ ساعة وافقت المعارضة على اقامة حكومة ديموقراطية انتقالية ووافقت على حل حزب البعث العراقي. وبهذا تكون الولايات المتحدة قد استبعدت نهائيا اشراف الامم المتحدة على خلق «حكومة انتقالية» في العراق وانفردت بهذا الامر وبالتالي ستنفذ قرارها الخاص بتعيين حاكم للعراق لهذه الفترة الانتقالية يسيطر على الحكومة الجديدة المزمع تشكيلها. وطبقا للمعلومات المؤكدة فقد تم فعلا اختيار الجنرال جاي جارنر ومعه ٢٠٠٠ معاون من البنتاجون للاشراف على هذه الحكومة الانتقالية وبمعنى ادق ستكون له الكلمة العليا واعتقد ان الاتجاه الاميركي اصبح واضحا تماما ويتلخص فيما يلي:

- السيطرة على العراق لفترة غير قصيرة وتشكيل حكومة انتقالية تشترك فيها كل الفئات ويشرف عليها الجنرال جارنر.
- الاتجاه الى انشاء اتحاد فيدرالي في العراق يعطي الاكراد والشيعة والسنة نوعا من الاستقلال الذاتي تحت حكومة فيدرالية مركزية.
- استمرار القوات الاميركية في السيطرة والتفتيش على عدد كبير من الاماكن بحجة التأكد من تدمير اي اسلحة دمار شامل لم يثبت حتى الان وجودها.
- العمل بسرعة على فرض النظام والقانون وعودة الحياة الى الشارع العراقي.
- السيطرة على مناطق البترول والبدء في اصلاحها وتشغيلها.

■ تغيير مناهج التعليم في المدارس العراقية

■ الضغط على الامم المتحدة للاسراع في برنامج المعونات الانسانية فقط وهو ما تسمح به الخطة السياسية الاميركية.

■ البدء في اعمار العراق وفتح المجال امام الشركات الاميركية اساسا والسماح لبعض شركات من دول تختارها الولايات المتحدة.

■ تدمير كل اسلحة العراق التقليدية وغير التقليدية وبتعبير ادق مابقي منها بعد الحرب فلقد شاهدنا دبابات عديدة في تكريت سليمة ومهجورة.

■ اختيار عدد من القواعد الجوية العراقية واصلاحها واعدادها لتكون قواعد للولايات المتحدة وستقوم بعقد اتفاق مع الحكومة العراقية الجديدة لاستخدام هذه القواعد.

■ الاستمرار في متابعة والقبض على قيادات حزب البعث واركان نظام صدام حسين.

■ العمل على اعادة تشغيل خط انابيب البترول من العراق الى تركيا والى السعودية لتصدير البترول العراقي اما الخط الذي كان يذهب عبر سوريا فلقد تم اغلاقه وهناك نية اميركية لاحياء خط بترول العراق حيفا القديم في المستقبل خدمة لاسرائيل.

ومع كل ذلك فان روسيا وفرنسا والمانيا رغم دهشتها لسرعة حصول التحالف الاميركي البريطاني على النصر في العراق وتوقع الكثيرين ان هذا سيؤدي الى محاولة هذه الدول اصلاح ذات البين مع الولايات المتحدة فانها اصرت على موقفها من غزو العراق بدون موافقة الامم المتحدة وقالت ان هذه الحرب قد تجر الى حروب اخرى.

وبدأت المجلات الكبرى الاميركية تتحدث صراحة عن الاجابة على سؤال: من عليه الدور وهذا أمر خطير للغاية سيضاعف التوتر في العالم ويعرض الاستقرار الدولي للاهتزاز وهذا يتطلب من الولايات المتحدة ان تتوقف عن عبارات التهديد والتلميح بالعقاب لدول عدة منها سوريا وايران لان هذا سيزيد من عدم الاستقرار في المنطقة وسيزيد من نشاط اي جماعات ارهابية دولية.

وتحدثت مجلة «تايم» عن احتمالات شن حرب ضد ايران على اساس انها كما تدعي تدعم الارهاب وأنها هي وسوريا تدعمان حزب الله في لبنان. وترى ان اميركا لو قررت ذلك فلن تجد من يحالفها في هذا العدوان فالبريطانيون الذين لديهم علاقات مع ايران وسوريا اوضحوا صراحة انهم لن ينضموا الى مثل هذه الحملة. وتشير بريطانيا الى انه لا يوجد اي قرار لمجلس الامن يدين ايران مثل القرارات التي صدرت ضد العراق ولا يوجد اي اجماع دولي على ان حكام ايران يشكلون اي تهديد خارج حدودهم. كما ان لروسيا علاقات اقتصادية مهمة مع ايران وعلاقات استراتيجية مع سوريا ولذلك فانها ستعارض بشدة اي عدوان على ايران وسوريا.

وفي مقال لنيكولاس كريستوف في صحيفة «نيويورك تايمز» قال ان ارض المعركة تتحول حاليا في العراق الى التداول على خطوط الهاتف الدولي وفي اروقة الامم المتحدة في الوقت

الذي يقوم فيه الجنرال الاميركي جارنر بتشكيل حكومته واعطاء المهام لمن يختاره لادارة العراق.

وذكر ان هناك اربعة قواعد لوضع مستقبل العراق في اطاره الصحيح: بأي قدر يسمح فيه بمشاركة الامم المتحدة؟ ولمن تعطى مفاتيح العراق؟ واي طرف في الادارة الاميركية يجب ان يرعى العراق؟ ويرى ان وزارة الدفاع الاميركية هي التي ستضطلع بذلك.. وكم من الزمن ستبقى الولايات المتحدة بالعراق؟

اما بالنسبة للامة العربية فان عليها ان تقوم بتقدير موقف علمي سليم للازمة العراقية وللموقف بالمنطقة وان تخرج بدروس مستفادة وبسرعة.

اقتراح مرفوض

هناك اقتراح تحدث عنه البعض بإنشاء لجنة عسكرية لادارة شؤون العراق تتبع الامم المتحدة وتضم ممثلين للعراق والولايات المتحدة وتركيا وايران ودول الخليج العربي.. لكن هذا الاقتراح لن يكتب له التطبيق لأن الولايات المتحدة ترفضه حيث تريد الانفراد بكل الشأن العراقي.

مفتاح الاستقرار

الولايات المتحدة تصم أذنيها تماما عن نداءات من قادة المنطقة ومن غيرهم بأن تثبت حسن نواياها ورغبتها في تحقيق استقرار المنطقة عن طريق المضي قدما في حل القضية الفلسطينية مصدر التوتر الاول والعمل على دعم التطور الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الاوسط كمفتاح للسلام والاستقرار.

جاءت لتبقى

كل الترتيبات التي أعدتها الولايات المتحدة للعراق بشأن الحكومة الانتقالية والحكومة الدائمة والدستور والفيدرالية والبحث عن اسلحة الدمار الشامل ومطاردة بقايا نظام صدام حسين تؤكد أن هذا الامر سيستغرق وقتا أطول من تصور الكثيرين ويعني باختصار أن القوات الاميريكة جاءت الى العراق لتبقى لا لترحل.

عراق ما بعد صدام على صفيح ساخن

تحويل العراق من الديكتاتورية الى الديمقراطية اكثر صعوبة من الحرب

حاكم عسكري اميركي للعراق سيحول النصر العسكري الى هزيمة سياسية

مالم تسمح اميركا للعراقيين بتشكيل مستقبلهم فستتحول الى عدو

اعمار العراق قنبلة على وشك الانفجار بين الحلفاء

تفضيل اسرائيل على العرب في الاجندة الاميركية سؤال كبير بلا جواب

كنت قد شـرعت في الكتابـة عن الموقف العسكري في العـراق، معتـقدا ان القـوات العراقـية المدافعة عن بغداد ستبدي مقاومة شديدة للقـوات الاميركية خاصة وان كل المعلومات كانت تؤكد وجود عدة من فرق من الحرس الجمهوري والحرس الخاص لصدام حسين بالاضافة الى فدائيو صدام. وكـانت ان دفعت قـوات الاميركـية بمجمـوعات اسـتطلاع بالقوة لجس نبض الدفـاعات العراقية اسـتعدادا لشن هجوم شامل علي بغداد وكـان هذا هو المنطق العسكري السليم حتى لا تتورط في قتال شوارع ضار ومكلف.

لكن فوجئنا بان هذه القوات تقدمت دون أدنى مقاومـة عراقية تذكر ومنها ما وصل الى قلب بغداد دون تطلق عليها اي طلقة. وكان وزير الاعلام العراقي يقول انهم يحاصرون القوات داخل دباباتهم وسيقضـون عليها.. ولم يحدث شيء من هذا بل ظهر ان القوات العراقيـة كما لو كانت قد تبخرت او فرت بصورة غير كريمة، وسقطت بغـداد التي كان العالم يتوقع ان تكون معركتها عنيفة ومكلفة.. سقطت امـام اربعة كتائب اميركية فقط.. انهـا مأساة بكل المقاييس.. ان بغداد لم تبد اي مـقاومة مقـارنة بالبصرة او الناصـرية بل سقطت بسهـولة غير مـتوقعة حـتى من قبل القوات الاميركية رغم ادعاءات نظام صدام بانها ستكون مقبرة للغزاة.

لقد ذكرت منذ البداية ان قوات التحالف ستستولي على كل العراق وانها لا تنوي التورط في قتال مدن كما تمنت عصابة صدام حسين.. لكن هناك مبدأ هام اعتقد في صحته رغم ما قد يقال بخلاف ذلك ومؤداه ان قـوات مسلحة تشكلت للمـحافظة على زعيم اوحد مـثل صدام حسين لا يهمها الدفاع عن الوطن وانما الدفاع عنه.

يؤكد الخـبراء ان مثل هـذه القوات لن تصمـد امام قوات قـوية منظمة واذا شـعرت بان هذا الزعيم المتألة قد انهار او اختفى فانها تتفكك ولا تقاتل. وكانت الولايات المتحدة تعتقد ان الجيش العراقي لن يقاتل وان الحرس الجمهوري هو الذي سيقاتل لكن كلاهما لم يقاتل بل انفك عقدهم واصبـحا في خبر كـان. ان الجندي الذي لا يؤمن بوطنه لن يقاتل.. والجيش العـراقي والحرس الجمهـوري افتقدا ذلك فـاستسلما بل فر الجنـود والضباط والقيادات. وكـثيرا ما شـاهدنا عبر

الفضائيات وقرأنا في الصحف ان شعب العراق سيقاتل الغزاه ولم يحدث ذلك لان هذا الشعب لم ير من صدام حسين ونظامه الا كل ظلم وقتل وتشريد وانه أغدق على نفر من الناس وترك شعبه يقاسي الامرين وان هذا النظام ادخل العراق في حربين – حرب ضد ايران وحرب ضد دولة عربية «غزو الكويت» بلا مبرر. وأيقن الشعب العراقي ان هذا النظام فاسد وطاغي، فلماذا يقاتل من اجله. وكان العراق يمتلك بضع مئات من طائرات القتال منها «ميج ٢٩» وهي طائرة مقاتلة حديثة لكن لم تخرج طائرة واحدة لمواجهة طائرات التحالف «حتى بفرض حصول قوات التحالف على السيطرة الجوية». وقيل انها اخفيت أو دُفنت في انحاء مختلفة من العراق.. انها مأساة بكل المقاييس.

وفي بغداد بعد سقوطها خرج آلاف العراقيين يحتفلون بسقوط صدام حسين ونظامه ومنهم من قام بتدمير تمثاله في احد ميادين بغداد. ومع ذلك تعرضت قوات مشاة البحرية الاميركية عند جامعة بغداد لنيران كثيفة من رشاشات واسلحة صغيرة لكن ليس معنى ذلك ان السيطرة على بغداد لم تتم بل تمت في وقت قصير جدا.

وبالنسبة لمصير صدام حسين فهناك ثلاثة احتمالات: أما أن يكون قد قُتل في الهجوم الجوي الذي تعرض له مبنى قيل انه متواجد فيه مع ولديه. أو أنه مختبيء في مكان ما تحت الارض. أو وفر خارج بغداد وربما الى تكريت او خارج العراق وهو احتمال ضعيف رغم ان البعض يرى ان السفير الروسي قام بتهريبه الى سوريا.

وخلاصة كل ذلك ان صدام حسين ونظامه قد انتهوا تماما وانهم اما هاربون او مختبئون واي الحالتين توضح ان صدام حسين ضحى بالعراق وشعب العراق من اجل بقائه رئيسا لكنه فقد كل شيء.

ورغم ان قيادة التحالف اعلنت ان الحرب لم تنته بعد الا انني اعتقد انها انتهت لانه لا مجال لاي عنصر باق من القوات العراقية القيام بأي عمل مؤثر ومصيره التدمير امام قوات متفوقة عددا وعدة وتكنولوجيا.

وفي مدينة اربيل بالشمال احتفل العراقيون بسقوط صدام وخرجت الجماهير في الشوارع وحملت العلم الاميركي وصورة رامبو تعبيرا عن امتنانهم بما حدث. وما اتمناه الا يكون اتجاههم هو انفصال الشمال في دولة كردية لما ذلك من خطورة كبيرة على وحدة العراق وعلى الموقف في كل المنطقة.

ومن المعروف ان تركيا تعارض قيام كيان كردي في شمال العراق حيث تعتبره تهديدا لامنها القومي، وهددت بأنها ستتدخل اذا ما حدث شيء من هذا القبيل، بل ان تركيا ترفض ان يسيطر الاكراد على كركوك وحقوق البترول هناك وقد تتدخل اذا حدث ذلك.

ووصلت قوة اميركية مع عدد ملموس من الدبابات الى شمال العراق تم نقلها جواً لتنضم الى القوة الاميركية الكردية المشتركة هناك للاستيلاء على كركوك والموصل وتكريت.

واعلن البنتاجون ان القوات الكردية الاميركية دخلت كركوك وان الولايات المتحدة وافقت على حضور اربعة ضباط اتراك كمراقبين حتى تطمئن تركيا أن الأكراد لن يسيطروا على آبار

البتروك في كركوك بل ستكون تحت سيطرة اميركية. كما اعلن ان قوة الحرس الجمهوري في الموصل أعلنت استعدادها للتسليم. مما يشير الى ان المنطقة الشمالية انتهت فيها اية سيطرة للنظام العراقي.

كل ذلك قد يقنع الشعب الاميركي -وهو ما تتمناه ادارة بوش- بان الحرب كانت لتحرير العراق وليست من اجل السيطرة على بترول العراق وهو السبب الحقيقي للحرب.

ورغم عدم اعتقاد البعض بأن بغداد قد سقطت بالكامل وان الامر قد يستغرق بعض الوقت لكن من وجهة نظري فإن الحرب لا تعتبر قد انتهت بالمعنى الواضح الا بعد استقرار الاوضاع الامنية في العراق وهذا امر يتطلب بضع أيام، وهو امر طبيعي في كل الحروب التي انتهت باستسلام الخصم كما حدث بالنسبة لالمانيا النازية واليابان.

وفي اشارة الى مرحلة مابعد الحرب قال رئيس الوزراء البريطاني توني بلير انه من الضروري الالتزام باعادة اعمار العراق. واوضح ان حالة العراق تختلف عن افغانستان مشيرا الى ان العراق لديه الكثير من الموارد وانه يمكن ان يتحول الى دولة غنية وان قوات التحالف ستقود هذه المهمة لكن السلطة المؤقتة يجب ان تكون عراقية وممثلة لجميع قوى الشعب العراقي، وان دورا حيويا للامم المتحدة في العراق سيمنح الشرعية القانونية للحكومة العراقية الجديدة.

اما نائب الرئيس الاميركي ديك تشيني فيرى ان اميركا وحلفائها سيلعبون الدور الرئيسي لتحقيق الامن والسلام في العراق وان دور الامم المتحدة سيتركز اساسا على المساعدات الانسانية.

وذكرت صحيفة «النيويورك تايمز» أنه رغم ان الحرب على العراق لم تنته تماما الا ان عملية الانتقال من القتال الى نظام الحكم قد بدأت لكن رياح السلام وتحويل العراق من دولة ديكتاتورية الى دولة ديمقراطية قد تكون عملية اكثر صعوبة من الحرب ذاتها، وهذا شأن لا تستطيع الولايات المتحدة القيام به منفردة. ورغم ان الرئيس بوش يركز اهتمامه على مستقبل العراق فانه من الافضل ان يستمع الى نصيحة توني بلير بمشاركة الامم المتحدة في العراق على وجه السرعة. وتقول ان واشنطن تود ان تنفرد بمسؤولية اعادة بناء العراق، لكن الثمن السياسي والاقتصادي سيكون باهظا وان اسرع طريق لتحويل النصر العسكري في العراق الى هزيمة سياسية يكمن في تعيين حاكم عسكري اميركي في بغداد تنضوي تحت جناحه حكومة عراقية عميلة.. وفي الوقت الذي يمكن فيه ان نتفهم ان يبقى الامن في يد قوات التحالف الا ان شرعية ذلك لم تتجاوز البقاء هناك خارج اطار الفترة المؤقتة.

وقالت الصحيفة ان الاجابة على هذه المعضلة لا تكون في نفخ شخصية رجل مثل احمد الجلبي الذي نقلته القوات الاميركية الى الناصرية بعد ان غاب عن العراق ٤٥ عاما، وان اي شخصية تنصبها الولايات المتحدة في العراق سينظر اليها من قبل العراقيين ومن العالم العربي بل ومن العالم كله كعميل اميركي خاصة وان الجلبي لا يحظى بتأييد الا من حفنة الصقور في ادارة بوش الامر الذي يطعن في مصداقيته.

وكدليل على صحة هذا الرأي حدث صدام بين الميلشيات التابعة للمؤتمر الوطني العراقي

بزعامة احمد الجلبي عشية اعتزام هذه الميليشيات القيام باستعراض عسكري في شوارع الناصرية.

ويرى فريق من الخبراء الاميركيين انه لا سلام بدون استسلام وان على الادارة الاميركية البحث عن عراقيين لاستلام السلطة في العراق.. فهل تقبل الولايات المتحدة مفاوضه احد من النخبة السياسية في العراق الان لاعلان الاستسلام؟ ويرون ان اكثر الناس اهلية لقيادة العراق متواجدون داخل العراق وعلى الولايات المتحدة ان تشجع هؤلاء كي يتسلموا القيادة وبالتالي يمكن تغيير النظام فهل سيقبل بوش ذلك؟ ام سيستمر في عناده على انفراد الولايات المتحدة بالسلطة في العراق وان ينحصر دور الامم المتحدة في المساعدات الانسانية فقط كما يرى.

ويرى مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية بواشنطن ان التاريخ يوضح انه بعد اي نصر عسكري تبدأ في الظهور مشاكل تحقيق السلم وقد تستغرق فترة طويلة دون حل. وبالنسبة للعراق فان الولايات المتحدة ستتعامل مع مجتمع عراقي يكره الاحتلال ومكون من مجموعات اثنية دينية «الشيعة والسنة والاكراد» بينها خلافات قد تؤدي الى حدوث توترات بين العراق وجيرانه «تركيا وايران» ولن تختفي هذه المشاكل باختفاء صدام ويجب التعامل معها بحذر وحكمة حتى لا يتعرض العراق لمشاكل خطيرة. ومالم تسمح الولايات المتحدة للشعب العراقي بان يشكل مستقبله فان نظرة العراقيين ستتحول الى اعتبار الولايات المتحدة عدو لهم.

وترى كل الدول العربية ان تتولى الامم المتحدة الاشراف على تشكيل حكومة عراقية وطنية تمثل كل فئات الشعب العراقي لا ان تنفرد الولايات المتحدة بذلك.

ومن المعروف ان هذا هو رأي فرنسا والمانيا وروسيا ومن الممكن اجراء اتصالات مع الدول الاعضاء في مجلس الامن لضمان مرور اي مشروع قرار يقضي بذلك واعتقد ان استخدام الولايات المتحدة لفيتو ضد هذا القرار سيضرها كثيرا ويؤكد انها لا تسعى الى تحرير العراق بل الى احتلال العراق والسيطرة عليه.

وهناك صراع محموم بين دول كثيرة للاشتراك في تعمير العراق في مقدمتها فرنسا والمانيا وروسيا، بل ان استراليا اعلنت انها حصلت على وعد من الولايات المتحدة بأن تحصل على نصيب في عملية الاعمار.

واتساءل: هل ستقف الدول العربية بعيدا عن هذا المجال؟.. ولماذا لا تطالب بالمساهمة في إعمار العراق؟ وهل ستقبل الولايات المتحدة اشتراك دول مثل فرنسا والمانيا وروسيا ودول عربية في عمليات الاعمار؟

وتقدم احد الاعضاء الجمهوريون في مجلس الشيوخ الأميركي بمشروع قانون يقضي بحظر حصول اي شركات تابعة للدول اعضاء مجلس الامن التي اعترضت على الحرب ضد العراق على عقود في مشروعات تعمير العراق. ونتيجة للمجادلات في مجلسي الشيوخ والنواب تم الاتفاق على تضمين الجزء الاخير من المشروع حظر التعامل مع كل من فرنسا والمانيا وروسيا وسوريا في اي مجال يتعلق بجهود اعادة بناء العراق بعد الحرب. وهذا يؤكد نوايا الولايات المتحدة ازاء تعمير العراق وازاء خلق نظام انتقالي للسيطرة على العراق يكون دمية في يد القائد

الاميركـي لقوات التحالف بفـرض عدم تعيين حاكم عـسكري اميركي للعراق وفي حـالة حدوث ذلك فان القناع الذي ارتدته الولايات المتحدة بانها شنت الحرب لتحرير العراق يكون قد سقط.

وترى دراسة حول الردع بعـد الحرب الباردة ان الولايات المتحـدة اصبحت تتحـدث من قمة العـالم لانها تمتلك مـفاتـيح الطاقة والتكنولوجـيـا وثورة المعرفـة والمعلومات والاتصـالات وان احتمالات الـتصادم بين الولايات المتحدة وامم كثـيرة في العالم اصبحت متـعاظمة. بل ان بعض المفكرين يقولون ان المشاريـع السياسية الجغـرافية الجديدة تهدف الى فـرز البشر الى صنفين: رعايا الامبـراطورية الاميركية الجـديدة واهل التخوم، ولا تخفي المؤسـسات الاميركيـة المختلفة الدور المحوري للمصـالح الاقتصادية الامـيركية في انحاء العـالم التي تدفع الى تدخل عسكري اميركي لتأمين هذه المـصالح بل وافتعال الازمات والحروب في العـديد من مناطق العالم لتأمين مزيد من المصالح الاقتصادية والتجارية.

وفي كتاب بعنوان «الديمقراطيـة الرادعة» يؤكد مؤلفه ان تصعيـد المواجهات والتدخل في كل انحاء الكرة الارضـيـة سيـاسة استـراتيجيـة ثابتة للولايات المتـحدة وان التدخـلات الاميركـية المباشـرة وغير المبـاشرة تلاحقت في السنوات العـشر الأخيـرة بصورة غيـر مسبوقـة لتغـيـير الاوضاع السـياسيـة والاقتصـادية في مناطق كثيـرة من العالم والامثـلة كثيـرة.. بنما وهايتي وجراناده وافغانستان واندونيسيا واخيرا العراق.

ومارست الولايات المتحـدة ضغوطا بالحصار الاقتـصادي والعقوبات شملت حوالـي خمسة وثلاثين دولة فرضتـها الولايات المتحدة منفردة بخـلاف تلك التي استخدمت فيـها مجلس الامن لفرض عقوبات اقتصادية عليها.

وكثير من الدول تنتظر ان يأتي دورها لتـتعرض لهذه الضغوط الاميركـية والعقوبات وربما التدخل العسكري.

ورغم ان كل الحقائق تؤكد ان الولايات المتحدة كان عليها ان تعتبر الدول العربية اهم لها من اسرائيل فهي التي تحـافظ على بترول الخليج العصب الرئيسي للاقتصـاد الغربي «٦٠ في المئة من بترول العالم» وفي ازمـة الكويت عام ١٩٩٠ لولا سماح دول الخليج بحشد قـوات التحالف في السـعودية وغيـرها ما امكـن خلق تحالف قـوي كاف لهـزيمة القوات العـراقية فـي المسرح الكويتي بل شاركت دول عربية كثيرة في هذا التحالف من بينها سوريا ومصر ودول الخليج.

وفي الحرب على العراق لولا سـماح الكويت بفتح القوات على اراضيهـا ما امكن شن هـجوم بري ناجح عبر الحدود العراقية. ألا تسـتحق تلك الدول ان تكون علاقة الولايات المتحدة بها اهم بكثير من علاقتها باسرائيل؟

رفض الاحتلال

العراق لن يكون شبيها بافـغانستان وان عراقيين كثيرين يعدون انفـسهم لمقاومة الاحتلال.. لأن الشعب العراقي لن يـقبل ان يظل محتلا من جـانب قوة اجنبية حتى لو كـانت القوة العظمى الوحيدة في العالم.

انتهى القتال والحرب مستمرة

القوات العراقية انهزمت لانها لم تحارب

النتائج معروفة سلفا لكن السقوط السريع هو المفاجأة

ادارة حربين في وقت واحد مازالت محل نظر لانها لم تتعرض للاختبار

الحرب على العراق ليست رئيسية ولا تكفي لقياس نظرية رامسفيلد

النصر على قوة متفوقة صعب لكن توقع الخسائر الجسيمة يردع المهاجمين

أميركا تسعى لحل دبلوماسي مع كوريا الشمالية خوفا من خسائر فادحة في الحرب

اذا استبعدنا الزخم الاعلامي الذي صاحب الحرب الاخيرة على العراق ونظرنا الى الامر من الناحية العسكرية نستطيع ان نؤكد ان الحرب كانت محسومة قبل ان تبدأ وانه لم تكن هناك اي مفاجآت فيما جرى لانها حرب من جانب واحد تماما مثل مباراة رياضية من جانب واحد نتيجتها معروفة سلفا.. كما ان هذه الحرب كانت تكرارا لما حدث في كوسوفو وافغانستان مع اختلاف في تفاصيل صغيرة وفي ميادين القتال.

ويقال ان اي قوة متطورة لابد أن تستخلص دروسا مستفادة من اي حرب تخوضها لكني لا اعتقد انها دروس جديدة خرجت بها القوات الأميركية من الحرب على العراق.. لان الدروس عادة تكون من خلال حرب بين قوتين متكافئتين.. وهذا لم يكن له وجود في تلك الحرب.. كما ان استراتيجية خوض حربين رئيسيتين في وقت واحد أو بفاصل زمني قصير وهي العقيدة العسكرية التي يعكف الاميركيون على دراستها.. لم يتسن اختبارها وقياس مدى نجاحها في حرب افغانستان ثم حرب العراق لان ايا منهما لم تكن حربا رئيسية.. وإنما كانت نزهة عسكرية رغم نفي الاميركيين انها كذلك.

الدرس الوحيد الذي ربما تكرر في كوسوفو وافغانستان والعراق هو ان الضربات الجوية لا تحسم حربا هدفها خلع نظام واحتلال دولة.. ربما تصلح للردع والتأديب لنظام قائم فعلا لا يراد الاطاحة به.. لكنها ليست عنصرا حاسما في الغزو والاحتلال.. كما ان القصف الجوي وحده لا يجبر دولة فقيرة أو نامية على الاستسلام لانها لا تملك انجازات عملاقة تخاف انهيارها نتيجة القصف الجوي.. وربما يكون القصف الجوي حاسما اذا كان موجها ضد دولة كبرى متقدمة.. كما أكد ذلك خبراء عسكريون ابان الحرب الأخيرة على العراق.. وقالوا انه لا يمكن غزو واحتلال دولة من الجو خاصة اذا كانت نامية.. وهذا كله لا ينفي بالطبع ان القصف

الجوي كان من أهم الوسائل التي اتاحت لقوات التحالف عمليات برية ناجحة حسمت المعارك سريعا.

وكبار المسؤولين الاميركيين مثل نائب الرئيس ديك تشيني ورئيس الاركان المشتركة الجنرال ريتشارد مايرز ارجعوا نجاح قواتهم في ميدان المعركة الى ما اسموه الاستراتيجية الفذة للجنرال تومي فرانكس والقيادة المركزية بينما رأى البعض ان النتيجة كانت متوقعة مع قدرات عسكرية متفوقة امام جيش متواضع لدولة نامية.

وقالوا ان اداء قوات التحالف كان جيدا وكانت السيادة العسكرية للتحالف كاسحة لدرجة ان النصر كان يمكن ان يتحقق بنفس الصورة بلا خطة جيدة للحرب وهذا يعني اصلا وجود عناصر رئيسية في الابداع العسكري الاميركي لكن بعض التكتيكات لم تكن جديدة بالمرة.

ويرى المحللون ان فكرة «الصدمة والرعب» التي بدأبها الاميركيون الحرب لم تنفذ بدقة مع تغير الخطط نتيجة محاولة قتل صدام حسين ليلة ١٣ مارس بالاضافة الى تعود القوات العراقية على القصف الجوي الاميركي طوال السنوات التي سبقت الحرب لذلك لم يكن هناك تأثير للصدمة والرعب.

وكانت العمليات الخاصة المتمثلة في الاغارات بواسطة قوات خاصة اكثر اثرا من الحملة الجوية المبكرة فقد اربكت مجموعات عديدة من القوات الخاصة الصغيرة الحجم عناصر القيادة والسيطرة العراقية واستولت على مواقع اساسية ومنعت تدمير السدود واستولت على مطارات كان من المحتمل ان تستخدم لاطلاق صواريخ «سكود» عراقية على اسرائيل كما وفرت معلومات عن اماكن قادة النظام العراقي الامر الذي ساعد على مهاجمة صدام حسين والجنرال علي حسن المجيد. كما قطعت خطوط الاتصالات الداخلية في بغداد واماكن اخرى وربما يكون ذلك قد ادى الى انهيار القوات العراقية مع بداية القتال في المدن.

واعتقد ان عناصر من هذه القوات مع عملاء الاستخبارات دخلت العراق مع لجان التفتيش قبل الحرب وتمكنت من دراسة نظم الاتصالات العراقية الداخلية الى جانب دس عملاء من العراقيين المعارضين لصدام لزرع اجهزة صغيرة لتوجيه الاسلحة الدقيقة الى اهداف بعينها.

خطوط الامداد

كان واضحا ان الحلفاء قادرون على حماية اجنابهم في مناطق فضلوا عدم الاستيلاء عليها وهم في الطريق الى بغداد. وقد انتقد محللون عسكريون الاندفاع السريع لقوات التحالف صوب بغداد وقالوا ان خطوط المواصلات والامداد للقوات المندفعة قد طالت وستتعرض لمشاكل كثيرة من هجمات قوات عراقية ولم يحدث ذلك أو وقعت هجمات لا تذكر. وكان واضحا ان السيادة الجوية المطلقة اتاحت امداد القوات المتقدمة باحتياجاتها جوا دون اي عائق. وبعض المراقبين العسكريين الغربيين انتقدوا الخطة وقالوا انه كان في مقدور قوات التحالف ان تنتظر اسبوعا او اسبوعين لحين وصول وحدات اخرى لتأمين خطوط المواصلات دون حدوث اي تأثير على الاستراتيجية الاوسع ولكن رأيهم لم يؤخذ في الاعتبار ونجحت قوات التحالف في الوصول الى

بغداد دون تعرض خطوط مواصلاتها لاي اضرار تذكر.

ان القنابل الموجهة بنظام الملاحة وتعيين المحل الكوني ووسائل الاستشعار الاكثر تطورا التي تعمل في كل الاحوال الجوية حرمت القوات العراقية من اي ملجأ. وحتى لو حاولت القوات العراقية التحرك خلال العواصف الرملية او ليلا فإن قوات التحالف كانت قادرة على ان تراها وتضربها. بالاضافة الى انه نتيجة سرعة تحرك قوات التحالف البرية فإن اي اعادة فتح عراقية كان يجب ان تحدث بسرعة عالية اذا ارادت ان تعاون قوات الخطوط الامامية المعرضة للهجوم.

واظهرت قوات التحالف القدرة على ادارة عمليات مشتركة ناجحة من خلال تعاون وثيق بين افرع القوات والاسلحة المقاتلة وهو مبدأ من مباديء الحرب الحديثة الناجحة. ففي اواخر مارس واوائل ابريل ٢٠٠٣ نجحت قوات التحالف في تكبيد قوات الحرس الجمهوري العراقية خارج بغداد خسائر جسيمة وارتكبت القيادة العراقية خطأ جسيما في الاحتفاظ بتلك الوحدات هناك ربما خوفا من انقلابها ضد صدام حسين اذا سمح لها بدخول بغداد.

وتقول الدراسات ان قوات التحالف استخدمت تكتيكات جديدة مثل قيام الفرقة الثالثة المشاه الميكانيكية «بالضرب مع الحركة» والالتفاف حول اجناب فرقة المدينة بالقرب من كربلاء.. ويرى المحللون ان هذه المعركة تم كسبها بفضل المستوى المتفوق في الاداء والاستخدام الامثل لمعركة الاسلحة المشتركة.

كما تؤكد الدراسات على ان الذكاء والابداع تم استخدامهما في معركة الاستيلاء على اكبر مدينتين عراقيتين اذ كان واضحا ان محاولة الاستيلاء عليهما بسرعة كان من الممكن ان تسبب خسائر ملموسة في قوات التحالف وعلى النقيض من ذلك فان انتظار انضمام الفرقة الرابعة المشاة الميكانيكية ووحدات دعم اخرى اعطى قوات القيادة العراقية ثقة ووقت لاعادة التجميع ومحاولة استخدام تكتيكات جديدة ولكن الاسلوب الذي اتبعته قوات التحالف وهو دفع عناصر استطلاع بقوة لجمع معلومات اربك القوات العراقية المدافعة ونجحت هذه العناصر في مهامها ولم تقم القوات العراقية بأي اعمال لاحباط هذه المهام.

حرب المستقبل

وتقول الدراسات ان القوات المسلحة الاميركية عملت أكثر من عقد لتطوير قدراتها وامكاناتها لتقاتل حربين في منطقتين رئيسيتين في آن واحد. ومن حيث المبدأ كانت النظرية ان تنشب هذه الحروب في اي مكان ومع ذلك فقد كان مفهوما للمخططين الاميركيين ان كوريا الشمالية والعراق هما المرشحتان لهذه النظرية وبعد عملية تحرير العراق كما يحلو للاميركيين تسميتها فان الاساس التقليدي لهذا الفكر قد تعرض لهزة ولكن مازالت فكرة قدرة ادارة حربين في وقت واحد قائمة في الاستراتيجية الاميركية ولكن السؤال هو اي حربيين وماهي المهام العسكرية المحتمل ان تقوم بها القوات المسلحة الاميركية؟

واولئك الذين يؤيدون عقيدة وزير الدفاع الاميركي رامسفيلد الجديدة يقترحون عدة خطوط اوسع لهذه الاستراتيجية.

ان عمليات حفظ السلام قد اختفت ولم يعد لها وجود واصبحت الحرب المسبقة «ضربة الاحباط» ضد سوريا وكوريا الشمالية وايران هي الماثلة الان كما ان التنافس بين الصين والولايات المتحدة على المدى الطويل امر محتمل وحرب المستقبل ستكون غالبا في الفضاء وباستخدام الصواريخ والعمليات البحرية والجوية بدلا من صدام جيوش برية ومع ذلك توجد عدة قيود بالنسبة لمدى تحقق هذا الفكر.. ويبدو ان دونالد رامسفيلد على علم ودراية بهذه القيود. ويرون ان الحرب في العراق لم تثبت فقط اهمية استخدام القوة الجوية والقوات الخاصة ولكنها اكدت كذلك اهمية الغزو بقوات كبيرة فلقد تم حشد ٢٥٠ الف جندي لهذا الغزو مما يؤكد ان القتال البري مازال بطل الموقف.

ويقول المحللون ان الوضع في العراق قد يتطلب بقاء ما لا يقل عن فرقتين امريكيتين لعدة سنوات وفي افغانستان قد يتطلب الامر حوالي فرقة او اقل قليلا، وفي البلقان ايضا ولن يتمكن رامسفيلد من سحب هذه القوات حتى لو حاول ذلك. كما ان عمليات صغيرة اخرى محتملة في مجال القتال ضد الارهاب مع الحاجة للاستعداد لحرب محتملة في شبه الجزيرة الكورية واي صدام محتمل هناك يتطلب ما لا يقل عن ثماني فرق امريكية وكل هذا سيناريوهات محتملة وتتطلب ان يكون للولايات المتحدة ١٠ – ١٢ فرقة جاهزة للقتال والفتح على مسافات بعيدة من اجمالي ١٣ فرقة امريكية عاملة «١٠ فرق جيش و٣ فرق مشاة اسطول».

العمليات المشتركة

ويرى العسكريون الامريكيون ان الحرب في العراق أظهرت قدرة القوات الامريكية على تحديد الاهداف باستخدام المستشعرات الحديثة وسرعة اتخاذ القرارات للاشتباك مع الاهداف واستخدام انسب الاسلحة الموجهة لتدميرها. لكنهم اعتبروا ان هذه الحرب اختلفت عن حرب الخليج الثانية وحرب افغانستان في الاستخدام المشترك لكل افراع القوات المسلحة جوية وبحرية وبرية ومشاة اسطول وقوات خاصة وحرب المعلومات.. ويقولون ان الهدف كان خلق موقف اتاح للقوات المشتركة ان تشل قدرة القادة العراقيين على اتخاذ القرارات وتحريك قواتهم لمواجهة المواقف المختلفة ويبدو انهم نجحوا في ذلك لان ما حدث في الحرب يوحي بان القوات العراقية لم تفعل شيئا يذكر يمكن ان يشير الى نجاحها في ادارة اي عمليات دفاعية مشتركة، فلقد خرجت القوات الجوية العراقية من المعركة تماما منذ بدايتها ولم تفعل وسائل الدفاع الجوي شيئا مما يشير الى فقدان السيطرة عليها كما ان نظام القيادة والسيطرة اختفى تماما ولم يكن له اي اثر في السيطرة على القوات او ادارة معارك او عمليات.

ومن المؤكد ان عمليات جديدة ستقوم بها القوات الامريكية ستبدأ بهجوم ضخم ضد وسائل الدفاع الجوي والقوات الجوية وكل الاهداف في كل عمق اراضي الخصم ومراكز القيادة والسيطرة والمعلومات والاستطلاع ووسائل الاتصالات... بصورة تشل قدرة الخصم على ادارة العمليات اي بنفس الطريقة التي اديرت بها الحرب على العراق.

ان القدرة على القتال ليلا اصبحت كما ثبت في الحرب ضد العراق امرا حيويا ومهما كما ان القتال المستمر لمدة ٢٤ ساعة في اليوم اصبح ايضا سمة العمليات الحديثة ولتحقيق ذلك تم

تزويد الجنود بأجهزة رؤية ليلية متطورة الى جانب اجهزة تصويب متطورة وآلات تقدير مسافة بالليزر ونظم فيديو ومعززات رؤية للسائق.. مع صورة كاملة للقادة على كل المستويات في وقت حقيقي على مدى الساعة تقدمها طائرات استطلاع وطائرات موجهة بدون طيار «بريديتور» ذات ارتفاع متوسط و«جلو باك هوك» استطلاع ذات ارتفاع كبير.

وكما كان متوقعا حصلت قوات التحالف على سيادة جوية كاملة في كل انحاء العراق وتم اسكات كل وسائل الدفاع الجوي العراقية.. وعلى العكس من الحربين السابقتين فان القوات البرية اندفعت بسرعة في اتجاه بغداد والبصرة والناصرية ومدن عراقية عدة وبدا الكثير من المعلقين يتحدثون عن أن الخطة العراقية تركزت على جذب القوات البرية الاميركية البريطانية الى قتال دام داخل المدن بل توعدت القيادة العراقية بان بغداد ستكون مقبرة للغزاة..!

وكلنا يعرف ماحدث فلقد انتهت الحرب في ثلاثة اسابيع وكان اجمالي خسائر قوات التحالف اقل من ٢٠٠ قتيل جزء كبير منها من نيران صديقة وحوادث ولم تصمد بغداد ولم نشاهد اي قتال من قوات الحرس الجمهوري وحرس صدام حسين الخاص.

ان اي حرب محتملة ضد أي دولة عربية أو غير عربية ستشمل حملة مركزة تهدف الى خلق سيطرة جوية كاملة وهذا يتطلب ضرب كل القوات الجوية لاخراجها من المعركة واسكات وسائل الدفاع الجوي ومع ذلك توجد اساليب ووسائل لعدم تحقيق ذلك رغم صعوبة خلق توازن جوي ضد خصم يمتلك قدرات جوية متفوقة ولكن من الممكن ان يدفع المعتدي ثمنا غاليا لتحقيق التفوق الجوي او السيطرة الجوية وتوجد امثلة كثيرة لنجاح دول في تحييد القوات الجوية المتفوقة بواسطة وسائل دفاع جوي برية وتوجد الان وسائل دفاع جوي برية متطورة مزودة بكل الوسائل لتفادي التشويش بل ومزودة بوسائل توجيه تبادلية حرارية وتليفزيونية الى جانب التوجيه الراداري ويمكن الحصول عليها من دول كثيرة في العالم وتطويرها بواسطة مهندسينا وعلمائنا.

ان وسائل الاستطلاع الفضائية والجوية توفر للقوات معلومات دقيقة عن قوات الخصم في وقت حقيقي ويتم بثها وتوصيلها مباشرة الى كل المستويات وهذا يحقق للقادة اتخاذ القرارات السليمة الامر الذي يساعد على تكبيد اي قوات مهاجمة – حتى لو كانت نتفوقة – خسائر جسيمة والخسائر الجسيمة ردع كبير مؤثر ضد العدوان فلو ادرك المعتدي انه سيتعرض لخسائر جسيمة فسيتراجع عن عدوانه ويلجأ الى حل المشكلة دبلوماسيا كما هو جاري الان بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية فمن الواضح ان عدم مهاجمة كوريا الشمالية ترجع الى ان الخسائر التي قد تتعرض لها الولايات المتحدة وحلفاؤها ستكون جسيمة.

من اهم مباديء الحرب منع العدو من حشد قواته ومن الاخطاء التي ارتكبها العراق في هذه الحرب انه وقف متفرجا على القوات الاميركية والبريطانية وهي تحتشد استعدادا للهجوم ولم يفعل شيئا بل ترك حدود بلاده دون اي عناصر تدافع عنها والنتيجة المؤكدة هي الهزيمة وكان في مقدور العراق وكانت لديه طائرات وصواريخ «صمود – ٢» ان يوجه ضربة احباط ضد هذه الحشود لكنه لم يفعل!

ان الذخائر الذكية دقـيقة ومؤثرة ولكن توجد وسائل تكنولوجيـة يمكنها التشويش على هذه الذخائر والتقليل من دقتها وقد اشـيع خلال الحرب ان العراق حصل على مثل هذه الوسـائل من روسيا التي كذبت هذا ذلك.

لقد ثبت ان تكـنولوجيا المعلومـات اصبحت اكـثر اهميـة في اي حرب فلقـد انشأت الولايات المتحـدة مركز مـعلومات في قطر حيـث تمت متابعـة تحركات القـوات الصديقة وقـوات العراق بواسطة حوالي ٥٠ حاسبـا آليا تتلقى تيارا ضخما من المعلومات في وقت حـقيقي وهو ما يمكن ان يطلق عليه شبكة مركزية لادارة الحرب ويعني ان وسائل الاسـتشعار والاستطلاع ومتخذي القرارات ووسائل الضـرب والقصف ترتبط معا من خلال تلك الشـبكة مما يعزز الالمام بالموقف والقيـادة والسيطرة ويزيد معـدلات العمليـات والقدرات الهجـومية. والامـر يتطلب دراسة ذلك وادخاله في القوات المسلحة العربية؟

ان كل الاسلحة والمعدات الان مزودة بنظام ملاحة وتعيين محل كوني وتعتمد على شبكة من الاقمار الصناعية العسكرية ويمكن لكل مركبة ودبابة مزودة بهذه الاجهزة ان تعرف محلها بدقة عالية في اي لحظة ويمكن لقـيادة الوحدات ان تعرف اين عناصر قـواتها في كل لحظة وهذا امر له اهمـية بالغـة في ادارة اي معـركة فهـل توجد هذه الاجـهزة في طائراتنا ودباباتنا وعـرباتنا المدرعة؟. وهل لدينا اقمار صناعية لاستكمال الحلقة الخاصة بذلك؟.

تاريخ الحروب

هناك امثلة مـهمة في تاريخ الحروب تؤكـد ان الاختراق وبسرعـة كبيرة يؤدي الـى اختلال اتزان الدفاعات المعادية خاصة في المدن.. وهذا ما طبـقته قوات التحالف في بغداد.. وهونفس ما طبقه الجيش الالماني النازي عام١٩٤٠ ابان الحرب العالمية الثانية مما مكنه من احتلال باريس.

تفاخر

يتفاخر العسكريون الاميركيون بكفـاءة وابداع وذكاء قادتهم والقدرات العالية على استخدام المعدات الحديثة مما حسم الحرب على العراق ولهم الحق في هذا التـفاخر لان القوات العراقية لم تقاتل بالصورة التي كان ينبغي ان تخوض بها معركة دفاع عن الوطن.

لا خيانة

عندما سقطت بغداد بصورة بشعة ومفاجئة تحدث البعض عن خدعة وخيانة لكن واقع الامر انه لم تكن هناك اي خدعة ولا خـيانة ولكنه فشل القيادة العراقـية في ادارة معركتهـا الدفاعية.. وتم تحييد قواتها الجوية ووسـائل الدفاع الجوي.. ولم تكن هناك اي سيطرة على القوات وهذه السهولة التي سقط بها العراق تشجع ادارة بوش على تكرار السيناريو في دول اخرى.

أميركا تضرب الجميع لردع الصين

الحروب في افغانستان والعراق رسالة تحذير للمارد الصيني

الحرب المسبقة تصلح ضد الصغار لكنها لا تجدي مع القوى النووية

واشنطن تتجاوز الأمم المتحدة وتنفرد بتحديد المارقين والارهابيين

ضعف العراق وليس قوة اميركا حسم الحرب الأخيرة بسرعة

في سبتمبر ٢٠٠٢ تم الاعلان عن الاستراتيجية القومية الامريكية التي نصت على الحرب المسبقة او ضربة الاحباط والعمل العسكري المانع في احوال وظروف خاصة. وادى تركيز هذه الاستراتيجية على الحرب المسبقة او المانعة الى خلافات وجدل.

ويقول المراقبون والمحللون ان الادارة الامريكية لم تلغ الردع من استراتيجيتها بالتركيز على هذه العقيدة الجديدة.. ويرون ان الاستراتيجية الاميركية تعترف بان عددا من الاهداف المحتملة صغير للغاية وان الحرب المسبقة قد لا تكون مناسبة لجميع انواع التهديدات، كما ان عقبات عملية وسياسية قد تحد من الاستخدام الفعلي لهذه السياسة. ويقولون ان هذه الاستراتيجية ناقشت الحرب المسبقة للتعامل بالتحديد مع الارهاب الدولي والدول المارقة وبطبيعة الحال فان تحديد التنظيمات الارهابية الدولية او اطلاق صفة الارهاب على اي حركات تحررية قومية واطلاق تسمية «الدولة المارقة» جعلته الولايات المتحدة حقا لها وليس من حق الامم المتحدة او المجتمع الدولي.

وتعترف الولايات المتحدة بان الحرب المسبقة ليس لها دور في التعامل مع الصين او اي تهديد محتمل من روسيا او اي تهديد امني تقليدي ولذلك فان الحرب المسبقة تأسست على مزاعم اميركية اهمها أن التهديد بالردع لن يردع الارهاب والدول المارقة فالمنظمات الارهابية لا تنتمي الى دول مما يجعلها اقل تعرضا لرد الفعل كما ان قادة الدول المارقة اقل قبولا للردع التقليدي.. بالاضافة الى ان الطريقة التي نفذت بها احداث الحادي عشر من سبتمبر طبقا لرأي الادارة الاميركية وانتشار تكنولوجيا لبناء اسلحة تدمير شامل تشير الى وجود تهديد حقيقي لهجوم مأساوي. كما ان مستوى الضرر المحتمل الذي يمكن لأي هجوم ناجح احداثه جعل الاعتماد على الردع خطأ كبيرا.

ويقول المحللون ان هذه الاستراتيجية تضع تعريفات واسعة تراها توفر الشرعية لاعمال الحرب المسبقة ويعتقدون انها ليست عقيدة جديدة وتقوم على ان القوة العسكرية الاميركية يجب ان تكون مستعدة لردع اي تهديدات للمصالح الاميركية وحلفائها واصدقائها في اي مكان في العالم.

ويرى المحللون ان التركيز على الحرب المسبقة رغم استبقاء الردع يبدو انه اصبح قناعة لكثير من الرسميين في ادارة الرئيس بوش بل تمكنوا من اقناع الاخرين بالادارة واختار بوش وادارته العراق لتطبيق استراتيجية الحرب المسبقة لاسباب اهمها رغبة الولايات المتحدة في السيطرة على منطقة الشرق الاوسط الكبرى واحدى خطوات تحقيق ذلك السيطرة على كل بترول الخليج والعراق غني بالبترول وبه اكبر ثاني احتياطي في العالم بعد السعودية وبه احتمالات لاكتشافات كبيرة تجعله اكبر احتياطي بترول في العالم.

وتريد الولايات السيطرة على أوراسيا واولى الخطوات في ذلك السيطرة على اسيا الوسطى الكبرى، ونجحت فعلا في بسط نفوذها على دول اسيا الوسطى الاسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي وتسيطر الى حد ما على افغانستان ولها تواجد في باكستان، واقامت علاقات قوية تصل الى حد الشراكة الاستراتيجية مع الهند وباكستان.

ونظرا لان الصين القوية نوويا تمثل من وجهة النظر الاميركية التهديد الرئيسي فقد قررت واشنطن اقامة حلقة احتواء حول بكين يمكن القول بانها تكتمل بالقواعد التي ستسيطر عليها الولايات في العراق بعد ان احتلته وبذلك تضمن احتواء هذا التهديد لفترة طويلة.

دروس

ونشرت مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية ما سمته دروس الحرب على العراق رغم ان قوات التحالف مازالت تواجه مشاكل كبيرة في السيطرة على الأراضي العراقية حتى ان عددا من المحللين أكدوا ان هذه القوات تورطت في مستنقع شبهوه بمستنقع فيتنام.

وأهم الدروس التي خرجت بها الولايات المتحدة من هذه الحرب هي أنها:

كانت حرب مناورة لم تتوفر فيها مفاجأة استراتيجية وكانت المفاجأة التكتيكية محدودة وكانت القيادة والسيطرة والمواصلات والحواسب والذخيرة الذكية الدقيقة وتحديد الاهداف بدقة عنصرا مهما في هذه الحرب وكان هناك تركيز كبير على التأمين الاداري خاصة استخدام الهليكوبتر وطائرات النقل لضمان تيار الامدادات للقوات. كما كان للتفوق التكنولوجي الكبير والاسلحة الفائقة الذكاء والدقة الدور الرئيسي في كسب هذه الحرب دون التعرض لخسائر تذكر وان كان قد ساعد على ذلك تدني اداء قوات الخصم بصورة غير متوقعة.

وهناك اهمية الاستطلاع ووسائله المختلفة فضائية وجوية وبرية في تأمين معلومات دقيقة في وقت حقيقي للقيادات على كل المستويات.

واظهرت الحرب على العراق توسعا غير عادي في استخدام العمليات الخاصة واثبت ذلك من وجهة نظر الخبراء العسكريين انه امر كان حاسما في منع القوات العراقية من استخدام صواريخها ارض- ارض ضد قوات التحالف والدول الصديقة.

وهناك امر لابد للمحللين الغربيين من ان يحشروه في كل مناسبة ويتعلق باسرائيل حتى لا تتدخل في هذه الحرب وما لذلك من اثار خطيرة.

واظهرت الحرب على العراق ان القيادة المركزية الاميركية تجنبت بثبات المواجهة المباشرة مع القوات العراقية ومحاولات العراق جذب قوات التحالف الى قتال داخل المدن وبدلا من ذلك قامت بعزل والالتفاف حول القوات العراقية الموجودة داخل مدينة البصرة وغيرها والتقدم شمالا بهدف عزل بغداد وحصارها.

وركزت القوات الأميركية على الحرب النفسية التحضيرية اي قبل الحرب مباشرة وخلال العمليات واستخدام عناصر الاستطلاع البشرية ومنع القيادة العراقية من القدرة على التأثير على القادة العسكريين العراقيين قبل وخلال الحرب وبتعبير ادق نجحت قوات التحالف في عزل القيادة العراقية العليا عن قيادات الوحدات العسكرية وحرمتها من اصدار اي اوامر او تعليمات كما لم تتلق اي بلاغات عسكرية من هذه العناصر وهذا يعني فقدان القيادة والسيطرة على القوات وهو اخطر ما تتعرض له اي قوات مسلحة.

واهم ما يميز حرب الخليج عام ١٩٩١ والحرب ضد العراق ان قوات التحالف اتبعت اسلوب العمليات المشتركة التي تتميز بعمل كل الافرع في تعاون وتنسيق كامل طبقا لخطة وقيادة واحدة.

وكان من عوامل النجاح في تلك الحرب الاستخدام الموسع لنظام الملاحة وتعيين المحل الكوني ومن الفوائد التي حققها هذا النظام توفير القدرة للصواريخ الهجومية كروز «توما هوك» على الطيران في خطوط مرور مباشرة الى اهدافها في العراق بدلا من الاعتماد على جهاز مقارنة الكنتورات الذي استخدم في حرب الخليج عام ١٩٩١ ففي تلك الحرب كان معدل توزيع جهاز الملاحة وتعيين المحل الكوني بواقع جهاز لكل ألف جندي اما في حرب العراق فقد تم توزيعه على كل المستويات للعمليات.

وكانت القيادة والسيطرة والاتصالات والحاسبات والمخابرات هي اكثر العناصر اهمية في كل العمليات وبثت انها تحتاج الى تطوير اكبر فلقد كان من حسن حظ القوات الاميركية ان قدرات العراق كانت ضعيفة جدا بالنسبة للاتصالات والاعاقة او الاستطلاع خاصة وان القوات الاميركية اعتمدت الى حد كبير على وسائل الاتصالات للاقمار الصناعية التجارية لذلك يرى الخبراء والمحللون ان هذا المجال يحتاج إلى تركيز لتطويره وهنا يجب ان اذكر انه لا توجد لاي دولة عربية اقمار اتصالات تجارية أو عسكرية وهو امر يحتاج الى تفكير وقرار حتى لا تتكرر مأساة العراق.

وقد تمت دراسة فاعلية الاسلحة الاميركية ضد الاسلحة العراقية مع الاخذ في الاعتبار تباين مستوى التدريب والعقيدة الذي يتفوق الى حد كبير على المستوى العراقي، وخرجوا بان العدد المحدود من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الروسية المعروفة باسم «كارينت» التي اكتشفت قوات الاحتلال وجود عدد قليل منها مؤثرة ضد الدبابات الاميركية «م-١١١» ولكن القوات العراقية لم تستخدمها في القتال كما ان العدد المحدود من بطاريات الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات «سام-٦» المعدلة التي كان من الممكن استخدامها بفاعلية بالاشعة دون الحمراء او بتوجيه يدوي دون استخدام التوجيه الراداري تجعل موقع الاطلاق معرضا للتدمير ومع ذلك

يقول المحللون ان هذا النوع من الصواريخ اسقط طائرة اميركية واحدة طراز ١-١٠ ويرون انه ربما كانت الاسلحة الصغيرة والمدفعية الخفيفة المضادة للطائرات مؤثرة الى حد ما ضد الهليكوبتر الهجومية الاميركية الاباتشي.

مناورة ومفاجأة

ومن الدروس المستفادة التي خرجوا بها أن قوات التحالف استخدمت المناورة والمفاجأة وعقائد قتالية جديدة باستخدام وحدات صغيرة خفيفة الحركة تمكنت من تحقيق نتائج درامية ومع ذلك فهو درس ليس بجديد ومعروف لكل جيوش العالم حيث ان المناورة وخفة الحركة سلاح فعال في اي اعمال قتالية وهذا يتطلب مستوى تدريب خاصا ووسائل تحريك مدرعة خفيفة وقوة نيران مناسبة مع تعاون وثيق مع عناصر من القوات الجوية وخاصة المقاتلات القاذفة والهليكوبتر الهجومية مثل الاباتشي.

وتحدث وزير الدفاع الاميركي دونالد رامسفيلد امام لجنة الدفاع بمجلس الشيوخ عن الدروس من الحرب وهي: اهمية السرعة والقدرة على دخول دائرة قرار العدو والضرب قبل ان يكون قادرا على تنظيم دفاع صلب وقيام أفرع القوات المسلحة بالعمل كفريق مشترك وكقوة اسلحة مشتركة واهمية المخابرات والقدرة على العمل بناء على المعلومات السريعة والدقيقة خلال دقائق بدلا من ايام وساعات والدقة والقدرة على احداث تدمير شديد في اوضاع ومواقع العدو وان القوة المتفوقة للقرن الواحد والعشرين اكثر اهمية بكثير من القوة الغامرة في الماضي فبناء على عقيدة القوة الغامرة كانت القوة تقاس بالتفوق العددي الضخم اما في القرن الحالي فلم يعد الحجم الضخم للقوات هو الطريقة المثلى لقياس القوة فلقد تمكنت القيادة المركزية من التفوق على العدو ليس بالاسلوب التقليدي ٣ الى ١ في مقارنة القوات وانما بالتفوق على العدو بامكانيات متطورة متقدمة وتدريب وتسليح متطور مستمر لسنوات طويلة.

وعدد رامسفيلد عدة أمور تحققت بفضل السرعة والمرونة في خطة الحرب: منها عدم اطلاق صواريخ «سكود» عراقية على دول الجوار ومن المعروف ان كل الصواريخ «سكود» التي كانت لدى العراق تم تدميرها تماما بواسطة مجموعات تفتيش الامم المتحدة ولم يكن يمتلك الا صواريخ مداها ١٥٠كم طراز «صمود» وقام باطلاق عدد قليل منها على الكويت وان الحجم الاكبر من آبار البترول لم يحترق وتمت المحافظة عليه. وادعى بانه لم تكن هناك خسائر مدنية ضخمة او اعداد ضخمة من اللاجئين الذين عبروا الحدود الى دول مجاورة، ولم تكن هناك خسائر مصاحبة كبيرة وان التدمير الذي حدث في البنية الاساسية كان محدودا رغم ان المعلومات تفيد بانه قد تم تدمير كل محطات توليد الكهرباء والمياه والمواصلات وكثير من البنية الاساسية ولم يتم نسف الكباري ومن الطبيعي ان اي مهاجم سيعمل على عدم نسف الكباري لحاجته اليها في تحريك قواته وتمت حماية خطوط السكك الحديدية ولم يتم تدمير السدود.. الخ.

ويعترف رامسفيلد بوجود صعوبات وتحديات تواجه الحاكم الاميركي وقوات التحالف في العراق. ويقول ان العراقيين يواجهون تحديات كبيرة لاعادة بناء دولتهم ولا يجب ان نقلل من

صعوبة هذه المهمة.

ويقول ان قوات التحالف تحاول مساعدة العـراقيين في هذه المهمة وتحقيق الاستقرار وخلق حكومة عراقية ديمقراطية وهناك ما يفيد بانها تفكر في الإستعانة بقوات من دول اخرى لتحقيق الاستقرار والامن.

ويعترف رامسفيلد بان عناصر عراقيـة وصفها بانها من فدائيي صـدام وحزب البعث تشن هجمات على قـوات التحالف وان هذه القوات تشن حملة الان في كل انحاء العـراق للقضاء على هذه العناصـر وهذا اعتـراف بانه لا يوجد امـن واستـقرار في العـراق حتى الان ثم يقـول بانه لتحقيق امن طويل المدى سيقوم التحالف بتشكيل جيش عراقي جديد وان الحاكم الاميركي اعلن بداية اختيار وتجنيد عناصر له.

حرب ضد العالم

اعلن الخـبيـر الاميـركي في شؤون الدفـاع «مايـكل كلير» ان ادارة بوش تسـتخـدم قوتهـا العسكرية المتفوقة واستـراتيجية الحرب المسبقة لفرض هيمنتهـا الاقتصادية على العالم كله عن طريق السيطرة على الموارد الطبيعية مثل البترول.

صعوبات

هناك صعوبة كبيرة في ان يتمكن رئيس اميركي من الحصول على اجماع الاميركيين لشن حرب مسبقة جديدة ولهذا فانه لا يعتقـد كما اشيع ان الولايات المتحدة تستهدف ايران او كوريا الشمـالية الا اذا وقـعت هجمات ارهابيـة جديدة تبـرر شن مثل هذا الهجـوم. لكني لا اتوقع ان تغامر أمريكا بشن حرب جديدة في عام ٢٠٠٣ او عام ٢٠٠٤ بسبب انتخابات الرئاسة القادمة.

العلامة الأخيرة

تدعى وسائل الاعلام الأمـيركية ان مجلس الحكـم الانتقالي في العراق هو العلامـة الاخيرة على التقدم في طريق مولد وطن عراقي حر جديد. وقـال الحاكم الاميركي بريمر انه بعد الانتهاء من القضاء علـى اعمال العنف في العراق سيكـون الطريق ممهدا لخلق عراق ديمقراطي مـستقل ولكنه لم يتطرق الى تحديد مدى الاحـتلال الاميركي للعراقي وسـبق ان اعلن بوش ان الاحتلال سيستمر لاكثر من عقد من الزمن.

أميركا تلعب على المكشوف

الانفراد بمقعد القوة العظمى فتح الملفات السرية للهيمنة

العرب في المقدمة دائما لخدمة المصالح الاميركية لكن المكافأة لاسرائيل

صدام حسين نفذ المخطط الاميركي بالقضاء على قوة ايران والعراق معا

واشنطن حريصة على بقاء العالم العربي ممزقا لصالح تفوق اسرائيل

شهد العقدان الاخيران من القرن العشرين أحداثا كان لها اثر في تغيير الموقف العالمي. وإذا عدنا الى التاريخ القريب نجد ان ايران في عهد الشاه كانت تخطط لأن تكون القوة العظمى الاقليمية وكانت الولايات المتحدة تراهن على شاه ايران فساعدته وايدته في بناء قوة عسكرية تمكنه من ان يخدم الاهداف الاميركية بالمنطقة. لكن الموقف تبدل بصورة لم تتوقعها واشنطن ونجح آية الله الخوميني في الإطاحة بالشاه والوصول الى السلطة واقامة نظام اسلامي في ايران. واعتبرت الولايات المتحدة ان نظام الخوميني عدو رئيسي لها وفرضت على ايران حصارا شديدا وصادرت ارصدتها بالخارج، ثم وجدت في نظام صدام حسين الذي وصفته بأنه نظام علماني ما يمكن ان يردع طموحات ايران وشجعت صدام على مهاجمة ايران وكان الهدف الاميركي واضحا وان خفي على صدام وعلى الكثيرين وهو نشوب حرب طاحنة لا رابح فيها وانما ليخرج منها الطرفان وقد ارهقتهما الحرب وتكبد كل منهما خسائر فادحة في القوة العسكرية والقوة البشرية والاقتصاد وبذلك تتردى قدرتهما العسكرية ولا تشكلان اي تهديد لمنطقة الخليج والمصالح البترولية الاميركية في المنطقة.

وأدى انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك حلف وارسو الى قيام الولايات المتحدة بتغيير استراتيجيتها العسكرية وبدأت هذه التغييرات في أواخر الثمانينات ووقع الرئيس الاميركي ريجان عددا من اتفاقيات الحد من التسلح التي انهت تفوق حلف وارسو في القوات التقليدية وازالت معظم الاسلحة النووية في المسرح الأوروبي، ووضعت الولايات المتحدة على طريق تخفيض التهديد النووي لها من ٢٠٠٠٠ سلاح نووي الى ٣٠٠٠ سلاح نووي خلال فترة معينة من الزمن رغم ان هذا التخفيض، لا يعني انتهاء التهديد كلية. وبحلول عام ١٩٩٠ وصلت هذه الأوضاع الى نقطة تطلبت اعادة النظر في الاستراتيجية الاميركية وخطط قواتها، وادى ذلك الى ما اطلق عليه "خطة القوة الاساسية" في عهد جورج بوش الأب. وتم تطوير هذه الخطة وقت ان كان ريتشارد تشيني وزيرا للدفاع وكان الجنرال كولن باول رئيسا لهيئة الاركان المشتركة وعكست هذه الخطة اتجاه ادارة بوش الأب الى تحديد التغييرات في القوة حتى عام

١٩٩٧، ولم تكن هذه الخطة تعني تحديد مستويات القوة للولايات المتحدة على اساس خطط طوارىء محددة وانما كانت تعني وضع تقديرات لما يمكن ان تكون عليه هذه القوة بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك وتحلل الاتحاد السوفيتي تاركا منصب القوة العظمى لتنفرد به الولايات المتحدة.

تغيير الخطط

ومن المصادفة ان يقوم صدام حسين بغزو الكويت في نفس اليوم الذي تم فيه اعلان هذه الخطة على الشعب الاميركي الأمر الذي ادى الى تغيير فيها.

وكان الخبراء والمحللون يرون ان تحلل الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو سيؤدي الى تغييرات اخرى في الاسبقيات الاستراتيجية لكن غزو الكويت ادى الى اعادة النظر في الخطة والتحول من التركيز على الاخطار المتبقية من الشرق وعملية الحد من التسلح النووي بين الغرب والشرق الى التركيز على التهديدات في مناطق اخرى. ومن هنا جاء ما سُمي "المراجعة من اسفل الى اعلى". وحددت الخطة اربعة مستويات أو حالات يمكن فيها استخدام القوات الاميركية وهي أخطار اسلحة الدمار الشامل بما في ذلك احتمالات انتشارها. والتغييرات الاقليمية التي يحدثها تهديد بعدوان مسلح على مستوى كبير بواسطة قوى اقليمية لها مصالح تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة، وكذلك الصدامات الداخلية التي تحدث نتيجة صراعات عرقية أو دينية أو اثنية والارهاب الذي تدعمه نظم أو دول. ومحاولات قلب نظام الحكم في دول صديقة. وأي خطورة على الديمقراطية والإصلاح داخل دول الاتحاد السوفيتي السابق وهي دول آسيا الوسطي وشرق أوروبا أو اي مكان آخر في العالم. والأخطار الاقتصادية التي تهدد الأمن القومي الاميركي.

وكانت هذه الاستراتيجية قد بنيت على اساس التعامل مع تهديدين في آن واحد وذكرت ثلاث دول هي كوريا الشمالية وايران والعراق وان اي صدام رئيسي سيكون مع احدى هذه الدول.

ولكي تنجح الولايات المتحدة في تنفيذ هذه الاستراتيجية كان عليها ان تطور قدرات نقل جوي ونقل بحري سريعة لفتح القوات بسرعة على مسافات بعيدة، وتطوير نظم المسح لأرض المعركة ونظم القيادة والسيطرة والمواصلات والاستخبارات والاستطلاع وتطوير أقمار صناعية عسكرية حديثة ومتقدمة وتطوير طائرات الانذار المبكر "الاواكس" والطائرات "جي ستارز" وان تمتلك حجما كبيرا من الذخائر الذكية والفائقة الذكاء وقدرات كبيرة للامداد بالوقود جوا.

وجاءت حرب الخليج ١٩٩١ لتحقق للولايات المتحدة ما كانت تصبو اليه بشأن استراتيجيتها وتمكنت من اجراء ترتيبات مع دول الخليج لتطوير واضفاء شرعية على تواجد عسكري بالمنطقة وتطوير قدرات الفتح على مسافات بعيدة، وطورت التعاون مع عدد من هذه الدول لاستكمال التمركز المسبق لمعدات الجيش ومشأة الاسطول والقوات الجوية بالخليج. وترى الولايات المتحدة ان هذا التمركز حيوي لزيادة سرعة فتح قواتها وتوفير القدرة على ردع أو إيقاف اي عدوان

مفاجيء على أي دولة خليجية -حسب رأي الولايات المتحدة- من العراق أو ايران.

وجربت الولايات المتحدة في حرب الخليج العديد من الذخائر الذكية والصواريخ والطائرات الشبح... وخرجت بدروس مستفادة لتطوير هذه الاسلحة والمعدات لزيادة كفاءتها ودرجة دقتها كما طورت الصواريخ "توما هوك" بحيث زادت درجة دقتها وزودتها باجهزة تعيين محل كونيه جعلتها قادرة على تفادي اي وسائل اعاقة اثناء طيرانها على خط مرورها الى اهدافها.

وكلنا يعرف ما دار بعد ذلك من فرض عقوبات على العراق وفرض منطقتين يحظر فيهما الطيران شمال وجنوب العراق وكيف تابعت الولايات المتحدة قصف العراق من الجو وبالصواريخ بصورة تكاد تكون دورية لضمان عدم قيام النظام العراقي بإعادة بناء قواته المسلحة -وان كان موقفه المالي والاقتصادي منعه تماما من ذلك -أو القيام بأي عمليات عسكرية في شمال وجنوب العراق لفرض سيطرته عليهما. كما خضع العراق للجان تفتيش من هيئة الأمم المتحدة لتدمير اسلحة الدمار الشامل بكل انواعها التي كان يعتقد انه يملكها وقامت هذه اللجان بتدمير كل ما كان له صلة بأي برنامج نووي وكيماوي وبيولوجي، وقدم رئيس اللجنة تقريرا لهيئة الأمم بتنفيذ المهمة أعلن فيه انه لا وجود لبرنامج نووي وانه تم تدمير كل الصواريخ "سكود" والذخائر الكيماوية والبيولوجية وكانت الولايات المتحدة في ذلك الوقت تطبق استراتيجية الاحتواء المزدوج لكل من العراق وايران.

وفي أواخر التسعينيات تحولت الهند وباكستان الى قوتين نوويتين ولم تتمكن الولايات المتحدة من ان تثني ايا منهما عن ذلك، واضطرت لان تقبل الأمر الواقع واصبحت باكستان اول دولة اسلامية تمتلك هذا السلاح.

تحالف

ثم جاء حادث الحادي عشر من سبتمبر ليخلق فرصة كبيرة للبدء في التنفيذ الفعلي لهذه الاستراتيجية ولتكون الذريعة امام العالم هي الحرب ضد الارهاب واستغلت الولايات المتحدة الحادث لتشكيل تحالف دولي بتأييد من الأمم المتحدة لشن حرب على طالبان والقاعدة بحجة ان القاعدة هي التي قامت بهذا العمل الارهابي ورفض طالبان تسليم قيادة وعناصر القاعدة للولايات المتحدة لمحاكمتهم. وانتهزت باكستان الفرصة وانضمت الى هذا التحالف وسمحت للقوات الاميركية بالعمل من اراضيها واستخدام احدى قواعدها الجوية وعبور اجوائها ورحبت الولايات المتحدة بذلك اذ كانت لديها مشكلة كبيرة في وجود قواعد لشن هذه الحملة. كما استخدمت الولايات المتحدة القواعد الجوية في منطقة الخليج بالاضافة الى نجاحها في استخدام دول اسيا الوسطى الاسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي وباركت روسيا ذلك حتى لا يوجه لها اتهام بشأن ما تفعله في الشيشان. وايضا لتحصل على المعونات التي وعدت بها للخروج من ازمتها الاقتصادية. واستخدمت الولايات المتحدة تحالف الشمال الافغاني للقيام بالمجهود الرئيسي للقتال البري ضد طالبان. ونجحت الحملة على افغانستان في التخلص من نظام طالبان الذي فر زعماؤه وفرت عناصر القاعدة ومازالت القوات الاميركية وقوات تحالف الشمال تطاردهم للقضاء عليهم وشكلت حكومة جديدة في افغانستان كما تم تشكيل قوة حفظ

سلام متمركزة في كابول، وسيطرت الولايات المتحدة على احدى القواعد الجوية لتتمركز بها عناصر من قواتها الجوية وأصبحت قاعدة اميركية تماما. وبهذا اصبح للولايات المتحدة تواجد في افغانستان وفي اسيا الوسطى وفي باكستان وهذا يعني انها على وشك اكمال سيطرتها على اوراسيا التي قال عنها "مستشار الأمن القومي الاميركي السابق انها جائزة الهيمنة الاميركية وان من يسيطر على اوراسيا يسيطر على العالم ثم تطور الأمر ليعلن بوش الابن عقيدته الجديدة وهي الحرب المسبقة "المانعة" التي تسمح بهاجمة أي دولة مارقة تحاول الحصول على سلاح نووي أو تسعى لان تكون من القوة بحيث تردع أي عدوان عليها وأختار ثلاث دول اطلق عليها محور الشر وهي كوريا الشمالية والعراق وايران. ومع ان كوريا الشمالية هي الدولة الوحيدة من الثلاث التي انتجت القنبلة النووية وبرنامجها النووي في مرحلة متقدمة وايران – كما تدعي الولايات المتحدة– امامها ما لا يقل عن ثلاث سنوات بفرض انها تسعى الى الحصول على سلاح نووي والعراق طبقا لشهادة لجان تفتيش الأمم المتحدة لا يمتلك أي سلاح نووي وتم تدمير صواريخه وذخائره الكيماوية –رغم كل ذلك اختار بوش العراق ليطبق استراتيجية الحرب المسبقة، ورغم معارضة الرأي العام الدولي أو اغلبيته تم غزو العراق واحتلاله.

والأمر المحزن حقا ان هناك حقائق مهمة في كل هذه الاحداث منها انه في الحرب العراقية – الايرانية التي كانت على هوى الولايات المتحدة لضرب وردع ايران قام العراق بالمجهود العسكري ودفعت دول الخليج مئات المليارات لدعم هذه الحرب، وكانت نتيجتها اضعاف ايران وتحييد تهديدها ولو مرحليا واضعاف العراق. أي أن دور الأمة العربية هنا كان حاسما لصالح الولايات المتحدة. وفي حرب الخليج الثانية فتحت السعودية أراضيها وقواعدها لاستقبال وتمركز قوات التحالف "درع وعاصفة الصحراء" واشتركت السعودية بقواتها واشتركت مصر بأكثر من فرقتين كاملتين ومجموعة قوات خاصة واشتركت سوريا بفرقة كاملة.. اي ان حجم القوات العربية في "عاصفة الصحراء" كان يزيد على حجم القوات البريطانية والفرنسية ولولا استخدام الاراضي العربية وقواعد دول الخليج لكان من الصعب الى حد كبير على قوات التحالف ان تحقق النجاح في مئة يوم. أي أن الدول العربية ساهمت بقواتها وأموالها لطرد العراق من الكويت وهزيمته وحماية بترول الخليج الذي تعتبره الولايات المتحدة مصالح حيوية لها. وكل تلك الدول دول عربية مسلمة.

وفي الحملة ضد طالبان والقاعدة في أفغانستان كانت مساهمة باكستان ودول آسيا الوسطى وتحالف الشمال الأفغاني المسلم واستخدام القواعد في الخليج العامل الرئيسي في نجاح الحملة والقضاء على طالبان وعلى جزء كبير من عناصر القاعدة وكلها دول مسلمة.

وفي الحرب الاخيرة ضد العراق انطلقت القوات الاميركية والبريطانية من ارض عربية لغزو العراق واستخدمت قواعد في دول خليجية كانت اهمها قطر وسمحت تركيا في بداية الامر باستخدام اراضيها ثم تراجعت لظروف داخلية وكلها دول اسلامية.

كيف يمكن ان يعلن البعض في الولايات المتحدة انها حرب ضد الاسلام والمسلمين وكيف يقبل ذلك؟ ان الاسلام والمسلمين ضد كل أنواع الارهاب ولقد أدانه علماء المسلمين.

ولقد أعلنت الولايات المتحدة ومعها مجموعة الدول الكبرى النووية أنها ضد انتشار اسلحة الدمار الشامل وخاصة النووية منها. وفرضت حظرا على أي تكنولوجيا تساعد في هذا المجال. واتهمت ايران والعراق وكوريا الشمالية بأنها تسعى لذلك، ولكنها لم تذكر شيئا عن اسرائيل التي تمتلك ٢٠٠ رأس نووي ووسائل حملها وتوصيلها من طائرات الى صواريخ بمدى يزيد على ١٥٠٠ كم.

هل ما قاله كيسنجر عن السياسة والأهداف الامريكية عام ١٩٧٣ حقيقي حيث اكد انه يجب اعتبار اسرائيل الرادع الرئيسي في الشرق الاوسط، ورفع درجة العلاقات معها لكي تصبح علاقة شراكة استرايجية، فإسرائيل هي العنصر الذي اجبر العرب في النهاية على قبول حل اميركي للأزمة الفلسطينية واستمرار احساسهم بتهديدها هو الضمان لهرولتهم دائما الى أبواب البيت الابيض.

هل هذا ايضا يفسر رغبة الولايات المتحدة –فيما بعد صدام– في خلق نظام أمني يشمل دول الخليج العربي مع الولايات المتحدة بل هناك اتجاه لضم ايران –إذا رضخت– للمطالب الاميركية وألا يفسر ذلك ضمان الولايات المتحدة لأمن اسرائيل وتفوقها العسكري على العرب وحماية بقائها الدولة النووية الصاروخية الوحيدة في المنطقة لأنها الحليف الرئيسي الاستراتيجي لها؟ ولا مانع لدى الولايات المتحدة من التلاعب بالمباحثات الفلسطينية الاسرائيلية للوصول الى حل تفوز فيه اسرائيل بكل ما تريده ولا يحصل الفلسطينيون إلا على أقل القليل، بل وأن يتحول الشعب الفلسطيني الى كنتونات معزولة عن بعضها تحيط بها اسرائيل من كل جانب؟

وسبق الحديث عن الامن العربي وللأسف الشديد توجد لدى الكثيرين قناعة بعدم وجود قدرة على خلق نظام أمني عربي بل إن البعض يشكك في معنى الامن العربي وبدأت دول مثل ايران تنادي بنظام امني اقليمي تشترك فيه ايران ويشمل الدول الاسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق في آسيا الوسطى "كازاخستان واذربيجان وطاجيكستان وتركمانستان" ومن المؤكد أن الولايات المتحدة والغرب وروسيا سيمنعون نشوء مثل هذا النظام.

ومن المؤكد ان الولايات المتحدة لا توافق على قيام نظام اقليمي عربي ولا نظام اقليمي اسلامي ولكنها تريد نظاما أمنيا خليجيا تكون هي أحد عناصره أو تحت سيطرتها.

انني من المؤمنين بأن الأمن العربي ممكن وهو لصالح كل دولة عربية وليس لحساب دولة أو مجموعة دول اخرى. وضمان الامن القومي العربي يخضع لعوامل تؤثر عليه تفرضها الظروف والأحوال الخارجية والملابسات المحيطة بكل دولة أو شعب عربي على حده الى جانب عوامل تؤثر عليه من داخل الامة العربية ذاتها. والتيارات السياسية العالمية التي تؤثر على الامن القومي العربي منها:

الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للوطن العربي الذي يقع في ملتقى القارات الثلاث وتمر به طرق المواصلات العالمية وبه أكبر كنز بترولي في العالم وهو مركز الاديان الثلاثة: الاسلام والمسيحية واليهودية. والاستراتيجية الاميركية للهيمنة على العالم وتقوم على الهيمنة على كل

بترول الشرق الاوسط وبترول آسيا الوسطى وبحر قـزوين وأوراسيا وخلق حزام احتواء حول الصين حتى لا تـتحول الى قـوة عظمى منافسـة للولايات المتحدة أو على الاقل تـأجيل ذلك الى أطول فترة ممكنة.

وهناك الانحيـاز الاميركي المطلق لاسـرائيل حتى ان بوش أعلن أن الولايات المتحـدة تضمن أمن اسـرائيل وسلامـتـها كـدولة يهـودية ونشر ان بوش يؤمن بـأن الوعد الإلهي "المزعـوم" بفلسطين لليـهود حقيـقي، ويعتقـد أنه بحلول نهاية التـاريخ ستدور مـعركة عظيـمة في أرض اسرائيل الحـالية وأن المواجهـة الحاسمـة ستتطلب مـشاركة اليهـود، وأن اسرائيل أمر حـيوي للتاريخ التوراتي ومطلب حيوي لانجاز الوعد المسيحي، وهذا يتطلب اسرائيل الآمنة في حدودها ولا يتطلب بالضرورة اسـرائيل "الكبرى". ألا يدل ذلك على تطرف الرئيس الاميركي دينيـا كما جاء في مجلة "سيرفايفال"

هيمنة

كل الخطط والاستـراتيجيـات الاميركيـة التي يتم تطويرها وتغيـيرها منذ أواخر ثمـانينيات القرن الماضي وخلال التـسعينيات كـان تهدف الى خلق الظروف واستغـلال كل الفرص لفرض هيمنة امـيركيـة على العالم والسـيطرة على أوراسيا وبتـرول الشرق الاوسط واسـيا الوسطى وحوض بحر قزوين.

تفسير

التفسير الصـحيح لخلق تحالف استراتيجي بين الولايات المتحـدة واسرائيل وتركيا هو خلق شريك استراتيجي يقـوم بمهام فرض الهيمنة على المنطقة العربية واستـمرار التفتت العربي من أجل اهداف اميركية واسرائيلية محددة.

العراق أنقذ كوريا وايران

اميركا غارقة في المستنقع العراقي وتعيد حساباتها في الحرب الوقائية

كوريا الشمالية تجني الثمار بإطالة أمد التفاوض وتطوير برنامجها النووي

الخسائر في العراق والانتخابات الرئاسية يجبران ادارة بوش على المهادنة

ايران تستفيد من درس العراق بالاحتفاظ برادع نووي تحت كل الظروف

بقاء نظام صدام وزواله صداع مستمر في رأس طهران

تدعي مراكز الدراسات الاستراتيجية الغربية انه بعد توقف العمليات العسكرية في العراق، ورغم ما تواجهه القوات الاميركية من مقاومة بدأت الادارة الاميركية من جديد تركيز اهتمامها على تحديات الانتشار التي تقول ان كوريا الشمالية وايران تقومان بها وان سياسة عدم الانتشار الاميركية تحولت من استخدام القوة العسكرية وخطط تغيير النظم بالقوة الى دبلوماسية تقليدية متعددة الاطراف لتغيير تصرفات كل من ايران وكوريا الشمالية.

وقد اكتشف الولايات المتحدة ان كوريا الشمالية خالفت اطار الاتفاق بين الدولتين عام ١٩٩٤ على تجميد الانشطة النووية في مقابل معونات في الطاقة وفوائد اخرى وبعد مواجهة مع كوريا الشمالية في اكتوبر من العام ٢٠٠٢ ضغطت الولايات المتحدة على اليابان وكوريا الجنوبية لايقاف امداد كوريا الشمالية بالبترول طبقا لاطار الاتفاق المشار اليه، وردت كوريا الشمالية على ذلك بطرد مفتشي وكالة الطاقة الدولية النووية. وبدأ نشاط خمسة مفاعلات نووية في بيونج بيون مع الانسحاب من اتفاقية منع الانتشار ووجهت كوريا الشمالية تهديدات بانها لن تقبل حشد قوات اميركية بهدف مهاجمة اراضيها وانها سترد بعنف. وخوفا من تصاعد الموقف نظمت الصين محادثات ثلاثية تشمل الولايات المتحدة وكوريا الشمالية والصين في ابريل ولكن هذه المحادثات لم تثمر وطالبت الولايات المتحدة بتوسيع اي مباحثات مستقبلية لتشمل كوريا الجنوبية واليابان. وزادت كوريا الشمالية من حدة الموقف بأن بدأت معالجة للوقود المستنفد.

وبعد عدة اشهر من المساومات قبلت كوريا الشمالية حدوث مباحثات سداسية الاطراف شملت الصين واليابان وكوريا الجنوبية وروسيا بينما وافقت الولايات المتحدة على لقاءات ثنائية جانبية اثناء المباحثات وبدأت اول دورة للمباحثات السياسية في بكين في اغسطس ٢٠٠٣ حيث عرض كل طرف الخطوط العامة لمطالبه واتفقت الاطراف على الاجتماع مرة اخرى في اكتوبر الحالي. ويقول المحللون ان كل الاطراف كانت لديها رغبة في استمرار المباحثات رغم التشدد الذي ظهر في المباحثات السابقة وبدا ان كوريا الشمالية ادركت ان التصعيد التكتيكي قد تراه

الاطراف الاخرى غير سليم ويسهل جهود الولايات المتحدة في تعبئة الاصوات لفرض عقوبات على بيونج يانج. ومع ذلك فان الولايات المتحدة تعلم انها لن تتمكن من الحصول على دعم من دول المنطقة او من مجلس الامن لتنفيذ اقتراب قوي اذا لم تظهر للعالم اولا ان كوريا الشمالية رفضت حلا دبلوماسيا معقولا.

ويرى المحللون والمراقبون ان تحقيق تقدم في المباحثات سيكون امرا صعبا للغاية بسبب الفجوة بين الاطراف بالنسبة للتوقيتات والتأكد من التنفيذ وتلك ستكون جزء من اي اتفاق وخلال المحادثات الثلاثية التي تمت في ابريل الماضي اقترحت كوريا الشمالية تعديلا لاطار الاتفاق يقضي بان تقوم الولايات المتحدة وكوريا الشمالية بخطوات متزامنة وفي كل مرحلة خطوة واقترحت بيونج يانج اتخاذ خطوات عملية معلنة لوقف برنامجها النووي وقبول التفتيش في مقابل اجراءات اميركية مثل اعادة الامداد بالنفط وعقد اتفاقية عدم اعتداء وتطبيع العلاقات الدبلوماسية ومع ذلك فان النزع الكامل للتسليح النووي يتم تأجيله الى المرحلة الاخيرة وربطه باستكمال انشاء المفاعلات التي تم الوعد بها في اطار الاتفاق.

وفي الوقت الذي اقترحت فيه كوريا الشمالية من قبول بعض الحدود التي تفرض على قدراتها النووية لم تكن مستعدة لوقف برنامجها النووي كلية على الاقل في الوقت الراهن. وكانت الولايات المتحدة قد طالبت كوريا الشمالية بنزع سلاحها النووي تماما وان يتم التأكد من ذلك قبل اي معونات تقدم لها ولكن كوريا الشمالية رفضت ذلك تماما.. وتفكر الادارة الأميركية الآن في ان يتم نزع السلاح النووي الكوري على خطوات وان يرتبط ذلك بخطوات تتخذها الولايات المتحدة وحلفاؤها في مجال الطاقة والمعونات.

ويرى المحللون انه على الرغم من ان واشنطن وبيونج يانج يبدو انهما توافقان على مبدأ الاقتراب على مراحل متدرجة الا انهما على خلاف بشأن التفاصيل وستحاول كوريا الشمالية الاحتفاظ باكبر قدر من اسلحتها النووية لاطول مدة ممكنة بينما ستحاول الولايات المتحدة مقاومة اي اتفاق لنزع سلاح على خطوات متدرجة.

وفي واشنطن يدور جدل بين اولئك الذين يصرون على اقسى شروط رغم اعتقادهم بان كوريا الشمالية سترفضها واولئك الذين يعتقدون بضرورة تقديم تنازلات للحد من قدرات كوريا الشمالية وتجنب خطورة تجمد العمل الدبلوماسي او انهياره كلية ولما كانت كوريا الشمالية الان اكثر اعتمادا على المعونات الأجنبية فقد تتمكن الولايات المتحدة من عقد صفقة افضل في مجال سرعة التحقق وبداية اسرع في اجراءات نزع السلاح النووي الكوري ويبدو انه من غير المحتمل ان اي اتفاق يتم التوصل اليه يمكن ان يحقق نزع سلاح كوريا الشمالية النووي خاصة اذا كانت كوريا تضع في حسبانها المصاعب التي تواجهها الولايات المتحدة في العراق بالاضافة الى ان عام ٢٠٠٤ هو عام انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة مع الفشل الاميركي في حل مشكلة فلسطين وتنفيذ خارطة الطريق كما وعد بوش وكل ذلك يحد من الاختيارات امام واشنطن لانهاء المباحثات واللجوء الى مجلس الامن لفرض عقوبات على كوريا الشمالية.

ويمكن لكوريا الشمالية ان تنفذ تهديداتها بإجراء تجارب نووية او صاروخية للضغط على الولايات المتحدة لتعطي تنازلات ولكن هذا قد يسبب غضب وقلق دول مثل الصين وروسيا تسعى للمحافظة على استمرار المباحثات. ويرى المحللون انه طالما استمرت كوريا الشمالية في الحصول على المعونات الخارجية الضرورية وخاصة من الصين فانها ستكون راضية بان تطول فترة المباحثات الى ان تنتهي الانتخابات الاميركية عام ٢٠٠٤ بينما قدرة الولايات المتحدة على وقف المباحثات والسعي للحصول على قرار بالعقوبات من مجلس الامن ستكون محكومة بوجهات نظر اطراف اخرى وكذا بمصلحتها هي في تجنب ازمة في شرق اسيا ويمكن لكوريا الشمالية ان تجعل الموقف اكثر سوء باستغلال طول مدة المفاوضات في التوسع في قدراتها النووية.

ويرى المحللون ان الحل المناسب بالنسبة للولايات المتحدة قد يكون اتفاقا مرحليا على تجميد البرنامج النووي الكوري لخلق مجال دبلوماسي لمباحثات ومفاوضات طويلة ضرورية للوصول الى اتفاق لكن التأكد من تجميد هذا البرنامج يبقى أمرا صعبا للغاية.

البرنامج الايراني

وبالنسبة لايران يقول المحللون ان الجهود الايرانية للحصول على قدرات نووية بدأت في مطلع الثمانينات ولكنها لم تحقق نجاحات سريعة مثل كوريا الشمالية بسبب قدرات طهران الطبيعية المحدودة ونجاح الولايات المتحدة وآخرين في حظر التعاون النووي مع ايران ماعدا المعونات الصينية والمفاعل النووي في بوشهر من روسيا وخلال التسعينات تلقت ايران تكنولوجيا طرد مركزي للتخصيب من الخارج. ولم يتم الكشف عن البرنامج النووي الايراني الا بعد ان كشفت مجموعة معارضة ايرانية في اغسطس ٢٠٠٢ عن وجود مصنع مياه ثقيلة بالقرب من "اراك" ومصنع تخصيب آخر وبسبب ضغط دولي سمحت ايران لوكالة الطاقة النووية بالتفتيش على منشآتها في يناير ٢٠٠٣ وبناء على هذه المعلومات وماتم من تفتيشات يرى المحللون ان ايران نجحت في اتقان تكنولوجيا التخصيب ولكن من المحتمل ان يتطلب الامر عدة سنوات للانتهاء من اقامة مصنع يمكنه انتاج يورانيوم صالح لصناعة عدد قليل من القنابل سنويا.

ويقول المحللون ان البرنامج الايراني لتطوير قدرة انتاج بلوتونيوم من مصنع المياه الثقيلة مازال متخلفا ويقولون انه لا يعرف شيء عن جهود التصنيع ولكن ايران كما يدعي المحللون تمتلك صواريخ ارض -ارض مصدرها كوريا الشمالية يمكنها توصيل اسلحة نووية جيل اول ثم دخول الصاروخ "شهاب - ٣" ومداه ١٣٠٠ كيلو متر الخدمة في القوات المسلحة.

ويدعي المحللون ان ايران مثلها مثل كوريا الشمالية كانت تكذب بالنسبة لبرنامجها النووي وانها ضُبطت تخالف التزامات الوقاية والامان كما ان مبررات ايران لجهودها بالنسبة للوقود النووي بانه جزء من برنامجها النووي للاغراض السلمية المدنية لم تحظ بقبول من الولايات المتحدة. وتقول وكالة الطاقة النووية الدولية ان ايران لم تبلغ عن حصولها على مواد نووية من الصين وانها قامت بتجارب لتخصيب اليورانيوم مخالفة بذلك شروط الوكالة الدولية للطاقة وقد

عبأت الولايات المتحدة وحلفاؤها ضغطا دوليا على ايران ادى الى صدور قرار من هيئة الطاقة النووية الدولية في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٣ يطالب ايران بان تثبت للهيئة بنهاية اكتوبر الحالي انها اوقفت كل الانشطة التي لها علاقة بالتخصيب حتى تقرر الوكالة ان ايران ملتزمة بالسلامة والامن والشروط التي يفرضها البروتوكول الخاص بذلك وانها طبقت البروتوكول الاضافي وتقبل تنفيذه دون شروط.

ويرى المحللون ان ايران امامها خيار صعب فاذا فشلت في التعاون الكامل مع وكالة الطاقة النووية الدولية او إنسحبت من اتفاقية عدم الانتشار فسوف يتم ابلاغ مجلس الامن بعدم التزام ايران وقد يصدر المجلس قرارات بفرض عقوبات على ايران او يطالبها بايقاف اي نشاطات نووية بالمرة. كما قد يوقف الاتحاد الاوروبي اتفاقية التجارة مع ايران وقد توقف روسيا اي تعاون في مشروع مفاعل "بوشهر" واذا تعاونت ايران مع هيئة الطاقة النووية الدولية فقد يكشف ذلك عن مخالفات سابقة الامر الذي يدعم إتهام ايران بانها كانت تعمل على تصنيع اسلحة نووية. وحذر مسؤولون ايرانيون من ان اي ضغط دولي غير ملائم وغير ضروري سيدعم المتشددين في ايران الذين يطالبون بالانسحاب من اتفاقية منع الانتشار وهذا يعني في رأي المراقبين والمحللين ان طهران ستختار التعاون مع وكالة الطاقة النووية الدولية على اساس ان هذا يعتبر افضل استراتيجية لازالة الضغط الدولي على طهران وخلق انقسام في المعارضة الايرانية وكسب وقت لاستكمال منشأة تانتانز طبقا لشروط وكالة الطاقة النووية الدولية.

ويرى المحللون انه لو ان ضغطا دوليا اضافيا نجح في اجبار ايران على تنفيذ التزاماتها وقبول التفتيش فانها ستحاول الاحتفاظ بمشروعها النووي لانها تعتبره مخرجا لها من تهديدات الولايات المتحدة.. فطبقا لاتفاقية منع الانتشار يسمح لايران قانونيا تطوير وحدة تنشيط لاهداف استخدام الطاقة النووية مدنيا ورغم ان ايران قدمت كل المبررات عن حاجتها الى امتلاك قدرة تخصيب للوقود النووي فان المحللين يعتقدون ان المجتمع الدولي سوف لا يسمح لها بذلك خوفا من انها ستكون قادرة على تحويل جزء من اليورانيوم المخصب الى الدرجة الصالحة لتصنيع اسلحة نووية ويمكنها آنذاك ان تستخدم حقها في الانسحاب من اتفاقية منع الانتشار طبقا لقاعدة مهلة ٩٠ يوما من ابلاغ الوكالة وبعدها يمكن لايران تحويل المنشأة الى انتاج يورانيوم مخصب بدرجة صالحة للتسليح النووي.

ويقول المحللون انه توجد طريقتان لحرمان ايران من ذلك اولاهما التفاوض مع طهران بقبول تنازلها عن البرنامج تماما في مقابل مبادرات اقتصادية وسياسية والثاني مهاجمة هذه المنشآت وتدميرها. والسؤال هنا: اي الحلين ستتبعهما الولايات المتحدة؟ الامر الواضح ان بوش وصف ايران بانها دولة مارقة وفي عقيدته ان مثل هذه الدولة يجب مهاجمتها طبقا لعقيدة الحرب المسبقة.. ولكنه في وضع يستحيل معه القيام بهذه المغامرة الان او في عام ٢٠٠٤ بسبب الانتخابات الأميركية.\علاقات

وبدأ المحللون ومراكز الدراسات الاستراتيجية يناقشون العلاقات الايرانية العراقية بعد

اختفاء نظام صدام حسين. ويقولون أنه رغم التوترات الحادة على مدى سنين منذ نهاية الحرب العراقية الايرانية عام ١٩٨٨ اثبتت الدولتان قدرة على التعاون فيما بينهما. ولكن توجد عدة مشاكل في حاجة الى ان تحل قبل ان تنظر ايران للعراق على انها جار يعتمد عليه.

ويرى المراقبون انه منذ الثورة الايرانية في العام ١٩٧٩ كان العراق التحدي الرئيسي للجمهورية الاسلامية الايرانية فقد كانت القيادة الايرانية لا ترى في العراق تحديا لطموحاتها الاقليمية فحسب بل ان العراق حاول عزل ايران عن العالم العربي وهذا كان بالنسبة لايران تهديدا لها امنيا واقتصاديا وشعبيا.

وتزايدت التوترات بين العراق وايران، وبتشجيع من الولايات المتحدة شن العراق حربا على ايران وكان قرار صدام حسين بشن هذه الحرب احد اخطائه الرئيسية التي ادت الى اثار مدمرة على المنطقة وعلى الامة العربية. فلقد استغل صدام احساس دول الخليج بان ايران تسعى لان تكون لها الهيمنة على المنطقة وطالب الدول العربية بدعم حربه الخاطئة بالمال وفعلا انفقت دول الخليج على تلك الحرب اكثر من ١٥٠ مليار دولار وانتهت الحرب بما اطلق عليه بعض المحللين "لا حرب ولا سلم" ولا مهزوم ولا منتصر رغم ادعاء صدام الخاطيء بانه انتصر فيها. وتعرض الاقتصاد العراقي لازمة حادة وخرج العراق من تلك الحرب مدينا بما يزيد على مئة مليار دولار بالاضافة الى خسائر بشرية كبيرة من الطرفين.

وادى انتهاء هذه الحرب دون اتفاقية سلام رسمية مع العراق الى تكثيف التحديات السياسية الايرانية تجاه العراق، وزاد الطين بله الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ وتداعياته التي نعرفها جميعا.

وشهدت التسعينات توترات مستمرة وثابتة بين ايران والعراق رغم محاولات الولايات المتحدة اصلاح البين بين الدولتين كما يدعي المحللون وشهدت ادارة الرئيس الاميركي السابق كلينتون مولد سياسة "الاحتواء المزدوج" تجاه ايران والعراق كجزء من التعريف الجديد للدول المارقة.

ويقول المحللون ان الولايات المتحدة هجرت فكرة اللعب بالدولتين ضد بعضهما وتحولت الى استراتيجية الاحتواء المزدوج او بتعبير ادق عزل الدولتين وعلى الرغم من ان العراق كانت الدولة الوحيدة من الدولتين التي فرضت عليها عقوبات من الولايات المتحدة ومن الامم المتحدة فان استراتيجية الاحتواء المزدوج وضعت العراق وإيران في قارب واحد رغم الاختلافات الواضحة بينهما في النظام السياسي والتركيب الاجتماعي الاقتصادي وطوال التسعينات استمرت الدولتان اعتبار كل منهما خطرا كبيرا على الاخرى، وظلت القوات المسلحة الايرانية تخشى النظام العراقي ونواياه بصورة عامة.

ولو كانت ايران في ظروف اخرى ربما رحبت بالحرب الاميركية لعزل النظام العراقي بل كان من الممكن ان تقدم دعما لتسهيل ذلك على ألا يؤدي الى تواجد عسكري اميركي في العراق خاصة ان الادارة الاميركية الحالية وضعت ايران ضمن مثلث الشر والمفروض ان تطبق عليه

استراتيجية الحرب المسبقة وتتهم ايران بانها تسعى للحصول على القنبلة النووية لدرجة ان كثيرا من المحللين وضعوا ايران في مكان الدولة التالية بعد العراق للتدخل العسكري الاميركي او باي صورة اخرى لتغيير النظام فيها.

ويرى المحللون انه على الرغم من ان الوقت ساعد على التئام جروح الحرب العراقية الايرانية فان ايران مازالت حذرة تجاه العراق. فايران تخشى من ان النظام العراقي الجديد لاسباب وعوامل داخلية ووجود جذور لطموحات اقليمية سيستمر في اتباع سياسة مضادة لها كما انه نتيجة مواقف سياسية داخلية غير متوقعة في ايران والعراق قد لا يكون اي منهما قادرا على اتباع سياسة ثابتة تجاه الطرف الاخر. ففي ايران على سبيل المثال صراع القوة بين الاصلاحيين والمحافظين يؤدي روتينيا الى تغيرات في السياسة الخارجية بما في ذلك السياسة الايرانية تجاه العراق..

عقدة العراق

ويرى المحللون ان سياسة الامن القومي لايران واستراتيجيتها الدفاعية وكثير من مشترياتها العسكرية تعكس قلقها من العراق واعتباره العدو المحتمل لها.

وعلى كل المستويات النظرية والعملية كانت ايران تستعد لمواجهة اخرى مع العراق. فبرامج تسليحها وتطوير قواتها المسلحة يشير الى ذلك وتحاول ان تتغلب على نقاط الضعف التي ظهرت خلال الحرب الايرانية العراقية في الثمانينات وعلى ضعفها في البحر الذي كشفت عنه حرب الناقلات ومواجهاتها مع البحرية الاميركية عام ١٩٨٧ وكذا تطوير دفاعها الجوي والتغلب على نقاط الضعف فيه التي ظهرت ابان حرب المدن "قصف المدن الايرانية" بالصواريخ ارض – ارض من جانب العراق وكذا التفوق الجوي العراقي خلال تلك الحرب والقدرة على ضرب اهداف استراتيجية. ومن المعروف ان ايران طورت صواريخ ارض – ارض حديثة بمدى وصل الى ١٣٠٠كم كما طورت عددا من الطائرات الضاربة البعيدة المدى التى حصلت عليها من روسيا.

ويرى المحللون ان الحقائق الجغرافية السياسية التي تجعل العراق وايران خصمين لا يجب التقليل من قيمتها فالجارتان اظهرتا قدرات ملموسة رغم التوترات المستمرة على التعاون فيما بينهما للسعي وراء مصالح كل منهما في امن الخليج منذ نهاية الحرب بينهما عام ١٩٨٨ واعادت الدولتان العلاقات الدبلوماسية وبناء بعض العلاقات الاقتصادية القديمة. ويقول المحللون ان ايران اذا ارادت التعامل مع النظام العراقي الجديد المزمع اقامته فعليها ان تكون قادرة على تطوير هذه العلاقات.

كما ان التوترات الاقليمية ابتداء من افغانستان الى باكستان تؤثر على السياسة الخارجية الايرانية وقد يصبح العراق بالنسبة لايران المصدر المباشر للتهديد ومن الواضح ان القوات الاميركية والبريطانية وربما عناصر من دول اخرى ستبقى في العراق مدة لا تقل عن عقد من الزمان كما اعلن بوش وهذا يمثل قلقا كبيرا لايران.

ويرى المحللون ان اتجاه السياسة الاميركية بالنسبة لايران سيجعل من المستحيل ان تنجح طهران في اي تعاون مع دول مجلس التعاون الخليجي بالنسبة لسياستها تجاه العراق.

واذا اعتبرت ايران انها الدولة التي عليها الدور لتطبيق استراتيجية الحرب المسبقة الاميركية فانها ستعتبر العراق خط الدفاع الاول وستبحث عن اساليب لمنع الولايات المتحدة من ايجاد الوقت او الفرصة لتأمين سيطرة حاسمة على العراق واحد الحلول الممكنة لتحقيق ذلك هي جعل الولايات المتحدة مشغولة في السيطرة على العراق باستغلال عملائها.

ان طهران واطرافا اخرى في منطقة الخليج ترى ان الولايات المتحدة قد ازالت اكبر مصدر لعدم الاستقرار للخليج ولايران وادى ذلك الى تحول في ميزان القوى بالخليج وفي هذا المناخ فان امام ايران خيارين:

اما الاستمرار في مقاومة اختراق الولايات المتحدة للمنطقة او استغلال الموقف وتوسيع سياسة المهادنة والدبلوماسية لتحقيق فوائد ومصالح اقتصادية وسياسية ومع ذلك فان تصرفات الولايات المتحدة هي التي ستحدد اي الطريقين ستسلك ايران.

ان تصرف الولايات المتحدة بالنسبة لما تعنيه من ان ايران هي احد العضوين الباقين في محور الشر سيحدد اي المسارات ستسلك ايران فايران تتعرض لضغوط اميركية لقبول خارطة الطريق بالنسبة للمشكلة الفلسطينية وتخشى من ان الحكومة العراقية الجديدة المتوقع اقامتها ستكون دُمية اميركية قد تستخدم ضد طهران بصورة او باخرى.

تصعيد

تواجه المباحثات المقبلة بشأن الازمة النووية الكورية صعوبات جمة حيث تصر كوريا الشمالية على استبعاد اليابان منها بوصفها طرفا غير محايد.. كما عادت بيونغ يانغ لتصعيد لهجة التهديد حيث قالت انها انتجت بلوتونيوم يكفي لصنع ست قنابل نووية على الاقل.

خطوات

أتخذت ايران خطوات اضافية لتجنب الضغوط الاميركية ومن وكالة الطاقة الذرية فسمحت بجمع عينات من الموقع الذي تعتقد الوكالة ان ايران اجرت فيه ابحاث تخصيب ووفرت معلومات عن أنها حصلت على اجزاء ملوثة بالاشعاع من مصدر أجنبي في المكان الذي اكتشفت فيه الوكالة جزيئات من يورانيوم مخصب وسمحت طهران باتمام زيارة مؤجلة لوفد الوكالة لأراضيها في الثاني من اكتوبر الحالي.

عالم جديد بعد غزو العراق

أميركا ستحتل العراق سنوات لكنها ستفقد الانفراد بالهيمنة

أوروبا لن تقف مكتوفة الايدي إزاء تهديد مصالحها الاقتصادية

تكاليف الحرب ١٣٢ مليار دولار سيدفعها شعب العراق من البترول

أميركا حريصة على انهاء الحرب قبل ارتفاع درجة حرارة ابريل

مواجهة عسكرية جانبية بين تركيا والاكراد في شمال العراق

مازال الموقف بالنسبة للازمة العراقية يشير إلى أن الولايات المتحدة ستشن الحرب قريبا على العراق.. وقد وصل حجم حشد القوات بالمنطقة الى اكثر من ٢٥٠ الف جندي وست حاملات طائرات اميركية وحاملة طائرات بريطانية كل ذلك رغم اتجاهات كثيرة على الساحة الدولية تعارض الحرب وتطالب بحل سلمي.

ويؤكد اتجاه الحرب ان وسائل الاعلام الرئيسية في الولايات المتحدة تتحدث باستفاضة عما بعد صدام.. وركزت على من سيحكم العراق. وقالت ان الاستيلاء على العراق سيكون اسهل من اعادته لشعبه وان الادارة الاميركية ترى ان أمورا كثيرة تتوقف على كيف ستدور الحرب وكيف ستنتهي.

وتقول ان خطط ما بعد الحرب تتطلب طريق اقتراب خاصا ومع ذلك يوجد داخل الادارة انقسام في الرأي حول الحل الامثل.. وطبقا لدراسة قام بها البنتاجون عن تكاليف الحرب فانها ستتكلف ١٣٢ مليار دولار منها: ٣٥ مليار دولار تكاليف مباشرة للحرب وعشرة مليارات مساعدات لحلفاء بالمنطقة وثلاثة مليارات دولار مساعدات انسانية و٤٥ مليار دولار تكاليف احتلال العراق و٩ مليارات دولار مرتبات الشرطة العراقية وموظفين عراقيين خاضعين للسلطة الاميركية بالعراق و٣٠ مليار دولارتكاليف اعادة البناء.

وتقول الدراسة ان هذه تقديرات اولية وستزيد على ذلك بكثير. وفي خطاب للرئيس بوش في الاسبوع الماضي اشار الى مدى ومستوى نوايا الولايات المتحدة تجاه العراق في ضوء ما تم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لاعادة بناء اليابان والمانيا الغربية باعتبارهما نموذجا لما سماه عراقا جديدا.

احتلال

وتطلق الإدارة الاميركية على هذه الحرب «حرب تحرير العراق» ولكن الامر لا يعدو ان يكون احتلالا تقليديا بواسطة قوات ستدير الدولة الى ان يتم اتخاذ قرار باعادتها الى شعب العراق اذا

كانت النية في ذلك صادقة. ويقول المسؤولون الاميركيون ان الخطة تنص على سيطرة عسكرية قوية تحت قيادة الجنرال تومي فرانكس. والسؤال الذي لم يجب عليه احد الى متى ستستمر هذه السيطرة؟ ومع ذلك اجاب الرئيس بوش على التساؤل حينما قال بانهم سيبقون في العراق المدة اللازمة وطول هذه المدة يتوقف على قرارات صعبة خاصة بدور الولايات المتحدة داخل العراق. وهل ستكون مهتمة بتأمين الاستقرار او تجنب شبهة الاحتلال؟ وهل ستضع اسس البناء السياسي للدولة ثم تخرج من العراق؟ ومع ذلك فان المحللين يعتقدون ان مدة الاحتلال ستكون طويلة وانها ستتطلب بقاء ٢٠٠ الف جندي داخل العراق لفترة لا تقل عن العام ثم بعد ذلك يقل العدد لمدة اخرى اطول قد تصل الى سنوات.

ويقدر الخبراء ان حجم القوات سيكون ما لا يقل عن ٩٠٠٠٠ جندي لبضع سنوات بعد ذلك.

ويقول المحللون والمراقبون ان التواجد العسكري الاميركي في العراق ضروري بعد التخلص من صدام حسين ونظامه وان الامر يتطلب وجود من يقوم بتنظيم المعونة الانسانية للمدنيين على أساس ان ٦٠ في المئة من شعب العراق – على حد قولهم – يعتمد على الحكومة في الحصول على الغذاء والاحتياجات المعيشية والتحرير كما يطلق الاميركيون على الاحتلال لن يلقى ترحيبا من شعب العراق اذا لم يتم توفير الاحتياجات للناس بسرعة.. ومن الامور التي تهتم بها الخطة الاميركية تأمين حدود العراق ومنع حدوث ما يطلقون عليه تصفية حسابات بين العراقيين وبعضهم والحفاظ على كيان المجتمعات الثلاثة – الاكراد والسنة والشيعة – ومنعهم من الاقتتال فيما بينهم والبحث عن اي اسلحة دمار شامل قد تكون مخبأة داخل العراق.

وتفيد الانباء بان الولايات المتحدة تبحث توجيه انذاراتها إلى صدام حسين في خلال الايام القادمة اي قبل بداية الغزو بساعات او بأيام قليلة اذ من المتوقع بصورة شبه مؤكدة ان العمليات العسكرية ضد العراق ستبدأ في الاسبوع الثالث من مارس. كما ان وزيري خارجية روسيا وفرنسا أكدا ان دولتيهما لن تسمحا بمرور قرار جديد بمجلس الامن يسمح باستخدام القوة ضد العراق كما ان الصين تؤيد ذلك.

وأكد مسؤولون في الادارة الاميركية ان بوش واثق بالمحصلة النهائية وانه سيواصل مشاوراته مع الحلفاء بشأن مشروع القرار الأميركي البريطاني برغم تصريحات وزيري الخارجية الفرنسي والروسي.

اما وزير الخارجية الاميركي كولن باول فقال ان الولايات المتحدة جاهزة تماما لشن الحرب على العراق سواء بتفويض او بلا تفويض من مجلس الامن. واكد فشل الجهود المبذولة لنزع اسلحة العراق بالوسائل السلمية.

ولعل ابرز ما يدور الان هو ما اعلنه رئيس الاركان التركي ردا على قرار البرلمان برفض السماح للقوات الاميركية بالهجوم على العراق من الاراضي الاميركية اذ قال ان تركيا ستخسر الكثير اذا أصرت على هذا الرفض وقرر عرض الامر من جديد على البرلمان علما بان الدستور التركي يسمح لقيادة القوات المسلحة بفيتو «اعتراض» على اي قرار على اساس انه يؤثر على

الامن القومي التركي ومن المتوقع اما ان يرضخ البرلمان التركي لمطلب القوات المسلحة او تعلن القيادة العسكرية حل البرلمان. وهذا يعني ان تركيا توافق على مطالب الولايات المتحدة. ومن المعروف ان حشد القوات والمعدات الاميركية في تركيا لم يتوقف لحظة واحدة والاجراءات تتم لتنفيذ الهجوم من الاراضي التركية.

ومن الانباء المثيرة كذلك ان توني بلير رئيس وزراء بريطانيا سافر الى واشنطن في محاولة لادخال تغيير ما على مشروع القرار المقدم لمجلس الامن وربما كان ذلك بسبب موقف الدول الثلاث روسيا وفرنسا والمانيا المصمم على عدم صدور قرار من المجلس يسمح للولايات المتحدة بشن الحرب ولا احد يعرف ماهو التغيير الذي يسعى توني بلير لتحقيقه ومع ذلك اعتقد انه حتى بفرض نجاحه فلن يغير القرار الاميركي بشن الحرب وستشترك بريطانيا وعدد من الدول في تلك الحرب وفي مقدمة تلك الدول اسبانيا وايطاليا وتركيا.

وبلغ حجم القوة البريطانية في الخليج ٤٥ الف جندي وان المعلومات تفيد بانه قد صدرت تعليمات لهذه القوة ان تكون جاهزة لبدء الغزو يوم ١٧ مارس الحالي وسيسبق الهجوم البري حملة جوية مكثفة.

إن هناك رأيا عاما دوليا يطالب الولايات المتحدة بان تعطي الفرصة الكافية والكاملة للمفتشين الدوليين للانتهاء من مهمتهم وتدمير كل اسلحة الدمار الشامل في العراق وكل الصواريخ المخالفة لمدى ١٥٠ كم المعلن ومع ذلك فان الولايات المتحدة تقول ان صدام حسين يتلاعب وانه مازال يخفي مواد كيماوية وبيولوجية وانه لن يدمر كل صواريخه وهذا في رأي الولايات المتحدة سبب كاف لتقوم هي وحلفاء لها بشن الحرب على العراق.

وتقول دراسة لأحد مراكز الدراسات الاستراتيجية ان العراق هو المكان الاكثر منطقية لاعادة تمركز قواعد الولايات المتحدة الشرق اوسطية في القرن الواحد والعشرين وان اعادة تمركز القواعد الاميركية هناك يمثل استجابة للتغيير الدينامي اكثر من كونه تكريسا لوضع قائم. وتقول الدراسة ان هناك أمرين رئيسيين في الواقع الراهن يجعلان تكريس هذا الوضع صعبا وهما وجود قواعد غير مؤمنة في بعض دول المنطقة وسيطرة الاسرائيليين على اربعة ملايين فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولا اعتقد ان الولايات المتحدة ستترك اي قواعد حصلت عليها بالمنطقة وان القواعد التي ستحصل عليها في العراق هي اضافة الى ما لديها وتزيد سيطرتها على المنطقة.

حرب قذرة

وكدليل على ان الحرب قادمة ما اعلنه رئيس الاركان المشتركة الاميركي الجنرال ريتشارد مايرز من ان الحرب الوشيكة ضد العراق ستكون بالغة الخطورة وستتعرض القوات الاميركية فيها لخسائر تفوق خسائرها في حرب الخليج عام ١٩٩١ بل وصف الحرب الجديدة بانها قد تتحول الى حرب قذرة اذا استخدم العراق فيها اسلحة كيماوية وبيولوجية. واعلن ان القوات المشتركة في المنطقة حاليا يمكنها شن هجوم في شمال العراق بدون دخول الاراضي التركية.

وكـان بوش قد ناقش خطة الحـرب في الخـامس من مارس في البـيت الابيض مع فـريق الامن القومي والجنرال تومي فـرانكس المكلف بقيادة القوات الامـيركية في تلك الحـرب. وحضر هذه المناقشـة وزير الخارجـية الاميـركي كولن باول ووزير الدفـاع رامسفـيلد وزعمـاء الكونجرس وخرج زعيم الديمقراطيين من الاجتماع ليعلن ان الاحداث تقترب من ذروتها.

وقال المسؤولون في البنتاجـون ان الطائرات الاميركية ستلقي فوق الاهداف العـراقية خلال الايام الاولى من الحملة الجوية اضعاف القنابل التي اسـتخدمت خلال حرب الخليج عام ١٩٩١ واطلقوا على ذلك اسم «استـراتيجية الصدمـة والرعب» كما اكدوا ان اجمالي حـشد القوات الان ٢٣٠ الف جندي وانه سيصل خلال الايام القليلة القادمة الى ٣٠٠ الف جندي.

ويتحدث المحللون عن الموقف الالماني من الحرب وكيف ان المستشار الالماني شرودر قال بان الطريقة التي سـوف تسود بعـد تسوية الازمة العـراقية سـوف تقرر مصـير العالم كله لفـترة عشرين عامـا وانه لو تمت الموافقة في مجلس الامن على قيام الولايات المتـحدة بشن الحرب فان هذا يعني اقرارا بان العالم خاضع وان مـعارضة المانيا وفرنسا قد لا تمنعـا القرار ولكنها تحقق اهدافا ستظهر جدواها في المسـتقبل المنظور اهمها تعرية الدوافع الامبرياليـة الاميركية من وراء غطاء الشرعية الدولية لعملها.

إن فرض السـيطرة العسكرية الامـيركيـة المطلقة على المنطقة سـيجعل واشـنطن هي البوابة للدخول الى تلك المنطقة اقتصـاديا. وطبقا للمصادر فقد ارتفعت الصادرات الالمانيـة بنسبة عالية الى منطقة الشـرق الاوسط ووصلت عام ٢٠٠١ الى ١٤ مليار يورو واحـتمالات الزيادة قـائمة ونفس الامر ينطبق على فرنسا بالاضافة إلى مصالح شركات البترول.

ولروسيا مصالح اقتصادية كبيرة في العـراق سواء مبيعات سلاح بثمانية مليارات دولار أو العـمل في مـجال البـتـرول اي ان دوافع روسيـا لمنع الحـرب هي ايضـا مصـالح اقـتصـادية استراتيجية.

ووسط كل هذه الاحداث يخرج احد رجال صدام حسين ليـهدد بان كل القواعد الاميركية في كل الدول معرضة لضربات صاروخية عراقيـة حتى ان بلغاريا بدأت تتخذ اجراءات لحماية احد موانيها من احتمال التعرض لضربات عراقية كما ان مثل هذا التصريح يمكن ان يتخذ دليلا على ان العراق لم ينفذ قـرارات الامم المتحدة ويساعد الـولايات المتحدة الحصول على تسـعة اصوات في مجلس الامن تؤيد مشروع القرار.

والامر المحير هنا كيف سيتمكن صدام حـسين من ضرب هذه القواعد التي تبعد عن اراضيه مسافات تزيد على المئـة والخمسين ميلا التي قد يصل اليها الصـاروخ «الصمود-٢» بفرض انه مازال يحتفظ بعدد منها وهذه ايضا مخالفة صريحة لقرارات مجلس الامن وطلب لجنة التفتيش؟ ويبدو ان صدام حسين مازال يعتقد انه انتصر في حرب الخليج التي اطلق عليها «ام المعارك».

وبغض النظر عن نجـاح او فـشل الدول الثـلاث فرنسـا والمانيـا وروسيـا في منع الحـرب لتصمـيم الولايات المتحدة على شنهـا بتصريح او بدون تصريح من مـجلس الامن فان الظاهرة الجديدة ان اوروبا بدأت مواجهة تفـرد الولايات المتحدة بالقرارات الدولية ولابد ان هذه الظاهرة

ستحد الى حد ما من طموحات الولايات المتحدة في ان تهيمن على العالم واعتقد ان الامر يحتاج من الامة العربية والدول الاسلامية إلى ان تعمل على دعم تلك الدول الاوروبية باساليب كثيرة اهمها زيادة التجارة معها على حساب التجارة مع الولايات المتحدة وقيام الاغنياء العرب بنقل استثماراتهم واموالهم من الولايات المتحدة الى تلك الدول وخاصة المانيا وفرنسا وروسيا فالعلاقات الاقتصادية لها تأثير كبير على السياسة والاستراتيجية الدولية واعتقد ان تلك الدول سترحب بذلك الى جانب انها دول متقدمة تكنولوجيا وصناعيا.

ومما سبق يتضح ان تاريخ ١٧ مارس هو التاريخ المحتمل لبدء الحملة الاميركية على العراق.

وعلى الجبهة التركية افادت الانباء ان القوات التركية قامت بتحريك قوة قوامها حوالي ١٥٠٠٠ رجل ومدرعات ومركبات قتال بحجة انها ستنشرها على الحدود مع العراق لمنع اللاجئين العراقيين من عبور الحدود الى تركيا عندما تبدأ الحرب. كما تقول الانباء ان الاكراد العراقيين الموجودين في منطقة ذات حكم ذاتي في شمال العراق ليست تحت سيطرة القوات العراقية هددوا بانهم سيقاتلون اي قوات تركية تدخل العراق على اساس ان هذه القوات ستكون مهمتها القضاء على الاكراد.

وخلاصة الموقف ان الولايات المتحدة ستشن حربها ضد العراق بموافقة مجلس الامن او بدون موافقته وهذا هو ما قررته ادارة بوش وصقوره ورغم تحذير روسيا وفرنسا من ان الحرب ستؤدي الى عدم استقرار بمنطقة الشرق الاوسط وربما في العالم كله فان الولايات المتحدة مقدمة على ذلك لا محالة. ومن المنتظر ان يبدأ الهجوم مع بداية الاسبوع الثالث من مارس على امل ان تنتهي العمليات خلال الفترة الباقية من شهر مارس قبل حلول شهر ابريل الذي تصل فيه درجة الحرارة نهارا الى ٣٨ درجة مما يؤثر على اداء الجنود. كما ان تكلفة هذه الحرب التي قُدرت بحوالي ١٣٢ مليار دولار سيدفعها العراق من البترول الذي ستستولي عليه الولايات المتحدة التي تدعي انها ليست دولة استعمارية وان دخل البترول سيتم انفاقه على شعب العراق وستكون شركات انتاج الاسلحة والذخائر الاميركية احد الرابحين الرئيسيين من هذه الحرب لانها باعت اسلحة بالمليارات وستنتج اسلحة وذخائر جديدة بالمليارات والخاسر الرئيسي سيكون العراق.

العراق وفلسطين

لقد اغضب بوش كل العرب برفضه الضغط على إسرائيل للانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة والكف عن ممارساتها القمعية ضد الشعب الفلسطيني. وترى مراكز الدراسات الأميركية انه بعد ان تحقق الولايات المتحدة حسما في حربها على تنظيم القاعدة والعراق ستصبح قادرة على اجبار إسرائيل على الانسحاب واقرار حقوق الشعب الفلسطيني، وهذا يعني ان واشنطون ستؤجل أي قرار خاص بالقضية الفلسطينية إلى ما بعد رحيل صدام حسين.

شارون يعرف

يبدو ان رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون على علم بكل تفاصيل مخططات الرئيس بوش وإدارته بشأن العراق لذلك يواصل قمعه ويضاعف اعماله العدوانية ضد الشعب الفلسطيني

المناضل اعتمادا على اتجاه المجتمع الدولي كله إلى العراق.

غير حقيقي

كلام مراكز الدراسـات عن عدم قدرة بوش على الضغط على إسرائيل غير حقـيقي وتأخيره هذا الضغط جـاء بقرار منه ولانه بعد الانتـهاء من العراق سـيحل القضـية الفلسطينية بما يفـيد إسرائيل.. كما ان تأخير مسألة الجولان السورية ورقة ضغط على دمشق حتى لا تعرقل الحملة العسكرية الأميركية على العراق.

ماذا بعد ضرب العراق؟

الحرب مؤكدة وزوال نظام صدام حتمي والمد الأميركي لن يتوقف

المحور الالماني الفرنسي الجديد مجرد محاولة يائسة لاثبات الوجود الاوروبي

الجهود العربية لمنع الحرب عبثية ولابد من التركيز على مواجهة النتائج المؤكدة

باول تراجع عن اعتداله القديم وانضم الى معسكر الصقور المندفع الى الحرب

صدام لم يتغير ومازال يهدد الكويت رغم أن الهجوم الرئيسي سيكون من تركيا

منذ أيام عاد قلب اوروبا للنبض كما يقول المراقبون عندما قالت اكبر دولتين في الاتحاد الاوروبي- فرنسا والمانيا- لا للحرب وان مجلس الأمن هو الوحيد الذي يقرر ذلك. وكان ذلك في تقييم مشترك للرئيس الفرنسي جاك شيراك والمستشار الالماني شرودر أمام برلماني الدولتين في جلسة مشتركة للاحتفال بمرور أربعين عاما على معاهدة الاليزية.

ويرى المحللون ان الهدف غير المعلن لهذا الاحتفال هو الخروج بموقف قوي يضع حدا للهيمنة الأميركية ويعلن عن مولد محور قوي جديد يمكنه ان يؤثر على الاحداث. ويقول «لا».

ويعتقد المحللون ان فرنسا والمانيا تشكلان معا رابع قوة عسكرية ضاربة في العالم الى جانب انهما القوة الصناعية الثالثة في العالم. ومن المعروف ان لفرنسا حق الفيتو في مجلس الأمن وانها ستستخدمه اذا تطلب الأمر ذلك. والسؤال: هل للدولتين قدرة تأثير على أعضاء آخرين بالمجلس؟ وهل ستنضم الى الفيتو الفرنسي المفترض كل من روسيا والصين لمعارضة الحرب؟ وهل هذا سيردع واشنطن عن شن الحرب ضد العراق؟

وكانت الولايات المتحدة قد طلبت من حلفائها في الاطلسي عدة مطالب أهمها:

■ وضع كل ابراج المراقبة الجوية لدول الحلف تحت سيطرة وتصرف القوات الاميركية، وكذلك رادارات الكشف الدقيق وطائرات الاستطلاع والانذار المبكر «الأواكس».

■ وضع كل السفن الحربية تحت تصرف البحرية الاميركية ووضع كل قواعد الدفاع الجوي وبطاريات الصواريخ «باتريوت» المضادة للصواريخ تحت سيطرة القوات الاميركية. وطبقا لما نشرته مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية فان فرنسا والمانيا تمتلكان معا حوالي ١١٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة وأكثر من ٣٠٠ دبابة قتال رئيسية، و٤٠٠ رأس نووي وعددا كبيرا من القطع البحرية.

ملاذ آمن

ونشرت صحيفة «كريستيان سايانس مونيتور» ان الولايات المتحدة تدرس خيار تغيير النظام العراقي بدون حرب، وان عددا من مستشاري بوش يروجون لفكرة نفي صدام حسين ومعاونيه الأساسيين في القيادة العراقية طواعية، وان وزير الدفاع الاميركي رامسفيلد ومستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس من بين من يروجون لهذه الفكرة. وتزعم الصحيفة ان عددا من الدول العربية -وهو أمر مشكوك فيه- تبنت هذه الفكرة وتشترط سلامة صدام وعائلته وبطانته وتوفير ملاذ أمن لهم ربما يكون موريتانيا.

ولم تشر الصحيفة الى ما اذا كانت هذه الفكرة -بفرض نجاحها- تقضي بدخول قوات حفظ سلام ضخمة بقيادة الولايات المتحدة للسيطرة على العراق وتغيير النظام على نمط ما تم بالنسبة لليابان بعد الحرب العالمية الثانية، وهو امر تصر عليه الولايات المتحدة سلما أو حربا، ورفضه العراق شكلا وموضوعا. وفي الوقت ذاته تتحدث مجلة «ديفنس آندفورين أفيرز» عن ان توسيع وتنشيط منطقتي حظر الطيران في جنوب وشمال العراق هي الآلية التي يمكن ان تستخدم لبدء الحملة العسكرية الاميركية ضد العراق. وتقول ان الولايات المتحدة تتعرض لضغوط بألا تتصرف منفردة في الازمة العراقية وان منطقتي حظر الطيران اللتين فرضتهما الولايات المتحدة منفردة دون تفويض من الأمم المتحدة بعد حرب الخليج اصبحت لهما اهمية ملموسة.. فبالنسبة للنظام العراقي تمثل هاتان المنطقتان صلب المقاومة العسكرية العراقية بل وترى انه يمكن للعراق ان يحرج الولايات المتحدة بأعمال يقوم بها في المنطقتين كأن يسقط طائرات من الدوريات الاميركية ويتحدى فرض الحظر.. الخ. وبالنسبة لمجلس الأمن فان المنطقتين تمثلان منطقة رمادية تتدخل فيها الولايات المتحدة اساسا مع حليفتها بريطانيا بحرية كاملة بعيدا عن أي فيتو لأي دولة لها حق الفيتو في مجلس الامن مثل روسيا والصين وفرنسا، أما بالنسبة للولايات المتحدة فان المنطقتين تمثلان منفذا يسمح لها بأن تبدأ التحضير لعمليات عسكرية رئيسية ضد العراق.

ويرى كثير من المحللين أن مناطق حظر الطيران تغيرت اهميتها في البيئة الدبلوماسية المعقدة الحالية للأزمة العراقية اذ اصبحت بالنسبة للولايات المتحدة تمثل جزء من تحضيرات لأعمال عسكرية قادمة، واحتمالات شن الولايات المتحدة لحرب ضد العراق امر يكاد يكون مؤكدا، بل ان البعض يجادل بأن الحرب بدأت فعلا بالضربات التي تتم من وقت لآخر ويطلقون على ذلك تعبير «الحرب المتدحرجة» وتشمل «اسكات او كبح» الدفاعات الجوية للعدو وعمليات فرض السيطرة الجوية وعمليات حرب نفسية تحت عنوان مناطق حظر الطيران التي تمثل آلية فعالة يمكن للولايات المتحدة من خلالها التصعيد تدريجيا للعمل العسكري داخل العراق اما منفردة أو تقديم فرصة لشركائها في مجلس الامن لتحقيق هدف محدد وهو تغيير النظام، كما ان عددا من الاحداث داخل العراق قد تؤدي الى توسيع نطاق مناطق حظر الطيران وتغييرها وأي مخالفة عراقية للمناطق المحظور فيها الطيران قد تؤدي الى مد الحظر الى مناطق اخرى وكذا فرض ممرات فوق المناطق التي ترى الولايات المتحدة انها لازمة لتحرك فرق التفتيش للقيام بمهامها،

كما يمكن عزل مناطق معينة بواسطة القوات الجوية الاميركية لأي اسباب تراها الولايات المتحدة.

وتحدثت الصحافة الاميركية عن قلق حلفاء الولايات المتحدة بالنسبة للحرب ضد العراق. وقالت انه في الوقت الذي يبحث فيه الرئيس بوش عن دعم دولي لحملته فانه يواجه مدى واسعا من المواقف المحبطة من جانب حلفائه، فالرئيس الفرنسي جاك شيراك رغم انه لم يستبعد نهائيا العمل العسكري الا انه يصر على أن يكون هذا الخيار هو الأخير بعد استنفاد كل الوسائل الدبلوماسية. وترى اسبانيا– رغم استعدادها للمشاركة في الحملة– انه يجب ان تقوم الامم المتحدة اولا بتقييم تقارير المفتشين. اما المانيا فان المستشار شرودر استبعد نهائيا اشتراكها في اي عمل عسكري ضد العراق، وحذر الرئيس الروسي بوتين من أن روسيا ليست مستعدة لاعطاء موافقتها على الحرب.

وتحدثت هذه الصحف عن ستة اسباب وراء طلب الحلفاء الغربيين من الولايات المتحدة ان تبطيء من خطوات اندفاعها نحو الحرب وهي:

- غياب دليل واضح على أن العراق يمتلك اسلحة تدمير شامل وصواريخ بعيدة المدى.
- اعطاء لجان التفتيش وقتا اضافيا لاستكمال المهمة وتأكيد خلو العراق من هذه الاسلحة.
- يجب أن تكون الأمم المتحدة هي الجهة الوحيدة التي تعطي التصريح بالخيار العسكري.
- ان غزو العراق يعرقل الحرب ضد الارهاب.
- الاوروبيون غاضبون من اسلوب الكاوبوي الذي ينتهجه الرئيس بوش.
- ان السياسة الخارجية الاميركية متكبرة الى حد كبير.

وذكرت وسائل الاعلام الاميركية ان الرئيس بوش أعلن انه من المحتمل استخدام سلاح نووي لضرب مراكز تواجد صدام حسين المحصنة على عمق كبير في بغداد. وهذا التصريح تطور خطير فيما يمكن أن يحدث من اثار تدميرية في مدينة بغداد كما ظهر ازدياد الاصرار الاميركي على التفرد باستخدام القوة ضد العراق الامر الذي يلقي بظلال من الشكوك حول القوة المفرطة للدور الاميركي في العالم حتى ان أحد كبار الشخصيات البريطانيين وهو تيموثي آسن «مدير مركز الدراسات الاوروبية في جامعة اكسفورد» صرح بان القوة الاميركية بلغت حدا بعيدا لم يعد في صالح أحد بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها لأن اغراءات التفرد بالقوة الطاغية تجعلها تؤمن بعدم وجود من يمكنه ان يواجهها من خصوم أو تكتلات، الأمر الذي يجعلها تتصرف خارج القوانين الدولية، وهذا يعني ان الولايات المتحدة عازمة على غزو العراق رغم اعتراضات دول كبرى مثل فرنسا وروسيا والصين ورغم عدم صدور تصريح من مجلس الامن باستخدام القوة العسكرية ضد العراق.

دمار شامل

ومن الأمور المثيرة للقلق ما تناقلته وسائل الاعلام عن تزويد القوات الاميركية التي يتم

حشدها لغزو العراق بأسلحة كيماوية. كل ذلك يعني احتمال استخدام هذه القوات لاسلحة دمار شامل ضد العراق، ولو تم استخدام هذه الاسلحة فلن يقتصر تأثيرها على العراق وانما سيتعدى ذلك الى دول الجوار في الوقت الذي كانت الذريعة الاساسية للهجوم على العراق هي نزع اسلحة الدمار الشامل العراقية رغم عدم ثبوت اي ادلة على امتلاك العراق لهذه الاسلحة ورغم قيام لجان التفتيش بالعمل بحرية كاملة داخل العراق للبحث عن مثل هذه الاسلحة وتدميرها. وفي الوقت الذي تعلن فيه الولايات المتحدة أن أحد اسباب الحرب ضد العراق هو أمن اسرائيل التي تمتلك اسلحة دمار شامل نووية وكيماوية وبيولوجية.

وتتحدث الصحافة الاميركية عن الحرب ضد العراق وكيف ستختلف عن الحرب في افغانستان. فالحرب في افغانستان «الحملة الاميركية ضد طالبان والقاعدة» كانت حربا غير تقليدية واعتمدت الى حد كبير على عملاء من وكالة المخابرات المركزية الاميركية الذين كانوا يحملون اكياسا مملوءة بالدولارات لشراء ولاء المقاتلين المعادين لطالبان، اما بالنسبة لصدام حسين فان الامر يتطلب طرازا قديما من الصدامات يتطلب الوفا من مشاة الاسطول وجنود الجيش يحملون الاسلحة الحديثة والقنابل اليدوية.

ومن الملاحظ انه مع كل خطوة تتخذها اميركا تجاه حرب العراق كان وزير الدفاع رامسفيلد يدير الامور بطريقته الخاصة، فقد كان يمسك بأوراق فتح القوات حتى آخر لحظة مطالبا بإجابات وتفسيرات عن الوحدات واين ستذهب ولماذا؟ وكان يطالب الجنرالات باعادة وضع خطط لغزوالعراق وعزل صدام حسين. وكان الجنرال تومي فرانكس من المفروض انه القائد الذي سيدير الحرب كقائد للقيادة المركزية الاميركية وهو الذي يعد الخطة عمليا، ولكن ضباط البنتاجون يقولون ان هذا الجنرال قد يكون صانع الوثائق أو «المصمم» أما رامسفيلد فهو المهندس.

ومن التطورات الأخيرة داخل الادارة الاميركية تحول موقف وزير الخارجية كولن باول من التريث والصبر تجاه العراق الى مهاجمة العراق بل ومهاجمة حلفاء الولايات المتحدة الاوروبيين بسبب معارضتهم لهذه الحرب. وقال باول ان الامل اصبح ضئيلا جدا في ان تنتهي الازمة مع العراق عبر الوسائل السلمية وان النظام العراقي تعنت بصورة واضحة الامر الذي يضع الولايات المتحدة أمام خيار استخدام القوة.

وانضمت صحيفة «نيويورك تايمز» الى المطالبين بمنح المفتشين مزيدا من الوقت لمتابعة جهودهم وارضاء الرأي العالم العالمي بأنه قد تم اتخاذ كل اجراء ممكن لحل المشكلة سلميا والا فان الحرب قادمة لا جدال في ذلك.

وينادي المؤيدون للحرب بتشكيل «تحالف الراغبين»- كما سموه- الذي يضم الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا وبلغاريا والتشيك.

سيناريو

ان الامر الذي يمكن أن أجزم به هو ان الولايات المتحدة ستشن حربا ضد العراق وأن الحرب

ستبدأ أواخـر فبراير أو اوائل مارس وان السيناريو المحتمل- بنسـبة تصل الى اكثر من ٩٠ في المئـة- هو البدء بشن حـملة جوية مـركزة لـلقوات الجـوية وطائرات القوات البـحرية والقـوات الاستراتيـجية الجوية الاميـركية ويستخـدم فيها أحدث مـا في الترسانة الاميركـية من اسلحة متطورة فـائقة الدقة وعاليـة التأثير تدمـر كل القواعد الجوية العـراقية ووسائل الدفـاع الجوي ومراكز القـيادة والسيطرة والبنية الاساسـية وكل ما يمكن أن يكون له علاقـة بالقوات المسلحة العراقـية من مـصانع وورش ومـخازن ووسـائل اتصالات وكـذلك المنشآت البـترولية والبـنية الاساسيـة مع فرض سيادة جوية مطـلقة في كل انحاء العراق يليهـا شن هجوم بري من ثلاث شـعب: الأولى من المسرح الكويتي في اتجـاه البـصرة. والثـانية من تركـيا في اتجـاه الموصل. والأخيرة من الاردن فـي اتجاه بغداد. ولن تتورط القـوات الاميركية في قـتال داخل المدن وانما ستحـاصر المدن وتقصفهـا من بعد بكل انواع الاسلحة الى ان تسقط، ثم تطبـق على بغداد بعد حصارها لتقضي على قوات الحرس الجـمهوري والحرس الخاص للرئيس العراقي التي ستكون قد انهكتـها الضربات النيـرانية المركزة الدقيـقة، وسيكون دور المقـاتلين الاكراد القيام بعـمليات خاصة بقـيادة عناصر من القوات الخاصة الامـيركية وعناصر من المخابرات المركـزية بالاضافة الى من تم جمعهم وتدريبهم من العراقـيين المعارضين بالمهجر لخلق فوضى ورعب في كل انحاء العراق، كما سيـتم دفع عناصر من القوات الخاصة لمنطقة غرب العراق للسـيطرة عليها لحرمان العراق من استـخدامها في اطلاق اي صواريخ قـد تكون لديه وهي اعداد قليلة غير مـؤثرة. كما اعتقد ان بريطانيا سـتنفذ ما ذكره رئيس وزرائها من القيام بإبرار بحري لـلاستيلاء على مدينة البصرة واعتقد أن عناصـر من المعارضة الشيعية بالجنوب ستتعـاون في هذه العملية. أما تركيا فأعتقد انها ستشترك بقوات لها في الشمال للسيطرة على منطقة الأكراد ومنع المعارضة الكردية من اي اعمال تقوم بها لتحقيق قيام كيان كردي له حكم ذاتي بالشمال.

والأمـر المحزن والغـريب ايضا في هذه الظـروف والاوضاع ان يخـرج علينا صدام حـسين بتصريحات لا معنى لها تعطي الفرصة للرئيس بوش فى المضي في تهديداته بالعمل العسكري. فـقد اعلن صـدام انه قـادر على هزيمة الولايات المتـحدة وانه سـيـضرب الكويت أذا تم هـجـوم اميـركي من أراضيـها، ولم يوجه نفس الـتهديد لتـركيا الـتي سيتـحرك من اراضيـها المجـهود الرئيسي للعمليات العسكرية الاميركية.

ان الامر الذي يجب على الامة العـربية ان تفكر فيه وان تضع خطة للتعـامل معه هو الموقف بعد هذه الحـرب التي اصبحت شبـه مؤكدة بل نتيـجتها ايضا تـكاد تكون شبه مؤكـدة: سقوط واختفاء صدام حسين وتغيير النظام في العراق وسيطرة الولايات المتحدة على العراق.

يجب ان تفكر الدول العربية في هذا الوضع المحتمل الجديد وكـيف ستتعامل معه ومع آثاره لأنه سيؤثر على منطقتنا وعلى أمننا اسـتراتيجيا وسياسيا وامنيـا الامر الذي يحتاج الى دراسة واعية وخطة حصيفة لمواجهته. ومن الأمور التي يجب أن توضع في الاعتبار اننا لسنا في حاجة الى شعـارات تعلن أو مظاهرات تشجب وانما نـحتاج الى لحظة عـمل لمواجهـة اوضاع يمكن ان توصف بأنها خـطيرة.. والموقف العالمي بعـد هذه الحرب سيـتعرض لـتغيـير مؤثر يحـتاج الى

حصافة ودراسة وستتزايد خطورة التهديدات التي يتعرض لها العالم العربي.. ولدينا من المقومات التي اذا استخدمت بذكاء يمكنها ان تحدث تأثيرا ملموسا على الاوضاع.. ولابد من ان نفكر جديا في ان الضعف دعوة للعدوان.

حظر شامل

هناك من يرى ان الولايات المتحدة قد تتمادى في فرض مناطق حظر طيران في كل انحاء العراق في اطار ما يسمى «الحرب المتدحرجة» والمعروف ان كل العراق مسموح فيه لطائرات الاستطلاع الاميركية بالعمل دون اعتراض وسائل الدفاع الجوي العراقية بدعوى مساعدة اعمال التفتيش.

استطلاع

الولايات المتحدة كانت دوما تبلغ العراق مسبقا بطلعات طائرات الاستطلاع «يو-٢» وكانت الحكومة العراقية تبلغ اميركا بقبولها هذه الطلعات.. واستخدمت الولايات المتحدة نتائج هذه الطلعات في توجيه ضربات لكل ما يتم اكتشافه من اهداف مما يوحي بأن هذه الطلعات تحضير للحرب الشاملة.

حرب رامسفيلد

بينما تستعد الولايات المتحدة لحرب ضد العراق تتطلب ٢٥ ضعف حجم القوات التي استخدمت ضد طالبان والقاعدة في افغانستان فإن رامسفيلد يطلب اكثر من ذلك ويتمسك برأيه رغم اعتراضات بعض كبار القادة لذلك اطلق على الحرب المحتملة ضد العراق «اسطورة رامسفيلد» مما يعني ان تأثير رامسفيلد على القرار احد اسباب اصرار بوش على شن الحرب.

الحرب في نهاية النفق

السيناريوهات الدبلوماسية مهلة مقصودة لإتمام الحشد العسكري

ساعة الصفر بعد منتصف فبراير وانتهاء موسم الحج

تجنيب العراق ويلات الحرب ليس هدفا والكل يبحث عن نصيبه في الكعكة

خيار استقالة ونفي صدام لن يمنع الولايات المتحدة من الحرب حتى لو تحقق

واشنطن تراهن على أن صدام مثل هتلر يفضل الموت على ترك الحكم

تركيا واسرائيل اكبر الفائزين عندما تسيطر اميركا على بغداد

انقرة حصلت على وعود بمساعدات سخية وعدم اقامة كيان كردي مستقل

اسرائيل تضمن خروج العراق من حسابات القوة العربية

تقول وسائل الاعلام الغربية إن الفترة بين بداية التفتيش على اسلحة التدمير الشامل في العراق وبداية الحرب ستسودها جهود دبلوماسية لتجنب تلك الحرب، تتركز على ايجاد مخرج لصدام حسين للاستقالة وايجاد ملجأ له في المنفى، حتى ان الرئيس الاميركي بوش قال ان صدام اذا استقال فلن يتعرض للمحاكمة كمجرم حرب كما كان يتوقع البعض عندما يتم القبض عليه أو قتله أثناء الغزو.

وما لم تذكره وسائل الاعلام الغربية هو أن الولايات المتحدة هدفها الرئيسي تغيير النظام العراقي كله واحلال نظام جديد من صنعها يدين لها بالولاء التام والسيطرة على العراق. واستقالة صدام حسين وذهابه الى المنفى لا تفي بالهدف الذي ترمي اليه الولايات المتحدة.

وتشير المصادر الى أن- استقالة صدام ونفيه- خيار تتبناه دول لا تريد ان تحتل الولايات المتحدة العراق، وتؤكد هذه المصادر ان المسألة الاساسية بالنسبة لاميركا ليست في اختفاء صدام ولكن في قدرتها على السيطرة على العراق بعد استقالته.

وتقول وسائل الاعلام ان دوافع هذه الدول في معارضة الحرب ليست انسانية، وانما بسبب الخوف من ان سيطرة الولايات المتحدة على العراق سوف تعني السيطرة على منطقة الشرق الاوسط كلها وستستخدم العراق كقاعدة لمد سيطرتها لمناطق اخرى.

وترى هذه الدول أن تجنب الحرب حل مثالي للموقف، واذا استقال صدام حسين ووصلت شخصية أخرى للسلطة بدلا منه فسوف تتعاون تماما مع لجان التفتيش وتستمر الحياة داخل العراق بدون الفرقة الثالثة المشاه الاميركية المتمركزة على حدود السعودية أو المقاتلات

الاميركية التي تقوم بدوريات جوية فوق كل المنطقة، او بدون حكومة اميركية تحكم العراق وتسيطر على عقود اعادة بناء صناعة البترول العراقية.

وهذا الحل- كما تقول هذه المصادر- لا تقبله الولايات المتحدة ولذلك تركت الادارة الاميركية وجهة نظرها غامضة بالنسبة لما بعد نظام صدام حسين.

وبالنسبة لاستقالة صدام فان النظام الذي سيحل محله سيكون بناء على تفاوض مع العراقيين- بمعنى التفاوض مع رسميين كبار مدنيين وعسكريين.

ويتساءل المحللون: هل سيقبل النظام الجديد سيطرة الولايات المتحدة على العراق كما تريد وأن يتم ذلك سلما دون قتال؟

وأعتقد أن أي نظام جديد يتشكل بعد رحيل صدام ويلتزم بالاستجابة الكاملة لمطالب لجان التفتيش ويثبت أن النظام الجديد غير اسلوب حكم العراق عما كان في عهد نظام صدام لن يقبل احتلال بلده لمجرد اشباع رغبة الرئيس بوش.

ويتساءل المحللون عما اذا كانت الولايات المتحدة ستكتفي باختفاء صدام حسين ونظامه وعدم وجود أسلحة تدمير شامل او صواريخ باليستية في العراق ويردون بأن الولايات المتحدة ستفتعل سببا لرفضها الوضع وتصر على احتلال العراق وسيرفض النظام الجديد ذلك وستشن الولايات المتحدة حربها ضد العراق..!

وقالت وسائل الاعلام أن الولايات المتحدة تأمل في لحظة ما من الحرب وقوع انقلاب في بغداد يسمح للقوات الاميركية بالدخول دون مقاومة وهذا الانقلاب سيسمح ببقاء بعض اعضاء النظام البعثي في السلطة ولكنه سيسمح للقوات الاميركية بالسيطرة عليهم وعلى العراق من خلالهم، ولهذا السبب استمرت الادارة الاميركية في ذكر النمط الياباني اذ كانت الولايات المتحدة تسيطر تماما على اليابان ولكنها كانت تحكمها من خلال رسميين يابانيين. وتجادل هذه الوسائل في أنه بالنسبة للعراق فان استقالة صدام حسين حتى اذا شمل ذلك الشريحة العليا من نظامه لن تحقق للولايات المتحدة سيطرة كاملة على النظام الجديد. ومع ذلك فانها تقول ان الامر ليس في الشخصيات أو الاشخاص وانما الامر في سيطرة الولايات المتحدة على النظام وجذب قواتها الى داخل العراق. والولايات المتحدة لن تقبل نظاما غير خاضع لسيطرتها وبقاء قواتها خارج العراق.

وتعتقد المصادر أن أي استجابة محتملة من جانب الولايات المتحدة لاستقالة صدام حسين وصفوة نظامه ستصاحبها المطالبة بقوات حفظ سلام تدخل العراق لضمان عدم وجود أو تدمير اسلحة الدمار الشامل وتقديم معونات انسانية لشعب العراق وأن تلعب القوات الاميركية الدور القيادي في هذه القوات. وهذا يعني سيطرة اميركية كاملة على الحكومة وتواجد عسكري اميركي على ارض العراق.

هل يقبل صدام؟

ولم يناقش أحد مسألة قبول صدام لفكرة استقالته ونفيه، وخلافا لمعظم المسائل الجغرافية

السياسية هذه المسألة لها عنصر شخصي قوي. فصدام حسين تم تشبيهة بهتلر بالقول بأن هتلر كان في مقدوره تجنيب المانيا ما اصابها من دمار لو استسلم في الشهور الاخيرة من الحرب ولكنه اختار طريقا آخر وهو الانتحار. وهنا يتساءل المراقبون هل صدام حسين يفضل الموت على النفي؟

هل يفضل الموت في نهاية حرب ضروس بدلا من الموت قبل الحرب وانقاذ وطنه؟ ولا يمكن أن يجيب على هذه التساؤلات إلا صدام حسين!.. ويعتقد المراقبون ان صدام حسين رجل يهوى المخاطرة والمجازفة وانه يعتقد أن في مقدوره أن يكبد القوات الاميركية خسائر جسيمة تجبرها على الانسحاب.. ولكنهم نسوا أو تناسوا انه قال نفس الشيء في حرب الخليج «عاصفة الصحراء» ولم يكبد قوات التحالف خسائر تذكر وتكبدت القوات العراقية أكثر من مئة الف قتيل الى جانب تدمير ٧٠ في المئة من عتادها وتدمير البنية الاساسية العراقية والقدرات الصناعية وكل اقتصاد العراق.

ومن المعروف ان مجموعات الدفاع عن حقوق الانسان ومنظمات اخرى اعلنت دائما وبوضوح ان أي فرد يتهم بجرائم حرب يجب أن يحاكم أمام محكمة دولية، وقد تكون وجهة نظر صدام حسين أن تنازله ونفيه سيعرضانه لمصير مماثل لمصير الرئيس اليوغوسلافي ميلوسوفيتش على الرغم من اعلان الرئيس بوش أنه اذا تنازل صدام حسين وغادر العراق فلن يحاكم على أي جرائم حرب، ولكن من المؤكد ان صدام لا يثق بكلمة الرئيس الاميركي. وهذا سبب آخر في أن صدام لن يقبل العرض الذي تقدمت به دولتان اوروبيتان.

أما احتمال حدوث انقلاب ضد صدام وعزله ونفيه فأمر بعيد الاحتمال وربما يحدث انقلاب مع بداية الحملة العسكرية الاميركية وان كنت أعتقد– من خبرة التاريخ– أن أي انقلاب عسكري سيؤدي حتما الى مقتل صدام حسين لوجود أقاويل بأنه أعدم الكثير من معارضيه ومن قادة القوات المسلحة.

إن كل ما يقال عن قبول الولايات المتحدة لفكرة استقالة صدام حسين وذهابه الى المنفى لا يعني ان الولايات المتحدة لن تحتل العراق وتسيطر عليه وتقيم حكومة موالية لها وتسيطر على بترول العراق لأن هذا هو الهدف الاستراتيجي السياسي من المخطط الاميركي.. وستعمل الولايات المتحدة على ارضاء الدول الاوروبية– مثل فرنسا– بأن تعطي بعض شركاتها بعض العقود الخاصة ببترول العراق وتجديد صناعته وكذا شركات روسية ووعدت روسيا بسداد ٨ مليارات دولار ديونا لها على العراق. كما ان ما قيل عن تردد تركيا بالنسبة لمساعدتها للولايات المتحدة مجرد ورقة للحصول على الثمن وقد نشر في كثير من وسائل الاعلام الغربية ان الولايات المتحدة ستقدم لتركيا معونات سخية في مقابل قبولها حشد اكثر من ٨٠ الف جندي اميركي على أرضها لشن المجهود الرئيسي للحرب من الاراضي التركية، بل ان بعض المحللين قالوا ان تركيا ستشارك بأربع فرق في الهجوم على العراق من الشمال. ومن المؤكد كذلك ان الولايات المتحدة وعدت تركيا بعدم قيام كيان كردي مستقل في شمال العراق وأن خط البترول الممتد من العراق الى تركيا سيعمل في يسر.

أما بالنسبة لاسرائيل- الشريك الاستراتيجي للولايات المتحدة وتركيا- فستكون الفائز الثاني من غزو العراق فسيخرج العراق من أي حسابات للقوة العربية بالنسبة لاسرائيل. وسيتم مد خط الانابيب القديم من العراق الى يافا أو حيفا كسابق عهده. وستكون اسرائيل وكيل الولايات المتحدة في المنطقة.

واحتلال العراق يساعد ايضا في بسط النفوذ الاميركي على دول آسيا الوسطى والسيطرة على بترول تلك المنطقة وكذا بترول وغاز حوض بحر قزوين وبذلك تحقق خطوة كبيرة في هيمنتها على اوراسيا التي وصفها بريجنسكي في كتابه «لوحة الشطرنج الكبرى» بأنها جائزة الهيمنة الاميركية العالمية. فذلك يحقق للولايات المتحدة السيطرة على اكثر من ٧٠ في المئة من الطاقة «البترول والغاز الطبيعي» في العالم. وكلنا يعلم ان الولايات المتحدة لها قواعد جوية في الدول الاسلامية بآسيا الوسطى التي أعطت الطيران الاميركي الحق في عبور أجوائها دون قيد أو شرط. وللولايات المتحدة تواجد عسكري وسيطرة في افغانستان وبذلك تكون قد أحكمت حلقة احتواء حول الصين.

حشود

ان آخر الانباء تفيد استمرار الحشد الاميركي بالمنطقة وحشد القوات لا يتم الا اذا كان قرار الحرب قد تم اتخاذه من السلطة السياسية.. كما ان بريطانيا ايضا بدأت ارسال قواتها للمنطقة.. ومن مبادىء الحرب الاساسية منع العدو من حشد قواته.. ولو أن العراق يمتلك اسلحة صاروخية واسلحة تدمير شامل لكان المنطقي ان يتدخل في عملية الحشد ولكنه مستمر في السماح للجان التفتيش بعملها في سلاسة ودون عوائق..!

ولكن الرئيس بوش عازم على احتلال العراق مهما قيل بخلاف ذلك وكل المظاهرات التي نشاهدها في الولايات المتحدة لن تفيد في شيء. وفي اعتقادي ان الهجوم الاميركي سيتم في النصف الثاني من فبراير وان ما يجري من مناورات سياسية على الساحة هي لضمان اشتراك دول في المسألة البترولية العراقية بعد صدام حسين.

وهذا التوقيت المتوقع للحرب يأتي بعد انتهاء موسم الحج بحلول منتصف فبراير.

وتطالعنا الانباء بأن الرئيس الاميركي هدد في خطاب له بأن قادة وضباط القوات المسلحة العراقية سيحاكمون بعد الحرب اذا استخدموا أي اسلحة تدمير شامل ضد القوات الاميركية أو ضد شعب العراق، وهذا التصريح يؤكد ان الولايات المتحدة ستهاجم العراق بغض النظر عما تقرره الامم المتحدة أو تقرير لجان التفتيش. كما ان رئيس وزراء بريطانيا توني بلير أعلن امام مجلس العموم أن بريطانيا ستشترك في الحرب اذا قامت الولايات المتحدة منفردة بالهجوم على العراق ليثبت الاتهام الذي وجهه له بعض اعضاء المجلس بأنه تابع مطيع.

وعلى الرغم من الانباء التي تشير الى ان المانيا وفرنسا عارضتا تماما اي حرب ضد العراق بدون تصديق من الأمم المتحدة. ورغم تهديد فرنسا باستخدام حق الفيتو فان الولايات المتحدة ستضرب عرض الحائط بكل ذلك وتشن الحرب وهي حاليا تقوم باجراء الحشد المطلوب لهذه

العملية. ولا اعتقد ان تركيا سترفض السماح باستخدام قواعدها واراضيها وان ما يجري من مباحثات في انقره بين الولايات المتحدة وتركيا هي مجادلة تركية لتكريس مطالبها السابقة وستعطيها الولايات المتحدة ما تريد.

ان تركيا عضو في حلف الاطلسي وتسعى للانضمام الى الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة هي الوحيدة القادرة على تحقيق ذلك، الى جانب ان تركيا تخشى انها لو خرجت من معادلة الحملة ضد العراق فسوف يحدث ما لا تريده وهو قيام كيان كردي مستقل ذاتيا في شمال العراق وهو ما سيمثل كابوسا رهيبا لانقرة.

وقال رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية الروسية ان الحرب ستبدأ بعد ١٥ فبراير ولما سئل عن المصدر قال انها مصادر اميركية.

وفي كل حرب سابقة استخدم سلاح اطلق عليه الخبراء لقب «السلاح الاعجوبة» أو «المعجزة» ففي الحرب العالمية الثانية كانت «القنبلة النووية» وفي حرب الخليج «الذخائر الذكية الدقيقة» وفي افغانستان الطائرة الموجهة بدون طيار «المفترس» المزودة بصواريخ «هيل فاير» تطلقها على اي هدف تكتشفه اثناء تحليقها. وفي حرب العراق الجديدة يتحدث الخبراء عن سلاح اميركي سري جديد اطلقوا عليه اسم «اسهم سريعة» كالبرق محشوة في الصواريخ الكروز «الحوامة» يعتبرونها السلاح الحيوي الذي سيستهدف مخزونات صدام حسين من الاسلحة الكيماوية والبيولوجية، وهي قادرة على حرق الحاسبات المتطورة والاجهزة الالكترونية، فالنبضات الكهرومغناطيسية يمكنها ان تصل الى الملاجيء تحت الارض على عمق كبير من خلال فتحات ووسائل التهوية والهوائيات.. ويقول خبراء البنتاجون ان هذا السلاح يمكنه انتاج قوة كهربية تزيد على ملياري وات «وهي تعادل ما ينتجه خزان هوفر في ٢٤ ساعة» وتقوم مكثفات موجودة بالصاروخ الكروز بخلق نبضة طاقة تنطلق بسرعة الضوء أمام الصاروخ اثناء اقترابه من الهدف. ويمكن لهذه النبضة تدمير اي الكترونيات في نطاق ٣٠٠ متر من النبضة.

نموذج اليابان

ترى المصادر أن هناك ميلا في اميركا لتطبيق النموذج الياباني بعد الحرب العالمية الثانية على العراق.. حيث سيطرت الولايات المتحدة على الحكومة العسكرية اليابانية وسمحت للبيروقراطية بالعمل واستبعدت القادة الفاعلين هناك.. لكن هذا النموذج يصطدم بواقع مختلف في العراق.. حيث استسلمت اليابان على المستوى الشعبي الكامل بعد الحرب.. لكن هذا لم يحدث في العراق حتى الان.

الكعكة

الدول المعارضة لانفراد الولايات المتحدة بالسيطرة على العراق والتي تقترح خيار استقالة صدام ونفيه.. ستندفع بقواتها الى داخل العراق لمنافسة اميركا على الكعكة العراقية بعد رحيل صدام اذا تم تحقيق هذا الخيار.. وهو خيار تبدو الولايات المتحدة غير راغبة فيه لأنها تعتزم

حسم المشكلة حربا حتى تنفرد هي بالكعكة كلها.

بلا حرب

هناك عصفور سيسقط في يد الولايات المتحدة بلا حرب عندما تتمكن من السيطرة على العراق.. ويعني به المحللون ايران حيث سيجد النظام الايراني نفسه مضطرا للاستجابة للشروط الاميركية وسيمتنع عن أي افعال تثير واشنطن حتى لا يتعرض لأي عقاب من القوات الاميركية المرابطة على بعد امتار منه.

المظاهرات ضد الحرب مصالح لا مبادىء

اقتصاديات أوروبا تتعرض لازمات خطيرة في حال ضرب العراق

الصراع على البترول ومناطق النفوذ وليس من أجل الشرعية الدولية

شركات المانيا وفرنسا تخسر نشاطها في العراق فور الغزو

تركيا تسعى لاحتلال شمال العراق والقضاء التام على ثورة الاكراد

انقرة تسعى الى نصيب كبير من كعكة البترول العراقي

استراتيجية اميركا الجديدة تغري دولا كثيرة بالتحول الى قوى نووية

خرجت مظاهرات حاشدة في مدن اميركية وبريطانية واوروبية تعارض شن الحرب على العراق، حتى ان البعض اعتقد ان شعوب تلك الدول تخشى قتل اطفال ونساء ورجال العراق وان احتجاجها هدفه منع هذه المأساة، بل قارن البعض بين هذه الشعوب وشعوب الدول العربية التي لم تحدث فيها هذه المظاهرات الحاشدة. واتساءل: لماذا لم تخرج الشعوب الاوروبية في مظاهرات حاشدة مماثلة تحتج على القتل والتدمير لشعب فلسطين على ايدي البربرية الاسرائيلية؟ وما الفرق من الناحية الانسانية -في رأي هذه الشعوب- بين شعب العراق وشعب فلسطين؟ ان التفسير المنطقي الوحيد لهذه الظاهرة ان تلك الشعوب تدرك ان اثار الحرب على العراق ستكون مدمرة لاقتصادياتها.. فالبترول سترتفع اسعاره بصورة حادة، وشركات البترول الفرنسية والالمانية ستفقد نشاطها فى العراق، وتجارة التصدير لتلك الدول الى المنطقة ستتأثر.. وكل هذا سيؤثر على حياتهم واقتصادياتهم..! اليس في ذلك منطق معقول ومقبول.. خاصة وأن محللين يؤكدون الآثار التي ستخلقها تحركات الولايات المتحدة على اسعار البترول. فمن المعروف ان التقديرات الحالية المتحفظة لاحتياطيات بترول العراق تقول انها اكثر من ١١٢ مليار برميل وتأتي بعد احتياطيات السعودية المؤكدة وهي ٢٦٢ مليار برميل. ويقولون ان احتياطيات البترول العراقية يمكنها ان تغطي استيراد الولايات المتحدة من البترول لقرن من الزمان. كما يقول الخبراء ان العراق لديه ٢٢٠ مليار برميل اضافية في مواقع لم تكتشف بعد. وان كل هذا البترول يملكه نظام عراقي سيتغير قريبا بصورة أو بأخرى. وحتى اذا كانت المواجهة الاميركية للعراق حول البترول فمن الطبيعي ان الولايات المتحدة وحلفاءها يتنافسون مثل النظام العراقي الذي سيدير العراق في المستقبل. وان الامر بمثابة اكبر سباق من أجل الذهب الاسود لاجيال قادمة.

ويقول المحللون ان مليارات الدولارات ستكون مطلوبة لاصلاح منشآت بترول العراق التي

انهارت بصورة كبيرة بسبب اهمال استمر أكثر من عشر سنوات. هذا بفرض ان صدام حسين لن يشعل النيران في حقول ومنشآت البترول، ففي هذه الحالة سيتطلب الامر عشرات المليارات من الدولارات لاعادة تشغليها والبحث عن بترول في مناطق عراقية لم تكتشف بعد. ومع ذلك فان هذه التكاليف لن تمنع شركات البترول من الاندفاع الى العراق بعد الغزو مباشرة. ويرى الخبراء أن الأمر سيتطلب مشاركة استثمارات اجنبية تسعى للربح من بترول العراق.

وبدأ الخبراء يتحدثون عن الارتفاع المتوقع لاسعار البترول بسبب الدمار الذي سيحدث لحقول بترول العراق سواء من الحرب أو من رد فعل صدام المتوقع «نسف الآبار». ويقولون انه حتى لو تحقق انتصار الولايات المتحدة في تلك الحرب في بضعة اسابيع فإن انتاج العراق «القليل نسبيا وهو ٢,٨ مليون برميل/ يوم» سيختفي من الاسواق مدة قدرها البعض بخمسة اشهر. فلو لم تنسف الآبار فان الامر سيحتاج الى تفتيشها بعناية لضمان خلوها من الالغام قبل ادخال شركات لاصلاحها واعادة تشغيلها. ومع ذلك يتوقع المحللون أن الولايات المتدة ستطلب من السعودية زيادة انتاجها حوالي ٢,٥ مليون برميل/ يوم لتعويض اختفاء بترول العراق. ومن المعروف ان الرئيس الاميركي بوش كان قد أمر برفع احتياطي البترول الاميركي المخزون الى ٧٠٠ مليون برميل لتأمين احتياجات الولايات المتحدة لمدة ٣٦ يوما من الاحتياطي الاستراتيجي، وتم تنفيذ ٨٥ في المئة من هذا الامر. ويقولون انه طبقا لدراسة مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن فان سعر البرميل سيرتفع الى ٣٦ دولارا على أفضل تقدير. ويقول الخبراء ان الاسعار قد ترتفع اكثر من ذلك ليس بسبب وجود نقص في السوق ولكن بسبب توقع حدوث هذا النقص في المستقبل القريب.

ويقول المراقبون ان العمليات قد تطول اكثر من عدة اسابيع لنجاح قوات الحرس الجمهوري العراقية والحرس الخاص في ادارة معركة دفاعية ناجحة نسبيا وحدوث هجمات متناثرة ضد القوات الاميركية مما سيرفع الاسعار اكثر من ٤٠ دولارا للبرميل. واذا كانت الشعوب الغربية– وهي قارئة لكل الاخبار الاقتصادية– قد قرأت كل ذلك فانه من المنطقي أن مظاهراتها نابعة من الخوف من الازمة البترولية اساسا وليست تعاطفا مع شعب العراق؟ وماذا لو اضرب عمال البترول في الدول المنتجة احتجاجا على الحرب؟ ألا يؤدي ذلك الى ارتفاع أسعار البترول الى رقم خيالي!

حجم المعارضة

وتعالوا نستعرض احصائيات نُشرت عن نسبة المعارضين للحرب ونسبة الموافقين عليها بشرط موافقة مجلس الامن «الرقم الاول هو للمعارضين والثاني للمؤيدين».

ايرلندا ٣٠ و٥٠ في المئة– بلجيكا ٦٨ و٢٣ في المئة– لوكسمبرج ٥٨ و٣٤ في المئة– البرتغال ٥٣ و٢٩ في المئة– اسبانيا ٧٤ و١٣ في المئة– انجلترا ٤٢ و٣٩ في المئة– ايطاليا ٣٤ و٤٤ في المئة– هولندا ٣٨ و٥٠ في المئة– النرويج ٥٧ و٢٤ في المئة– المانيا ٥٠ و٣٩ في المئة– فرنسا ٥٠ و٢٧ في المئة– الدنمارك ٤٥ و٣٨ في المئة– المجر ١٦ و١٧ في المئة– فنلندا ٤٤ و٢٧ في المئة– روسيا ٥٩ و٢٣ في المئة– بلغاريا ٥٩ و٢٨ في المئة.

ومن هذا الاحصاء يتضح ان نسبة لا تقل عن ٢٥- ٣٠ في المئة من معظم الدول توافق على الحرب بتصريح من الامم المتحدة.

ومن المعروف ان عرض كولن باول وزير الخارجية الاميركي بمجلس الامن كان يهدف الى احباط الجدل الاوروبي المنادي باعطاء وقت اطول للتفتيش. وقد يكون باول الوجه المقبول من ادارة بوش في أوروبا ولكن هذا لم يساعده أو يساعد قضيته التي عرضها رغم انه عرضها بأسلوب قوي وبليغ إلى حد ملموس. ورفضت الصحافة الأوروبية رسالته ومن الغريب ان يتدخل وزير الدفاع الأميركي رامسفيلد «لورد الحرب كما تسميه الصحافة الأميركية» ليقول ان هناك ثلاث دول قالت انها لا ترغب في ان تفعل شيئا في الحرب ضد العراق وانه يعتقد ان هذه الدول هي ليبيا وكوبا وألمانيا. ويرى المحللون انه هدف بتصريحه الى اتهام تلك الدول بالخيانة. وقُوبل رامسفيلد من صحافة ميونيخ بعناوين مثيرة «سلام ولا حرب.. عد إلى بلدك يا رامسفيلد».

وتفيد التقارير ان تركيا تشترط نشر ٨٠ ألفا من جنودها بعمق ٢٢٥كم شمال العراق. وهذا يعني تصاعد وتيرة الاستعدادات لتوجيه ضربة عسكرية للعراق. ووجهت كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأميركي انتقادات شديدة اللهجة إلى الدول التي طالبت بمنح مزيد من الوقت للمفتشين الدوليين لاتمام مهمة نزع اسلحة الدمار الشامل العراقية. وفي مجال استكمال الحشد وصلت إلى تركيا «قاعدة في مدينة دياربكر» قوة أميركية الأمر الذي يشير إلى ان تركيا وافقت على فتح قوات في اراضيها. كما ان حلف الناتو وافق اخيرا على دعم تركيا بصواريخ «باتريوت» وطائرات «أواكس» بعد ان كان الفيتو الفرنسي قد منع الاتفاق على ذلك، وصدر بيان ألماني فرنسي بلجيكي يؤكد ان اتفاق دعم تركيا لا يعوق حل أزمة العراق سلميا، وعللت سبب موافقتها على هذا الدعم بان من حق الدول الاعضاء في الحلف الاعداد والتخطيط لاتخاذ تدابير دفاعية لدعم تركيا عسكريا بعد تمسك تركيا بالمادة الرابعة من معاهدة الناتو. والسؤال: ما هو التهديد المحتمل ضد تركيا الذي يحتاج الى تدابير لمساعدتها دفاعيا؟ هل العراق هدد تركيا؟ أم ان تركيا بشروطها السيطرة على شمال العراق هي التي تمثل تهديدا للعراق؟

كان الهدف من التدخل المتكرر للقوات التركية في شمال العراق مطاردة فلول حزب العمال الكردستاني الانفصالي وحققت بذلك دحر الحركة الانفصالية الكردية في تركيا. وبدأت الذاكرة التركية تستعيد أحداث بداية القرن العشرين عندما وافقت على ضم لواء الموصل إلى العراق مقابل جزء من نفط كركوك على أمل ان الظروف الدولية ستتيح لها يوما ما استعادة الموصل أو زيادة نصيبها من مكاسب النفط.

وقالت مجلة «ديفنس نيوز» الاميركية ان العراق بدأ تحصين بغداد ومدن أخرى على اساس ادارة قتال داخل المدن سيؤدي إلى تكبيد قوات الغزو «وهذا ما تأمله القيادة العراقية» خسائر بشرية جسيمة.

وقالت ان جزء من الحرس الجمهوري ومن ميليشيات حزب البعث ستقاتل داخل بغداد وهي ترتدي الزي المدني حتى لا يمكن للقوات الأميركية التمييز بينها وبين المدنيين بما يوحي بان

المجلة تريد ان تقول ان صـدام حسين يريد ان تؤدي الخسـائر في المدنيين إلى اثارة الرأي العام العالمي ضد الولايات المتحدة. وتقول ان هذه التجهيزات توحي بان الخطة العراقية لإدارة الحرب ستعتمد على الدفاع الجوي وموانع وقـائية وجذب الوحدات الأميركية إلى داخل المدن في حرب مدن صـعبة، وان الـعراق استـدعى احتيـاطيا يقـدر بنحو ٣٠٠ ألف جندي، وانه يقـوم بانشاء نطاقين دفاعيين عن بغـداد وعن المدن الرئيسية خاصـة في شمال بغداد، وان معلومـات تفيد ان الحرس الجمهوري العراقي يتدرب على القتال في المدن.

مساع فرنسية

وبالنسبة لفرنسا تقول وسائل الإعلام ان الحكـومة الفرنسية بدأت تسعى إلى اعادة التوافق مع الولايات المتحدة بعد حالة التوتر التي شهـدتها العلاقات بين البلدين بسبب الموقف الفرنسي ضد الحـرب حتى ان احد المسـؤولين الفرنسيين قـال ان نجاح عمل المفـتشين سيكون انتـصارا لأميركـا -وهو رأي غريب لا يتفق وتصريحات الرئيس بوش- وعـلى الرغم من قول البعض ان الحرب قد لا تحدث وبرروا ذلك بالمظاهرات العارمة في عواصم كـبيرة وبظهور محور جديد في أوروبا تتزعـمه فرنسـا وألمانيا الا انني اعتـقد ان الولايات المتحـدة ستشن الحـرب على العراق بالرغم من كل ذلك لان هدفـهـا ليس نظام صدام حـسين وانما لهـا هدف اقـتصـادي سيـاسي استراتيجي وهو السيطرة على بترول واراضـي العراق لاستكمال هيمنتها على أوراسيا.

والأمـر الذي أرى ان نتطرق إليـه هو: لماذا تحـاول دول ان تتـحـول إلى قـوة نووية؟ ومـا الاسباب والدوافع لذلك؟ وللرد على هذا التساؤل الجأ إلى دراسة مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن التي حـددت عشرة أسـباب لرغبة دول كـثيرة في ان تملك قـدرات عسكرية نووية الخصها فيما يلي:

■ ربما يكون أهم هذه الأسباب هي التغييرات في السياسة الأميركية عقائديا وسلوكيا والميل الواضح للعمل المنفرد وتغيـير استراتيجية الأمن القومي الأميـركي من الاقتراب التقليدي للردع إلى الحرب المسـبقة «حرب الاحـباط» والتي قد تتخـذ اتجاهين يؤديان إلى رد فعل مـختلف من المجتمع الدولي. فـالرأي السائد يرى ان هذه الاسـتراتيجـية تحرص على تحقيق اهداف أميـركية بحتة دون الاخذ في الاعتبار مصالح الدول الاخرى.

وترى هذه الدراسة ان الالتزام الأميـركي قبل الأمن الأوروبي والياباني «ومن باب أولى امن أي دول صديقة اخرى» أصبح محـل شك وعدم ثقة. فالانعزالية الأميركية في حـماية مصالحها فقط أصـبحت واضـحة الأمـر الذي جعل دولا حليفـة مثل اليـابان ودول اوروبية تعيد تقـييم الالتـزام الأميـركي بتـوفـير مـظلة نووية لتلك الدول «وهو مـا كـان يطلق عليـه بعض المحللين استراتيجية الردع الممتد».

■ كانت الادارات الأمـيركية قـد جعلت معاهدة عـدم الانتشار النووي مركـز الاستراتيجـية الجديدة باركت تحول اسرائيل ثم الهند فباكسـتان إلى قوى نووية وغضت النظر عن معاقبة أي منها، رغم انها كانت قـد وقعت عقوبات على باكسـتـان ثم رفعتها عندما اشتـركت باكستان في تحالف للحرب ضد افغانـستان الأمر الذي يؤكِد وجود تفرقة واضحة في تطبـيق الاستراتيجية

الأميركية على الدول طبقا لمصالح خاصة.

■ تردد كثيرا ان الأسباب الرئيسية لمنع دول مختلفة من ان تصبح نووية مثل كوريا الشمالية وايران والعراق ان هذا التحول يؤثر على جيران تلك الدول والمنطقة التي توجد بها. ومع ذلك لم تفعل الولايات المتحدة شيئا أو تغاضت برغبتها عن تحول إسرائيل إلى قوة نووية وخطورة ذلك على منطقة الشرق الأوسط ثم تحول الهند وباكستان إلى قوى نووية وتأثير ذلك على دول الجوار ومنطقة جنوب آسيا. واصبح واضحا ان طرق اقتراب الولايات المتحدة من الدول التي تتحول إلى دول نووية تختلف ما بين الاقتراب السياسي كما في حالة كوريا الشمالية التي أصبحت نووية واستخدام القوة المسلحة ضد العراق التي قيل انها ستصبح نووية وبين صمت ومباركة بالنسبة لإسرائيل وباكستان والهند.

وعندما رأت بعض الدول ان تلتزم باتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية أو لانها غير قادرة اقتصاديا وفنيا على الانتاج النووي ووجدت انه لابد لها من سلاح لردع التهديد النووي ضدها من دول أصبحت نووية وحاولت ان تمتلك صواريخ أرض-أرض كوسيلة ردع اعتبرت الولايات المتحدة ذلك مخالفة لارادتها واجبرتها على ايقاف برامجها وهددت باستخدام القوة ضدها واطلقت عليها تسمية «دول مارقة»، بل قررت مع مجموعة الدول الصناعية الثماني منع تصدير اي تكنولوجيا صواريخ تتعدى ١٥٠كم، وايضا لم تطبق ذلك على عدد من الدول ومنها إسرائيل والهند وباكستان.

■ عدم التوازن في القوات التقليدية. فأي دولة تريد ان تحقق توازنا في القوة مع جيرانها عليها ان تصبح دولة نووية. وأكبر مثال على ذلك كوريا الشمالية فبتحولها إلى دولة نووية وامتلاكها قدرات لتدمير سول والقاعدة الاميركية في كوريا الجنوبية منعت الولايات المتحدة من تطبيق استراتيجية الاحباط «الحرب المسبقة» عليها رغم انها الدولة الوحيدة من دول محور الشر الثلاث «كوريا الشمالية وايران والعراق» كما سماها بوش التي أعلنت صراحة امتلاكها سلاحا نوويا ومن المتوقع ان يحدث اتفاق سياسي بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية اما العراق فالرئيس بوش يرفض أي حل سلمي معه رغم ان لجان التفتيش اكدت خلوه من أسلحة الدمار.

■ قد يرث نظام جديد في دولة ما قدرات نووية كأن يحدث اتحاد بين كوريا الشمالية النووية وكوريا الجنوبية فيجد النظام الجديد لديه قدرات نووية والمنطق يقول انه سيحتفظ بهذه القدرات وقد يطورها إذا كانت المنطقة بها تهديدات نووية. كما هو الحال في جنوب شرق آسيا. فهل ستطبق الولايات المتحدة استراتيجيتها الجديدة على كوريا الموحدة؟ والاجابة لا كما يرى غالبية المحللين والمعلقين.

ان الولايات المتحدة بدأت وضع استراتيجية سياسية للتعامل مع كوريا الموحدة رغم انها لا تضمن حتى الأن ما إذا كانت هذه الوحدة ستتم -هل ستكون اندماجا سلميا أو بسبب انهيار في كوريا الشمالية أو نتيجة حرب بين الدولتين، وكيف ستكون كوريا الموحدة وهل ستظل نووية واثر ذلك على منطقة شرق آسيا؟

وعلينا ان ندرس ونخرج باستراتيجية سياسية إذا حدث تغيير للنظام في العراق سلما أم حربا، وكيف سنتعامل مع التهديد الإسرائيلي التقليدي والنووي؟ وكيف نردعه؟ وكيف سنتعامل مع الاستراتيجية الأميركية الجديدة الحرب المسبقة «حرب الاحباط» وكيف نستغل امكاناتنا وقدراتنا وهي كثيرة ومؤثرة.

ان امننا القومي ومستقبل ابنائنا وشعوبنا رهن بامتلاكنا أسلحة ردع للعدوان.. واسرائيل هي الخطر الداهم على كل مقدراتنا فهي دولة عدوانية توسعية تمتلك قدرات عسكرية متفوقة وقدرات نووية قدرت بمئتي قنبلة نووية، كما ان الولايات المتحدة تقدم لها كل شيء.. دعما ماليا ضخما وأسلحة متطورة بل احدث ما في الترسانة الأميركية كما ان الولايات المتحدة -عن خطأ فاحش- تعتبرها حليفا استراتيجيا يمكنها ان تحقق بالوكالة هيمنة عسكرية واقتصادية على منطقتنا.. ولو تملكنا وسيلة ردع قوية لامكننا تحييد الهيمنة تماما.. وإذا كانت القدرات النووية بعيدة المنال وستمنعها الولايات المتحدة فان القدرة الصاروخية أرض-أرض القوية يمكنها ان تردع إسرائيل، ونحن قادرون على امتلاكها بل توجد في عدة دول عربية القدرة على تصنيعها دون حاجة لاستيرادها حيث فرضت الولايات المتحدة حظرا على الاستيراد.. ويمكننا في زمن قياسي ان نحقق ذلك.. ويحتاج الأمر إلى قرار جماعي عربي.. وان نتناسى خلافاتنا ونؤمن بان هذا هو الحل الوحيد لبقائنا وأمننا وحريتنا وتطورنا..!

صفقة تركية

تسعى تركيا إلى إبرام صفقة مع أميركا ترى ان الوقت مناسب لها حيث اشارت التقارير إلى أن تركيا اشترطت للمشاركة في الحرب السيطرة على شمال العراق واستعادة الموصل التي تنازلت عنها كما تزعم في بداية القرن العشرين.. وبذلك تتمكن أنقرة من القضاء المبرم على أي احتمال لتجدد نشاط حزب العمال الكردستاني الانفصالي وفي نفس الوقت الحصول على نصيب وافر من كعكة البترول العراقي.

جاهزون

أكد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي ان القوات الأميركية بالخليج أصبحت جاهزة لغزو العراق وتنتظر فقط الأوامر من بوش.

سباق نووي

هناك دول مثل اليابان وكوريا الجنوبية زاد لديها الاحساس بان تكون قوى نووية قائمة بذاتها لردع تهديدات نووية من الآخرين خاصة الصين وكوريا الشمالية.. وأصبحت تلك الدول ترى ان الاعتماد على الحماية أو المظلة النووية الأميركية لم يعد مجديا بعد ان انكفأت واشنطون على نفسها وراحت تتخلى تدريجيا عن حلفائها واهتمت بحماية نفسها من تهديدات أكيدة أو محتملة من قوى أخرى.

أمركة العراق

ترتيبات واشنطن في العراق تؤكد أن الاحتلال طويل

اسرائيل الوسيلة والغاية من تحركات الولايات المتحدة بالمنطقة

السؤال مستمر رغم النفي الأميركي: من عليه الدور بعد بغداد؟

التهدئة مع سوريا مؤقتة حتى يكتمل ترتيب اوضاع العراق

حالة كوريا الشمالية تؤكد أن امتلاك القوة هو الرادع الوحيد ضد العدوان

كثر الحديث عن العراق بعد صدام.. وبدت التقارير متضاربة حول ما يدور داخل العراق الآن.. ففي بغداد مظاهرات احتجاج احتجاجا على الاحتلال الاجنبي. ويردد المتظاهرون الذين انطلقوا من المساجد بالتحديد شعارات ورفعوا لافتات تدعو لوحدة المسلمين من سُنّة وشيعة وتندد بالوجود الاجنبي.. وهناك مواجهات عند وصول قوات أميركية تدعي انها توزع معونات إنسانية.. كما ان القوات الأميركية مازالت تواجه بعض الكمائن في أزقة وشوارع بغداد، وينتقد المواطنون العراقيون القوات الأميركية لعدم قدرتها على منع عمليات السلب والنهب.

والتقى الجنرال تومي فرانكس مع قادة فصائل المعارضة وزعماء العشائر ورجال الدين في مدينة الناصرية بالجنوب لمناقشة تشكيل حكومة انتقالية. وقال وزير الخارجية الأميركي كولن باول ان اللقاء فرصة لمعرفة رؤى الذين كافحوا بالخارج بجانب الاحرار في داخل العراق وان هناك لقاءات مقبلة. وهذا يعني ان الولايات المتحدة بدأت فعلا محاولة تشكيل حكومة انتقالية خاضعة تماما للإدارة الأميركية. ويحظى أحمد الجلبي بمساندة البنتاجون في رئاسة هذه الحكومة الانتقالية. ومن المعروف ان البنتاجون اشرف على نقله مع ٣٠٠ من مقاتلي قوات العراقيين الاحرار إلى جنوب العراق، لكن يبدو ان الجلبي ليست له شعبية في الجنوب.

هذا يعني ان الولايات المتحدة ستقوم بتنفيذ مخططها الذي يتلخص في استكمال السيطرة على العراق عسكريا والقضاء على أي مناوشات ثانوية هنا وهناك والبدء في انشاء قوات شرطة عراقية للسيطرة على الأمن والنظام واعادة الاستقرار داخل المدن خاصة بغداد.. وتم فعلا أرسال وحدات من الجيش الأميركي لتحل محل مشاة الاسطول للحفاظ على الأمن في بغداد. وبدأ الجيش الأميركي حراسة متحف بغداد بعد سلسلة من الانتقادات لعدم حمايته وتعرضه للنهب ابان دخول القوات الأميركية إلى العاصمة العراقية.

وتهدف الخطة الى مطاردة أعضاء حكومة صدام حسين السابقة «البحث عن ٥٥ فردا» تم القبض على سبعة منهم، ولم يعرف حتى الآن مصير صدام حسين وولديه.

كما تسعى القوات الامـيركية الى تفتيش ٣٠٠٠ موقع تعتقد الولايات المتـحدة احتمال وجود أسلحة كيماوية وبيولوجية فيها وارسلت اعدادا من المتخصصين في هذا المجال، وتم تفتيش عدد منها ولم يثبت حتى الآن وجود هذه الأسلحة بل تم العثور على ١١ معملا كيماويا وبيولوجيا تم دفنها تحت الأرض جنوب بغداد. وقال الجنرال بنجـامين فربكلي من الفرقة ١٠١ ابرار جوي ان قواته لم تعثـر على أسلحة بيولوجية وكـيماوية إلى جانب هذه المعامل لكنهـا عثرت على وثائق داخل المعامل تزن ما يقرب من ٤٥٠ كيلو جرام، وانهم لا يزالون يفحصون ما تم العثور عليه.

وكان مفتشو الأسلحة قد أعلنوا ان هذه المعامل تستخدم لاختبار الاطعمة ولا توجد أي دلائل على استخدامها في انتاج أسلحة دمار شامل. ومن المؤكد ان هذا التفتيش سيستغرق وقتا لا يقل عن عام.

سيطرة

وسيطرت القـوات الأميـركية والبـريطانية على مناطـق البترول، وبدأ العـمل في اصلاحـها وتشغيلها وقيل ان الانـتاج سيبدأ خلال أسابيع قليلة. وكما توقع الجـميع بدأت الولايات المتحدة منح شركات أميركية عقودا لإعمار الـعراق حيث أعطت شركة بيكتل عملاق الصناعات الانشائية الاميـركيـة عقدا بقـيمـة ٦٨٠ مليون دولار لاعادة الاعـمار. والبـقيـة تأتي. كما أعلنـت الوكالة الأميركية للتنمية الدولية ان عقدا قيمـته ٧,٩ مليون دولار منح لمنظمة أميركية لرعاية الاستقرار الاجتمـاعي والسياسي بعد الحـرب، وهذه المنظمة متخصـصة في النظم التعليمـية مما يعني ان الولايات المتحدة تريد تغيير النظم التعليمية في العراق.

ووصل الجنرال المتقاعـد جارنر إلى بغداد ليرأس إدارة الاحتلال ومـعه طاقم من ٢٠٠ فرد. وقال ان أول مهمة له فـرض النظام والقانون، كما ان الانباء تؤكد ان الولايات المتحـدة ستحتفظ بعدد من القواعد العسكرية في العراق «من ٤ إلى ٥ قواعـد» لتحقق بذلك سيطرتها على أوراسيا جائزة الهيمنة الأميركية كما سماها برجينسكي في كتابه «لوحة الشطرنج الكبرى».

وكشـفت صحيفـة «لوس انجلوس تايمز» عن خطة أميركـية لتحويل الشـرق الأوسط إلى ما اطلقت عليه شـرق آسيا جديدا، وهذه الخطة تـتبنى استراتيـجية تهدف إلى تغـيير الانظمة غـير الموالية للولايات المتحدة بالمنطقـة من خلال السبل السياسية والاقتصـادية، بل اعتبرت ان إعلان خطة «خريطة الطريق» لتسـوية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي بداية لهذا التغـيير. ومن ذلك دفع دول المنطقة إلى اجراء اصلاحات اقتصادية على نمط ما تم من قبل في دول شرق آسيا.

وقال أحـد أعضـاء الكونجرس ان اقامـة نظام ديموقراطي في الـعراق سيـحتـاج إلى خمس سنوات على الاقل، وهذا يؤكد نوايا الولايات المتـحدة في العراق. وبدأت وسائل الاعـلام تتحدث بصراحـة وتتساءل من عليـه الدور بعد العراق، بـل واكدت احدى هذه الشـبكات ان سوريا هي المرشحـة لذلك لأن الرئيس بوش هدد سـوريا بانها تأوي هاربين من المسـؤولين العراقـيين من نظام صدام حسين وأن لديهـا أسلحة كيماوية وبيولوجيـة. ونفت سوريا ذلك تماما بل ان وزير الخارجية السـوري علق على ذلك بان الولايات المتحدة تعلم تماما ان العلاقات السـورية العراقية

لم تكن في يوم من الأيام جيدة وان سوريا اشتركت بقوات في التحالف الذي هزم العراق عام ١٩٩١ وحرر الكويت فكيف توجه لسوريا مثل هذه الاتهامات؟ لكن يبدو ان تعليمات صدرت من إسرائيل للادارة الأميركية بذلك واستجاب الرئيس بوش لها ومع ذلك فان كولن باول حاول التخفيف من وقع هذه الاتهامات وقال انه لا توجد قائمة بدول عليها الدور وان سوريا ليست هدفا لعمل عسكري أميركي. وفي آخر تصريح للرئيس بوش قال بالحرف الواحد. «لقد وصلتهم الرسالة» وهذا يعني انه مصمم على هذا التهديد.

وهناك مخاوف في العالم العربي من ان تكون الحملة الإعلامية الأميركية الأخيرة على سوريا وإيران تمهيد لنقل الصراع خارج العراق بعد سقوط صدام حسين أو على الأقل فتح جبهات جديدة تكون دمشق طرفا فيها. ودخلت إسرائيل على خط التوتر الأميركي السوري وسارعت بالتلويح بوجود أسلحة كيماوية عراقية في سوريا، كما قامت باختراقات جوية داخل لبنان فيما يمكن وصفه بانه رسالة أميركية باللغة العبرية –على حد تعبير بعض المحللين.

ومن المؤكد ان الادارة الأميركية تهدف إلى جعل العراق تجربة سياسية استراتيجية ونموذجا قد يكون تمهيدا للانتقال إلى سوريا أو إيران أو دولة اخرى بالمنطقة بهدف تأمين الهيمنة والوجود الأميركي الآمن لأطول فترة ممكنة إلى جانب ضمان أمن إسرائيل .

وهناك من يقول ان سوريا ورطت نفسها في عداوة علنية مع الولايات المتحدة عندما عارضت الخطط الأميركية سياسيا في كل المناسبات وانها حاولت عرقلة الخطط العسكرية الأميركية من خلال فتح حدودها مع العراق علما بان سوريا أغلقت حدودها في وجه المنتمين للنظام العراقي مراعاة لواشنطن. وبوجه عام هناك فريق بالادارة الاميركية يرى ان يتم التغيير المرتقب في العراق أو سوريا عن طريق النظم الديموقراطية والافكار الغربية والاسواق الحرة وممارسة الضغط السياسي وهو ما عبر عنه كولن باول بدراسة إمكانية فرض حظر دبلوماسي واقتصادي على سوريا إذا لم تبادر إلى إعلان رغبتها في التعاون في بحث القضايا العالقة بين سوريا والولايات المتحدة. لكن ما أعلنه وزير الخارجية السوري من اغلاق الحدود السورية مع العراق والترحيب بزيارة باول لدمشق.. يعتبر بداية لانفراج الأزمة بين الدولتين.

كما ان إيران أغلقت حدودها مع العراق بشكل محكم ولوحت باحتمال ادخال تعديلات سياسية على نظامها مع التلميح باعادة المفاوضات مع واشنطن لدرء الخطر الأميركي الذي يحاصرها من عدة جهات.

وفي المنتدي الذي عقده معهد واشنطن لشؤون الشرق الأوسط حول مرحلة ما بعد حرب العراق قالت كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي الاميركي ما يؤكد ان دور الأمم المتحدة يقتصر فقط على القضايا الانسانية.

وقالت: إذا خيرت الشعوب فستختار الحرية قبل أي شيء مؤكدة أن الحرب لم تنته بعد حيث توجد جيوب مقاومة يجب القضاء عليها. ولابد ان تربح الولايات المتحدة الحرب من اجل عراق حر ديمقراطي بدون أسلحة دمار شامل وكل شعوب الشرق الأوسط ستستفيد من الحرب وفي

مقـدمتها العـراق الذي سيكون قدوة بالمنطقـة. وسوف يتزايد الأمل بمستـقبل أكثر اشـراقا من المغرب إلى البحرين.

واثنت على ما صـرح به ولي العهد السعودي حـول الحاجة لاحداث الاصـلاحات وقالت ان التحول نحو الديموقراطية يحتاج إلى وقت طويل. كـما لو كانت الإدارة الأميركية منوطة باحداث تغيير في كل دول العالم طبقا لنمط يريده بوش.

وذكـرت ان زيارة وفد هيـئـة الطاقـة النووية الدوليـة لإيران كشف عن وجـود مـشكلة في البرنامج النووي، وان مهمة الولايات المتحدة هي ضمان عدم انتشار الأسلحة النووية في المنطقة وان تلتزم دولهـا بالمعايير الدولية لذلك. ولم تتـعرض لإسرائيل النووية من قريب أو مـن بعيد. وكان باول قـد سُئل عن التـسليح النووي الإسرائيلي فـتلعثم في الرد بل لم يجـد ردا يمكنه ان يقوله. وهذا يعني أن إسرائيل مـستثناه من كل ما تطالب به الولايات المتحدة فـهي فوق القانون وفوق كل دول العالم من وجهة النظر الأميركية.

الحالة الكورية

والأمر المخزي حـقا ان كوريا الشمـالية –الدولة التي اطلق عليهـا بوش وصف الدولة المارقة العضـو في محور الشـر– مسـتمرة في برنامـجها النووي ولديهـا صواريخ بعـيدة المدى ومن المحتمل أن تكون عابرة للقارات ولم تفعل الولايات المتحدة شـيئا ضدها كما فعلت ضد العراق – الذي لم يكن نوويا والذي اثبتت نتائج الحرب انه لا يمتلك أسلحة دمار شامل– ولقد احتلته دون أي خسـائر تذكر في قـواتها واعتـبرت القـيادة الأميـركيـة ان هذا نصر كبـير، وكل مـا قررته الولايات المتحدة ازاء كوريا الشـمالية ان تلجأ إلى الحل الدبلوماسي الذي رفضتـه تماما بالنسبة للعراق، وها هي تهدد سوريا تاركة كوريا الشمالية في تحديها للولايات المتحدة.

الا يعطينا ذلك درسا مهـما وهو ان القوة هي الرادع الوحيد ضـد العدوان فلو لم تكن كوريا الشماليـة نووية وصاروخية وقوية عسكريا لـتعرضت لغزو أميركي لا مـحالة.. لكن قوة الردع النووي الصاروخية التي تمتلكها تحميها من أي فعل أميركي.!

وسوف تحظى الولايات المتـحدة باكبـر قدر من اعمـار العراق ولن تسمـح الا لعدد قليل من الدول التي ترضى عنها بنصيب صغير من هذا العمل، خـاصة وان آخر ما نشر ان اعمار العراق قد يتكلف عشـرات المليارات من الدولارات لدولة انهكتهـا ١٢ عاما من الحصار الاقـتصادي مع حربين اقليميتين قبل الحـرب الأخيرة التي دمرت البقية الباقية من بنيتـها الاساسية. بل ان احد الاقتصـاديين من جامعة بالي الأمـيركية قال ان اعـمار العراق قد يتكلف خـلال السنوات العشر القـادمة ١,٦ تريـليون دولار والغـريب ان هذه التكلفـة –على حـد قولـهم– تشتـمل على كلفـة المساعدة لاصدقاء التحالف في منطقة الشرق الأوسط تركيا والاردن وإسرائيل وقدروها بعشرة مليارات دولارات. وكما هي عادة الولايات المتحـدة ادخلت إسرائيل التي لا ناقة لها ولا جمل في هذه المعادلة.

هل كل هذه التهـديدات التي يطلقها الأميـركيون هنا وهناك هي حلقة من مـخطط يهدف إلى

تجريد الأمة العربية من كل أسلحتها وتحويلها إلى كيانات وشعوب معزولة تدور كلها في فلك الغرب حرصا على مصادر البترول وانسيابه في سلاسة وامان وبالاسعار التي تريدها الولايات المتحدة وحلفاؤها وايضا لتحقيق أمن إسرائيل، وما قد يخلقه ذلك من مشاعر الغضب والغبن لدى الشعوب العربية خاصة ان تصريحات مسؤولين أميركيين كبار اكدت ان المخطط يرمي إلى الغاء تراث عريق وطويل من الثقافة الإسلامية والتدخل في البرامج التعليمية بالمعاهد الدراسية في الدول العربية، والتنديد بما اطلقوا عليه التطرف الديني وضرورة القضاء عليه رغم علمهم بان الاسلام ضد التطرف بكل صوره، كما ان التطرف الديني ظاهرة عالمية فهناك تطرف في المسيحية واليهودية وغيرهما. ومثال ذلك ما يحدث في ايرلندا وفي الباسك والولايات المتحدة نفسها.

وما تقوم به إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة.. حيث الدبابات والطائرات الاباتشي تهاجم المواطنين العزل وتقتل منهم كل يوم اعدادا كبيرة وتدمر منازلهم ومزارعهم لا أحد يطلق عليه ارهابا أو تطرفا.. الهندوس في الهند يقتلون المسلمين والروس يقتلون الشيشان وما من احد يكتب أو يقول انه تعصب وتطرف ديني..! هل هذه هي العدالة التي ينادي بها بوش؟

رامسفيلد غاضب

ظهر دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الاميركي أمام الصحفيين غاضبا من تقرير نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» يؤكد على لسان مسؤولين عسكريين ان الولايات المتحدة تنوي الاحتفاظ بأربع قواعد عسكرية دائمة في العراق.. ورد رامسفيلد بأن هذا كلام لا أساس له وان بلاده لا تنوي البقاء طويلا في العراق. وان قواعدها في الدول المجاورة تكفيها ولا تحتاج لقواعد في العراق.. وانها لا تريد ان يصورها احد على انها قوة احتلال.. وهي تسعى لاقامة حكومة صديقة في بغداد تتيح لها اعادة انتشار قواتها بالخليج واجراء تغييرات جوهرية في مواقعها.

تخفيف اللهجة

رفض رامسفيلد الاجابة على سؤال بشأن سوريا. وقال: لا جديد لدي لكي اقوله بينما بدا المسؤولون في البيت الابيض والخارجية اقل حدة في لهجتهم تجاه سوريا.. وقالوا انها بدأت تتجاوب مع المطالب الاميركية على حد زعمهم.. ويبدو ان اللهجة الهادئة التي بدأت واشنطن اتباعها ازاء دمشق توحي برغبة في تخفيف حدة التوتر وعدم فتح جبهات سياسية أو عسكرية جديدة على الاقل حتى يكتمل ترتيب الأوضاع في العراق.

أين أسلحة الدمار الشامل؟!

القوي يفرض واقعا أولا ثم يبحث بعد ذلك عن شرعية

خلو العراق اليقيني من أسلحة الدمار يؤكد أن الحرب لها مآرب أخرى

السؤال مازال مطروحا بقوة: هل هي قوة الشرعية أم شرعية القوة؟

مجلس الأمن أطلق يد التحالف في بغداد وإنهاء الوجود العسكري غير وارد

استراتيجية الحرب المسبقة أشعلت نار الإرهاب والعالم أصبح مسرحا للعنف

انتهت الحرب على العراق بـالسيطرة العسكرية الاميركية على كـل الاراضـي العراقية وعلى البتـرول وبدأت أميركا اقـامة عدد من القـواعد في الأراضـي العراقـية، كما اقـامت ادارة للعراق تحاول اسـتعادة الامن والنظام واسـتئناف الخدمـات العامة. وتشـير توقعـات المراقبين الى أن عمليات السلب والنهب التي انتشرت كالوباء في العراق منذ سقوط نظام صدام حسين بدأت في التراجع خـاصة بعد عـودة حوالي سبعـة آلاف شرطي عراقي للعـمل. وفيمـا يتعلق باستـعادة الخدمات المدنية شرعت الادارة الأميركية في اصلاحها وبدأ بعض الخدمات مثل البريد تعود الى العاصمـة بغداد. وأعلن الحاكم الاداري الاميـركي للعراق بول بريمر أنه يسعى لتـشكيل حكومة انتقالية هناك.

وأعلن بريمر تأجيل المؤتمر الوطني العـراقي لاختيار السلطـة الانتقالية الى شهـر يوليو وانه يواصل اجراء حوار مع الزعماء العراقيين وصفه بأنه فعال. ومن المعروف أن اجتماعا موسعا تم مع ما أطلق عليه «شخصيات عراقـية بارزة» في بغداد في أواخر ابريل الماضي أسفر عن اقتراح عقد المؤتمر الوطني.

وبدأت الولايات المتحـدة منح عقود اعمـار لشركات اميـركية حصلت على نصـيب الاسد من اعمـال البترول والاعـمار. وأثار منح الكونجرس الامـيركي مهـام بناء شبكة للخطوط الهاتفـية اللاسلكية في العراق لشركة «ام. سي. آي» شكوكا وتساؤلات لأنها شركة مفلسة أتهمت بالغش والتلاعب في الحـسابات المالية لاظهار كشـوف ارباح مزيفة وبلغت خسـائرها ١١ مليار دولار كما توجد معلومات بمنح شركة «مـوتورولا» عقدا لبناء شبكة اتصالات للقوات الامنية في بغداد وما خفي كان أعظم.

كمـا قامت السلطات الامـيركيـة في العراق بحل القـوات المسلحة العـراقيـة ووزارتي الدفاع والإعلام بالإضافة إلى عدد من المؤسسات الأمنيـة. وبلغ مجموع عدد الجنود والضباط الذين تم تسريحهم حوالي ٤٠٠ ألف بالإضافة إلى خمسة آلاف موظف في وزارة الإعلام. كما تم حرمان

جميع حاملي رتبة العقيد فما فوق من جميع مستحقات نهاية الخدمة وحظرت عليهم الخدمة في أي مناصب في الحكومة العراقية الجديدة حال تشكيلها. وأصبح العراق الآن بلا أي قوات تحميه وتقوم القوات الأميركية بهذه المهمة وحسب هذا القرار ستتم السيطرة على أملاك القوات المسلحة العراقية لصالح سلطة التحالف. ومع ذلك تدعى الولايات المتحدة انها ليست قوات احتلال للعراق.

تفويض دولي

ووافق مجلس الأمن على مشروع قرار برفع العقوبات عن العراق.. ووفقا لما هو مطروح يتم الغاء برنامج النفط مقابل الغذاء خلال ستة اشهر. وقال المندوب الاميركي ان القرار ينهي سيطرة التحالف على العراق فور نقل السلطة لحكومة عراقية معترف بها دوليا ولكنه أوضح ان نقل السلطة لن يتم استعجاله أو تحديد توقيتات زمنية له. ويمنح القرار الولايات المتحدة سلطات واسعة لإدارة العراق واعادة بنائه باستخدام اموال البترول، وتقليل دور الامم المتحدة في الإشراف على انفاق العائدات. وبصدور هذا القرار تنفرد الولايات المتحدة بكل شيء تقريبا في العراق، وهو هدف رئيسي لها لأنها ستبقى في العراق لمدة طويلة.

وتقول مراكز الدراسات الاستراتيجية إنه بعد الجنود يأتي الدبلوماسيون وايضا رجال القانون ومع انحسار ضباب الحرب في العراق يخيم جو خانق «على حد تعبيرهم» من التفاصيل القانونية، ويطفو الى السطح سؤال عن شرعية النظام الجديد في بغداد. فرجال القانون يقولون ان هذا النظام يكتسب الشرعية اذا وافق مجلس الأمن على هذا التغيير وهو ما لم يحدث حتى الآن وأي شركة تشتري النفط أو تحصل عليه قد تتعرض لمقاضاة من افراد وشركات لأن النظام الجديد في العراق غير شرعي، وتطالب المحاكم بايقاف العقود أي أن استخدام الولايات المتحدة لبترول العراق يحتاج اولا للتغلب على هذه المشاكل، خاصة وان الشركات التي كانت تعمل في حقول البترول العراقية قبل الحرب فرنسية وروسية.

وكان الاتهام الموجه للادارة الاميركية بأن الحرب كانت من اجل البترول وتصاعدت هتافات تقول: «لا دماء من أجل البترول» وكانت هناك اصوات داخل الادارة الاميركية تطالب بضرورة دعوة عدد من الشركات خارج التحالف للمساعدة في اعادة بناء العراق وفي المقابل كانت هناك اصوات اقوى تقول ان الدم الاميركي هو الذي اريق «رغم ان عدد القتلى ١٧٠ اكثر من نصفهم نتيجة حوادث ونيران صديقة، فأي دم هذا الذي أريق ومن الذي دعاهم لغزو العراق؟ وقالوا إن من حق الشركات الاميركية ان تفوز بالغنيمة، الامر الذي يؤكد ان الحرب لم تكن لتحرير العراق وانما كانت لاهداف اميركية بحته.

ويتحدث المحللون عن دور الشيعة في العراق الجديد فيقولون انهم اغلبية تريد آن يكون لها صوت رئيسي في اختيار نظام عراقي جديد. ومع ذلك يرى المحللون انه رغم التضامن الطائفي الذي ظهر الا ان التجانس غير متوفر بينهم، فهناك انقسام بين رجال الدين والعامة وانقسام بين السياسيين واولئك الذين لا يريدون التورط في السياسة. ومن الفئة الثانية اية الله على

سيستاني اكبر شخصـية دينية في النجف. ومازالت هذه المدينة تحاول التخلص من آثار احداث العنف في العاشر من ابريل الماضي التي قُتل فيها احد رجال الدين المشهورين الذي كان قد عاد حديثا من المنفى في لندن.

ويوجد بين الشيعة عدة تنظيمات أو جمـاعات منها حزب الدعوة وأُسس في الخمسينات وهو اقدم الحركات الشيعية. وحاول اكـثر من مرة اغتيال صدام حسين وبعض وزرائه وتعرض هذا الحزب لقـمع من قبل النظام العراقي وانقسم الى عدة فصـائل. وعاد احد اعضـاء الحزب وهو الشيخ محـمد ناصري من ايران –حيث كان لاجئـا فيها– الى جنوب العراق كجـزء من محاولة الحزب لاستعادة مكانته من جديد.

أما المجلس الأعلى للثورة الاسـلامية بالـعراق فكان مـقره في طهران وتـأسس عام ١٩٨٢ برئاسة اية الله محـمد باقر الحكيم. كما ان شقـيق محمد باقر ويدعى عبدالعـزيز عاد ايضا من المنفى. وهذا المجلس مـثله مـثل حزب الدعـوة امـتنع عن الاشتـراك في الاجـتمـاع الذي عقـده الاميـركيون في الناصريـة بجنوب العراق. ومع ذلك فان هذا المجلس يرى ان العـلاقة مع ايران غير مناسبة ولا تمثل دعما له.

ومجموعة الصدر وتمثل اتجاها متطرفا متناميا ينظر اليه البعض على انه قوة يجب الاعتراف بها، ولقد اتخذ الاسم لأحد الشخصيات الدينيـة المحبوبة آية الله محمد صادق الصدر الذي أُعدم بواسطة عمـلاء لصدام حسين عـام ١٩٩٩. ويقود هذه المجمـوعة الآن ابنه البالغ من العـمر ٣٠ عاما. ويوجد له اتباع في النجف حيث يتهمهم البـعض بقتل عبدالمجيد الخوئي لكنهم ينفون ذلك تماما. كما ان هذه المجـموعة محصورة في الشـيعة بضواحي بغداد واكبـر عدد منهم في مدينة صدام التي اصبح اسمها الآن مدينة الصدر.

وهناك بعض العراقيين من السنة والاقلية المسيحية يشعرون بالقلق تجاه نمو النفوذ الشيعي ويخشون في الظروف والاحـوال الجديدة ان يطالب الشيعة ليس بـانهاء اضطهادهم وانما بدور مسيطر في النظام الجـديد. ويبدو ان هذا ما اظهرته المسيرات الشـيعية الضخمة في مـدن كثير بالعراق اهمها كربلاء والنجف. ويري المحللون ان هذا قد يسبب قلقا وصداما بين السنة والشيعة كما انه يسبب قلقا لدول الجوار.

وهنا يأتي السؤال المهم: هـل ستؤدي هذه الامور الى صـراعات قد تؤثر سلبـا على الوحدة العراقية؟ وان كنت اعتقد ان السنة والشيـعة في العراق لديهم احساس بالانتماء الى وطن واحد هو العراق واتمنى ألا يحدث ما يتوقعه المحللون من صدام أو صراع.

مباراة حربية

والأمر الذي أود ان اشير اليـه هنا هو ان الولايات المتحدة شنت حربها على العراق بصـفتها دولة مارقة تمثل تهديدا لأمـيركا ومصـالحها بأسلحة تدميـر شامل وثبت بما لا يدع مجالا لشك ان هذا كان غير حقيقي.. فلم يثبت ان العراق لديه مثل هذه الاسلحة، كما ان الصورة التي دارت بها الحـرب تؤكد ان العـراق لم يكن قادرا بالقوات التـقليدية على ان يهـدد احدا.. فلقـد انهارات

القوات العـراقية في ثلاثة اسـابيع دون قتال يذكـر. والأمر العجيب حـقا ان البنتاجـون قام في أواخر شـهر ابريل باجـرآء مباراة حـربية اشتـركت فيـها كل افرع القـوات المسلحة والقـيادات المختلفة اقتضت قيام الولايات المتحدة بشن حرب مسبقة ضد دولتين في الشرق الأوسط في آن واحد. ووصف سيناريو المباراة الحربية الدولتين بأنهما تحيط بهما صحراء وجبال وبهما ممرات مائية ضـيقة، بل قال السـيناريو انهما تمثـلان تهديدا لحلفاء الولايات المتحـدة في جنوب شرق آسيا. وافترض السيناريو ان الولايات المتحدة لها تفوق كبير جدا في القوة العسكرية «وهذا امر واقع وواضح» ولكن ما تمتلكه الدولتـان من قوات تقليدية واسلحـة دمار شامل يحتم اسـتخدام استراتيجية بوش «الحرب المسبقة» أو «الأحباط» على اساس ان هذا يحقق سلامة الأمن القومي الاميـركي. واديرت المباراة على اساس ان الدولتين كـانتا سريعـتين في اتخاذ اجراءات مـضادة واستخدمتا اسلحة تقليدية ضد قوات التحالف لحرمانها من استخدام الموانيء والمطارات وهو ما يعرف بضربة احباط عند حشد قوات العدو وهو امر معروف في كل العقائد العسكرية. وتمادى السيـناريو في ان الدولتين فتـحتـا اسلحة تدمـير شـامل في المعركـة ضد القـوات الزرقاء «أي الاميركيـة وحلفائها» المهاجمة.. وتضمنت فكـرة المباراة انها ادارة حرب غير تقليدية يقـوم فيها الطرف الأضـعف «أي الدولتان اللتـان توجه لهـما الولايات المتـحدة ضـربات احباط» بمـحاولة لمواجهة التـفوق العسكري الساحق بأساليب غـير تقليدية. ومن ذلك على سبـيل المثال ان إحدى الدولتين هربت قنبلة نووية داخل دولة حليفة للولايات المتحدة وهددتها بتفجيرها اذا لم تنسحب من الحملة.. وامثلة من هذا النوع من العمليات غير التقليدية.

وخرج البنتاجون من المباراة بدروس اعتبرها مهـمة خاصة في التسليح وفي ميزانية الدفاع التي قدرها بحـوالي٤٠٠ مليار دولار عام ٢٠٠٤. وضـرورة امتلاك القـوات الاميركيـة اسلحة جديدة مـثل نظم دفاع جوي بمدى يصل الى ٤٠٠ كـيلو متر ونظم صـواريخ تكتيكية وتعـبوية أرض – أرض بمدى من ٧٠ الى ١٥٠٠٠ كم وزيادة عـدد الطائرات القتـالية والطائرات الموجـهة بدون طيار، وسـفن يمكنها العـمل في المياه الضحلة وذات سـرعات عالـية.. والأهم من كل ذلك تطوير قنابل نووية صغيـرة قادرة على تدمير اي تحصينات أو مـراكز قيادة تحت الأرض على عمق ٣٠٠ متر وزيادة عدد القواعد الجوية في العالم وهذا ما يؤكد ان الولايات المتحدة ستحتفظ بخمس قواعد جوية على الاقل في العراق والاتفاق مع دول في انحـاء كثيرة من العالم للحصول على حق التمركز في الموانيء.

ومن المعروف ان المباريات الحـربية تكون بين طرفين، احدهما يمثل القوات الصـديقة والآخر يمثل العدو وتدور العـمليات بينهمـا دون معرفة أي من الطرفين بـخطط ونوايا الآخر ولكن بناء على قوات الاستطلاع لكل طرف يتم امداد المتباريين بمعلومات استطلاع طبقا لقدراتهم الحقيقية ليتخذ كل منهما بناء عليها قراراته، ويقوم نظام حواسب آلية بتقييم الخسائر التي تحدث في كل طرف التي تعلن على الطرفين طبقا لسير العمليات ويقوم باتخاذ القرارات طبقا لذلك.

والدروس التي يتم الخروج بهـا من المباراة يتم تطبيـقها واجراء اي تعـديلات في التكتيكات وفي الاسلحة والمعـدات، ثم يتم تكرار المباراة بعـد فترة كـافية لاجـراء هذه التعديلات لتـجري

مباراة اخرى تُبنى على ما حدث من تطورات حقيقية في الخصوم وهكذا. وهذه المباراة تعني ان الولايات المتحدة ستستمر في تنفيذ استراتيجية الحرب المسبقة وان كانت هذه العمليات لن تتم في العام الحالي ٢٠٠٣ الذي مضي منه حوالي نصفه أو في ٢٠٠٤ عام انتخابات الرئاسة الاميركية الى جانب ان تورط الولايات المتحدة في العراق وفي افغانستان يجعلها في موقف قد يتعذر عليها فيه حشد حجم من القوات لشن حرب مثل حرب العراق، كما ان دولا غربية كثيرة ستتردد في الانضمام لأي تحالف جديد.

والسؤال: ما هي الدول الشرق اوسطية التي تمت عليها المباراة الحربية؟ وهل هذه الدول تمثل تهديدا للولايات المتحدة كما تدعي؟

ومن الوصف الذي ذكر في سيناريو المباراة يمكن القول ان هاتين الدولتين هما ايران وكوريا الشمالية «رغم ان كوريا الشمالية لا تدخل ضمن الاطار المعروف باسم الشرق الاوسط الأكبر» فكوريا الشمالية دولة نووية وايران تدعي الولايات المتحدة انها ستصبح نووية عام ٢٠٠٥ أو بعد ذلك بقليل ومع ذلك يجب ان تتوقع كثير من دول الشرق الاوسط انها معنية بهذه المباراة. كما ان هذه المباراة تعني ان الولايات المتحدة ماضية وعازمة على الاستمرار في حروبها المسبقة ضد دول تختارها طبقا لأهدافها التي تسعى فيها للسيطرة على اوراسيا وتشديد قبضتها وسيطرتها على منطقة الشرق الاوسط الكبرى.

إن الأمر الذي اصبح واضحا ان الحملة الاميركية على افغانستان لم تؤد الى القضاء على تنظيم القاعدة. وتقول مراكز دراسات استراتيجية دولية ان تفجيرات الرياض تحمل بصمات القاعدة. فهل يعني ذلك ان القاعدة أعادت تنظيم نفسها وتمركزها من جديد؟ ان الواقع الذي يعترف به معظم المحللين ان هذه الاعمال الاميركية –الحروب المسبقة والغزوات العنترية– ساعدت على تزايد نشاط الارهاب الدولي وهناك تقرير لأحد مراكز الدراسات بأن للقاعدة الآن اكثر من ١٨٠٠٠ عميل ينتشرون في عدد كبير من الدول وانها غيرت انماط اتصالاتها وبدأت تعتمد على ما قدمته تكنولوجيا العصر في هذا المجال مثل الانترنت والهواتف المحمولة. وتقول ان الاجراءات الشديدة الدفاعية التي اتخذت في دول كثيرة ادت الى تغيير تكتيكات الجماعات الارهابية وبدأت توجه هجماتها ضد اهداف اسهل مثل بالي والدار البيضاء والرياض.

ان غطرسة القوة هي التي تخلق التطرف ومع تمادي الولايات المتحدة في مخططاتها واعمالها سيتزايد النشاط الارهابي.. والحل الأمثل لذلك هو تعاون دولي على مستوى الامم المتحدة وليس انفراد دولة بذلك.

والأمر المؤسف حقا ان يقوم احد المستشرقين الغربيين «يسمى عميد المستشرقين» وهو برنارد لويس باصدار كتاب كله مغالطات وذات عنوان خاطيء واستفزازي هو «أزمة الاسلام».. ويقول ان الاسلاميين يعتبرونها حربا مقدسة واميركا تراها حربا ضد الارهاب والنظم المارقة. وهذا خطأ فاحش فالاسلام لا يشن حربا مقدسة على احد والاسلام ضد الارهاب بل ان دولا اسلامية تتعرض للارهاب وتحاول ان تقضي عليه بكل ما تملكه من قدرات محدودة. واعتقد ان علينا التصدي لهذه الاراء المنحرفة بكل ما نملك من وسائل. وابسط رد على دعواه الكاذبة ان

الجاليات الإسلامية في دول غربية كثيرة منها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمانيا من اكثر الجاليات انضباطا وتعيش بالقانون وفي سلام ولا تعتدي على احد ولم يحدث من اعضائها أي عمل مخالف للقانون بعكس جاليات اخرى انغمست في اعمال عنف وارهاب وحرب مخدرات.

ان اخطر نتيجة لهذه المباراة الحربية التي اجرتها القوات المسلحة الاميركية هي افتراضها ان الدولتين المرشحتين لتطبيق استراتيجية الحرب المسبقة قد تستخدمان اسلحة تدمير شامل ضد قواعد امريكية او ضد دول صديقة للولايات المتحدة.. واذا كان الامر كذلك فكيف تقدم الولايات المتحدة على عملية قد تؤدي الى تبادل ضربات نووية؟ وهل قررت الولايات المتحدة اللجوء الى الحل النووي اذا رأت ان ذلك سيحقق لها النجاح في حملاتها؟ وهل صناعتها لاسلحة نووية صغيرة تهدف لاستخدام هذه القنابل النووية المصغرة ضد الدول المارقة – كما سمتها – بحجة انها قد تلجأ لضرب قواعد اميركية باسلحة دمار شامل نووية او كيماوية؟ وهل يشجعها على ذلك انها خلال فترة قصيرة ستكون قد فتحت نظامها الدفاعي المضاد للصواريخ عن المسرح وقد تعتقد انه سيحمي قواعدها واصدقاءها من اي ضربات نووية محدودة جدا قد تقدم عليها دولة مثل كوريا الشمالية؟ ام ان حربها المسبقة ستبدأ بضربات نووية ضد الاسلحة التي تزعم امتلاك تلك الدول لها؟ وهل ستقف دولة كالصين متفرجة على حليفة لها مثل كوريا الشمالية وهي تتعرض لمثل هذه الضربات؟ وهل ستؤدي استراتيجية الحرب المسبقة الى تبادل ضربات نووية قد تؤدي الى دمار العالم؟

عودة الفوضى

عادت الفوضى إلى العاصمة العراقية بغداد تحت سمع وبصر القوات الأميركية ووقعت حوادث اغتيال في وضح النهار لاحد زعماء العشائر واضرمت النيران في عدد من المنشآت واختطفت عروس من بين أهلها ليلة زفافها.. وقيدت كل هذه الحوادث ضد مجهول.. ويبدو ان هناك مخططا لاستمرار وربما لتشجيع الفوضى والأعمال الإجرامية كمبرر قوي لبقاء قوات الاحتلال أطول فترة ممكنة.

تراجع

تراجعت قوات التحالف البريطانية الأميركية عدة خطوات عن وعودها بتوفير بدايات دميقراطية في العراق فقد حل البريطانيون المجلس المحلي التنفيذي المنتخب في البصرة ووضعوا الأمور كلها في قبضة ضباطهم.. وتدخل الأميركيون في انتخابات مجلس كركوك وفرضوا أربعة اكراد من الموالين لهم على المجلس بلا انتخاب مما أدى إلى انسحاب العرب منه.. وتلك الأمور ربما تؤدي إلى اشعال الفتنة بين الطوائف العراقية المختلفة.

لغز العلاقات الأميركية الإيرانية

السطح ساخن والعمق هادىء بين واشنطن وطهران

اهداف واشنطن وطهران كانت متطابقة في القضاء على طالبان ونظام صدام

أميركا أشادت بتعاون إيران في حرب الإرهاب ثم اتهمتها بدعمه

إسرائيل اللاعب الرئيسي في ضرب العلاقات بين واشنطن وطهران

أميركا غير راغبة وغير قادرة الآن على توجيه ضربة عسكرية لإيران

أدت الحرب الأميركية على العراق واحتلاله إلى زيادة تردي العلاقات الأميركية الايرانية رغم ان الظواهر كانت تشير قبل عام من الحرب إلى نوع من التقارب أو محاولة التقارب. ويرى المراقبون انه منذ تولي إدارة الرئيس بوش السلطة كانت لديها رغبة غير واضحة في تطوير علاقاتها مع إيران. وخلال الحملة الانتخابية كان فريق الرئيس بوش بما في ذلك نائب الرئيس ديك تشيني يصف إيران أو يصنفها بانها مجال واسع لاستثمارات شركات الطاقة الأميركية. وكانت الولايات المتحدة قد فرضت عقوبات على إيران وليبيا عام ١٩٩٦ كان المفروض ان تنتهي في أغسطس ٢٠٠١ واقترحت إدارة بوش مدها عامين بدلا من خمسة أعوام.

ويبدو ان إدارة بوش خشيت الدخول في تسوية مع الكونجرس لتقليل عدد السنوات خوفا من تأثير ذلك على انتخابات الرئاسة الاميركية عام ٢٠٠٤ لانها تعتقد ان اللوبي الموالي لإسرائيل سيكون له دور حاسم في هذه الانتخابات. وبدأت الإدارة الأميركية تتلمس طرقا اخرى لاظهار نواياها الحسنة تجاه حكومة الرئيس الايراني محمد خاتمي المعتدلة.

ويقول المحللون ان العقبات في طريق تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران عقبات قانونية أكثر منها عقبات تنفيذية الأمر الذي جعلها مسألة لا يمكن للرئيس بوش ان يحلها بمبادرة منه.

ويقولون ان فرصة سنحت عام ١٩٩٦ بسبب نسف ابراج الخُبر في السعودية وهو مجمع مساكن للقوات الجوية الأميركية في الظهران الذي قيل ان وراءه ايرانيين، وفضلت الإدارة الأميركية ألا تتهم أي نشاط إيراني بانه وراء هذا الحادث. ومع ذلك فان المحللين يرون ان مثل هذه الاشارات أبعد من تتغلب على البعد السيكولوجي الذي يفصل واشنطن عن طهران.

هدف مشترك

ثم جاءت أحداث «١١ سبتمبر» على نيويورك وواشنطن لتضيف فرصة جديدة للتعاون. فلقد

اشتركت الولايات المتحدة وإيران في هدف التخلص من نظام طالبان الذي كان يحكم أفغانستان لان النظام الطالباني كان بمثابة شوكة في جنب إيران وكانت تعتبره معاديا وانه اشترك في مجزرة ١٣ دبلوماسيا إيرانيا في مزار الشريف. وقامت طهران بتسهيل مهام قتالية أميركية للبحث والانقاذ في غرب أفغانستان وابتعدت عن التدخل في الحرب الأميركية ضد طالبان. ومع ذلك فان هذا التوجه لم يستمر ربما جزئيا بسبب تقارير بان إيران لم تغلق حدودها مع أفغانستان باحكام وتركت ثغرة لهروب عناصر من قاعدة ابن لادن فرت من معركة «تورا بورا» ولكن لا توجد أدلة على ذلك.

ويقول المحللون ان هذه المسألة كانت لها حساسية خاصة بالنسبة للإدارة الأميركية التي تعرضت لنقد عنيف بسبب فشلها في منع هروب عناصر القاعدة والملا عمر. وتبادلت الولايات المتحدة وإيران الاتهامات في هذا الشأن لدرجة ان عددا من المراقبين يرون ان هذه المسألة بالاضافة إلى سعي إيران للحصول على أسلحة نووية ودعمها للهجمات ضد إسرائيل اضافت وقودا للتوتر ومجرد ذكر إسرائيل هنا يؤكد انحياز الولايات المتحدة لها انحيازا مطلقا وانها ترى ان المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي إرهاب وهو ما يؤكد ان الولايات المتحدة ليست لديها نوايا حقيقية لحل القضية الفلسطينية وانما تحاول ايهام العالم العربي بأنها تسعى لذلك..!

وفي الخطاب الشهير لبوش وردت قواعد وأسس اخترعها هو لضم إيران إلى محور الشر. وقال انه إذا كانت هناك دولة تطور أسحلة تدمير شامل أو لها علاقات بمجموعة إرهابية أو تشجع الإرهاب فانها ستكون على قائمة الدول التي تطبق عليها استراتيجية الحرب المسبقة «الحرب المانعة». وهدد بوش بان هذه الدول ان لم تقم بتنظيم نفسها فان العدالة الأميركية ستطبق عليها.. والعدالة التي يقصدها بوش هي مهاجمتها ومعاقبتها.

ويقول المحللون انه رغم صيغة «محور الشر» فإن ما ورد في الخطاب لا علاقة له باي مسار سياسي أميركي محدد وربما كان الخطاب يهدف إلى تقوية مركز الجمهوريين قبل انتخابات الكونجرس، كما يكثف من الاهتمامات الإيرانية بالنسبة للنوايا الأميركية، فوجود قوات أميركية على حدود إيران الشمالية والشرقية والغربية يثير القلق للحكومة الإيرانية.

ويقول المحللون انه مع ذلك فان إيران ستظل في حيرة من حقيقة ان بيانات الإدارة الأميركية مازالت متضاربة. ومازال وزير الخارجية الأميركي كولن باول يرى ان إيران لعبت دورا مساعدا «متعاونا» كما ان رئيس التخطيط السياسي بوزارته قال للكونجرس ان الدبلوماسية الايرانية كانت بناءة في الحملة الأميركية على أفغانستان. بينما علقت أجهزة اخرى بالإدارة الأميركية مثل وزارة الخارجية والبنتاجون بصورة مشوشة على ذلك، وبيانات البيت الأبيض لم تكن متناسقة دائما. ويقولون ان إعلان بوش ان التحالف سيتعامل مع إيران دبلوماسيا لا يحمل صيغة ضبط النفس بوضوح، ومن حق الإيرانيين ان يشعروا بالحيرة نتيجة البيانات الأميركية المتضاربة.

وفي يناير ٢٠٠٢ ازداد التوتر بسبب ضبط إسرائيل للسفينة «كارينا-٤» في البحر الأحمر في طريقها إلى غزة بقيادة ضابط بحرية فلسطيني وكانت تحمل ذخيرة والغاما مضادة

للدبابات وللأفراد و٤٢ صاروخ كاتيوشا وطنين من المواد المتفجرة البلاستيكية. وقيل ان مصدر هذه الأسلحة والذخائر إيران. وأشارت المخابرات إلى قوات الحرس الثوري الإيراني في هذا الشأن. وقالت ان الحرس الثوري هو تنظيم سياسي بالاضافة إلى دوره العسكري مع الجيش النظامي وله مهام عبر البحار وان القائد الأعلى له هو آية الله علي خامنئي. وكانت الانتفاضة الفلسطينية في عامها الثاني وكان لإيران رأي مختلف فيها عن رأي الولايات المتحدة. فمن وجهة النظر الأميركية فان انتشار العنف من صنع الرئيس ياسر عرفات، وهو رأي فيه تجن لأن الانتفاضة هي انتفاضة شعب محتل بقوة معتدية. كما ان الإدارة الأميركية كانت تعتقد ان الفلسطينيين غير مستعدين للتفاوض مع إسرائيل.

وأدت الانتفاضة في رأي إيران إلى تنشيط الدوافع الثورية ودفعت القيادة الإيرانية إلى انتهاز الفرصة وزادت دعمها للفلسطينيين وهذا ما يراه المحللون والمراقبون وضربوا مثالا لذلك بان إيران أوت «أبومصعب» الاردني الذي له علاقة بقاعدة ابن لادن وارسل عناصر لشن هجمات في إسرائيل عبر تركيا وتم القبض عليهم بواسطة قوات الأمن التركية على الحدود، كما قام بتدريب عناصر من حركة حماس في دارا قزوين احد معسكرات الحرس الثوري الإيراني خارج طهران وقام بتوفير دعم الحرس الثوري الايراني لمقاتلين في لبنان وسوريا والاردن، وكان الهدف تحويل الضفة الغربية إلى لبنان أخرى.

وترى مصادر المخابرات الإسرائيلية ان موضوع السفينة «كارينا-٤» تم تنسيقه وتخطيطه في اجتماع عالي المستوى بين ضباط من فتح وضباط من الحرس الثوري الإيراني في موسكو وكان الهدف منه تحويل دفة المعركة لصالح الفلسطينيين. وبالنسبة للكثيرين في الإدارة الأميركية كان ذلك حجر الزاوية في التفكير في تغيير النظام في إيران.

ولكن يبدو ان تغيير النظام في العراق كانت له الاسبقية الأولى لاسباب نعرفها جميعا وهي الهيمنة على بترول الشرق الأوسط عن طريق الهيمنة على أوراسيا واحتواء الصين وانذار واضح للنظام الإيراني إذا لم يخضع للاستراتيجية الأميركية.

تعاون وصراع

ومع ذلك يرى المحللون ان الحرب على العراق، مثلها مثل الحرب على أفغانستان، خلقت فرصة جديدة لتعاون أميركي-إيراني. فالولايات المتحدة كانت تتحرك لتغيير نظام هدد الأمن الإيراني ولإيران أهدافها في العراق وكانت الولايات المتحدة تسعى إلى قبول سياسي إيراني لهذه الحرب وإلى تعاون عملياتي محدود، بينما كانت إيران تخشى ضرب حلقة حولها لاحتوائها. وتمت لقاءات عديدة بين دبلوماسيين أميركيين وإيرانيين في أوروبا ونيويورك برعاية الأمم المتحدة كان من نتيجتها عدم حدوث مواجهة بعد الحرب رغم وجود قوات أميركية على الحدود الإيرانية داخل العراق، وهو وضع اعتقد البعض انه قد يؤدي إلى حدوث صدامات ولكن لم يحدث شيء. واعتبر البيت الأبيض ذلك تطورا ايجابيا ووافقت وزارة الخارجية الأميركية على اضافة منظمة مجاهدي خلق -وهي بمثابة جيش مسلح ملتزم بالقضاء على نظام طهران- إلى قائمة التنظيمات الإرهابية. وتبع ذلك قيام قوات التحالف في العراق بقصف مواقع مجاهدي

خلق ومطالبة مقاتلي مجاهدي خلق بتسليم أسلحتهم الثقيلة. ولكن سرعان ما تبدل الموقف وأصدرت المخابرات الأميركية معلومات تفيد بتعاون إيراني مع أحد قادة قاعدة ابن لادن وشكوك في أن إيران كانت تشجع تسليح المقاومة الشيعية ضد قوات التحالف في جنوب العراق ولكن إيران نفت ذلك تماما.

وبعد ذلك قطعت واشنطن اتصالاتها مع إيران وسط جدل كان يدور حول السياسة الأميركية الواجب اتباعها تجاه إيران. واتخذت الولايات المتحدة اعمال النسف التي تمت في الرياض والتي راح ضحيتها ٣٤ بين «أميركيين وسعوديين واردنيين وفلبينيين» ذريعة وأدعت انها من أعمال قاعدة ابن لادن وان التخطيط لذلك تم في إيران. ومع ذلك كان عدد من المسؤولين في وزارة الخارجية الأميركية ينفون تماما أي تورط إيراني في هذا العمل.

وبغض النظر عن صحة أو عدم صحة ما قيل فان العلاقات الإيرانية الأميركية ساءت بدرجة ملموسة.

وفي نهاية المطاف بدأت إدارة بوش جدلا حول سياستها تجاه إيران الأمر الذي تم تأجيله لفترة طويلة. وكان البنتاجون ونائب الرئيس الأميركي ديك تشيني من انصار عمل يؤدي إلى تغيير النظام الإيراني بواسطة ثورة شعبية داخل إيران. وبرز رأي اخر يمثل طريق اقتراب أكثر وهو استخدام مجاهدي خلق كما تم استخدام تحالف الشمال في أفغانستان أو الميليشيا الكردية في شمال العراق للاستيلاء على اجزاء من الأراضي الإيرانية خلال أو حتى قبل «الثورة» الشعبية المقترحة. ورأي ثالث أكثر شدة وهو قيام الولايات المتحدة بضربة جوية صاروخية ضد المنشآت النووية الإيرانية حيث يحتمل انتاج يورانيوم مخصب. وشنت الخارجية الأميركية معركة شرسة مطالبة البنتاجون بتقدير موقف بالنسبة للمظاهرات والقلاقل في إيران وما إذا كان التدخل الأميركي في إيران سيلقى ترحيبا من عدمه. ومع ذلك فكل هذه الافكار لم تحرك إدارة بوش بشأن إقرار سياسة محددة تجاه إيران ولكنها خلقت قوة دافعة جديدة. ففي ١٨ يونيو الماضي أعلن الرئيس بوش ان الولايات المتحدة لن تقبل قيام إيران بصناعة سلاح نووي، وان كان قد حذر فقط دون ان يذكر ما سيفعل.

وقال المراقبون ان كلمات بوش لم تشر إلى ان الولايات المتحدة ستقوم بعمل عسكري لايقاف ذلك ومنع إيران من انتاج سلاح نووي. ولكنه طالب المجتمع الدولي بان يتماسك ويتعاون في منع امتلاك إيران لأسلحة نووية. ومن المعروف ان إيران قبلت تفتيش لجنة الطاقة النووية الدولية على كل منشآتها للتأكد من أنها لاغراض سلمية.

وهناك شهية لدى بعض عناصر إدارة بوش لمسلك درامي لكن الطريق الحالي المسدود يبدو انه سيستمر. وخلال ذلك فان الخلاف الشديد الذي لم يتم حله بين المحافظين والاصلاحيين في طهران سيكون حاسما في تحديد السياسة الإيرانية وترابطها. ومن المؤكد ان رجال الدين الذين يحكمون إيران سيستمرون في استراتيجيتهم «شعرة معاوية» أو كما يسميها المحللون «الشد والجذب» في التعامل مع الولايات المتحدة.

ومع كل ذلك لا اعتـقد ان الولايات المتحدة سـتقدم في الوقت الحـالي أو في عام ٢٠٠٤ على غـزو إيران لصعـوبة ذلك عسكـريا ولأن ارض المعركـة تختلف والـنظام الإيراني لديه امكانات وقدرات عسكرية جيـدة ولأن الولايات المتحدة بوضعها الحالي لا يمكنها حـشد حجم من القوات للقيـام بمثل هذه المهمة، كمـا ان الرأي العام الدولي سيـعارض ذلك تماما ولا اعتـقد ان الولايات المتحدة بكـل امكاناتها يمكنها خلق اي شكل من اشكال التحـالف للقيام بمثل هذا العـمل.. كما لا اعتـقد ان فكرة استخـدام منظمة مجـاهدي خلق كما استـخدم تحالف الشـمال في افغانسـتان ستنجح بعد ان صنفـتها الولايات المتحدة على انها منظمـة ارهابية. ومن المؤكد أن ايران درست جيدا استراتيجية وتكتيك الحملة ضد كل من افغانستان والعراق وخرجت بدورس مستفادة.

قدرات

جيش إيـران النظامي قوامـه ٣٥٠٠٠٠ جندي ولديه عدة ألوف من دبابات القـتال الرئيـسي منها ٤٨٠ دبابة «ت - ٦٢»، ٤٨٠ دبابة «ت-٧٢»، و٣٠٠ دبابة «شيفتين»، و١٥٠ دبابة «أم٦ - أ» ويمتلك عدة ألوف من قطع المدفـعية المختلفة الاعـيره منها عدد لا بأس به من المدفعـية الذاتية الحركة. كـما يمتلك عددا كبـيرا من مركبـات القتال المدرعة من بينهـا حوالي ٨٠٠ مركبـة قتال مدرعة «ب ام ب ١، ٢».

صواريخ

تمتلك ايران عـددا كبـيـرا من الصواريخ ارض - ارض «سكـود بي، سي» ولديها صـواريخ مداها يصل الى ١٣٠٠كم ونظام دفاعها الجوي يشمل مدفعيات ذات مواسير وصواريخ موجهة مضـادة للطائرات وقوات الحرس الثـوري تصل الى ١٢٥٠٠٠ جندي في حوالي ٢٠ فـرقة «٢ مدرعة و٥ مـيكانيكية و١٠ مشاة و٢٠ لواء مـستقلا» بالاضافـة الى ٢٠٠٠٠ قوة بحرية ولواء مشاة اسطول وله قوة جوية خاصة.

بحرية

تضم القوات البحـرية الايرانية «١٨٠٠٠ فرد» و٦ غواصات و٣ فـرقاطات و٥٦ لنش مرور وحرس سـواحل و١٠ لنشات صـواريخ و٧ كاسـحات الغـام و٩ سفن ابرار و٣٣ سفـينة دعم وقوة طيران بحرية قوامها «٢٠٠٠ فرد» بها عدد من الطائرات المقاتلة والهليكوبتر المسلحة.

جوية

تضم القوات الجوية الايرانية «٥٢٠٠٠ فرد» و٣٠٢ طائرة قتال مشكلة في ٩ أسراب مقاتلة قاذفة، ١٧ سـرب مقاتلات و سرب استطلاع و٣ اسـراب نقل بالاضافة الى قوة شـبه عسكرية من ٤٠٠٠٠ جندي

سقوط الاقنعة في العراق

البترول اثبت انه السبب الرئيسي والوحيد للحرب الأميركية الأخيرة

أسلحة الدمار الشامل كذبة كبرى لتبرير الهيمنة على العالم

تحركات عسكرية روسية في مواجهة المد الأميركي

استراتيجية الحرب المسبقة اثبتت فشلها وأدت إلى تصاعد التوتر الدولي

أصبح واضحا للعالم ان الحملة العسكرية على العراق لم تكن لتغيير نظام لديه أسلحة تدمير شامل يهدد بها أمن الولايات المتحدة ومصالحها وأصدقاءها كما أدعى الرئيس بوش ولكن الهدف هو السيطرة على بترول الشرق الأوسط كله وبترول آسيا الوسطى وبحر قزوين والسيطرة على اوراسيا وضرب حصار حول الصين.

والاستيلاء على العراق احدى خطوات تنفيذ هذا المخطط للهيمنة على العالم.. فلقد ثبت بكل الأدلة ان العراق لم يكن يمتلك أسلحة تدمير شامل وكان في حالة تمنعه من أن يكون تهديدا لأي أحد، فقد كانت تثقله ديون ضخمة ويتعرض لأزمة اقتصادية طاحنة وعقوبات قاسية من الامم المتحدة ومن الولايات المتحدة. ورغم مزاعم النجاح السهل في الحملة على العراق فان الولايات المتحدة تواجه الكثير من المشاكل في العراق ولم تتمكن من تحقيق الأمن والاستقرار واستنجدت الولايات المتحدة بالمجتمع الدولي ليساعدها في السيطرة على العراق وآخر ما حدث قبول تركيا ارسال قوات إلى العراق ومن المؤكد انها ستكون تحت قيادة القوات الأميركية والهدف هو السيطرة على الاكراد في شمال العراق وكبح جماح عناصر منهم تسعى إلى الاستقلال وهو أمر لا تقبله تركيا لما له منذ آثار على مشكلة اكراد تركيا. ومن الطبيعي ان الولايات المتحدة قبلت قيام تركيا بهذا الدور حتى لا يتعرض العراق للتمزق وما لذلك من آثار خطيرة على المنطقة.

بترول العراق

ومن المعروف ان المسيطر على بترول العراق الآن هي الولايات المتحدة. وبدأ الحديث في مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية عن دور بترول العراق في أسواق النفط. وتقول ان الغزو الاميركي للعراق احدث تدميرا قليلا للبنية الأساسية لبترول العراق كما ان ضعف الأمن أدى إلى سلب ونهب وتدمير خطوط أنابيب البترول في العراق.. ومثل ذلك في شمال العراق صدمة لتصدير البترول أما في الجنوب فان الانتاج يدور في جو أكثر امنا وفي تحسن.

ويرى الخبراء ان التحدي القائم هو اصلاح وسائل الانتاج والوصول إلى حجم التصدير

الذي كان موجودا قبل الحرب. وعلى المدى المتوسط والطويل يتطلب الأمر ان يصبح العراق أحد مصـدري البترول الرئيسـيين في أسواق العالم، بشـرط ان تصبح الاوضاع في العـراق جاذبة للاستثمارات في مجال البتـرول وإذا تحقق ذلك فقد يصل الانتاج إلى ٦ ملايين برميل في اليوم بنهاية العقد الحالي "أي عام ٢٠١٠".

ان صناعة البترول في العراق تتكون من نظامين للانتاج والتصدير منطقة جنوبية تتركز في حقول الرميلة بالقرب من البصرة ومنطقة شمالية في حقول كركوك. وقبل الغزو كانت المنطقتان تمثلان ثلث الانتاج بقـدرة اجمالية ٢,٧ مليون برمـيل/ يوم. ويعتقد الخبراء ان هناك احـتمالات كبـيرة لاكتشـافات جديدة في الجنوب أكـبر بكثير منهـا في الشمال. ويوجـد في وسط العراق مصـدر واحد رئيسـي مستـقل "مكتشف" ولكن النفط النلج من الحـقل شرق بغـداد منخفض الدرجة بينما يعتـقد ان الصـحراء الغربية بها احـتمالات كبيرة لتواجـد بترول لم يستكشف بعد. والانتاج الجنوبي هو الأكبر وكان قبل الحرب ينتج ١,٨ مليون برميل/يوم.

وفي سبتـمبر ٢٠٠٣ وصل انتاج البـترول العراقي إلى ١,٣ مليون برميـل في اليوم بعد ان كان ١٦٠٠٠٠ برميل في اليوم، وكان معظم النجاح في جنوب العراق وعلى الرغم من ان حقول الشمال توجد في مناطق كردية هادئة نسبيا الا ان كثيرا من خطوط الأنابيب تمر خلال ما يطلق عليه "المثلث السني" حيث يوجـد نشاط كبير للمقـاومة العراقية، ومع نجاح الانـتاج في حقول الجنوب فانه سـيصل في منتصف ٢٠٠٤ إلى حـوالي ٢,٥ مليون برميـل في اليوم. وبناء على توقع الخبـراء بان أسعار البتـرول ستظل في حدود ٢٠ دولارا للبرمـيل طوال ٢٠٠٤ فإن دخل العراق من البـترول سيكون محـدودا ولن يتمكن من سد مطالب الانفاق العـام أو سداد الديون. مما يؤكـد ان الأزمة العراقـية سـتستـمر سنوات غـير قليلة وهذا سـيؤدي إلى اسـتمـرار عدم الاستقرار ما لم يحصل العراق على معونات خارجية وحل دولي لمشكلة ديونه الضخمة.

وتقول مراكز الدراسات الاستراتيجية انه بعد شهور من الاحتلال أصبح واضحا ان الولايات المتحـدة تواجه تحديات كـبيـرة تشمل اعادة بناء دولة منقـسمة عـقائديا وسـياسيـا وضعيـفة اقتصاديا خرجت من عقود من القمع والحكم الدكتاتوري.

ومع زيادة خسائر الولايات المتحـدة على ٤٠٠ قتيل بسبب المقاومة التي يبديهـا عراقيون لا توجد بادرة أو احتمال خفض عدد القوات الأميركية في العراق وانما بدأت الولايات المتحدة زيادة حجم القوات المحتلة بالاستعانة بدول كثيـرة منها تركيا. وأصبح واضحا ان الاستقرار في المنطقـة ازداد سـوء وهذا يعني ان الولايات المتـحدة ربما تكون على وشك ان تفـشل في فرض سيطرة كـاملة على منطقة الشرق الأوسط الكبرى أحد أهـداف استراتيجيتـها الجديدة. فلا اسـتقرار في العراق وهناك بـوادر سباق تسلح جديد بين الـهند وباكستان وافـادت اخر الانبـاء ان وزير الدفـاع الهندي زار إسـرائيـل للحـصـول على صـواريخ أرض–أرض طراز "اريحا–٢" بمـدى ١٥٠٠كم و"اريحا–٣" بمدى أكثـر من ٢٥٠٠ كم ولو تم ذلك فسـيكون بمباركة من الولايات المتحدة.

تحركات روسيا

وفي الوقت ذاته تفيد المعلومات بتطورات تحدث داخل روسيا وانها ستكون مؤثرة في المستقبل القريب على تطورات الموقف الأمني العالمي وعلى استراتيجية الولايات المتحدة. فلقد تم في اجتماع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والقادة العسكريين الروس استعراض تطوير القوات المسلحة حيث حدثت تغييرات واسعة في القوات المسلحة الروسية واعيد بناؤها بصورة جذرية وبدأت مرحلة جديدة وسريعة في الاصلاحات انطلاقا من مفهوم جديد -على حد تعبير رئيس الإركان المشتركة الروسي في تقرير للرئيس بوتين- للمصالح الوطنية القومية لروسيا ومكانتها في العالم ومدى جدية المخاطر التي تهدد أمنها القومي.

وتم في السنوات العشرة الأخيرة تقليص حجم القوات المسلحة الروسية من ٢,٧٥ مليون جندي عام ١٩٩٢ إلى ١,١٦ مليون جندي عام ٢٠٠٢ ومن المقرر ان تكون مليونا واحدا عام ٢٠٠٥، وتم خفض نسبة الجنرالات فيها إلى ٠,١ في المئة بعد ان كانت النسبة جنرالا لكل ٤٤٠ فردا. واعتبارا من أول ٢٠٠٤ سيتم الاعتماد على التطوع بدلا من التجنيد الاجباري -نسبة التطوع حاليا في القوات الروسية ٥٥ في المئة -وتسعى الخطة إلى ان تكون النسبة أعلى من ٧٥ في المئة.

وأعلن وزير الدفاع ان روسيا عليها التزامات سياسية وعسكرية تجاه حلفائها -كومنولث الدول المستقلة وقال انه لا يمكن ضمان الأمن بالاعتماد على الوسائل السياسية والدبلوماسية في المناطق التي تؤثر على أمن روسيا. وخص بالذكر اخطارا تهدد روسيا منها ادخال قوات اجنبية في أراضي دول متاخمة لروسيا دون موافقة من موسكو -من المؤكد انه يعني دول آسيا الوسطى والبلطيق- وكذلك مظاهر التمييز وانتهاك الحقوق والحريات والمصالح الوطنية المشروعة للمواطنين الروس في تلك الدول.

ونوه إلى ان خطرا آخر أصبح واضحا الآن يتعلق بتحول السلاح النووي من سلاح ردع الى سلاح قتالي وهو ما يجري حاليا في بعض دول العالم، ومن المؤكد انه يشير بذلك إلى القنابل النووية الصغيرة "الميني نيوك" التي ادخلتها الولايات المتحدة في تسليح قواتها لضرب مراكز القيادة المحصنة.

وأشار إلى ان التصدي لمثل هذه الاخطار يتم من خلال استعداد القوات الروسية لخوض الحروب المحلية والاقليمية والواسعة النطاق سواء كانت بعمليات دفاعية أو هجومية طبقا للموقف. وان على القوات المسلحة الروسية -لتحقيق ذلك- ان تمتلك القدرة الكافية للردع الاستراتيجي والتعبوي وان تكون على درجة استعداد قتال عالية حتى في الظروف السلمية.

ومع ذلك فإن الولايات المتحدة مستمرة في تطبيق استراتيجيتها وعقيدتها الجديدة "الحرب المسبقة" ويبدو أنها ستستخدم اسرائيل في هذه الاستراتيجية والدليل على ذلك قيام اسرائيل بتوجيه ضربة جوية لمنطقة سورية قرب دمشق بحجة ان بها ارهابيين واعلان الرئيس بوش تأييده لما قامت به اسرائيل حينما قال ان من حق اسرائيل الدفاع عن نفسها وما تلا ذلك من

اعلان الارهابي شارون أن الجيش الاسرائيلي سيوجـه ضرباته لأي دولة عربية. بالاضافة الى قيـام الكونجرس الاميركي باعطاء الحق لـلادارة الاميركيـة لفرض عقوبات ضـد سوريا بنفس الحجـة. ويبدو أن ما سـبق وقيل عن أن سوريا هي احـدى الدول التي عليها الدور لـتطبيق تلك الاستراتيجـية العدوانية الاميركية اصـبح حقيقة وانها كلفت اسرائيل بالمهـمة لانشغال الولايات المتحدة بأمور اخرى منها ايران وكوريا الشمالية.

ولاتزال تصريحات المسؤولين في الادارة الاميركيـة تتحدث عن ان الحرب على العراق كانت بهدف تحرير شعب العراق من حكم دكتاتوري ظالم واقامة نظام ديمقراطي ومع ذلك يوجد شبه اجماع دولي على ان هذه الحرب كانت بهـدف السيطرة على كل بترول الشرق الاوسط وبترول اسـيـا الوسطى وبحـر قزوين. والتـاريخ يؤكـد ان البـتـرول كان هـدفا رئيـسـيـا للسيـاسـة والاستراتيجية الاميركية.

لقد تحـدث كثير من المحلـلين عن بداية اهتمام الاسـتراتيجيـة الاميركـية بالبترول "او كـما وصفـوه بالاندفاع الاميركـي الى عصر البتـرول" في العقد الثـاني من القرن العشـرين بسبب الزيادة الضخمة في عدد السيارات في اميركا من ١,٨ مليون سيارة عام ١٩١٤ الى٩,٢ مليون سيارة عام ١٩٢٠ وكان ذلك يعني زيادة كبـيرة على طلب البترول مما أدى الى خروج الولايات المتحدة عن حدودها طلبا للبترول وضـغطت من اجل الشراكة مع بريطانيا في بترول العراق بعد خضـوعه للانتـداب البريطاني ورفـضت لندن ذلك. وفي الثلاثينات من القـرن العشـرين قررت الولايات المتـحدة دخول المنـافسة على بـترول الشرق الاوسط ونجـحت في وضع قدم لـها في المنطقة وبالذات في الكويت. ونشبت الحرب العالمية الثانيـة وكانت الولايات المتحدة اكبر مساهم في هذه الحرب بسـلاحها وبترولهـا خاصة وان طرق بترول الشـرق الاوسط "ايران والعراق" انقطعت عن مسرح العمليات في أوروبا كما ان بترول الخليج لم يكن قد دخل مرحلة الانتاج.

وبعد الحرب بدأ الرئيس روزفلت يضغط على رئيس الوزراء البريطاني للحصول على نصيب اكبر في بترول الشرق الاوسط. ورغم ان تشـرشل كان يقاوم ويرى ان هذا البترول هو الشيء الوحيد الذي تبقى لبريطانيا كقوة عظمـى الا انه كان يعلم ما بعد الحرب من تغير وانه لن يقوى على مواجهة الولايات المتـحدة التي صممت على ان تحصل على هذا البتـرول كله وليس بعضه. وكـان الاقتـصاد الدولي وخـاصة الاوروبي قـد تحول من الاعـتـماد على الفـحم الى البتـرول وانتـهـزت الولايات المتـحـدة ازمـة ايران "١٩٥١ – ١٩٥٣" وتدخلت ضـد انقـلاب مـصـدق وسيطرت على البترول الايراني وبذلك احكمت سـيطرتها على بترول الشرق الاوسط من العراق الى ايران والخليج وتأسست السياسة والاستراتيجيـة الاميركية على ثلاث اسس اصبحت فيما بعد في رأي المحللين اساس البناء الامني الاقليمي الاميركي وهي ضمان تدفق البترول ووصوله الى الغرب باسـعار مقبولة وضـمان عدم سيطرة اي قـوة عدائية على المنطقـة او "اجبار" دول المنطقة على اتخـاذ اجراءات تضر بمصالح الـدول المستهلكة للبتـرول والالتزام باستخـدام القوة لتـأمين هذه المصالح وبدأ التـفكير في واشـنطن يركز على ضـرورة خلق نظرية امن امـيركـية صـريحة بالنسـبة لمنطـقة الخليج فكان مـبدأ كـارتر الذي اعلن فـيه ان اي مـحاولة من القـوى

للحصول على مركز مسيطر في منطقة الخليج ستعتبرها الولايات المتحدة عدوانا على مصالحها الحيوية وسوف يتم رد هذا العدوان والهجوم بكل الوسائل بما في ذلك القوة المسلحة.

حروب

وفي عام ١٩٧٩ اندلعت ثورة الخوميني في ايران ووجدت الولايات المتحدة انها بدون استراتيجية امن اقليمي ومع بدء الحرب العراقية الايرانية عام ١٩٨٠ ظهرت فكرة ان الامر يستوجب دعم العراق الدولة العلمانية العرقية لاقامة توازن في مواجهة طموحات ايران.

وتم حث دول الخليج على مساعدة العراق فقدمت مليارات الدولارات كمنح لا ترد –وزاد الرقم على ١٥٠ مليار دولار– كما ان الولايات المتحدة قدمت مساعدات للعراق وان كان المحللون يقولون انها كانت في مجال الاستخبارات اساسا وقامت بنشر قواتها بمنطقة الخليج تحسبا لاي طواريء.

وتطورت الأمور وقرر صدام حسين الاستيلاء على الكويت ليكون بترولها ثمنا لمغامرته ضد ايران وغزا الكويت فعلا وكان ذلك بداية لنهايته ونهاية نظامه ونجحت الولايات المتحدة في خلق تحالف من اكثر من ٢٨ دولة منها عدة دول عربية وتم حشد قوات ضخمة في الجزيرة العربية زاد حجمها على نصف مليون جندي وفي عام ١٩٩١ تم طرد القوات العراقية من الكويت في عملية "عاصفة الصحراء" ونجم عن ذلك تدمير اكثر من ٥٠ في المئة من القوات العراقية وتدمير البنية الاساسية الاقتصادية والصناعية العراقية وتدمير المجهود الصناعي العسكري العراقي وفرض عقوبات شديدة من مجلس الامن ضد العراق.

وكان من اهم نتائج حرب الخليج ١٩٩١ حصول الولايات المتحدة على شرعية تواجد قوات لها بالمنطقة وعقدت اتفاقات مع دول خليجية لاستخدام قواعد جوية وبحرية فيها وتواجد عناصر من قواتها المسلحة وتخزين مسبق لمعدات واسلحة لتسهيل سرعة الفتح عند الضرورة بهدف تأمين منابع البترول وتأمين المنطقة ضد اي تهديدات من ايران او العراق او اي طرف آخر وقيادة العمليات الخاصة باحتواء العراق وتخفيض الوقت اللازم لفتح القوات على مسافات بعيدة.

ورغم دخول دول جديدة مجال انتاج وسوق البترول مثل روسيا ودول وسط اسيا وحوض بحر قزوين فان منطقة الخليج ستظل في موقعها كمصدر استراتيجي للبترول المنخفض التكلفة والسعر. وتشير التقديرات المبدئية الى ان الخليج العربي يمتلك ٨٠٠ مليار برميل من مخزون النفط يمثل ٦٦ في المئة من اجمالي المخزون العالمي وتنتج المنطقة ٢٢,٧ مليون برميل يوميا تمثل ٣١ في المئة من اجمالي النتلج العالمي وهذا دون حساب ما ينتجه العراق.

ورغم ما قيل عن ان واردات النفط الخليجي للولايات المتحدة قد انخفضت خلال العقد الماضي لظهور موردين جدد في نصف الكرة الغربي او روسيا ووسط اسيا ٣٠ في المئة من واردات اميركا من منطقة الخليج في مقابل ٤٠ في المئة من نصف الكرة الغربي في عام ٢٠٠١ الا ان التوقعات انه في عام ٢٠٢٠ سيزيد الاستهلاك الاميركي من البترول ليصل الى حوالي

٢٥ في المئة من الاستهلاك العالمي وبالتالي سترتفع واردات البترول الخليجي الى اكثر من ٤ ملايين برميل يوميا.

ومن المتوقع ان يزيد استهلاك دول جنوب شرق اسيا وخاصة الصين وكوريا الجنوبية واندونيسيا وماليزيا من النفط بحوالي ٣,٧ في المئة سنويا وهي تحصل على كل احتياجاتها من منطقة الخليج.. فعلى سبيل المثال سيرتفع استيراد الصين الى اكثر من ٧ ملايين برميل/ يوم من الخليج عام ٢٠٢٠.

وهذا يؤكد ان مصلحة الولايات المتحدة في السيطرة على بترول منطقة الخليج واسيا الوسطى وبحر قزوين الامر الذي يعطيها فرصة لفرض هيمنتها على العالم.

قروض لا منح

وافق مجلس الشيوخ الأميركي أخيرا على مبلغ السبعة والثمانين مليار دولارالتي طلبها الرئيس بوش للانفاق على العمليات العسكرية وإعادة الإعمار في أفغانستان وكان بوش قد تلقى ضربة من المجلس حين طلب مبلغ ٢٠ مليار دولار كمنح لا ترد لإعمار العراق ولكن المجلس وافق على نصف المبلغ فقط "عشرة مليارات دولار" كقروض بفوائد لا كمنح يردها العراق فيما بعد.

قرار

صدر قرار مجلس الأمن بالاجماع بموافقة سوريا أيضا على ارسال قوات متعددة الجنسيات لحفظ الاستقرار في العراق.. ومع ذلك لم يجد هذا القرار أي حماس دولي لتنفيذه ومعظم الدول ومنها الهند وباكستان ترفض ارسال قوات تكون تحت قيادة دولة أو مجموعة دول وتشترط وجود مظلة الأمم المتحدة وقيادتها ودورها الحيوي في العراق وهو ما ترفضه الولايات المتحدة.

أشباح العراق تطارد قوات التحالف

الأميركيون أصبحوا لا يعرفون من أين تأتي الضربة القادمة

الاستخبارات الأميركية تقف عاجزة أما لغز المقاومة المتصاعدة

إدارة بوش تداري عجزها بإلقاء المسؤولية على سوريا

تدويل الإعمار والعملية السياسية في العراق طوق النجاة الأخير لأميركا

تتصدر أخبار الموقف الأمني المتدهور في العراق كل وسائل الإعلام في أنحاء العالم حيث تتعرض قوات التحالف لهجمات متصاعدة وجريئة وعلى درجة عالية من التخطيط المحكم. ويجمع المحللون على أن هذه الهجمات تهدف إلى اجبار قوات التحالف على الرحيل المبكر من العراق. كما أن المنظمات الدولية وممثلي الحكومات الأجنبية المتعاونة مع قوات الاحتلال أو "التحالف" كما يحلو للمراقبين تسميتها.. عرضة لمثل هذه الهجمات المدمرة المثيرة. وتواجه الإدارة الأميركية التي قلل مسؤولوها الكبار من احتمالات حدوث مقاومة مسلحة بعد انتهاء العمليات العسكرية الرئيسية موقفا معقدا نتيجة ما وصلت إليه جهود التعامل مع هجمات المناضلين العراقيين والذي قالت مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية انهم من الفدائيين الموالين للنظام العراقي السابق وان الأمر امتد أيضا إلى أفراد ساخطين من الشعب العراقي. وتدعي هذه المراكز ان تحولا حدث في العراق الذي أصبح بؤرة تجذب تنظيم قاعدة إبن لادن التي تبحث عن تجنيد أعضاء جدد محليين على أساس ان العراق ميدان أكيد لهذا التجنيد. وتدعي كذلك أن الجماعات الأجنبية المنظمة تسعى إلى أن يكون لها دور في المستقبل السياسي والاثني في العراق بان تؤكد ان لها وجودا سياسيا مؤثرا.

وفي أول مايو ٢٠٠٣ -نفس اليوم الذي هبطت فيه طائرة الرئيس الأميركي بوش على حاملة الطائرات "ابراهام لنكولن" خارج شواطيء سان ديجو بكاليفورنا ليعلن النصر على ما أطلق عليه حكم الطغيان أصيب سبعة جنود أميركيين في الفلوجة على بعد ٥٠ كيلومترا غربي بغداد. وكانت هذه الواقعة مجرد حدث ضمن عدة هجمات شنتها المقاومة العراقية على القوات الأميركية عقب مقتل ستة عشر عراقيا في مظاهرات الفلوجة.

وترى هذه المراكز ان بوش وادارته اعتمدوا على رجال عراقيين لايقاف العنف المتزايد في العراق. وكانت القوات الأميركية تعتقد انها قادرة على السيطرة على الأمن في العراق لكن عددا كبيرا من الهجمات القاتلة -جيدة التنسيق والتخطيط- وقع في الاسابيع الاخيرة وأثار الكثير من القلق والمشاكل حتى ان المراقبين وصفوا الهجمات بأنها على مستوى عال. ففي يوم اطلاق صواريخ على فندق الرشيد في بغداد حيث كان نائب وزير الدفاع الاميركي بول وولفويتز هناك تعرضت بغداد لأربعة تفجيرات ضد مراكز شرطة وأحد مراكز قيادة الصليب الاحمر وقتل ٢٤ عراقيا واميركي واحد وجرح اكثر من ٢٠٠ وكان هذا الهجوم أكثر الهجمات جرأة ومهارة. ولم

يتمكن المسؤولون الاميركيون أو العراقيون من معرفة المسؤولين عن هذه الحوادث. واعترف احد كبار المسؤولين بالادارة الاميركية بأنه كلما تم احراز تقدم على الارض وقعت هجمات يائسة من المقاومة العراقية. ويقول المراقبون أن عدد القتلى والجرحى الاميركيين يزيد على عدد ما تعرضت له الولايات المتحدة خلال فترة العمليات العسكرية الرئيسية وهو اكبر مما عانته بعد انتهاء النزاع في المانيا واليابان والصومال وهايتي والبوسنة وكوسوفو. وفي العراق تم التعتيم على عدد الجرحى الأمر الذي يشير الى ضخامته.

ويقول المحللون ان التحسن في الخدمات العلاجية في ميادين القتال وسرعة الاخلاء الى المستشفيات المتمركزة في المناطق الخلفية اديا الى تقليل اعداد القتلى بينما ازدادت اعداد المصابين باصابات خطيرة. ولا جدال في أن عدد القتلى وعدد الجرحى لا يعكس عدد الهجمات. وتقول بعض المصادر الوثيقة ان عدد الهجمات قفز الى ما بين ١٠ و١٥ يوميا في الصيف ثم ارتفع الى ٢٥ – ٣٥ هجمة يوميا، وصفت بأنها جيدة التخطيط والتنظيم وعلى قدر متزايد من التطور.

ويؤكد المراقبون ان الوضع الأمني فيما يسمى المثلث السني وسط العراق متدهور الى حد كبير، وان الهجمات الجوية الاميركية الأخيرة باستخدام طائرات "إف – ١٦" وقنابل زنة ٥٠٠ رطل ضد تكريت ومدن اخرى بتلك المنطقة دليل على ذلك.

في كل اتجاه

ويقول المراقبون ان القوات الاميركية لم تكن الهدف الوحيد للهجمات التي امتدت لتشمل القوات البريطانية والإيطالية التي قتل منها اعداد كبيرة جراء انفجارات حدثت نتيجة انتهاكات غير مقصودة مثل اللجوء الى دوريات من الكلاب في منطاق يعتبر استخدام الكلاب كاداة للسيطرة فيها اسلوبا مهينا شديد الاساءة. كما تعرضت ايضا لهجومين على الاقل على الطرق أديا إلى قتل عدة عراقيين، ومن هنا –على حد تعبير المراقبين– اصبح العراقيون من الضحايا الرئيسيين لأعمال العنف اذ قتل منهم اعداد كبيرة لوقوعهم في شراك التفجيرات، كما ان آخرين كانوا على قائمة الاغتيالات، ومن هؤلاء المتعاونون مع قوات الاحتلال كمترجمين واعدادهم لا تلبي احتياجات جيش احتلال كبير يفتقد جنودا يتحدثون العربية ومديرون في مجال البنية التحتية –وبصفة خاصة في قطاع البترول– ورجال شرطة حصلوا على تدريب محدود واعيد تعيينهم بواسطة قوات الاحتلال في مجال حفظ الأمن، وسياسيون متعاونون مع الاميركيين من بينهم رئيسا مدينتي الحديثة والخالدية ونائب رئيس مدينة بغداد وعدد من اعضاء مجلس الحكم العراقي المؤقت كما تعرض ايضا للهجمات. اجانب من غير الاميركيين. ويرى المحللون ان الهدف من هذه الهجمات هو منع العراقيين من التعاون مع قوات الاحتلال.

وتعرضت السفارتان الأردنية والتركية للهجوم بالقنابل، وينظر المراقبون الى هذا الحدث على انه عقاب على موقف اردني ضد نظام عراقي جعل المملكة الهاشمية مليئة بالبترول الرخيص الثمن طوال عقد من الزمن. أما ضرب السفارة التركية بالقنابل فكان رد فعل لقرار انقره التجاوب مع طلب واشنطون بنشر قوات تركية في شمال العراق.

ويقول المحللون ان منفذي الهجمات أظهروا نوعا من المرونة المقترنة بالابداع فلقد قاموا

بعمليات اختطاف وقتل جنود واطلاق نيران على جنود فـرادى كما ذابوا في الزحام واستخدموا قنابل يدوية ومدافع هاون وألغامـا ارضية وذخائر مزودة بوسائل تفـجير مبتكرة تتواجـد فيما يقرب من الف مـستودع بلا حراسة مـوزعة في الأراضي العراقيـة. ويعتقد ان قـوات الاحتلال ستنظم حراسات عليها أسوة بحوالي خمسة آلاف مستودع اخرى تمت حراستها. كما استخدمت المقاومة ايضا صواريخ كتف أرض –جو ضد طائرات بمطار بغـداد لم تحقق نجاحا واستخدموا مدافـع ماكينة ثقيلة ضـد طائرات الهيلـكوبتر ويمثل تصـاعد المقـاومة مـفاجـأة للكثيـرين في واشنطون رغم انه في اغـسطس الماضي وتحت ضغط بسـبب تلميـحات بعـجز البنتـاجون عن معالجة الأزمة واتهامه بالانهزامية، سرب احد جرحى المخابرات المركزية الاميركية معلومات عن قيام مدير الوكـالة "جورج تينيت" قبل الحرب بابلاغ مجلس الأمن القـومي والرئيس الأميركي ونائبه تشـيني ووزير الدفاع رامسـفيلد بأن تحقيق نصـر عسكري سريع في العـراق ستتبـعه مقـاومة مسلحـة تنفذها بقايا حـزب البعث العـراقي وفدائيو صـدام غير النظامـيين. وكان هذا التـحذير من مـسؤول رفيـع يتكهن بحدوث عنف في الفـترة التي تـلت انتهـاء أعمال الـقتالـية الرئيسية.

وأشار عدد من محللي اجهزة المخابرات المختلفة الى دليل على ان جهاز الأمن للنظام العراقي السابق تم تدريبه وتجهيـزه لتنفيذ عمليات اغتيال وتخـريب وصور من حرب العصابات. واتفق رأي الخارجيـة الاميركيـة مع التقديرات التي نُشـرت على نطاق واسع في الاوسـاط السيـاسية والعسكرية. ومع ذلك –كـما يقول المحللون– قـامت ما يطلق عليهـا "جماعـة الفكر داخل البيت الابيض" ووسط المدنيين رفـيعي المسـتوى بـوزارة الدفاع الامـيركـية بتـجاوز مـا نبهت اليـه التقديرات المخابراتـية ووصفتها بالتشـاؤم اللاضروري. بل ان وولفويتز ردد كثيـرا بأنه يعتقد بوجود أعداد ضخـمة من الشعب العراقي ترحب بالقوات الاميركـية شريطة الا تطيل المكوث في العراق.

ان المخابرات التكتيكية ليست على نفس مستوى التـحدي الناتج عن تصاعد المقاومة بالاضافة إلى مسـتويات التحدث الضـعيفة باللغـة العربية داخل التحـالف كما انه يصعب الحـصول على محللين ذوي كفاءة فضلا عن إنهم معرضون للتـرويع بصورة كبيرة. وفي نهاية اكتوبر الماضي اشار مسؤولون امـيركيون الى أن عزة ابراهيم الذي كان الرجل الثـاني في نظام صدام السابق هو المنسق الرئيسـي للهجمات الـتي ينفذها البعـثيون والذين وصـفوهم بأنهم يستـبسلون في القتال حتى الموت وهو أمر محير فعلا. وهناك أقوال متضاربة مفادها أن صدام كان يقود الكثير من الهجـمات وهذا ايضا أمر مـحير من رئيس دولة اختـفى تماما اثناء القتال ضـد عدوان على بلده.. وإذا صـحت هذه المعلومات فـإن ذلك –في رأي المحللين– يقدم مبدئيا صـورة واضحة عن جهـود التحالـف في مواجهـة المقاومة وعـلاوة على ذلك يظهر أهمـية القبض علـى قادة النظام السابق .

موقف معقد

وعلى أي حال فإن الموقف التكتيكي يزداد تعقيدا نتيجة التوافد الظاهر للعيان –على حد رأي المحللين والمراقـبين– للغـرباء الى داخل العـراق الذين ينشـدون عرقلة اعـادة الشـرعـية للبـلاد

وتقويض مصداقية الولايات المتحدة في اتخاذ اجراءات مضادة من شأنها تجنب التعرض للعراقيين العاديين وتؤدي الى قتل الاميركيين وشركائهم. ومع ذلك لم يذكر أي من المحللين والمراقبين أو أي مصادر اميركية أو غير اميركية شيئا عن هوية هؤلاء الاشخاص. ومع ذلك اصدر لورد الحرب رامسفيلد بيانا زعم فيه أنه يوجد أكثر من مئة شخص ينتمون الى دولة واحدة أو دولتين وقد تمكنت قوات التحالف من القاء القبض على اعداد منهم وقتل الكثيرين. ومع ذلك فرق بريمر "الحاكم الاميركي للعراق" بين ما اطلق عليه "انصار الإسلام" وهي جماعة تنتمي الى قاعدة إبن لادن اعيد تشكيلها وتسللت عقب الحرب وانضم اليها حاليا مئات الاعضاء من العراقيين وبين "الارهابيين الاجانب" الذين قد يكون بعضهم من اعضاء القاعدة الذين عبروا الحدود السورية. وطبقا لمقولة بريمر يوجد ٢٤٨ شخصا القي القبض عليهم من بين هذه الجماعة. وقال كذلك انهم ٣٠٠ فرد من بينهم ١٤٣ فردا يحملون الجنسية السورية. ويقول انه تم تحديد هوية احد المنفذين لهجوم رمضان بأنه سوري استنادا الى الوثائق التي وجدت مع جثته وهو ما يؤكد -في رأي بريمر- مزاعمه وان هذا يبرر ويدعم تصرفات الادارة الاميركية تجاه سوريا. وهذا في رأيي محض افتراء وخطأ جسيم ان تدان دولة لمجرد العثور على جثة أحد مواطنيها. وبالنسبة للقاعدة أوضح بريمر أن الولايات المتحدة تتحفظ على ١٩ سجينا يعتقد أنهم ينتمون الى هذه الجماعة الارهابية. ولم يعد وجود القاعدة في العراق بالشيء الغريب ومن هنا يمثل الغزو الذي تقوده الولايات المتحدة الدافع الرئيسي لايديولوجية جماعة إبن لادن بأن النوايا الاميركية تهدف الى سلب ثروات العرب وتحمل في طياتها خصومه للاسلام. ولم يصدر عن بريمر ما يكذب هذه الايديولوجية.

ويقول المحللون ان مصداقية جماعة إبن لادن "الشبح" وقوتها في تجنيد اعضاء جدد بصفة عامة تتوقف على افعالها في ميدان الجهاد الجديد أي العراق.. ويرتبط توقيت وصول الجماعة بما يرى المحللون انه الوقت المبكر للاجانب ليجعلوا من انفسهم جزء متكاملا من العراق وان يرتبطوا بأهل البلاد ويتصلوا بالبنية التحتية للارهاب "اذا كان هناك ارهاب" ويؤمنوا المنازل والاتصالات والاسلحة ومصادر المعلومات داخل التحالف، ثم يبدأوا العمل.

ويقولون أنه تبين لمحللي اجهزة المخابرات الاميركية المختلفة وجود تحول بطيء ولكنه ملموس في الهجمات التي يقوم بها البعثيون المكافحون حتى النهاية وتلك التي ينفذها الأجانب المنتمون للقاعدة بالتعاون مع المتطوعين المحليين. ويرى المحللون أنه ليس فقط المتطرفون من السنة الذين يسعون لجعل وجودهم ملموسا بل تم رصد عملاء سريين من الحرس الثوري الايراني في العراق يقومون بتكوين شبكات للتحضير لهجمات ضد القوات الاميركية وحلفائها.

ويقول المحللون ان الوقت ضيق ويمر بسرعة وتحتاج الادارة الاميركية إلى ان تخلق قوات امن قادرة قبل ان يشن المجاهدون العراقيون هجمات اضافية اكثر حده. ويحتاج الرئيس الاميركي لايجاد بدائل مناسبة قبل ان يأتي موعد استبدال القوات الاميركية الموجودة بالعراق والمخطط ان يبدأ خلال ستة اشهر. ولكن دفع عراقيين غير اكفاء وغير مدربين بالقدر الكافي وضمان ولائهم حل قد تكتنفه مشاكل ومخاطر كثيرة. ومع ذلك فان المحللين يقولون انه حتى لو

نجحت عناصر الأمن العراقية المزمع تشكيلها في اخماد المقاومة وتحطيمها باستخدام اجراءات عنيفة فإن الادارة الامريكية ستواجه مشكلة جديدة وهي اتهامها بالفشل في خلق عراق ديمقراطي. كما نلاحظ ان رجال الشرطة العراقيين الذين تم تكليفهم بمهام أمنية بدأوا يشتكون من ضآلة رواتبهم، كما انهم يقولون ان نجاحهم يرتبط بأن يسمحوا لهم بالعمل بالقوانين القديمة.

كما ان الاعتماد على حلفاء لم يتم اختبارهم امر يمثل خطورة على قوات الاحتلال. ويصف المحللون الوضع بأن العدو "وهو الاسم الذي يطلقونه على المقاومة العراقية" يختبيء بين المواطنين العراقيين والأمر يتطلب جهدا كبيرا من اجهزة المخابرات للكشف عنه، والنجاح في هذه المهمة أمر عسير.

وكل هذا يشير الى ان الولايات المتحدة تواجه صعوبات بالغة في السيطرة على العراق وتتزايد هذه الصعوبات يوما بعد يوم، حتى ان بعض المحللين يصف العراق بمستنقع يشبه مستنقع فيتنام.

وهنا يطفو الى السطح سؤال مهم: لماذا لا تترك الولايات المتحدة المهمة للأمم المتحدة وقوات حفظ سلام دولية تعقد مؤتمرا مع كل قيادات الطوائف العراقية وتتفق معهم على امور حيوية. مثل الحفاظ على وحدة العراق وانه لا حيدة عن ذلك وان تلتزم كل الطوائف والمجتمع الدولي بهذا المبدأ ووضع دستور جديد للعراق يضمن حقوق كل فئات الشعب مع حكم ديمقراطي منتخب.

وبعد نجاح المؤتمر تجرى انتخابات حرة لاختيار برلمان ورئيس حكومة مع سرعة بناء العراق بمساعدة المجتمع الدولي وانشاء آليات للسيطرة والامن وضمان المجتمع الدولي لاستقلال العراق وامنه.. فهل سيقبل الرئيس الأميركي الالتزام بذلك أم سيضرب عرض الحائط بالرأي العام الدولي كما فعل عندما قرر غزو العراق؟

خداع

سقط الأميركيون في فخ صنيعتهم أحمد الجلبي رئيس ما يسمى المؤتمر القومي العراقي الذي خدعهم بانهم مقبلون على نزهة في العراق من أجل ان يحقق طموحاته السياسية في عراق ما بعد صدام حسين.. واكتشف الأميركيون ربما بعد فوات الأوان ان التحدي أكبر بكثير مما كانوا يتوقعون.. وان هناك عقبات ضخمة امام تنفيذ مخططاتهم في العراق.

فوائد

يبدو أن الابقاء على كل من صدام حسين وأسامة بن لادن على قيد الحياة أمر مفيد للولايات المتحدة حتى يستمر الشبحان اللذان يبرران الاحتلال والهيمنة على العالم كله وليس على العراق وأفغانستان وحدهما. فذهاب صدام وابن لادن بالاعتقال أو القتل ربما يفكك التحالف الدولي الذي تريده الولايات المتحدة فيما يسمى الحرب على الإرهاب.

الرهان الخاسر على منطق القوة

المجتمع الدولي لن يقبل إلى الأبد السياسة الاحادية وتجاوز الأمم المتحدة

المعلومات الاستخبارية المتضاربة وراء معاناة قوات التحالف بالعراق

أميركا على وشك تغيير استراتيجيتها في العراق بسبب تزايد الخسائر

تبدو الولايات المتحدة على وشك تغيير تكتيكاتها العسكرية والسياسية في العراق.. رغم تأكيد الرئيس بوش أن قواته باقية هناك إلى أجل غير مسمى.. وهذا التغيير ناجم عن سخط الشعب الأميركي بسبب زيادة الخسائر البشرية بين قوات التحالف في العراق.

ونشر مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الاميركي "سي.اس.اي.اس" تقريرا عن الموقف العسكري الحالي في العراق.. ومن المؤكد ان هذا التقرير أعد بتكليف من الادارة الاميركية من أجل تقدير الموقف مما يثبت ان هذه الإدارة تشعر بتعقيد الموقف لقواتها في العراق.

ويؤكد التقرير ان ٩٠ في المئة من التهديد مصدره موالون للنظام العراقي السابق وانه رد فعل لفشل الولايات المتحدة في اعادة بناء العراق وان معظم من اطلق عليهم لقب ارهابيين هم أجانب عبروا الحدود السورية وقليل منهم عبر الحدود السعودية وهناك اخرون عبروا من ايران وقيل انه على مايبدو أن هناك خليطا من سوريين وسعوديين ويمنيين وسودانيين وغيرهم وهذه مقولة بلا دليل وكل ما ذكر في محاولة لاثبات ذلك مقتل متطوع يحمل جوازا سوريا ثم اتضح انه يمني كما ذكر ان عدد من تم القبض عليهم من هذه الجماعات وصل الى ٣٠٠ شخص معظمهم داخل العراق قبل الحرب.

وقال التقرير ان قوات الاحتلال تواجه تهديدا من عناصر اجرامية تم الافراج عنها في نهاية الحرب وان هذا يعقد المشكلة وان هناك عددا من الهجمات المأجورة من جانب هذه العناصر ومع ذلك لا توجد لدى قوات التحالف صورة يعول عليها حول من ينظم هذه الهجمات او حجم وتنظيم العناصر المختلفة التي تقوم بذلك كما لا يوجد دليل على ان صدام او عزة ابراهيم يسيطران على هذه الاعمال ولا دليل على دور مباشر لتنظيم القاعدة.

وذكر التقرير ان صدام حسين معزول تماما ويهرب من مكان الى آخر بصفة مستمرة ولا أحد يعرف من اين استقى كبار المسؤولين الأميركيين فكرة ان عزة ابراهيم هو المسيطر والمسؤول عن هؤلاء.

كما ذكر التقرير ان حجم القوات الاميركية الحالي في العراق هو ١١٥٠٠٠ جندي بالاضافة

الى ١٣٠٠٠٠ جندي من ٣٧ دولة مختلفة وان هناك امل في خلق قوة امن عراقية قوامها ١٥٠٠٠٠ رجل خلال اربعة اشهر وقيل انه تم فعلا تشكيل ٦٥٠٠٠ جندي شرطة من هذه القوة وان الرقم سيصل الى ٧٢٠٠٠ جندي قريبا وان هذه العناصر تخضع لتدريب يتركز على احترام حقوق الانسان والمعاملة الحسنة للمقبوض عليهم وطريقة الاستجواب.

خط متشدد

وقيل ان مجلس الحكم الانتقالي يدعو الى خط متشدد ويرى ان الولايات المتحدة لينة اكثر من اللازم في مهاجمتها للاهداف المعادية وفي استخدام القوة لرغبتها في كسب ولاء شعب العراق لكن الانباء تفيد بان القوات الاميركية قصفت تكريت جوا بقنابل زنة ٥٠٠ رطل بعنف شديد كما هاجمت اهدافا داخل بغداد والفلوجة الامر الذي يوضح ان قوات التحالف ليست لينة في التعامل مع عناصر المقاومة العراقية. وقيل في المؤتمر الذي عقد بالعراق مؤخرا لتقدير الموقف العسكري ان التهديد يتركز اساسا في منطقة بين الرميلة وبغداد.

واكد المجتمعون في المؤتمر ان الهجمات ستستمر الى يوم مغادرة القوات الاميركية العراق.. وتحدث المؤتمر عن القطاع الجنوبي وان فرقة بولندية تغطي المنطقة جنوب بغداد واستعرض القطاع الذي تسيطر عليه القوات البريطانية حتى الحدود الشرقية مع ايران ومساحته ٨٠٠٠٠ كيلو متر مربع ويشمل خمس محافظات تضم مناطق مهمة مثل كربلاء وبابل والنجف ومع ذلك حدث في تلك المنطقة ١١ هجوما في كربلاء، و١٣ في بابل وقتل جندي بولندي يوم ٦ نوفمبر وشملت هجمات اخرى قوافل وتلغيم مناطق عسكرية ونسف مخازن ذخيرة عراقية.

وذكرت التقرير الاميركي ان معدل الجرائم والنهب والسلب في العراق انخفض حوالي ٤٠ في المئة منذ اعادة الشرطة العراقية. وذكر ارقام للدلالة على ذلك في مقارنة بين شهور يوليو واغسطس وسبتمبر واكتوبر فاجمالي الجرائم كان حسب ترتيب هذه الاشهر ١٣٦٧ في يوليو و١٠٩٤ في اغسطس و١٢٣٥ في سبتمبر و٩٠٩ في اكتوبر.

ويرى التقرير ان الولايات المتحدة تكسب رغم هجمات المقاومة وتكرار وتاثير هذه الهجمات قد يكون في تزايد ولكن غارات الولايات المتحدة وحلفائها تتزايد ايضا وحاليا تحدث هجمات مؤثرة في المثلث السني وبغداد رغم وقوع هجمات المقاومة في مناطق اخرى. واذا استمرت معدلات الصدام على ما هي عليه الان فإن التقرير يرى ان الولايات المتحدة من المحتمل ان تفوز الى الحد الذي تتمكن فيه من انجاز كثير من المعونات واعادة الاعمار وتامين معظم المناطق في معظم الاوقات والسماح لحكومة عراقية جديدة بان تتولى السلطة.

ويقول التقرير ان قوات التحالف لا يمكنها السيطرة على مخاطر اخرى قد تؤدي الى الهزيمة مثل ظهور قائد شيعي يجعل من الشيعة تهديدا وهذا قد يؤدي الى خسارة الحرب وفشل مجلس الحكم في تحقيق سيطرة على مستقبل العراق ووقوع انقسامات اثنية خطيرة ومشاكل من انفجار كردي ومؤثرات خطيرة بين السنة والشيعة حول السلطة والثروة وظهور الولايات المتحدة في صورة معادية للاسلام والمسلمين.

ويرى التقرير ان المشكلة التي لا يريد احد على مايبدو ان يتعرض لها هي ايمان الشعب العراقي بان الولايات المتحدة منحازة تماما لاسرائيل وانها تقف بعنف ضد العناصر الاسلامية وان العراقيين يشاهدون بصفة مستمرة على شاشة التليفزيون صور هجوم الاسرائيليين على الفلسطينيين وتدمير منازلهم وقتل الكثيرين منهم.

وتحدث التقرير عن أن أول كتيبة جيش عراقية "٤١ ضابطا و٦٤٩" من رتب أخرى تم تشكيلها فعلا مع اربع سرايا بنادق"٦ ضباط و١١٢٠" جنديا في كل سرية وانشاء مركز قيادة وشؤون ادارية "١٧ ضابطا و٢٠٠ فرد". وسيبدأ تدريب هذه العناصر مع قوات اميركية على مستوى الفصيلة في ديسمبر ثم الانتقال الى مستوى تدريب الكتيبة لتكون جاهزة للعمليات في اوائل مايو القادم. وهذه قوة صغيرة لا يمكن ان تكون فاعلة أو مؤثرة كما يعتقد التقرير.

ويقول التقرير الاميركي انه تم انشاء محاكم قضائية ووضعت ميزانيات للمقاطعات. كما تم وضع طرز جديدة من الحكم في كركوك وتم تقسيم الحكومة الانتقالية على أسس وقواعد اثنية وشكل مجلس انتقالي رئيسه تركستاني "حاكم كركوك" واعضاؤه "٦ اكراد و٦ من تركستان و٦ اشوريين و٦ من العرب و٦ مستقلين" تم تعيينهم بواسطة مفرزة الحصان الحديدي "الفرقة الرابعة المشاة".

وقامت الادارة العسكرية الاميركية بالمساعدة في اعادة فتح ٤٨٠ مدرسة ووضعت برنامجا خاصا للدراسة. ويجري انشاء مراكز شباب ووضع برامج رياضية ومراكز تدريب على الحاسبات. وتم اختيار اعضاء المجلس الانتقالي وروعي في ذلك تمثيل كل الفصائل الاثنية وتعمل السلطة العسكرية على خلق مبادرات خدمة اجتماعية مثل مجلس لحقوق المرأة وأمور أخرى. ورغم تحدث التقرير عن عدد كبير من برامج المعونة يجري تنفيذها إلا أنه يعترف بأن هناك دروسا مهمة بالنسبة للمستقبل يجب أن تراعى، فالبرنامج المدني للمعونة بطيء الى حد كبير ولا يساعد على كسب الولاء والتمويل المخصص غير كاف ولا يتم انفاقه بسرعة ولو تم زيادة التمويل وسرعة الانفاق فان التقرير يتوقع انخفاض عداء العراقيين.

ويذكر التقرير ان أهداف البنية الاساسية المدنية العسكرية وتطويرها تتمثل في زيادة محطات الاذاعة واعادة التليفزيون ومقاهي الانترنت .. وتوجد الآن تغطية بالراديو والتليفزيون لمعظم مناطق العراق. كما ان محطات الطاقة الكهربائية زادت الى ٣٠٠ في المئة وتم انشاء ٢٥ مشروعا لمياه الشرب بدأت العمل وثمانية مشروعات للمجاري. وتجديد ٩٠ في المئة من المستشفيات و٩٥ في المئة من العيادات الطبية.

وفي الوقت نفسه زاد معدل اغارات قوات التحالف الى ٣٦١ غارة وزاد عدد الدوريات الى ٢١٨٧٧ دورية، مع ٢٦٥٣ نقطة تفتيش و٨٤٣ كمينا وهو نشاط يدل على اتساع نطاق هجمات المقاومة.

وتحدث التقرير عن صدام بين الاكراد والمناطق المختلطة في الشمال والمناطق السنية الكبيرة على الخط الفاصل جنوب شرق كركوك. وحتى الان تفادى الاكراد اي صدام اثني ولكن توجد توترات بسبب اعادة الممتلكات الكردية.

ويعترف التقرير بأن المعلومات التي نشرت عن أن جانبا ممن يشنون الهجمات يمثلون الانصار والقاعدة.. خاطئة والهدف منها تغيير اتجاه اعمال قوات التحالف. ويؤكد أن غالبية من تم القبض عليهم من المجرمين الذي هربوا قبل انهيار نظام صدام حسين. ولا توجد أي أدلة على اعمال للقاعدة في العراق ولا يوجد ما يثبت أي دور للأنصار، ولا توجد ادلة على مشاكل مع الايرانيين وان كان عدد من الاجانب يتسللون من الموصل وعبر الحدود الايرانية. ويعارض التقرير ارسال قوات اضافية الى العراق ويفضل زيادة حجم الشرطة والجيش العراقيين وحرس الحدود ويرى أن هذا يزيد حجم القوة البشرية ويحسن مهارة التخاطب باللغة العربية ويزيد كفاءة المخابرات البشرية وعلى الرغم من ان التكنولوجيا تساعد كثيرا الا ان الامر يحتاج الى زيادة قوة المخابرات البشرية لأنها الوحيدة القادرة على توفير معلومات دقيقة عن تحركات واعمال مجموعات المقاومة التي تتحرك بسرعة وخفة.

ويقول التقرير ان سيلا من المعلومات يرد ولكن لا توجد اجابة مؤكدة حول الموقف وكل الاجابات تشير الى غياب التنسيق بين الاجهزة المختلفة ولا احد يشعر بان هناك نهاية مبكرة لهذه الهجمات ويعتقد الجميع ان هذا سيستمر الى ان تغادر القوات الاميركية العراق والجميع يؤكدون ان موقف الولايات المتحدة وحلفائها يتحسن ولكن التهديد يتزايد ومن الممكن ان يتحول الى قنبلة وان الجهد المبذول يسعى فقط إلى خفض التهديد وليس التخلص منه.

غرور القوة

والمشكلة ان الولايات المتحدة لم تعد ترى أي خيار اخر لصياغة العلاقات الدولية سوى استخدام القوة. وأكد الرئيس بوش ذلك خلال زيارته الاخيرة لبريطانيا حين قال ان الدول الديمقراطية والحرة عليها استخدام القوة لحماية نفسها والعالم.

ويرى المحللون ان الولايات المتحدة اغراها انتصارها في الحرب الباردة وما حققته من انجازات بعد ذلك. ولها العذر في ذلك فالاتحاد السوفيتي المنافس الوحيد لها في عالم ثنائي القطبية اعترف بان نظامه كان ابعد ما يكون عن المثالية بل قبل الغرب كنموذج للتطور والديمقراطيات التي وصلت إلى السلطة بعد تحلل الاتحاد السوفيتي حولت روسيا التي ورثت عن الاتحاد السوفيتي أكبر قوة نووية في العالم من عملاق آسيوي خطير إلى احد اعضاء المنطقة الأوروبية وتحتل مقعدا في الصفوف الخلفية للدول التي تخضع للسياسة والاستراتيجية الأميركية مثل ألمانيا وبريطانيا وغيرهما ومع ذلك اعتقد ان روسيا لن تقبل انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة الكاملة على العالم وانها ستعمل على تطوير قدراتها لتعود إلى القمة، كما ان الصين ستقاوم هذا التوجه الأميركي بكل الاساليب.

ويصف المحللون رد فعل الولايات المتحدة على الاوضاع الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة

بأنه يشبه رد فعل الاتحاد السوفيتي عند انتصار الثورة الشيوعية في الصين وفيتنام وكوبا. فلقد اقتنع قادة الاتحاد السوفيتي بأن الشيوعية انتصرت في كثير من الدول وان هذه الدول اعتبرتها نظريات تقدمية وانها تمهد الطريق لمستقبل باهر لكل البشرية وان الشيوعية ستكون المنتصرة في كل مكان ومن واجب الاتحاد السوفيتي العمل على تحقيق هذا الانتصار. واليوم جاء الوقت لتقتنع الولايات المتحدة بأن ايديولوجيتها يجب ان تسود وما يقصده هؤلاء المحللون سيادة النظرية الرأسمالية الأميركية والنظام والثقافة الأميركية في كل انحاء العالم على ان تكون الولايات المتحدة هي سيدة هذا العالم بلا منافس. لكنني لا اعتقد ان شعب الولايات المتحدة يريد ذلك بل هي افكار واراء صقور الحزب الجمهوري.

وانتشار الديموقراطية يجب ان ينبع من شعب كل دولة لا ان تملى عليه من دولة اخرى. ولماذا اقتصر هذا المبدأ الأميركي على دول صغيرة من العالم الثالث ولم يفرض على الصين مثلا؟ وهل ستجازف الولايات المتحدة بالدخول في صراع نووي مدمر مع الصين لتطبيق ايدلوجيتها؟ وفيتنام مثال حي فقد فشلت الولايات المتحدة بكل قوتها في فرض هذه الايديولوجية على فيتنام..!

ويقول المحللون انه لا عجب ان تتصور الولايات المتحدة نفسها كقائدة لتطوير البشرية وان قدرها ان تعلم العالم الطريق إلى الحرية والرفاهية، وان هناك افعالا تعطيها هذا الحق فقادة الولايات المتحدة يصرون على ان الولايات المتحدة هي مبتدعة العولمة وان لها قيادتها، كما انها تحمل على عاتقها مسؤولية المشرع والقاضي والجندي ومستعدة لوضع القوانين التي تفرضها على أولئك الذين يترددون في قبول هذه الافكار ومعاقبتهم إذا دعت الضرورة. ويقولون ان المفكرين يزعمون ان الامبراطورية الرومانية تمكنت من الحفاظ على السلام لأربعة قرون ولذلك فان الدول المارقة من وجهة نظرهم يجب معاقبتها واجبارها عسكريا على ذلك، ومن هنا ابتدعت الإدارة الأميركية نظرية الحرب المسبقة. ولعقد من الزمان نجحت الآلة الأميركية القوية في بذل جهود كثيرة لفرض أسلوب الحياة الأميركية في أنحاء كثيرة من العالم مستغلة ما لديها من قوة اقتصادية وتكنولوجية وعسكرية.

ويتحدث المحللون عن الاحداث المأساوية في الحادي عشر من سبتمر ووصفها بانها حملة صليبية اخرى ولا أدري لماذا اطلقوا على هذا الحادث هذه التسمية. وان هذا الحادث خلق مشاعر قوية للانتقام والتصميم على ضمان أمن مطلق. ويقولون ان الاستراتيجية الامنية القومية الأميركية التي تم نشرها في ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٢ ترى ان البشرية تمسك في يدها اليوم فرصة تحقيق انتصارات للحرية على كل خصومها.. واننا سندافع عن الولايات المتحدة.. في الداخل والخارج بتدمير التهديد قبل ان يصل إلى ديارنا.. وسوف لا نتردد في العمل منفردين إذا لزم الأمر للدفاع عن أنفسنا بالتصرف المسبق ضد هؤلاء الإرهابيين ومنعهم من القيام باعمال ضارة.

ويرى المحللون ان الاقتصاد عامل آخر يؤثر على الاستراتيجية الأميركية إلى حد بعيد

فالدولة تحتاج إلى أسواق والوصول باستمرار إلى مصادر الطاقة لفترة طويلة مقبلة. وهذا يفسر الانحياز الأميركي الواضح لمبدأ التجارة الحرة التي تدعو لها وتشجعها مع اصرارها على بذل كل الجهود المكنة للسيطرة على مصادر الطاقة وتأمينها وخاصة في نصف الكرة الغربي وافريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى ومنطقة بحر قزوين.

ويقولون ان الصناعة العسكرية الضخمة التي خلقت قوة عسكرية غير مسبوقة تلعب دورا رئيسيا في هذا المجال وأدت إلى خلق سياسات هيمنة اميركية طموحة فالبنتاجون ينظر إلى العالم على انه منطقة يمكن ان تلعب القواعد العسكرية الأميركية المنتشرة فيها الدور الرئيسي لتحقيق هذه السياسة. فهناك مناطق تحت سيطرة أميركية كاملة ومناطق يمكن عن طريق فتح القوات على مسافات بعيدة ان تصل إليها ولكن توجد مناطق غير مسيطر عليها. والاستراتيجيون الأميركيون يدرسون كيف يمكن التخلص من "البقع البيضاء" -على حد تعبيرهم- من على خريطة العالم. وتم لهم فعلا ازالة بقعة العراق البيضاء وهناك بقع بيضاء في انتظار العمل العسكري الأميركي لازالتها.

ويرى المدافعون عن نظام عالمي احادي القطبية ان الولايات المتحدة من حقها العمل منفردة دون معارضة من الدول الاخرى.. وفي هذه الرؤية علامة أو دليل على احادية العلاقات الدولية ولا يجب ان ننسى ان التدخل ظهر في عصر الحرب الباردة في حالات كثيرة وكان محل نقد واحتجاج من معظم دول العالم. وضربوا مثالا بان الولايات المتحدة شنت حربا كبيرة وطويلة في الهند الصينية "١٩٦٥-١٩٧٥" وان الاتحاد السوفيتي تجاهل الاحتجاجات عندما ارسل قوات إلى المجر عام ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ وأفغانستان في ١٩٧٩-١٩٨٩ ولم يتحدث أحد انذاك عن احادية قطبية للاتحاد السوفيتي.

ويقولون ان الولايات المتحدة ليست لديها فرص كثيرة للحصول على لقب سيدة العالم، وهي تواجه موجة معارضة متزايدة لسياسات الهيمنة خاصة من قوى كبرى مؤثرة مثل روسيا والصين والهند وكثير من دول العالم الإسلامي والدول النامية.. كما ان النظم التي اعتبرتها الولايات المتحدة نظما مارقة ترفض تهديدات الولايات المتحدة بل تبذل جهدا كبيرا لان تصبح نووية لردع هذه التهديدات. ويرى المحللون ان هذه النظم لن ترتدع عن اللجوء إلى الارهاب إذا تطلب الأمر.

اثار سلبية

وقد واجهت الولايات المتحدة اثارا سلبية لاستخدام القوة لفرض ما تراه على الآخرين. ويرى المحللون ان المقاومة الداخلية في الولايات المتحدة ستخفض من حدة هذه الحمى فالولايات المتحدة دولة ديموقراطية وسيكتشف السياسيون والرأي العام فيها انه من الصعوبة بمكان قبول سياسات عدوانية وشن حروب تتعارض مع القوانين الدولية يتم فيها قتل ارواح كثيرة. ففي عام ١٩٩٩ تصاعدت اصوات أميركية عارضت قصف يوغوسلافيا بالقنابل. وفي عام ٢٠٠٣ كانت الحركة المضادة لغزو العراق، كما ان اعضاء ديموقراطيين في الكونجرس وعسكريين

متقاعدين ونجوم سينمائيين وطلبة عـارضوا هذه الحرب ووصفوها بانها حرب غير عادلة. وفي لندن واجه توني بلير رئيس الوزراء البريطاني والحليف الرئيسي لواشنطن مشاكل كثيرة.

ويجب على الولايات المتحدة ان تعـترف بان كثيرا من مشاكل العـالم يجب ان تحل بالتعاون المشترك مع المجتمع الدولي. والأمـيركيون يعرفون تماما ان الحرب ضـد الإرهاب في أفغانستان لم تكن لتكتـمل بدون دعم روسيـا ودول آسيـا الوسطى. كما ان عـودة الحيـاة لطبيـعتـها في أفغانسـتان تحتاج إلى جـهود أكبر وعلى الولايات المتـحدة لتحقـيق ذلك ان يستمر تعـاونها مع روسيا ودول آسيا الوسطى. والإرهاب الدولي يحـتم تعاون الولايات المتحدة مع كل دول العالم للقضاء عليه ولن تتمكن منفردة من تحقيق الهدف.

الخلاصة

الولايات المتحدة عـازمة على البقاء في العراق.. وربمـا تسعى لاقامة نظام موال لهـا يعطيها حق الاحتـفاظ بقوات وقواعـد الى اجل غير مـسمى.. وهي مصـرة على استمـرار استراتيجـية الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط وثرواتها وعلى بترول آسيا الوسطى وبحر قزوين واوراسيا واحتواء الصين.

آمال ضائعة

عندمـا دخلنا القرن الواحـد والعشـرين كان الكـثيـرون في العالم يأملون ان يروا قـرنا من السلام بعـد مآسي القـرن العشرين قـرن الحروب المدمرة واسـتخدام القنبـلة النووية.. وخلال السنوات الثلاث الاولى من القرن الحالي يمكن القـول ان هذه الآمال تبددت بواسطة الحرب ضد الارهاب والانقسام داخل الدول الديمقـراطية وبواسطة التركيز على مـسائل الأمن القومي. ومن المعـروف ان الارهاب الدولي ليس ظاهرة مسـتـحدثة وانما وجـد منذ القدم كـما ان لغـة الأمن أصبحت لغـة اليوم. وادى الاهتمام المتزايد بالامن الى سـقوط امور كثيرة من اجندة اهتـمامات المجتمع الدولي مثل الانتشار النووي، والحرب ضد الفقر، والحاجة الى نظام تجاري عادل.

٢

عالم جديد

إسرائيل أهم صفحة في الكتاب الأميركي

الترتيبات الأمنية الاميركية بالمنطقة تضع تل أبيب على قمة الاولويات

كل الحلفاء في المنطقة يتغيرون لكن الحليف الاسرائيلي راسخ في موقعه

مساعي الولايات المتحدة لاستعادة ثقة العرب تصطدم بانحيازها لاسرائيل

تتحدث مراكز الدراسات عن ان أحد أهداف الولايات المتحدة من احتلالها للعراق اقامة نظام أمن اقليمي جديد لمنطقة الشرق الأوسط بفرض انها ستنجح فيما خططت له بالنسبة للعراق فتتغلب على مقاومة عراقية مؤثرة وفعالة ضد الاحتلال.. حيث يرى البعض ان الولايات المتحدة ستغرق في مستنقع العراق ويشبه الوضع في العراق بالموقف الذي واجهته أميركا في فيتنام.

وعلى الرغم من المبالغة في هذا الوصف الا ان الواضح ان الشعب العراقي غير راض عن الاحتلال خاصة ان النية أصبحت واضحة بأن الولايات المتحدة ستبقى في العراق مدة طويلة إلى ان تحقق كل أهدافها بالسيطرة على الشرق الأوسط الأكبر وعلى أوراسيا واحتواء الصين التي تعتبرها واشنطن التهديد الرئيسي لها.

وترى هذه المراكز ان التركيز على تحقيق استقرار وسلام في العراق جذب الاهتمام بعيدا عن مسألة مهمة -من وجهة النظر الاستراتيجية الأميركية- لم تنته بعد وهي خلق تحالف دائم لأمن واستقرار الخليج الأكبر -على حد تعبيرهم- والتأكد من ان تغيير النظام في العراق سيكون مؤثرا في تقليل التهديد الذي كان يمثله لأمن المنطقة -وهذا أيضا رأيهم- وان كان صحيحا الى حد ما في عهد صدام حسين.

ومع ذلك فإن التغيير في العراق بفرض انه سيتحقق ويستمر في وجه العقبات أو التغير إلى الديموقراطية في الشرق الأوسط الأكبر ليسا علاجا شافيا لكل التهديدات الأمنية والتحديات التي تتعرض لها منطقة الخليج.

ولأسباب تاريخية وجغرافية سياسية، وخاصة التنافس التقليدي بين العراق وإيران، فان عراق ما بعد صدام حسين، بغض النظر عن الطبيعة السياسية والايديولوجية لقيادته الجديدة، قد تستمر فيه نفس النزعة للسيطرة الاقليمية والطموحات التي ستخلق توترات وربما تنافرا أو خصومة مع جيران العراق. كما ان التخلص من نظام صدام حسين يدعم موقف إيران بزوال مركز ثقل مضاد لطهران بالمنطقة أو بتعبير أدق زوال قوة كان على إيران ان تضعها في الحسبان لتحقيق طموحاتها. وبغض النظر عن فوز المحافظين أو الاصلاحيين في الصراع السياسي داخل إيران فإنه من المتوقع ان تظل إيران على طريق السعي لتحقيق هيمنتها الاقليمية

وستسعى في كل الاحوال لتطوير قوتها المسلحة بل وامتلاك السلاح النووي كما ان تحييد التهديد العراقي مع تزايد المعارضة المحلية في منطقة الخليج ضد التواجد الأميركي كل ذلك يخلق ضغطا متناميا على الولايات المتحدة لتقليل فتح قواتها بالمنطقة ونقل التعامل مع هذه المشاكل إلى مجلس التعاون الخليجي.

ويعتقد المحللون والخبراء ان هذه التحديات قد تهدد حياة مواطنين أميركيين وتهدد تدفق البترول وتثير تدخلا عسكريا أميركيا، والاوسع من ذلك خلق توتر وربما صدامات في كل انحاء المنطقة. وباختصار يمكن القول ان احتلال الولايات المتحدة للعراق لم يقلل من التحديات الأمنية وهو ما كانت تسعى إليه واشنطن.

طرق اقتراب

ويرى المحللون انه من وجهة النظر الأميركية فان اقامة نظام أمني اقليمي قد لا تكون ضرورية ولا مرغوبا فيها بعد احتلال العراق عسكريا. وحتى الفتح العسكري الأميركي والنفوذ في العراق بعد الحرب لن يكون كافيا لحماية كل المصالح الأمنية الأميركية في منطقة الخليج بعد الحرب.

كما يرون ان التهديدات المحتملة يمكن مواجهتها بخليط من طرق اقتراب متعدد الاطراف وثنائي والعيوب في طرق الاقتراب الأميركية المختلفة للأمن الاقليمي خلال نصف قرن مضى تقدم دروسا مفيدة في التعامل مع التهديدات التقليدية والأنواع الأخرى من التهديدات التي تواجهها الولايات المتحدة. ومنذ عام ١٩٧٩ كان اعتماد السياسة الأميركية على دول الخليج في الحصول على قواعد بها واجراء تدريبات مشتركة هناك أو للتعامل مع أزمة ما وتم تطويرها بتطبيق عقيدة كارتر لابعاد أي قوى خارجية عن تهديد تدفق البترول من المنطقة مع تواجد عسكري أميركي مستديم بالمنطقة بعد عملية عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ وان كان لهذه السياسة بعض المثالب ومن بينها ان التواجد الأميركي أدى إلى خلق مجموعات معارضة وربما خلق عناصر إرهابية أهمها «قاعدة بن لادن» التي تعارض هذا التواجد ومع ذلك فان المحللين يرون ان الإرهاب لم يكن ليجبر الولايات المتحدة على التنازل عن مصالحها والتزاماتها بالمنطقة، ولكن هذه الأمور تجعلها في حاجة لاصلاح صورتها مع الوقت لحرمان هذه العناصر من الاساءة إلى المصالح الأميركية.

ولم تفطن الولايات المتحدة الى أن إحدى الصور التي تسيء إلى التواجد الأميركي بالمنطقة موقفها المنحاز لإسرائيل بالنسبة للقضية الفلسطينية وتراجعها عن وعد الرئيس الاسبق بوش الاب بشأن مبدأ الارض مقابل السلام، بل اتخذت من إسرائيل شريكا استراتيجيا لها بالمنطقة. وكانت السياسة الأميركية السابقة افضل بكثير وكان التحالف الأميركي مع قادة اقليميين اقوياء أولهم الشاه محمد رضا بهلوي في إيران من أوائل الخمسينات وحتى أواخر السبعينات وثانيهم صدام حسين من عام ١٩٧٩ وحتى الثمانينات. وتمت الاطاحة بشاه إيران. وشجعت اميركا عراق صدام حسين على الدخول في حرب مع إيران راح ضحيتها مليون شخص نتيجة خطأ في تقدير الموقف.

واعتقادا من صدام بأن الولايات المتحدة مازالت صديقة له اقدم على غزو الكويت عام ١٩٩٠ وقيل انه حصل على ضوء أخضر من السفيرة الاميركية في بغداد «جلابسي»، بهذا الغزو ونسى صدام ان الولايات المتحدة لا تقبل سيطرته على معظم بترول منطقة الخليج وانه بغزوه الكويت يهدد المصالح البترولية الاميركية في المنطقة.

ويعتقد المحللون والسياسيون الاميركيون ان الاعتماد على أي من العراق أو إيران غير مجد وأصبحت واشنطن تؤمن بان أيا منهما لا يمكن ان يؤمن المصالح الأميركية وأصبحت العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران سيئة وباختفاء صدام حسين تعتقد أميركا ان نظاما جديدا في العراق كوكيل لها قد يخلق عدم ثقة بالولايات المتحدة في المنطقة كلها بما في ذلك دول الخليج العربي، وأصبح عليها ان تبذل جهدا كبيرا لاستعادة ثقة الدول العربية كأمر حيوي لمصالحها بالمنطقة. ومن المؤكد ان هذا يتوقف على تغيير سياستها تجاه العالم العربي ولا يعقل ان تسترد هذه الثقة والعلاقات الوطيدة وهي منحازة كلية لإسرائيل وتهدد دولا عربية باستخدام استراتيجية الحرب المسبقة ضدها لأسباب غير حقيقية ومثال ذلك التهديد الذي تتعرض له سوريا على لسان عدد من المسؤولين بإدارة بوش رغم ان سوريا استجابت لكل ما طلبته الولايات المتحدة.

وكان التواجد العسكري المكثف في منطقة الخليج بهدف احتواء العراق وإيران والآن لا يمثل العراق أو إيران أي تهديد للمصالح الأميركية رغم الادعاء بان إيران تسعى إلى ان تكون نووية كما ان بوش صنفها كاحدى دول محور الشر الثلاث -كوريا الشمالية وإيران والعراق-. ويقول محللون انه على الرغم من ان إيران لا تزال مشكلة عسكرية فإن ردعها لا يتحقق بتواجد عسكري أميركي ضخم بالمنطقة، ومن الممكن حسب رأي المحللين عقد اتفاقيات تمركز مع القدرة العالية للولايات المتحدة على سرعة فتح قواتها على مسافات بعيدة كما ان مجلس التعاون الخليجي أصبح قادرا على مواجهة أي تهديد إيراني محتمل.

ويرى المحللون انه حتى لو ان وجودا عسكريا أميركيا كبيرا بالمنطقة نظر إليه على انه حيوي للاستقرار الاقليمي وانه ردع لإيران فان هذا التواجد بالاقليم والاتفاقيات التي سمحت بذلك ستكون دائما عرضه لضغوط سياسية داخلية واقليمية. فالمملكة العربية السعودية تريد جلاء القوات الأميركية عن قاعدة الامير سلطان الجوية واشارت إلى ذلك حتى قبل بداية الحرب على العراق. وأي نجاح للولايات المتحدة في عقد اتفاقيات مماثلة مع حكومة العراق الجديدة حتى ولو كانت الضرورة العسكرية تحتم ذلك فان ذلك سيؤدي إلى اعتماد غير صحي على أحدى الحكومات في المنطقة. واعتقد ان الولايات المتحدة ستستخدم عددا من القواعد في العراق حتى دون موافقة أي حكومة جديدة مع ان سير الأحداث يوحي بان الحكومة العراقية الجديدة ستكون تحت سيطرة الولايات المتحدة لفترة طويلة.

ويقول المحللون انه بعد ان توقفت العمليات في العراق فان الولايات المتحدة ستبقى على العلاقات الأمنية الثنائية مع كل دول منطقة الخليج ما عدا إيران. كما ان دول المنطقة ستحافظ على العلاقات الثنائية معها. وبالنسبة للعراق فان الأمر يتطلب تجديد علاقاته التي كانت عدائية

على مدى ١٥ عاما، وهذا يعني البناء على العلاقات التي تحسنت حاليا -على حد قولهم- مع دول الخليج وخاصة السعودية.

معادلة

ويؤكد المحللون ان هذه العلاقات -اذا تحققت- بين دول المنطقة لا تعني انها ستحل محل تركيز الولايات المتحدة على فتح قوات عسكرية في المنطقة لحماية مصالحها. ومن الواضح ان هذا يعني ألا تكون القوة العسكرية لدول المنطقة قوية وقادرة على تأمين وحماية الأمن الاقليمي وانها ستعتمد على الولايات المتحدة التي ستتأكد من تحقيق هذه المعادلة. ويبرر المحللون ذلك بان أي مؤسسة أمنية تجمع كل دول الخليج قد تصبح ضد الولايات المتحدة وضد إسرائيل. وهذا يعني ان أمن إسرائيل وتفوقها يأتي في المقام الأول بالنسبة للأمن الاقليمي وإذا كان هذا هو التصميم أو الهندسة التي تريدها الولايات المتحدة لأمن الخليج فهل ستقبل دول الخليج ذلك وبالصورة التي تريدها الإدارة الأميركية؟.. وهل حقيقة كما تقول مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية ان السعودية ترحب بدور متزايد في التشكيل الاقليمي للمسائل الأمنية؟ وكانت إيران بصفة خاصة تطالب بمسؤولية اقليمية أكبر بالنسبة للمسائل الأمنية وجادلت في أن التواجد الأميركي عامل عدم استقرار أكثر من امتلاك العراق لأسلحة تدمير شامل. ولذلك فان إيران ترحب بان يكون لها دور في أي ترتيبات أمنية اقليمية كما ان عراق ما بعد صدام سيكون راغبا في الاندماج مع جيرانه في الجنوب في مجال تنظيم أمن اقليمي والسعودية بصفتها القوة الاكبر في المنطقة تأمل ألا يكون العراق أو إيران تهديدا محتملا لشبه الجزيرة العربية وقد تكون راغبة ومشجعة لدراسة ومناقشة الموضوع مع كل دولة بالمنطقة.

ولتحقيق اسهام إيجابي في الأمن الاقليمي يجب ان يكون البناء المقترح قادرا على توفير قدرة دفاعية جماعية للدول الأضعف وخلق بيئة تعاون في المسائل الأمنية تقلل من احتمالات أي صدام وتمكين المنطقة من ان تلعب دورا بناء ومؤثرا في دعم السلام والاستقرار في الخليج وكذلك في منطقة الشرق الأوسط الأكبر وفي مناطق متاخمة مثل أفغانستان وآسيا الوسطى.

ومن الواضح ان مثل هذه البنية الأمنية المقترحة لم تشمل باقي الدول العربية مثل سوريا والأردن ومصر والمغرب العربي الأمر الذي يعني القضاء على جامعة الدول العربية أو خلق مشكلات داخلها بل وتشجيع تنافر بين الاعضاء وهو أمر في صالح إسرائيل أولا ويسهل على الولايات المتحدة الهيمنة على كل العالم العربي بصورة أو بأخرى.

ان أنسب تعاون أمني هو قيام نظام امني عربي تنضم إليه غالبية أو كل الدول العربية ولا يخضع لأي هيمنة خارجية. فلا يقبل ان تكون هناك منظمة أمنية تضم دول الخليج ولا تقوم منظمة أمنية تضم دول الخليج وسوريا والاردن ولبنان ومصر والسودان وأي دول عربية أخرى ترغب في الانضمام مثل اليمن وليبيا وجميعها تتعرض لنفس التهديدات «تهديد اسرائيلي نووي حال وتهديد ايراني مستقبلي» وفي المستقبل يمكن أن ينضم الى هذا التنظيم العراق الجديد الديمقراطي المحرر من الاحتلال الاجنبي..

ان البحر الاحمر بحيرة عربية وكل شـواطئه عربية وهو شريان مواصلات عالمي مهم تمر به اكثـر من ٥٠ في المئة من تجـارة البترول فكيف لا يـكون هناك تعاون امني بين الدول العـربية لتأمينه؟

ان الفكرة التي يقدمها مركـز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن فكرة خـبيثة تهدف الى تفتيت الامة العربية ومنع قـيام اي تعاون امني بين الدول العربية، وأن يكون التنظيم الامني الخليجي المقترح خاضعا للهيمنة الاميـركية، ومن الطبيعي ان مبدأ فرق تسد هو أحد اسس هذه الفكرة.

وتفترض الدراسـة ان خلق امن اقليمي في الخليج العربي لا يتطلب طرازا خليـجيا على نمط الاتحاد الاوروبي أو حلف الناتو، وان مـا تحتاج اليـه دول الخليج سلسلة من العلاقـات الثنائية والمتعـددة المتداخلة «أو المتشـابكة» مع وجود شـبكة معززة مـشتركـة من الترابط بين كل دول الخليج بما في ذلك العراق وايران وبالاضـافة الى ذلك عملية متـعددة الاطراف اوسع، وان توفر هذه الشبكة دورا للتنظيـمات الرسميـة القائمة مـثل مجلس التعاون الخليـجي. وترى أن منظمة الاسيان يمكـن أن تكون نموذجا يحتذى به في مـجال أمن الخليج.. ومع ان الآسيان منظـمة لها نشاط محـدود الا أنها تجمع دولا مخـتلفة في نظامها السـياسي ومختلفة في الـلغة والدين أما الدول العربيـة فتتكلم لغـة واحدة ولها تاريخ مـشترك طويل. واذا كـانت الدول الاوروبية التي حاربت بعـضهـا عشرات السنين وتخـتلف في اللغة وفي النـسيج والعادات والتـقاليـد تعاونت واشتـركت في حلف واحد –هو حلف شمـال الاطلسي– ثم تطور الامر الى قيـام اتحاد اوروبي ناجح حتى الان وفي سبيله الى ان يصدر دستورا واحدا، فكيف لا يمكن للعالم العربي أن يخلق تنظيما امنيا واحدا وكل دوله او معظمها تشتـرك في التهديدات التي تتعرض لها وبينها مصالح مشتركة كثيرة.. اليست اولى من اوروبا ومن دول جنوب شرق اسيا لتحقيق هذا الهدف.

وراء الستار

تتـحدث الدراسـات عن عدد من المدركـات الحسـية يجب ان توجـه الاقتـراب الاميـركي من تصمـيم نظام امن اقليمي للمـنطقة منها ان دول الخليـج تحتاج الى ان تمتلك وتسـيطر على هذا النظام لاعطائه شـرعية. ولا يـعني ذلك أن يكون وضع الولايات المتحـدة سلبيـا بل عليهـا تقدم النصح والمعاونة من وراء الستار.

حماية اسرائيل

ستحتاج الولايات المتـحدة الى أن تبقى يقظة وحذرة لحماية حقوقهـا ومصالحها. ومن أهم مصـالحهـا الحاجـة الى منع النظام الأمني المقتـرح من أن يصبح مـنصة اطلاق ضد اسـرائيل وإنتقـاد العلاقات الامـيركيـة الاسرائيلية الخـاصة والاستـراتيجيـة أي ان الدراسة تطالب دول الخليج بأن تغض الطرف عما تفعله اسرائيل.

خارطة الطريق الى المجهول

أمن اسرائيل ووقف الانتفاضة الالتزام الوحيد الواضح في الخطة

آليات التنفيذ غائبة والدولة الفلسطينية مجرد وعد غير قابل للتحقق

تحفظات شارون اجهضت خارطة الطريق وبددت الآمال

اعترافات بوش بالدولة اليهودية أطلق يد شارون في التطهير العرقي

اميركا واسرائيل نجحتا في عزل المجتمع الدولي والانفراد بقضية فلسطين

اسرائيل تخلق واقعا على الارض يغلق كل ابواب التفاوض على السلام

عندما صــدرت خارطة الطريق التي اعــلنتها المجـموعــة الرباعية الدوليــة– روسيــا والاتحاد الاوروبي والولايات المتحــدة والامم المتحدة – اعــتقد الجـميع ان املا قــد تجدد في حل المشكلة الفلسطينيــة.. وتعرضت خارطة الطريق لكثــير من النقد من جــانب الفلسطينيين والامة العــربية ومن الجانب الاسرائيلي. وتحت عنوان مثير «طريق الى المجهـول» كتبت احدى الصحف الغربية ان هذه الخارطة تواجــه نجاحا قليــلا الا اذا كان المجتــمع الدولي لديه النية والقــدرة على فرض التنفيــذ وهو ما يعارضه شــارون الذي اصر على انفراد الولايات المتــحدة بالمهمة وتحــقق له ما أراد.

وأكدت صــحيفــة «نيويورك تايمز» ان العديد من المقــربين للرئيس الاميــركي بوش يصرون على ان الدولة الفلسطينية لم تكن ابدا لها اولوية في سياسة واستراتيجية الرئيس الامريكي لان المحافظين في قاعدته الانتخــابية بمن فيهم اليمين المسيحي المتطرف وكثيــر من اليهود يعارضون بشدة قيــام هذه الدولة الفلسطينية بأي صورة بل ويعــارضون اي ضغط على اسرائيــل لتقديم تنازلات ايا كانت ويؤكد كثير من المراقبين ان المصيدة في خارطة الطريق تكمن في حجم وشكل هذه الدولة الفلســطينية المــزمع قيــامــها ويــؤكدون ان المتطرفــين في ادارة بوش يؤيدون رئيس الوزراء الاسرائيلي شــارون.

وقد فاجأ شــارون العالم بتحفظاته على خارطة الطريق والتي ارسلها الى الادارة الامــيركية وهي ضرورة ان يــنشط الفلسطينيون لمنع الارهــاب واحباط العــمليات الــتفجــيرية وحل البــنية التحــتيــة للارهاب طبقــا لخطتي ميــتشيل وتــينيت ولا تفرض اي قــيود على نشاطــات الجيش الاسرائيلي ضــد هذه العمليــات وهو تحفظ يعني اطلاق يد اســرائيل ووضع قيود عــلى الشعب الفلسطيني لكي يصمت ويتلقى اي ضربات تشمل اعتقالات وقتلا وتدميرا.

والسؤال: هل يعني ان تكون اسرائيل دولة يهودية كما يريد شارون ان تسمح ليهود العالم بالهجرة اليها وان العرب الاسرائيليين، لانهم ليسوا يهودا سيتم طردهم من اراضيهم ومنازلهم ليحل محلهم مهاجرون يهود من هنا وهناك؟ وما هو موقف المهاجرين الروس غير اليهود الموجودين داخل اسرائيل؟

وتقود العملية السلمية «طبقا لما تسعى اليه اسرائيل» الى اتفاق دائم على انهاء النزاع ووضع حد للمطالب المتبادلة.. فهل ستعلن اسرائيل الغاء الهدف الذي اعلنته مرارا وادعت انه حق إلهي وهو من النيل الى الفرات وهل ستنسحب من الجولان ومن جنوب لبنان وتعترف بالحدود الدولية؟

ويريد شارون تحقيق اي تسوية بالمفاوضات المباشرة بين الطرفين مع عدم وجود تدخل خارجي في المسائل الخاصة بالتسوية الدائمة وهذا يعني ان اسرائيل ستفرض الحل في هذه المسائل ولا سلطان لاحد عليها في ذلك.

ويطالب بأن تركز الخارطة على قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ فقط وليس على مبادرة السلام العربية التي تدعو الى الانسحاب من جميع المناطق وهذا يعني ان اسرائيل لن تنسحب من الجولان ومن مزارع شبعا رغم القرارات الدولية.

كما يعيد الجيش الاسرائيلي انتشاره خارج مناطق السلطة الفلسطينية وفقا للظروف الامنية. وهذا يعني عدم الانسحاب الكامل من الضفة الغربية وقطاع غزة كما نصت قرارات مجلس الامن. وسيبقى الفلسطينيون سجناء لنطاقات تحددها اسرائيل.. وبعد ذلك يطلقون على ذلك تسوية عادلة.!

ووفقا للظروف الامنية تعمل اسرائيل من اجل تحسين ظروف حياة الفلسطينيين في المناطق الفلسطينية وهذا يعني ان الاتفاق يعطي اسرائيل السيطرة على المناطق الفلسطينية فمن الذي اعطاها الحق في ذلك؟

وتشكل قيادة فلسطينية جديدة ومن الطبيعي ان تكون بإرادة اميركية بناء على توجيهات اسرائيلية.

وتشرف الولايات المتحدة منفردة بعيدا عن اللجنة الرباعية الدولية على تطبيق الخارطة اي استبعاد الرأي العام الدولي ويتوقف التنفيذ على الولايات المتحدة المنحازة تماما لاسرائيل.

وتقوم الدولة الفلسطينية في حدود مؤقتة بالاتفاق مع اسرائيل فقط، وبعد توقف تام لاي عمليات فلسطينية وصفها شارون بالعمليات الارهابية بعد اتمام تفكيك البنية التحتية للمنظمات الفلسطينية جميعا والتي اطلق عليها التنظيمات الارهابية واستبدال القيادة الفلسطينية وان تكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح تماما. وهذا يضمن لاسرائيل دخول اراضي الدولة المزعومة ذات الحدود المؤقتة لتغير ما تريد ومن تريد في اي وقت تشاء ولا تملك هذه الدولة اي وسيلة للدفاع عن نفسها.

ويعلن الفلسطينيون ان اسرائيل دولة يهودية ويتنازلون بذلك عن حق العودة فما رأي بوش

وصقوره في دولة يهودية متطرفة يقبلون وجودها في الوقت الذي يرفضون فيه بصورة قاطعة قيام نظام اسلامي في العراق بل يسعون للقضاء على النظام الاسلامي في ايران؟ وهم يعلمون تماما ان اليهودية الحالية كلها تطرف بكل ما تحمل تلك الكلمة من معنى ويحب اليهود الحاليون العيش في جيتوهات بمعزل عن الطوائف الاخرى ويحرمون زواج اليهودية بغير اليهودي والعكس.

آليات غائبة

والامر الذي لا جدال فيه ان نظرة واعية لخارطة الطريق توضح انه لا توجد آليات للتفاوض او اسس للتنفيذ او الالتزام بأي شيء بغض النظر عن اشارتها الى قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨.

ومن الواضح ان اهم ما تركز عليه، بل الالتزام الوحيد الذي تنص عليه، هو ضمان امن اسرائيل وتصفية المقاومة الفلسطينية بل واعتراف الدول العربية باسرائيل وضمان سلامتها. ولا نص على التزام اسرائيل بالانسحاب الى حدود ١٩٦٧ والانسحاب من القدس الشرقية ولا بازالة المستوطنات. ولا سيادة للدولة الفلسطينية المزمع اقامتها ولا حرية لهذه الدولة في اقامة اي علاقات سياسية او اقتصادية الا عن طريق اسرائيل. فهي دولة منزوعة السلاح ولا يحق لها امتلاك اي قوات مسلحة لحماية شعبها واراضيها ضد العدوان والغزو.

وتتحدث الخارطة عن انسحاب القوات الاسرائيلية من مناطق السلطة الفلسطينية بعد الانتفاضة الفلسطينية ولا تنص على ما قامت بضمه اسرائيل من اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة وهي مساحات كبيرة تزيد على ٤٠ في المئة من مساحة المنطقتين وهذا يعني ان اسرائيل ستحتفظ بما ضمته من هذه الاراضي.

وبالنسبة للمستوطنات تنص الخارطة على تفكيك المستوطنات العشوائية الصغيرة التي اقامها المستوطنون الاسرائيليون على قمم الجبال والتلال، لا لشيء الا لان حمايتها تحتاج الى قوات كبيرة واموال كثيرة.

ولا تشير الخارطة الى ماهية حدود الدولة الفلسطينية وورد تعبير حدود مؤقتة شريطة ان تحقق السلطة الفلسطينية تقدما ترضي عنه اسرائيل، اما الحدود النهائية لهذه الدولة فتنص على انها محل تفاوض بين الطرفين في المرحلة الثالثة اي عام ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ ولا التزام في الخارطة بتنفيذ ذلك.

لقد قامت حكومة شارون ببناء سور «العزل او الفصل» وبدأته في مايو ٢٠٠٢ فامتدت المرحلة الاولى منه مسافة ١٤٥كم من شمال جنين الى قلقيلية في منتصف القطاع الغربي للضفة الغربية وتم تأمينه بمد السور بضعة كيلو مترات شرق حدود ١٩٦٧ لضم عشر مستوطنات وبناء على طلب من وزارة الدفاع الاسرائيلية تمت تعديلات في السور ليتضمن مستوطنة «الفي ميناشي» جنوب قلقيلية والمدخل الى الطريق الذي يربط المدن الساحلية الاسرائيلية بالمستوطنات الشرقية في كوديين واربيل.. وشملت المرحلتان الثانية والثالثة من

السور «الجدار» الامتداد من جنوبي هيبرون بالضفة الغربية ليشمل المناطق الكثيفة بالمستوطنات في الاراضي المحتلة. وهناك خطة لربط هذه المستوطنات بالقطاع الشمالي للضفة الغربية. وفي النهاية فان هذا السور سيقوم بضم ٤٠٠٠٠ مستوطن اضافي. كما ستقوم اسرائيل باستكمال سور يمتد من الشمال الى الجنوب على طول سلسلة مرتفعات باقي الضفة الغربية. وفي النهاية سيكون طول هذا السور «الحائط» ٦٠٠ كيلو متر.

وتقول مصادر عسكرية اسرائيلية ان الهدف من هذا السور هو الحد من اي حدود فلسطينية يتم التفاوض عليها في خارطة الطريق. ويرى المحللون ان هذا الجدار يساعد اسرائيل على فرض اجندة الاراضي التي تريد ضمها بعد تنشيط الخارطة وهذا يحقق مخططات شارون في ضم اكبر قدر ممكن من اراضي الضفة والقطاع وحصار الفلسطينيين داخل منطقة مسورة يسهل السيطرة عليها في اي وقت. كما ان هذا الجدار يخلق واقعا جديدا على الارض.

أهداف اسرائيل

ويرى المراقبون ان اخطر الاثار المترتبة على هذا السور هو خلق خمسة جيوب محاطة من كل جانب تقع شرق وغرب الجدار تم فصلها وعزلها عن باقي الضفة الغربية بواسطة ممر لولبي او بحواجز عميقة، على حد تعبير المراقبين، وسيواجه حوالي ١٢٥ الف فرد يقيمون هناك تدنيا مستمرا لمستوى معيشتهم. مع آثار هذه الظاهرة على امتداد كل الحدود الغربية والشرقية للضفة الغربية سيزيد هذا الى حد كبير من الازمة الاقتصادية والانسانية بالأراضي الفلسطينية وسيجبر سكان القرى والمدن الصغيرة على الهجرة خاصة اولئك الذين يتعرضون لعدوان مستمر من المستوطنين اليهود. ومن الواضح أن هذا هو الهدف الرئيسي للسور.

وجاء الرئيس بوش الى المنطقة واجتمع في شرم الشيخ مع أربعة من الزعماء العرب بهدف اقناع الشعب الاميركي بأن العلاقات بينه وبين العرب على ما يرام. ورغم أننا لا نعرف بالضبط ما دار في الاجتماعات إلا أن بوش أعلن بعد الاجتماع أن على اسرائيل التعامل مع المستوطنات بينما يجب على الفلسطينيين ألا يسمحوا لقلة من الارهابيين بإعاقة السلام في الشرق الاوسط. وأضاف أن العالم يحتاج لدولة فلسطينية حرة وتعيش في سلام وان ادارته ستقوم بالعمل مع كافة الاطراف المعنية لتحقيق تلك الرؤية وأكد أنه يعني ما يقول. وأعلن وزير خارجيته كولن باول في اعقاب قمة شرم الشيخ أن القادة العرب أكدوا دعمهم لجهود رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس وانهم يقدمون له المساعدة اللازمة.

ويرى المراقبون والمحللون أن استبعاد الدول الاوروبية من قمتي شرم الشيخ والعقبة – رغم أن أوربا هي أول من اقترح خارطة الطريق– يعني ان الولايات المتحدة انفردت بالقضية الفلسطينية. وكان الجميع يأملون بأن تخرج القمة بآلية لتطبيق خارطة الطريق ورفض اي شروط لأي طرف عليها وهو ما لم يحدث.

وفي قمة العقبة أعلن ابومازن ادانته للهجمات التي يقوم بها الفلسطينيون ضد الاسرائيليين في أي مكان وأكد انه سيبذل كل الجهود للقضاء على الانتفاضة المسلحة وأنه لن يكون هناك

حل عسكري للنزاع. وانه لن يسمح بحمل السلاح بين الفلسطينيين إلا للجهات المخول لها ذلك.

وأعلن شارون أن أمن اسرائيل لن يتحقق بصورة كاملة الا في ظل سلام كامل وتعهد بعمل كل ما يمكن لاقامة دولة فلسطينية قادرة على البقاء وانه ستتم ازالة المواقع الاستيطانية المخالفة للقانون. واعلن التزامه بتحسين الظروف الانسانية للفلسطينيين وانه يتفهم اهمية ان تكون اراضي الدولة الفلسطينية الجديدة متصلة، وحسب البيان الذي اصدره شارون فإن اللاجئين لن يسمح لهم بالعودة الى اسرائيل بل سيسمح لهم بالعودة الى الدولة الفلسطينية الجديدة.

وأعلن بوش ان الولايات المتحدة ملتزمة بامن اسرائيل باعتبارها دولة يهودية وبقيام دولة فلسطينية.

واستقبل كثير من المحللين هذا الاعلان بشيء من التفاول ولكني لا اعتقد ان اعلانا دون وضع آليات واجندة للتنفيذ سيكون مفيدا وليس ادل على ذلك من انه خلال القمة استمرت قوات الاحتلال الاسرائيلية في اعتداءاتها على ابناء الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتم في فجر نفس اليوم نسف عدة منازل لثلاث عائلات من منظمة فتح في جنوب الضفة الغربية بحجة انهم كانوا وراء عمليات فدائية تمت من قبل كما اعتقل عشرة فلسطينيين وصفتهم اسرائيل بالمتطرفين فاين الالتزام بوقف العمليات العدوانية؟ كما ان اعلان بوش بان اسرائيل دولة يهودية فيه استجابة لاحد شروط شارون التي اعلنها بالنسبة لخارطة الطريق وفي الوقت الذي ترفض فيه الولايات المتحدة قيام نظام اسلامي في العراق تقبل نظاما يهوديا في اسرائيل.

ورغم اشارة بوش الى مشاركته الشخصية في عملية السلام بالشرق الاوسط فان صحيفة «لوس انجلوس تايمز» تقول ان المحللين يؤكدون ان ما حدث يعرضه لمخاطر سياسية على الصعيد الداخلي في الولايات المتحدة حتى لو ادت جهوده في هذا الشأن الى تحقيق نجاحات دبلوماسية في الشرق الاوسط.

وفي الوقت نفسه نشرت صحيفة «شيكاغو تريبيون» ان بعض اليهود في مدينة القدس تظاهروا تعبيرا عن رفضهم التام لخارطة الطريق مما يشير لمعارضة قوية لشارون ليس فقط من المستوطنين اليهود ولكن من داخل الحكومة الاسرائيلية فقد صرح احد اعضائها المتشددين «ايفي ايتام» ان هذه الارض ارض اليهود ولن تستطيع قوة في العالم انتزاعها من ايديهم او تقسيمها وهذا يؤكد ان قيام دولة يهودية كما قال بوش تكريس للتطرف وليس قضاء عليه.

وصدرت تصريحات من كل من رئيس الوزراء الاسرائيلي ورئيس الوزراء الفلسطيني توحي بأن كلا منهما سيعمل على نجاح الخارطة. فلقد اعلن محمود عباس ادانته للهجمات التي يقوم بها الفلسطينيون ضد الاسرائيليين في اي مكان واكد انه سيبذل قصارى جهده للقضاء على الانتفاضة المسلحة وانه لن يكون هناك حل عسكري للصراع الفلسطيني الاسرائيلي. واعلن شارون ان امن اسرائيل لن يتحقق بصورة كاملة الا في ظل سلام كامل وانه سيعمل كل ما يمكن لاقامة دولة فلسطينية قادرة على البقاء. كما اعلن انه ستتم ازالة المواقع الاستيطانية المخالفة للقانون وكان يعني بذلك عددا من المستوطنات اقيمت في اماكن يتعذر الدفاع عنها، اما

المستوطنات الاخرى وعددها كبير ومنتشـرة في الضفة الغربية وقطاع غزة فلم يشر اليها بالمرة وان كان قد اشار الى تفهمه لان تكون اراضي الـدولة الفلسطينية الجديدة متصلة ولم يشر الى طبيعة هذا الاتصال وكـيف يتحقق مع وجود عشرات المستوطنات داخل اراضـي الضفة الغربية اقامتها اسرائيل بعد الاحتلال عام ١٩٦٧.

اما الرئيس بوش فقد اكـد انه على الفلسطينيين والاسرائيليين التركيز على النـتائج المتعلقة بآفاق السلام في الشـرق الاوسط. وجاءت هذه التصريحـات بعد اعلان حركة «حـماس» ايقاف محادثات الهـدنة مع الحكومة الفلسطينية ودعوتها لجـميع الفصائل الفلسطينيـة المسلحة لبحث جميع النقـاط مع ابومازن بسبب موقفه من الانتـفاضة وحجم التنازلات التي قدمهـا خلال قمة العقبة.

وفي اشارة واضــحة الى رفض عـدد من الفصـائل الفلسطينيـة خارطة الطريق وتصـرفات شارون اعلنت ثلاث فصـائل فلسطينية مسؤوليتهـا المشتركة عن عملية معـبر ارينز بالقرب من حدود قطاع غـزة والتي ادت الى مقـتل ٤ اسرائيليين وجـرح اربعة آخرين ومـصرع المهـاجمين الفلسطينيين الثلاثة وتبنت حركة حـماس وكتائب شهداء الاقصى وحركة الجـهاد مسؤولية هذا الهـجوم ثم تـرد اسرائيل بمحـاولة اغـتيـال احـد قادة حـمـاس ونتج عن ذلك مـقتل عـدد من الفلسطينيين في قطاع غـزة واعتـرفت اسرائيل بانهـا حاولت ذلك وهددت حمـاس بانها سـترد بعنف وهو التهـديد الذي تم تنفيـذه في اليوم التالي مـباشرة من خـلال عمليـة اتوبيس القدس الغربية.

وعلقت وســائل الاعلام على اثار الـهجـومين الصاروخين الاسـرائيليين على قطاع غـزة بان خارطة الطريق في الشرق الاوسط تواجه اخـتبارا صعبا ولكنها لم تدن الهـجوم. وكان رد فعل البـيت الابيض ان الرئيس بوش مـهتم بان هذا الهـجـوم سيـقوض جـهودا تـقوم بهـا السلطة الفلسطينية لوقف الهجمات الارهابية ولا يقدم اي اسـهامات للامن الاسرائيلي. ولم يعتبر بوش ان الهجـومين الاسرائيليـين، عمل ارهابي قامـت به اسرائيل. ويتـساءل الرأي العام العـربي هل شارون يريد السلام؟ وهل خارطة الطريق ستستكمـل مسيرتها؟ هناك شك يصل الى حد اليقين فاسرائيل ستعمل كل شيء لاحباط عملية السلام وستزداد المواجهات حدة وعنفا!

إرادة غائبة

لا يكفي أن يريد الاميـركيون والعـرب السلام ويسعـون الى تحقيـقه.. ولابد أن تكون هناك ارادة اسرائيلية للسـلام.. وهو ما لم يحدث حتى الان بل أن كل الشواهد تؤكد أن اسـرائيل غير راغبة في تحقـيق تسوية عادلة.. وأنها تسعى لاشعال الموقف وكـسب الوقت حتى تلحق خارطة الطريق بمدريد واوسلو وغيـرها من الاتفاقيـات التي مزقتهـا اسرائيل باستمـرارها في العدوان الوحشي على الشعب الفلسطيني.

أبومازن والمستحيل

الاميركيـون والاسرائيليون يطلبون من رئيس الوزراء الفلسطيني محمـود عباس «ابومازن»

أن يفعل المستحيل.. فالانتفاضة الفلسطينية لم تبدأ بقرار حتى تتوقف بقرار مضاد.. وهي ليست انتفاضة سلطة ولكنها غضبة شعب يشعر بالظلم ويفضل الموت على حياة الذل والاحتلال.. والانتفاضة لن تتوقف إلا اذا أحس هذا الشعب بأنه يسير في اتجاه السلام.. أما الاوراق واللقاءات والكلام المعسول والشعارات فقد اعتادها الشعب الفلسطيني ولم يجن منها ثمارا ولا أظنه ينخدع بها.

العراقيون يحددون الرئيس الأميركي القادم

الاقتصاد الأميركي المتدهور أطاح ببوش الأب ويهدد الابن

بوش يخشى مصير والده في انتخابات الرئاسة العام القادم

الديمقراطيون يلعبون بأوراق رابحة في حملتهم الانتخابية

تنظيم القاعدة عاد قويا والحرب ضد الإرهاب فاشلة

تحرك بوش المفاجيء للحل في الشرق الأوسط جزء من حملته الانتخابية

بدأت أجواء انتخابات الرئاسة الأميركية التي ستجرى العام القادم تفرض نفسها على الداخل الأميركي وعلى العالم.. وبدأ المحللون والراصدون للأحداث يفقدون اليقين شيئا فشيئا فيما يتعلق بحسم أي قضية دولية من أقصى العالم إلى أقصاه.. فالأمور تتجه إلى التجميد والتوقف انتظارا لما تسفر عنه انتخابات أميركا وربما انتخابات إسرائيل أيضا.. فالحسم والحل النهائي ليس في صالح الرئيس بوش حاليا لأنه لا يود إرضاء طرف على حساب الآخر.. وهو يكتفي حتى موعد الانتخابات بتحركات هنا وهناك وعقد لقاءات وتقديم مقترحات وأوراق وخرائط تتفاوض عليها الاطراف إلى ما لا نهاية.. وسيبقى الوضع في العراق على ما هو عليه وكذلك في أفغانستان.. خوفا من قرارات عنترية قد تؤدي إلى إهدار الأصوات.. ويبقى أصحاب المشكلة أو المشاكل في العالم في الانتظار.. وهو انتظار ما لا يأتي لأن الانتخابات تقود إلى انتخابات والحلول لا تأتي.

هل سيكون للحرب ضد العراق تأثير في انتخابات الرئاسة الأميركية القادمة عام ٢٠٠٤؟ وهل سيتكرر ما حدث بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ حيث اعتقد الجميع أن الرئيس الأسبق بوش «الأب» سيفوز بدورة ثانية بعد ان احرز نصرا كبيرا في تحرير الكويت وحدث العكس فقد سقط بوش الأب وفاز بيل كلينتون الديموقراطي. هل سيتكرر الأمر في عام ٢٠٠٤ ويفشل بوش الابن ويفوز مرشح الحزب الديموقراطي؟ خاصة ان هناك فرقا كبيرا بين الحربين: فحرب الخليج ١٩٩١ اتسمت بشرعية دولية وبقرار من مجلس الأمن، وكانت الولايات المتحدة تقود تحالفا من ٢٨ دولة من بينها دول عربية عدة، وبعد طرد العراق من الكويت رفض بوش «الأب» دخول العراق لأن مجلس الأمن كان قد وافق فقط على تحرير الكويت. اما الحرب الأخيرة ضد العراق فلم تحظ بشرعية دولية وقامت بها الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا منفردتين امام معارضة دولية كبيرة. وفي حرب الخليج ١٩٩١ انسحبت القوات الأميركية بعد ذلك وان كانت قد حصلت على اتفاقيات لبقاء بعض قواتها بالمنطقة. اما في حالة العراق فقد قررت البقاء

والسيطرة واستخدام قواعد جوية دون أي اتفاق مع حكومة عراقية شرعية.

ويرى المحللون ان الجمهوريين سوف يستثمرون موضوع الحرب ضد الإرهاب وما يزعم بوش وادارته انهم حققوه من نصر مبين في الحملة على العراق وان استراتيجية الحرب المسبقة ستحقق للولايات المتحدة اهدافا سياسية واستراتيجية واقتصادية كبيرة في الوقت الذي يعاني فيه الاقتصاد الأميركي مأزق ويعتريه ركود لم يحدث من قبل وما ترتب على ذلك من ارتفاع نسبة البطالة إلى حوالي ٦ في المئة.

أما الديمقراطيون فيحاولون استغلال كل الفرص لتلافي اخطاء أدت إلى فقدانهم الرئاسة في انتخابات ٢٠٠٠ وخسارتهم النسبية في انتخابات التصفية التي جرت ٢٠٠٢ الأمر الذي أدى إلى سيطرة الحزب الجمهوري على الكونجرس.

هجوم ديمقراطي

ومن المؤكد ان الديموقراطيين سيشنون هجوما على الحزب الجمهوري من ثلاث زوايا:

■ الأولى تراجع الاقتصاد الأميركي وانعكاساته على الشعب والذي كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوط بوش «الأب» في انتخابات ٢٠٠٠.

■ والثانية: التركيز على نقاط ضعف وآثار سلبية ظهرت في الحملة الأميركية على أفغانستان، فلم يتم القضاء على قاعدة إبن لادن بل ان المعلومات تؤكد ان قوتها الآن ١٨٠٠٠ عميل في عدد كبير من الدول وقامت بشن هجمات إرهابية على عدة دول «منها السعودية والمغرب» ضد أهداف غربية. كما ان الأوضاع لم تستقر حتى الآن في أفغانستان وفعلا بدأ الحزب الديموقراطي توجيه انتقادات لاذعة لما اعتبره فشل إدارة بوش في محاربة الإرهاب والقضاء على مصادر تمويله من داخل الولايات المتحدة.

■ والثالثة: اثارة مسائل كثيرة خاصة بالعراق خاصة من زاوية اعادة تأهيله وأعماره. ويجمع غالبية المحللين على ان الولايات المتحدة لم تكن لديها خطط متكاملة لاعادة بناء العراق، مع وجود تناقض داخل إدارة بوش بشأن الأسلوب الذي يجب اتباعه في عملية اعادة اعمار العراق وشكل الحكومة العراقية المزمع تكوينها لتتولى إدارة دفة البلاد. ومن المعروف ان وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد وبدعم من كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي يرى ان تقوم عناصر عراقية من المنفى بتولي السلطة في العراق بينما ترى الخارجية الأميركية ان يشمل التكوين عناصر من الداخل لها مصداقية وشعبية.

ويتهم الديموقراطيون الإدارة الجمهورية الحالية بالتلكؤ في عملية إعادة إعمار العراق والفشل في كبح الانفلات الأمني وأعمال النهب والسلب. ويشير المراقبون إلى المشاكل التي تعترض عملية إعادة الإعمار وان ما أعلنه جارنر الحاكم الادري السابق بشأن إعادة الخدمات الأساسية في العراق خلال أسابيع قليلة أمر غير صحيح ومفرط في التفاؤل ولا يستند إلى واقع ما يجري فعلا في العراق. كما اثيرت شكاوى من جانب رؤساء المنظمات غير الحكومية العاملة في العراق وما تلاقيه من عراقيل تفرضها قوات الاحتلال الأميركي على تحركاتها،

وتقـول ان ذلك يؤثر على خلق الثـقة بين هذه المنظمـات والتجـمعـات السكانيـة التي تقدم لهـا معـونات، ولذلك فهي تطلب أن تترك لهـا حرية العمل وانهـا غير قـادرة على أداء مهامـها تحت إشراف القوات الأميركية في العراق.

ولذلك يرى كثـير من المراقبين ضـرورة عودة المنظمـات التابعة للأمم المتـحدة فلديها خـبرة واسعة في هذا المجال.

ونشرت صـحيفة «واشنطن بوست» عـدة مقالات تشـير إلى فشل كسب السـلام في حرب العراق حيث أعلنت الإدارة الأميركية منذ فترة ان خطتـها لكسب السلام تعتمد على سرعة إعادة الخدمات إلى مدن العراق حتى يشعر المواطنون بان الحال أفضل مما كان تحت حكم نظام صدام حسين. وتتحـدث الصحيفة عن مـؤشرات لانفجار الأوضاع فـي كثير من المدن العراقـية بسبب الفوضى التي خلقتها الحرب وفشل القوات الأميركية في معالجتها.

ووجه الديموقـراطيون نقـدا شديد لوزير الدفاع رامـسفيلـد لرفضه ارسـال قوات اضافـية متخـصصة لفرض النظام والقانون وانه يتـمسك بفكرة خاطئة تقول ان الحـروب الحديثة يمكن الفوز فيها باستخدام وحدات عسكرية صغيرة نسبيا مدعومة بقوات خاصة وقوة جوية ضاربة متفـوقة، وانه يسعى إلى إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحـة الأميركية للقـرن الحالي حسب تلك النظرية –إذا جازت هذه التسمية. ويدركون انه لم يسـتفد من دروس حرب البوسنة وكوسوفو وافغانستان.

وأصدر مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن «سي.اس.اي.اس» دراسة بعنوان «خطة عمل لعـراق ما بعد الحـرب» تدعو إلى سـرعة التحـرك في تنظيم وتدريب عناصر تتـولى حفظ الأمن والقانون ولكن يبدو ان هذه الدراسة لم تحظ باهتمام وزير الدفاع الأميركي.

ويتحـدث الديموقراطيون عن مشـاكل ستعتـرض عملية إعـادة تأهيل وإعمار العراق أهمـها: قضية الاكراد فمن المعروف انهم حققوا شيئا من الاستقلال الذاتي منذ عام ١٩٩١ وان عودتهم إلى عراق مـوحد قد تفقـدهم هذه الميزة، وإذا تم خلق نظام فيدرالي في الـعراق فان هذا سيـثير مخاوف تركيـا التي لن تقبل قيام كيان كردي في شـمال العراق قد يبعث مشاعـر قومية داخل تركيا «عـبر الحدود»، كما ان تركيـا ترفض تماما سيطرة الاكراد على ابار البتـرول في كركوك، وهو أمر قد يؤدي إلى تدخل تركي مباشر في شمال العراق.

إن الاعتـماد الكلي للاقـتصـاد العراقي على مـوارد النفط وسوء الاسـتغلال والانفـاق على مشاريع غير منتجة لن يساهم في دعم الدورة الاقتصادية للعراق، كما ان سداد الديون العراقية يمثل مشكـلة خطيرة فالدول الدائـنة مثل فرنسـا وروسيـا ودول اخرى قد تعـوق عمليـة إعادة الإعمـار إذا لم تقتنع بالإجراءات التي تضـمن حقوقهـا وقد يؤدي ذلك إلى معـارضة تلك الدول قيام المنظمات الدولية والأمم المتحدة بتقديم معونات للعراق.

ولم تحظ المحاولات التي بذلت حتى الآن لتشكيل حكومة عراقـية جديدة يرضى عنها الجميع بأي نـجاح. كما ان الإدارة الأميركـية فوجئت تماما بالتوجهات الإسلاميـة التي شهدها ويشهدها

الشارع العراقي وانها قد تحمل سمات مشابهة للنظام في إيران ولكن زعماء الشيعة ينفون ذلك تماما. والإدارة الأميركية تشعر بقلق من هذا التوجه لدرجة ان في العراق «لورد الحرب» دونالد رامسفيلد اكد انه لن يسمح باقامة نظام إسلامي على غرار النظام الإيراني. وهو تصريح غير موفق بالمرة لأنه يثير حفيظة الكثيرين فالإسلام ينص على الشورى والشورى هي الديموقراطية مهما قيل بخلاف ذلك.

الرشوة

وجاء في مقال لمجلة «ديفنس نيوز» الاميركية ان الرشاوي ساعدت الولايات المتحدة في كسب حربها ضد العراق. وانه تم دفع رشاوي لعدد من الجنرالات العراقيين لمنع قواتهم من الاشتراك في القتال. وترى المجلة ان المال كان من بين الأسلحة التي استخدمتها الولايات المتحدة لحث قادة وضباط عراقيين للتخلي عن صدام حسين. وإذا صح ذلك فانه قد يعلل لماذا لم يحدث قتال يذكر في معركة الاستيلاء على بغداد، بالإضافة إلى انه سيسيء إلى صورة النصر الذي تغني به رامسفيلد في هذه الحرب، ومن المؤكد ان الديموقراطيين سيستخدمون ذلك في حملتهم الانتخابية ضد الجمهوريين، مما يدمر نظرية رامسفيلد عن حجم الجيوش في أي حرب جديدة.

وعلى الرغم من شكوكي في صحة اتهام جنرالات عراقيين بالرشوة لقبول هزيمة العراق فانني أتمنى لو ثبت ذلك ان يقوم شعب العراق بالقبض عليهم ومحاكمتهم وادانتهم بالخيانة العظمى وتوقيع اقسى العقوبات عليهم لأنهم عار على الأمة العراقية.

كما ان ذلك يلقي بالشبهات حول سر نجاح المنظمة الإرهابية التي نفذت هجمات ١١ سبتمبر وان نجاحه كان أيضا بسبب رشاوي دفعت للأميركيين لاختراق كل نظم الأمن في المطارات والطائرات.

وبالنسبة لإعمار العراق ذكرت آخر التقديرات انه سيتكلف ٢٠٠ مليار دولار. ومن المعروف ان الولايات المتحدة منحت شركة بيكتيل عقدا ابتدائيا يشمل احد الموانى وخمسة مطارات وعددا من محطات توليد الكهرباء، وطرقا وسككا حديدية ومحطات مياه وبناء مدارس ومستشفيات وعقد اجتماع في أحد فنادق لندن اشترك فيه أكثر من ١٠٠٠ رجل أعمال وشركات بريطانية منها شركات عملاقة مثل شركة كاستين وشركات صغيرة أيضا كلها تريد نصيبا في الكعكة. وكان واضحا منذ البداية ان أي شركات بريطانية ستشترك ستكون مقاولات من الباطن من شركات أميركية.

ان على الرئيس الأميركي بوش ان يفعل الكثير ليتمكن من اقناع الشعب الأميركي بصلاحيته لدورة ثانية لرئاسة الولايات المتحدة وعليه ان ينجح في العراق وهو متعثر فيه وعليه ان يقلل من تهديداته للدول بالحرب المسبقة وان يحسن علاقاته مع دول كثيرة في العالم. كما ان حل القضية الفلسطينية بعدالة سيفيده إلى حد كبير لو أهتم.

ففي تقرير لصحيفة «الجارديان»البريطانية عن «خريطة الطريق» بعنوان «طريق إلى أين»، تقول ان خطة الطريق وافق عليها شارون ولكن بتحفظات رغم ان بوش أعلن ان على الطرفين

قبولها كما هي. فهل سيضغط على شارون لقبولها كما هي؟. ويقول التقرير ان هذه الخريطة لن يتحقق لها النجاح ما لم يكن المجتمع الدولي عازما على فرض تنفيذها. وتشكل ما أطلق عليه مجموعة أزمة دولية تضم شخصيات سياسية ودبلوماسية معروفة من كل أنحاء العالم أعلنت العناصر المختلفة لخريطة الطريق تفتقر إلى التعريف وأن كل خطوة فيها ستؤدي إلى خلافات ومناقشات بين الطرفين، ولا توجد آلية لفرض الخريطة أو اشارة إلى ما يحدث إذا تعثرت الوساطة. بل انها فشلت في تحديد تفاصيل خاصة بالاتفاق.

ان اليمين الإسرائيلي أعلن معارضته لخريطة الطريق حتى ان ياهيل حازان العضو في حزب الليكود ورئيس اللوبي في الكنيست قال: «ان خريطة الطريق مأساة بالنسبة لإسرائيل.. ولا يمكن لإسرائيل أن توافق على تجميد المستوطنات وإزالة النقاط الامامية.. انه خط أحمر لا يمكننا عبوره».

واصدر مجلس المستوطنات بيانا وصف فيه خريطة الطريق بأنها اسوأ من اتفاق «أوسلو» رغم ان العالم العربي كله يعلم ان اتفاقية «أوسلو» كانت مجحفة لحقوق الشعب الفلسطيني وهوجم الرئيس ياسر عرفات بسببها كثيرا.

ووافق مجلس الوزراء الاسرائيلي على خريطة الطريق بعد ان اكد شارون ان الامر لا يتعدى الموافقة على خطوات بواسطة هذه الخريطة وليس التصديق على الوثيقة نفسها أو هدفها النهائي بقيام دولة فلسطينية. ومع ذلك اعلن بوش ان تلك خطوة ايجابية. والامر العجيب ان الاسرائيليين يتساءلون: هل الالتزام بدولة فلسطينية هو التزام بدولة مستقلة؟ كما أن مجلس الوزراء الاسرائيلي رفض نهائيا عودة اللاجئين الفلسطينيين أو ابنائهم رغم ان هذه المسألة من المفروض ان تكون محل تفاوض.

ومن المعروف ان اسرائيل تقوم ببناء سور بطول ٣٨٠ كيلو مترا وارتفاعه ٢٠ قدما وفوقه اسلاك شائكة لعزل الفلسطينيين عن الاسرائيليين.

وابلغ شارون مجلس الوزراء الاسرائيلي بامتداد جديد لهذا السور لتتم الاحاطة بكل فلسطينيي الضفة الغربية -أو إقامة سجن لكل سكان الضفة الغربية- كما عبرت صحيفة «الجارديان» وقالت ان اسرا يهودية بدأت الانتقال الى شقق بالقرب من الحي العربي الكثيف السكان في رأس العمود، وهذه الاسر ليست من الفقراء بل تشمل مليونيرا يهوديا يدعي ارفين موسكويتز وزوج ابنته ارييل كينج وكلاهما ناشطان يمينيان متطرفان.

الهنود الحمر

والسؤال: هل ستكون نتيجة خريطة الطريق التي بدأ بوش ينشطها من جديد اعطاء شارون كل ما يريده واقامة مستعمرة فلسطينية على نمط مستعمرات الهنود الحمر التي اقامتها الولايات المتحدة كما هو معروف؟ وهل هذا النشاط هدفه كسب دعم الجالية اليهودية في الولايات المتحدة لتأييد حملته الانتخابية المقبلة؟

ويتحدث المحللون عن سياسة الولايات المتحدة تجاه ايران، وان اجتماعا موسعا من مسؤولين امريكيين كبار عقد لمناقشة الافكار تجاه إيران والتي جمعت بين زعزعة اركان النظام في طهران

ودعم حركة مجاهدي خلق «التي تضعها واشنطن ضمن الحركات الارهابية» والسماح لها باستئناف هجماتها ضد ايران انطلاقا من الاراضي العراقية التي تحتلها القوات الاميركية وللحركة قوات كبيرة العدد في العراق امرتها القوات الاميركية بتسليم اسلحتها. والبديل الثاني هو التعاون مع حكومة خاتمي أو ابقاء السياسة الحالية على حالها. ويرى المحللون ان هذا التهديد الواضح لايران يدفعها الى اختيار بديل واحد لردع تهديدات ادارة بوش وهو بناء وفتح اسلحة نووية وصواريخ لردع الحرب المسبقة الاميركية المحتملة لتغيير النظام الايراني الذي قبله الشعب. ويقول المحللون ان الولايات الاميركية تنظر الى ايران الآن تماما كما كان ينظر الاتحاد السوفيتي لغرب اوروبا في ذروة الحرب الباردة. ولم تتنازل بريطانيا والمانيا الغربية عن حقهما في فتح الولايات المتحدة لصواريخ كروز وصواريخ بيرشنج نووية على اراضيها لردع القوات التقليدية المتفوقة للاتحاد السوفيتي ومعارضة ايديولوجيته العدوانية. وعليه فانهم يتساءلون – على اساس نفس المنطق– لماذا تتهم دول مثل ايران وكوريا الشمالية والدول التي اطلق عليها «دول مارقة» بتطوير اسلحة تدمير شامل؟ أليس لها الحق في ردع القوة المتفوقة التقليدية والنووية الاميركية التي تهددها بشن حرب مسبقة لتغيير النظام فيها واخضاعها للارادة الاميركية؟

والأمر المؤسف ان احدا من المحللين أو في الادارة الاميركية لم يتحدث عن القدرات النووية الاسرائيلية وما اذا كانت تمثل تهديدا للمنطقة أم لا –وهي تهديد بكل المعايير والمقاييس– وفي كل حرب مسبقة شنتها الولايات المتحدة كانت دائما تضع اسرائيل وامن اسرائيل في المقام الأول واسرائيل بكل المعايير هي التي تنطبق عليها معايير الدول المارقة التي تهدد جيرانها والسلام الدولي والاقليمي.

لا جديد

بعد قليل من مؤتمر مدريد ذهب بوش الأب وجاء كلينتون إلى البيت الأبيض لندخل في «أوسلو» ولقاءات «شرم الشيخ» و«كامب ديفيد الثانية».. وذهب كلينتون بلا حل ولا حسم.. وجاء بوش الابن لنبدأ من الصفر حتى نصل إلى «خارطة الطريق» التي ستستغرق تفاوضا مرهقا حتى الانتخابات الرئاسية الأميركية القادمة.. وربما يذهب بوش الابن وتذهب معه «خارطة الطريق» والوعود بإقامة دولة فلسطينية عام ٢٠٠٥.. ونعود إلى الصفر من جديد وتستمر الحلقة المفرغة بلا نهاية.

حسابات الناخبين

الناخب الأميركي غير معني على الاطلاق بما يحدث خارج حدود بلاده ولا يضع في حساباته السياسة الخارجية للجالسين في البيت الأبيض لكنه يحسب ألف حساب لأوضاعه الاقتصادية الداخلية وما يتعرض له جيبه وارصدته من انكماش.. وهذا هو الفيصل في صناديق الانتخابات.. وهو العنصر الذي سيلعب به الحزب الديمقراطي ضد الرئيس بوش.. فالاقتصاد الأميركي منكمش وهناك فساد مالي كبير ظاهر ومستتر.. فاللعبة من أولها إلى اخرها اقتصادية داخلية ولا تُولي أهمية لقضايا الشعوب في العالم.

كل يوم خطة جديدة

اميركا تسعى الى تحقيق النصر على العراق قبل ان تبدأ الحرب

احساس القوات العراقية المسبق بالهزيمة يدفعها للانقلاب على صدام

رسائل موحية بأنه لن يتم المساس بالجنود العراقيين خلال الغزو

هدف الرسائل خلق الترحيب بالغزو وتأليب الجيش على النظام

خطة الهجوم تشمل مزيجا من التحفظ العسكري والتجديد العملياتي

صدام يخطط لقتال مدن اعتمادا على الحساسية الدولية من قتل المدنيين

حفلت كبريات الصحف الأميركية خلال الأيام الماضية بقصص عن العراق وعن تفاصيل خطة غزو محتملة له تشمل حوالي ٢٥٠ ألف جندي أميركي مع مساهمة من بريطانيا الحليف الوحيد الذي سيشترك في الغزو. ورغم ان هذه الايحاءات ربما تهدف لخداع العراق وصرف انتباهه فانها تعكس الجدل الدائر حول التخطيط للغزو. فهي تشير إلى خطة نهائية للغزو تربط بين تكتيكات كلاسيكية وقوة مبتكرة، فمنذ اثنى عشر شهرا جادل كثير من المعلقين الأميركيين بان نموذج الحرب ضد طالبان في أفغانستان -القوة الجوية والقوات الخاصة والاعتماد على تحالف الشمال- قد يطبق في الغزو ضد العراق. وافترض المؤيدون لهذه النظرية ان النموذج نجح ضد قوات طالبان القليلة والضعيفة تسليحا وتدريبا في أرض مفتوحة ويمكن نجاحه ضد قوة عراقية كبيرة قادرة على الاختفاء والفتح في مدن على أساس انها ستقاوم بصورة غير فعالة بل وضعيفة على حد رأيهم. واعتمادا على ان القوات العراقية تدنت قدراتها منذ عام ١٩٩١.

ويقول المعلقون ان الولايات المتحدة ستحشد قوات كبيرة وأسلحة دقيقة وطائرات قادرة على القيام بعمل حاسم. ويبدو ان هؤلاء المعلقين متأثرون بالتطورات الكبيرة فيما يسمى الثورة في الشؤون العسكرية ويتوقعون نصرا سهلا تحققه قوات اميركية يصل حجمها إلى ٢٥٠ ألف جندي، كما أعلن. الا ان مراكز الدراسات الاستراتيجية تقول أن هذه الاستنتاجات محل نقد وجدل.

ويشير المعلقون إلى تحول في رأي اعضاء مهمين في مجلس الأمن القومي الأميركي لوزير الدفاع رامسفيلد من القول بان النصر سيكون سريعا وحاسما إلى الحذر في تقديرهم لطبيعة الحركة. ومع تمسكهم بتقديرهم للموقف فقد تراجعوا عن التنبؤ بنصر سهل سريع وحاسم بنفس الحماس السابق. وقالوا ان فتح قوات كبيرة سيؤدي الى تلافي أي مفاجآت وان ضخامة

القوات ستؤدي إلى يأس الجنرالات العراقيين من المقاومة وسينقلبون ضد صدام حسين.

وبعد ان انتهى الجدل حول حجم قوة الغزو فان أعضاء إدارة الرئيس بوش المهتمين بالثورة في الشؤون العسكرية بدأوا اعادة التفكير في حجم قوات الغزو مرة اخرى. وكان احد أهدافهم اقناع الكونجرس أثناء مناقشة تفويض الرئيس الأميركي استخدام القوة إذا دعت الضرورة وحاولوا الايحاء بأنها لن تكون حربا دامية تتعرض فيها واشنطن لخسائر ملموسة.

مزيج

ويبدو ان الخطة استقرت الآن بعد هذا الجدل على أن تكون مزيجا من التحفظ العسكري التقليدي والابداع التكتيكي العملياتي إذا هاجمت الولايات المتحدة وبريطانيا العراق، وكان بناء القوة واضحا ومتنبأ به، فستشمل القوات عدة مجموعات من حاملات طائرات واثني عشر أو أكثر من أجنحة القوات الجوية وقاذفات بعيدة المدى وقوة من مشاة الاسطول.

وسيقدم الجيش الأميركي الحجم الأكبر من القوة البشرية. ويبدو ان الوحدات الرئيسية ستشمل الفرقة ١٠١ اقتحام جوي «المتمركزة في ولاية كينتكي» وفرقة المشاة الميكانيكية الثالثة «جورجيا» وربما فرقة الفرسان المدرعة «تكساس» وعددا من سرايا «الصاعقة» بالاضافة إلى قوات خاصة اخرى.

وبخلاف الغزو التقليدي فان الخطة لا تستهدف كل البنية الاساسية والعسكرية الرئيسية في العراق، وانما سيتم اختيار اهداف لها اثر سياسي وسيكولوجي في غزو تقليدي أو حتى في أي حملة جوية مثل تلك التي سبقت العملية الجوية لعاصفة الصحراء. ومجموعة الاهداف ستشمل المعسكرات الرئيسية ومستودعات الاسلحة والمعدات ومستودعات الصيانة والاصلاحات والمنشآت الخاصة بالتدريب ومخازن الوقود والذخائر وقدرات الدفاع الجوي والمطارات والقواعد الجوية والمواني و مراكز القيادة والسيطرة، والبنية الاساسية الوطنية وتشمل نظم الاتصالات والنقل. كما سيتم ضرب اسلحة التدمير الشامل ومواقع انتاج الصواريخ ومخازنها. والتركيز على الصناعات المهمة التي لها صلة بانتاج منتجات مؤثرة لها صلة بالقوات المسلحة، وتشمل مصافي البترول ومحطات توليد الكهرباء والمصانع التي يمكن تحويلها الى مصانع حربية أو ورش اصلاح أو أي شيء له علاقة بالقوات المسلحة. وهذه الخطة تتضمن الاستيلاء على الدولة بالتتابع منطقة بعد منطقة ومدينة بعد مدينة. وفي النهاية تفترض ان قوات العدو العسكرية قد يتطلب الامر تدميرها فصيلة بعد فصيلة.

وتقول هذه المراكز انه مع اعتبار ان خطة الحرب الاميركية قد استكملت واقعيا فإن هدفها الرئيسي هو تحقيق نتيجة سياسية اكثر من افتراض ان الغزو سيعني استسلاما غير مشروط لكل الدولة العراقية. وهنا يجدر التساؤل: ما هو الاستسلام بدون شروط؟ واذا كانت الدولة قد فقدت قواتها المسلحة وبنيتها الاساسية وصناعاتها وتم احتلال اراضيها ومدنها.. الا يساوي ذلك الاستسلام؟

وتقول مراكز الدراسات ان الهجوم على نظام صدام والدوائر الداخلية لقواته تستبعد معظم

السكان واكبر قدر ممكن من قوات الجيش مع تجنب المناطق الريفية الا للضرورة القصوى باستخدام تكتيكات الحصار بدلا من الاقتحام المباشر لبغداد أو أي مدن رئيسية أخرى. وخلق مناطق تمركز ومناطق محصنة داخل العراق لجعل الثقل العسكري للتحالف واضحا وان القوات العراقية تفضل عزل صدام بدلا من مواجهة غزو قادر على هزيمتها.

ويقولون ان الحملة ستشمل :

■ هجمات جوية رئيسية على اهداف مختارة تكون بداية العمليات العسكرية، يمكنها التركيز على وسائل نظام صدام حسين في بغداد، وموطنه الاصلي في تكريت، والمعسكرات والقواعد الرئيسية للقوات العراقية ودفاعاتها الحصينة خاصة لقوات الأمن، ومراكز قيادة قوات الحرس الخاص وقوات الحرس الجمهوري وعناصر القيادة والسيطرة والدفاع الجوي والمطارات والقواعد الجوية وربما مواقع خاصة باسلحة الدمار الشامل.

■ ضرب وتدمير عدد من الكباري وطرق المواصلات لحرمان قوات صدام من التحرك.

وترى مراكز الدراسات ان الحملة البرية ستبدأ في نفس الوقت مع الحملة الجوية رغم احتمال ان تبدأ بعد الحملة الجوية بأيام. فالضغط لانهاء الحرب بسرعة سيكون له اعتبار كبير على اساس ان الحلفاء الاقليميين يعتقدون أن القتال في الحر صعب علاوة على ان المخططين يفضلون عدم اعطاء صدام وقتا لاعادة تجميع قواته واعادة سيطرته على اي قوات تنجو من الضربات الأولى.

ويقولون ان الحملة البرية المبكرة، لن يشارك فيها كل الحشد العسكري للحلفاء. وترددت معلومات تفيد بهجوم قوى ذي ثلاث شعب وضربات نهائية من الكويت وربما من جنوب السعودية ومن الاردن من الغرب ومن تركيا من الشمال. وتوحي هذه الخطة بحدوث قتال ضار في مناطق حضرية. كما ان معلومات اخرى تفيد بما اطلق عليه «هجوم داخلي للخارج». وهنا فان قوات اقتحام جوي مثل الفرقة ١٠١ المحمولة جوا بالاضافة الى قوات خاصة وبعض عناصر المقاومة العراقية الداخلية قد توجه ضربة أو تستولي على اهداف حيوية داخل بغداد في بداية العمليات، الهدف منها مفاجأة العراق بالاضافة الى تهديد اهداف خاصة يحتاج اليها صدام للسيطرة على العراق.

هدف محدد

وتقول مراكز الدراسات ان القوات البرية لا تعتزم الهجوم المباشر على مواقع عراقية.. بمعني التقدم داخل العراق بالقرب من بغداد على اعتبار ان العراق لن يرتكب نفس الخطأ السابق في عاصفة الصحراء بالفتح في اراض مفتوحة، خارج مدى المدفعية والصواريخ القصيرة المدى، ثم تقوم هذه القوات بحصار المدن وشن ضربات سريعة ضد أهداف تحددها وسائل الاستطلاع والمخابرات، وتكون في مواقع تتقدم منها الى المدن التي قد يلجأ فيها صدام حسين لأعمال وحشية ضد العراقيين أو أي رهائن غربيين ولكن الأمل سيكون عدم اللجوء الى هذه الهجمات المباشرة الا للضرورة القصوى. وسيظل الهدف هو ضرب نظام صدام وصفوة قواته وليس

بقايا الجيش أو المدنيين أو البنية الاقتصادية. وفي وقت ما تتوقع الخطة ان الجنود العراقيين قد يخافون قوات التحالف اكثر من خوفهم من صدام واذا تم وعدهم بأنهم سيعاملون معاملة حسنة فقد ينقلبون على صدام حسين ويتخلصون منه، وحتى اذا لم يحدث ذلك فان صدام سيكون قد تم عزله عن قواته الرئيسية والتي تصبح بذلك غير مؤثرة على قوات الغزو.

وترى هذه المراكز ان مواجهة صدام لهذا الوضع قد تضطره الى بعثرة قوات الصفوة قبل بداية الحرب مع الحفاظ على اتصالاته معها وبمجرد حصول التحالف على السيادة الجوية يحاول اقناع قواته بأن الولايات المتحدة تخشى القتال في المدن ويأمل في أن الخسائر البشرية في المدنيين وتدخل اسرائيل سيخلق ضغطا لوقف اطلاق النيران.. ورغم ان هذه التكتيكات ستفشل فان الولايات المتحدة وحلفاءها سيكونون مستعدين للتقدم صوب بغداد بالجزء الأكبر من القوات وهي ترتدي الملابس الواقية من اي هجمات كيماوية محتملة.

وتقول هذه المراكز انه على الرغم من ان الخطط الاميركية تفترض استخدام العراق لاسلحة كيماوية وبيولوجية فهناك احتمال لان يهاجم العراق اسرائيل وقد يستخدم اسلحة تدمير شامل ضد المدنيين الاميركيين بالولايات المتحدة وضد المدنيين باوروبا الغربية والعناصر الرئيسية للبنية الكويتية، واذا حصل العراق بطريقة ما على سلاح نووي فانه سيستخدمه أو يهدد باستخدامه. وأي هجوم على اسرائيل سيتبعه رد فعل اسرائيلي قد تعقد مهمة واشنطن في الحفاظ على التحالف. واذا امكن اقناع اسرائيل بأن يكون رد فعلها محددا فان الضغوط الداخلية لدى حلفاء واشنطن مثل الكويت وقطر وتركيا يمكن احتواؤها.

كما ان هجمات ارهابية قد تؤدي الى خلق مخاوف من الغزو. وتتمادى مراكز الدراسات في قصصها بأن استخدام اسلحة تدمير شامل ضد هدف مثل ميناء الكويت، بفرض ان العراق يمكنه توجيه صاروخ سكود بدرجة دقة مناسبة ينجح في اختراق الدفاع الجوي المضاد للطائرات أو بالتسلل بواسطة الكوماندوز قد يبطيء الى حد كبير من حشد القوات الاميركية ويؤدي الى قتل مئات من الناس.

وفي حالة امتلاك العراق لسلاح نووي – وهو امر غير محتمل وقدرته على توصيله فان التهديد باستخدامه ضد مدينة مثل تل ابيب أو الرياض أو باريس أو لندن أو برلين أو واشنطن، اذا وقع الغزو لن يكون حاسما كذلك. ويعتقدون ان مثل هذا التهديد سيدفع دفاعات التحالف الى مستوى اعلى لجعل التهديد اقل احتمالا.

إلا انني أرى ان السيناريو الاكثر احتمالا هو ان الحرب ستكون شن حملة جوية عنيفة بالصواريخ والقوات الجوية المتمركزة برا في قواعد في قطر والكويت وتركيا أو المتمركزة بحرا فوق عدد كبير من حاملات الطائرات وستشمل طائرات شبح وقاذفات «بـ-٥٢، بـ-٢» قادمة من مسافات بعيدة، وستستخدم في هذه الحملة اكثر انواع التسليح تطورا ودقة وستبدأ هذه الحملة بتحقيق السيادة الجوية الكاملة بتدمير كل وسائل الدفاع الجوي والمطارات والقواعد الجوية ومراكز القيادة والسيطرة بحيث تخلو سماء العراق من اي احتمال لاعتراض أو ضرب اي طائرات اميركية. واعتقد ان حجم الطائرات المشتركة سيقترب من الف طائرة من كل الانواع.

وبعد تحقيق اهداف الحملة الجوية التي اعتقد انها ستمتد من ٢ الى ٣ اسابيع تبدأ الحملة البرية من ثلاث اتجاهات: من الكويت في اتجاه البصرة ومن تركيا في اتجاه الموصل ومن الاردن في اتجاه بغداد. والاتجاهين الأول والثاني «في اتجاه البصرة وفي اتجاه الموصل» لن يواجها مقاومة تذكر وسيحققان الاهداف في زمن قصير نسبيا سيكون بضعة ايام قليلة خاصة مع وجود منطقة محظور فيها الطيران والتواجد العسكري العراقي. وفي الآونة الاخيرة دأبت القوات الجوية الاميركية على مهاجمة اي اهداف في منطقتي الخطر لتحافظ على خلوها من اي تواجد عسكري عراقي.

ويحتمل حدوث عملية ابرار بحري من الخليج للاستيلاء على البصرة كما نوه توني بلير رئيس وزراء بريطانيا رغم عدم الحاجة اليه ولكن سيكون له اثر نفسي كبير على القوات والشعب العراقي.

ومن المؤكد ان اجهزة الاستخبارات الاميركية ستكون قد اتمت دفع عناصر من المعارضة العراقية التي تم تدريبها في اميركا وبريطانيا ومعها عناصر من المخابرات المركزية الاميركية الى داخل العراق للقيام بمهام خاصة سواء اعمال نسف وتخريب أو قطع خطوط المواصلات الخاصة بمراكز القيادة والسيطرة وأمور اخرى منها شن حرب نفسية.

قتال مدن

وطبقا لهذا السيناريو ستتفادي القوات البرية القتال داخل المدن والتي يعتقد ان صدام حسين يعول عليه كثيرا حتى انه قيل -بصورة شبه مؤكدة- انه يتحصن مع حرسه الخاص وقوات الحرس الجمهوري داخل بغداد وأنه اعدها لقتال ضار ضد القوات الاميركية على امل تكبيدها اكبر خسائر ممكنة. والخطة تقضي بحصار بغداد من خارج نطاق مدى اسلحته وقطع المياه والكهرباء وخطوط التليفونات... ثم قصف العراق بالمدفعية والاسلحة البعيدة المدى الدقيقة لفترة قصيرة، ويعتقد ان سكان بغداد سيفرون خارج هذا الجحيم لتستقبلهم القوات الاميركية وتجمعهم في معسكرات وتقوم الاجهزة المتخصصة بجمع معلومات دقيقة منهم عن اوضاع القوات المدافعة داخل بغداد لتبدأ بعد ذلك قوات الغزو ضرب هذه القوات بعنف على امل اضطرارها اما للانقلاب ضد صدام لتفادي مصير سيئ لها أو قد تستسلم أو تقوم القوات الاميركية بعملية ابرار جوي محكمة على المكان الموجود فيه صدام لقتله أو القبض عليه وجلب الفرقة ١٠١ ابرار جوي الاميركية التنفيذ هذه المهمة.

وستكلف عناصر قوات خاصة بالسيطرة على منطقة غرب العراق وأي مناطق تصلح لاطلاق صواريخ سكود منها على اي دولة بالمنطقة مع تخصيص طائرات هليكوبتر «أباتشي» وطائرات قتال اخرى لتدمير اي هدف يتحرك في تلك المناطق. رغم اعتقادي بأن صدام حسين لا يملك أي وسائل لاطلاق هذه الصواريخ بالاضافة الى تدني درجة دقتها مما يجعلها غير ذات تأثير خاصة وان ما يقال عن ان العدد الذي يملكه منها «٦٠ صاروخا» قليل وغير مؤثر. كما ان ما ذكرته مراكز الدراسات الاستراتيجية عن احتمالات اطلاق صواريخ على ميناء الكويت لن يحدث. والاكثر سخرية ما قيل من انه قد تطلق صواريخ برؤوس نووية ضد عواصم دول

كثيرة ذكرت منها واشنطن ولندن وبرلين وباريس... الخ وهذا امرٍ مستحيل لان صدام لا يمتلك قنابل نووية باعتراف بوش، والمسافات بين هذه الدول ضخمة وتحتاج الى صواريخ عابرة للقارات لا تملكها الا الولايات المتحدة وروسيا والصين.

ان ما قيل من تجهيز صدام لقوة فدائية من تكريت وقبائل اخرى مواليه له ستختبيء في الصحراء ليلجأ اليها ويشن حرب فدائيين ضد قوات الغزو امر مبالغ فيه لان حرب فدائيين في ارض صحراوية مفتوحة لن تنجح بل ستكون لقمة سائغة للقوات الجوية والخاصة.

هيمنة

ان الحرب ضد العراق لن تكون بسهولة الحملة ضد افغانستان واعتقد ان القوات الاميركية ستتعرض لخسائر ملموسة ومؤثرة. والمحزن حقا ان الولايات المتحدة تصر على هذه الحرب رغم الاعتراضات والاحتجاجات من عدد من الدول ومن شعوب كثيرة في العالم.. لكنها الهيمنة الدولية التي تسعى الولايات المتحدة لتحقيقها والسيطرة على اوراسيا وعلى بترول العراق وبترول وغازات اسيا الوسطي وبحر قزوين واحتواء الصين الصاعدة وتحجيم التهديد الروسي وترويض ايران.

والسؤال الذي يجب ان نسأله: ما هي الدولة أو الهدف التالي بعد العراق؟

حرب مؤكدة

اكاد اجزم بأن الولايات المتحدة عازمة على شن الحرب ضد العراق حتى لو اعلنت لجان التفتيش خلوه من اسلحة الدمار الشامل والدليل على ذلك ان الولايات المتحدة ماضية في حشد قواتها بالمنطقة.

مهام خاصة

سيتم تكليف ميليشيات الاكراد والشيعة في الشمال والجنوب بمهام خاصة اهمها اثارة الفوضى والذعر ومهاجمة عناصر منعزلة من الجيش العراقي بالاضافة الى عزل منطقة تكريت معقل اسرة وانصار صدام حسين.

حذر

مراكز الدراسات تحاول دائما التقليل من نبرة التفاؤل لدى العسكريين الاميركيين بتحقيق نصر سهل على القوات العراقية. وترى انه ينبغي من باب الحرص والحذر توقع مقاومة من قوات الحرس الجمهوري العراقي التي لم تتعرض للانهيار السريع في حرب عاصفة الصحراء.

مطاردة عدو بلا هوية

الحرب على العراق رفعت درجة حرارة الإرهاب في العالم

محاولات الغرب ربط الإسلام بالإرهاب تزيد مشاعر الغضب لدى العرب

تجاهل أميركا للإرهاب الإسرائيلي يفقدها مصداقيتها بالمنطقة

شعور متنام بان أميركا تسعى لتغيير خريطة المنطقة لصالح إسرائيل

الأمر الذي يكاد يجمع عليه كل المحللين والمراقبين أن الولايات المتحدة لم تكمل سيطرتها على افغانستان أو العـراق. ففي العراق مازالت تواجه أعمال عنف وردود فـعل للاحتلال خاصة وان تشكيل حكومة وطنيـة انتقالية لم يتم حـتى الان ويواجه صعوبات بالغـة، كما ان عمليـة اعمار العراق مازالت بطيئة ومتعثرة، وبدأت مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية تتحدث عن انتشار الارهاب الدولي بعد حرب العـراق ويجادل الذين عارضوا العمل العسكري ضـد العراق بأن أحد آثار هذه الحملة هو تنامي الغضب– ان لم يكن الكراهية– للغرب بصورة عامة وللولايات المتحدة بصفة خاصة، كما أنها أدت الى جذب الانتباه بعيدا – الى حد ما– عن الجهود المضادة للارهاب. كما يبدو ان النشاط الارهابي بدأ في التركيز على منطقة الخليج وشمال افريقيا بتنفيذ انفجارات في كل من الرياض والدار البيضاء، ويقولون إن هذه التفجـيرات تحمل بصمات قاعدة إبن لادن وان لم يثبت ذلك بصورة قاطعـة حتى ان الجزائر اعلنت أن أيدي اجنبية كانت وراء التـفجيرات في الدار البـيضــاء ولم تشر من قـريب او بعـيد الى تنظيـم القاعـدة ويبدو أن الســبب في هذا الافتراض انها كانت هجمات انتحارية.

وتحاول هذه المراكز ان تشيـر الى أن هذه الانفجارات استهدفت الاميـركيين واليهود رغم أن كل وسائل الاعــلام اشارت الى ان تفجيرات الريـاض كانت ضد اميركـيين ومن المعروف أنه لا يوجد بمنطقة الخليج يهـود، ولكن هذه المراكز تريد دائما حشر اليهـود في كل شيء. وتعتقد ان الذين قاموا بهـذه التفجيرات تلقوا تدريبـا مكثفا في قواعد إبن لادن وهي القـواعد التي لايعرف أحد أين هي، ومن المعـروف أن ابن لادن كان حليفـا للولايات المتحدة في القـتال ضد الاحـتلال السوفيـتي لافغانستــان. وتعتقد هذه المراكـز ان ادارة الرئيس بوش تدرك احتمال حـدوث فترة قصـيرة من زيادة نشاط القـاعدة بعد حـرب العراق، ولكنهـا تعتقـد ايضا ان القاعـدة تعرضت للضـعف بسبب الحـملة الدولية ضـد الارهاب وانه من الممكن احـتواء هذا النشــاط. وترى هذه المراكز أن هذا الفكر فيه مجازفة خاصة بعد أحداث الدار البيضاء.

وترى انه حتى لو تم احـتواء تنظيم القـاعدة– بفرض انه الذي قـام بهذه الاعـمال– في تلك

المناطق فليس من المحتمل أن تغيير النظام كما حدث في العراق سيكون له تأثير ناجح كما تعتقد ادارة بوش.

أن التواجد العسكري الاميركي في العراق واماكن اخرى بالمنطقة والانحياز الاميركي الواضح الى جانب اسرائيل في عملية السلام الفلسطيني الاسرائيلي كل ذلك كما يرى البعض يعطي نوعا من الشرعية لأعمال تنظيم القاعدة الارهابية. ومن المعروف ان الولايات المتحدة اعلنت انها ستتخلى عن قواعدها في السعودية لنزع حجة «إبن لادن» الذي يتخذ ذلك ذريعة لمهاجمة أهداف اميركية. ومن المعروف ايضا ان الولايات المتحدة ستستخدم أربع أو خمس قواعد في العراق وهذا يعني انها وجدت البديل لقواعدها في السعودية. ولكن اذا كانت هذه القواعد- كما تدعي مراكز الدراسات الاستراتيجية- أحد أسباب هذه الاعمال الارهابية فما رأي هذه المراكز فيما اعلنته الولايات المتحدة من أنها ستقوم بالتدخل للقضاء على حركة حماس في فلسطين وحزب الله في لبنان وغيرهما دون مبرر سوى أن هذه الجماعات تناضل لتحرير اوطانها من الاحتلال الاسرائيلي؟ وما رأي الادارة الاميركية في اعلان حكومة شارون انها على استعداد لتأجيل اغتيالها لزعماء حماس الى حين؟ وهل الاغتيال أمر مشروع في عرف الغرب والولايات المتحدة؟ أليس هذا عملا إرهابيا بكل المقاييس؟

آثار الأقدام

ان احتلال الولايات المتحدة للعراق ادى الى تضخيم آثار الاقدام العسكرية للولايات المتحدة - على حد تعبير مراكز الدراسات- في منطقة الخليج العربي ويؤكد بصورة واضحة التصميم الاميركي على تغيير الاوضاع السياسية في العالم العربي بما يناسب المصالح السياسية والاستراتيجية الاميركية وهذا ما تقوله مراكز الدراسات الاستراتيجية بل وترى أن تنظيم القاعدة يسعى لتطهير العالم العربي والاسلامي من النفوذ الاميركي وأن هذه العوامل المثيرة تفوق أي أثر لانسحاب القوات الاميركية من السعودية. ويرى المحللون ان عملية الرياض قد ينظر اليها على انها انتصار للارهاب بصورة ما لأن القاعدة «بفرض انها هي التي قامت بالعملية» كانت تهدف الى ارسال رسالة بأنها نجحت في طرد الولايات المتحدة من الأراضي المقدسة.

ويقولون إنه من المحتمل أن تكون القاعدة قد أضافت العراق الى مجالات نشاطها. وأن شريط الفيديو الذي اذيع على قناة «الجزيرة» في ٢١ مايو ٢٠٠٣ صنف دولا عربية شملت السعودية والكويت وقطر والبحرين ومصر والاردن واليمن على أنها دول متواطئة مع الولايات المتحدة بالنسبة للحرب على العراق. ويرون أن عمليتي الرياض والدار البيضاء الارهابيتين تعنيان ان القاعدة ستعمل ضد دول عربية عدة. كما يرون ان التواجد الكبير لقوات اميركية في العراق سيجذب انتباه الارهاب الدولي، ودللوا على ذلك بحدوث هجمات عدة ضد جنود اميركيين بالعراق في مايو ويونيو ٢٠٠٣ . كما ان التدخل في العراق من المتوقع أن يؤدي الى زيادة التطرف بصورة أو بأخرى.

وتفيد المعلومات التي نشرتها وسائل اعلام غربية ان تيارا من المجاهدين من انحاء كثيرة من

العالم تدفقوا على العراق وحدثت هجمات فدائية «بأسلوب اضرب واهرب» على جنود اميركيين وترى هذه المصادر الاعلامية ان قدرات القاعدة على تجنيد عناصر من هؤلاء المجاهدين أمر محتمل، كما أن الفشل في اكتشاف اسلحة تدمير شامل بالعراق سيزيد الاعمال الفدائية ويوجد احساس متنام في كل العالم الاسلامي بان الحرب ضد الارهاب والتي بدأت بحملة على افغانستان ثم العراق فضلا عن الضغوط الاميركية على ايران هي حرب ضد الاسلام والمسلمين. وزاد من هذا الشعور اعلان مسؤولين كبار في الادارة الاميركية انهم لن يقبلوا قيام نظام اسلامي في العراق في الوقت الذي أعلن فيه الرئيس بوش ان اسرائيل دولة يهودية وانه يضمن أمنها وسلامتها، وكذا تصريح رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي بأن القوات الاميركية قد تشارك القوات الاسرائيلية في ضرب وملاحقة واقتلاع الارهاب الفلسطيني خاصة حركة حماس. وقال ان آلية ذلك قد تكون ضمن اطار قوات دولية من أجل هذا الهدف. ولما سُئل عن توضيح ما قصده قال أن هذه القوات ستذهب لملاحقة الفصائل الفلسطينية الاخرى الى جانب حماس ولكن حماس تقع في مركز منظار بنادقنا حاليا. وقالت صحيفة «واشنطن بوست» ان الرئيس بوش قال ان العالم الحر، وكل الذين يحبون الحرية والسلام في العالم مطالبون بمواجهة حركة حماس والقتلة منهم. كما قال «إما حماس وإما نحن».. فهل يعني ذلك ان الولايات المتحدة سترسل قوات الى اسرائيل للعمل مع قواتها في اغتيال قادة الفصائل الفلسطينية وعلى رأسها حماس وهدم البيوت وقتل مواطنين فلسطينيين؟ وهل هذا هو الطريق لتحقيق سلام في الشرق الاوسط؟

ان وكالات المخابرات الغربية تعتقد ان القاعدة لها تواجد في اكثر من ستين دولة وان لها ٢٠٠٠٠ عميل تم تدريبهم في افغانستان، ومنذ ١١ سبتمبر ادت جهود الحملة العسكرية على افغانستان الى قتل وإلقاء القبض على نصف قادة القاعدة «عدد القادة كان ٣٠ فردا» وحوالي ٢٠٠٠ فرد من اعضائها.. وهذا يعني بقاء اكثر من حوالي ١٨٠٠٠ عميل للقاعدة. والأمر المحزن في هذا أنه بفرض ان اعضاء القاعدة ٢٠٠٠٠ أو أقل فليس معنى ذلك ان المسلمين متطرفون بل الواقع ان المسلمين يعانون اكثر من غيرهم من هذه الفئة الخارجة على الاسلام، انهم متطرفون وليسوا مجاهدين كما يزعمون.

تراجع القاعدة

والأمر الذي لاشك فيه ان تنظيم القاعدة فقد قدراته الهجومية منذ الحملة الاميركية على افغانستان ولكن يبدو -كما يرى المحللون- انه استفاد دفاعيا فبعد ان فقد التنظيم قاعدة مريحة ومناسبة للتدريب والعمليات اصبح يفتقد جاذبيته لتجنيد عملاء وتأمين مركز قيادة وسيطرة له. كما ان تكثيف نشاط اجهزة المخابرات الدولية وقوات حفظ الأمن وفرض القانون ادى الى خلق صعوبات جمة لتنظيم القاعدة في الاتصالات والسفر والتمويل. ومع ذلك، وبنفس المنطق، فإن اكبر ميزة الآن لتنظيم القاعدة هي المرونة اللوجستيكية والعملياتية لعدم وجود دولة محددة تدافع عنها «أي انها لا تنتمي لأي دولة»، وهذا يعني حرمانها من ان تكون لها بنية اساسية أو قواعد ثابته الأمر الذي يخلق صعوبة بالغة في تحديد اماكن عناصرها. فالرأي السائد ان خلايا

القاعدة مازالت تظهر وتعمل بأسلوب نصف استقلالي وتحافظ على علاقاتها من خلال قادتها الميدانيين الذين يختبئون في مدن ومناطق قبلية في عدد من الدول. ولعدم وجود مناطق محددة يتم التركيز عليها فإن الولايات المتحدة وشركاءها في الحرب ضد الارهاب لديهم افكار قليلة للقضاء على القاعدة ويجب عليهم الاعتماد على نظم الامن الداخلي وقوة فرض القانون والتعاون المخابراتي. ويرى المحللون أن هذا نجح بين الولايات المتحدة واوروبا لكنه لم يكن فاعلا في دول كثيرة في العالم ربما لضعف المؤسسات الامنية بها أو بسبب المشاعر المتنامية ضد الولايات المتحدة لاسباب كثيرة أهمها الاحساس بأن الحرب ضد الارهاب اصبحت حربا ضد الاسلام وذكروا دولا بعينها هي اندونيسيا وكينيا وباكستان وتونس والسعودية. ويقولون انه توجد بهذه الدول ثغرات يمكن للقاعدة استغلالها. ومع ذلك في الوقت الذي تحسن فيه التعاون ضد الارهاب في اندونيسيا والسعودية بعد انفجارات بالي والرياض فان الضغوط الداخلية قد تحد من المكاسب، فلقد تطور التعاون مع السعودية - على حد قول مراكز الدراسات الاستراتيجية - خلال الشهور التي تلت ١١ سبتمبر الا ان اجهزة الامن السعودية تجاهلت طلبات من الولايات المتحدة عدة مرات لنشر قوات حول الاهداف الغربية «أي التي بها اجانب غربيون» في المملكة. وتحسن التعاون مع السعودية الى حد كبير بعد احداث الرياض الأخيرة.

ويرى المحللون انه نظرا للمحدودية الهجومية النسبية لتنظيم القاعدة فإنها ستعتمد اكثر على المجموعات المحلية التي ليست على علاقة وطيدة مع قادة القاعدة والتي تعتقد القاعدة انها تستطيع استغلالها. وتعتقد مراكز دراسات استراتيجية غربية ان للقاعدة علاقات مع الجماعة الاسلامية في اندونيسيا والمجموعة المسلحة الاسلامية في الجزائر والاتحاد الاسلامي في شرق افريقيا والجهاد السلفي في المغرب والواضح في كل ذلك ان هذه المراكز تريد ان تشير الى ان كل هذه المجموعات لها سمة اسلامية ولم تشر الى جماعات اخرى عديدة في الغرب والشرق ليست لها اي سمة اسلامية، ففي الهند جماعات هندوس متطرفة وفي ايرلندا تطرف كاثوليكي وفي اسبانيا الباسك.. الخ.

وتقول بعض المراكز ان القاعدة تستخدم بعض افرادها في تقديم الخبرة والدعم المالي لبعض المجموعات الصغيرة الارهابية والراديكالية ويدللون على ذلك بأن السلطات المغربية اشارت الى ان الاطراف التي تورطت في التفجيرات الانتحارية في الدار البيضاء كانت لها صلة بمجموعة محلية يطلق عليها الجهاد ولكنها حصلت على تمويل قدره خمسون الف دولار من مصدر لقاعدة إبن لادن بالخارج وكانت لديها كتب تدريب وخطب لأبي قتاده احد افراد القاعدة البارزين الذي يقيم في لندن.

وتؤكد مراكز الدراسات ان التنظيمات المضادة للارهاب بالولايات المتحدة والدول الاوروبية نجحت وستستمر في جعل اميركا الشمالية وأوروبا بيئة يستحيل فيها ان تعمل القاعدة.

وتقول هذه المراكز انه في طريق اظهار مزايا التعددية السياسية والشراكة في اعادة اعمار العراق فان الحرب التي شنتها اميركا قد تكون طورت من قدرة الغرب على معالجة جذور الارهاب من خلال الدمقرطة ومع هذا فإن ذلك لم يتحقق حتى الآن. وهذه نظرة خطيرة للأمور

لأن الارهاب لا صلة له بالاسلام والاسلام يحرمه ويمنعه، كما ان الدمقرطة «أي جعل النظم ديموقراطية» لا تتم بشن الحروب وانما تقوم بها الشعوب في بلادها، والاسلام يؤكد مبدأ الشورى وهي الديموقراطية بكل معانيها ومبادئها.

إنهم يشيرون دائما الى عدد من الجماعات المتطرفة في العالم الاسلامي ولكنهم لا يشيرون الى الجماعات المتطرفة في الغرب خاصة في الولايات المتحدة وفي اسرائيل ومع ذلك ما علاقة ذلك باستراتيجية الحرب المسبقة؟

انهم يتفاخرون بأن الحرب حرمت تنظيم القاعدة من مصادر اسلحة تدمير شامل واحبطت الدول المشجعة للارهاب. ومن المعروف ان الولايات المتحدة لم تعثر على اسلحة تدمير شامل بالعراق لكنها مازالت تفتش وتسعى وربما تخطط لدس مواد لتبرير غزوها للعراق ومع ذلك تتعرض الولايات المتحدة وبريطانيا لمشاكل داخلية لانهما كذبتا بشأن امتلاك العراق لاسلحة تدمير شامل.

ويرى المحللين ومراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية ان حزب الله اللبناني تنظيما إرهابيا ويزعمون انه عقد تحالفا مع تنظيم القاعدة رغم اختلافهما في المذهب وهذا ترديد لما تقوله اسرائيل رغم ان حزب الله لم يهاجم اي اهداف مدنية اسرائيلية وانما ركز دائما على قوات الاحتلال الاسرائيلي لجنوب لبنان الامر الذي يؤكد انه مقاومة وطنية ضد احتلال اجنبي وهو عمل مشروع طبقا لكل القوانين الدولية.

ومع ذلك فإن هذه المراكز تدعي ان الحرب ضد العراق حررت الشيعة وحزب الله اللبناني شيعي وعليه فالمنطق يقول ان حزب الله اللبناني لا يشجع اي هجمات ضد القوات الاميركية في العراق، وترى ان الهدوء النسبي من حزب الله قبل وخلال الحرب ضد العراق واعتماده على ايران وسوريا قد يشير الى ان هذا الحزب سوف لا يثير عمليات عبر الحدود ضد الولايات المتحدة وشركائها.

وترى هذه المراكز ان الحرب ضد العراق يحتمل ان تزيد مشاعر التطرف بين المسلمين الامر الذي قد يساعد تنظيم القاعدة في تجنيد اعضاء جدد وان كان ذلك سيكون له اثر على قدرة القاعدة عملياتيا. وترى هذه المراكز ان الآثر المباشر للحرب قد يؤدي الى زيادة عزل القاعدة عن أي دولة يحتمل ان تدعمها. ولما كانت القاعدة -حسب رأي هذه المراكز- تعتبر تنظيما ارهابيا فان الحكومات الغربية وشركائها يجب عليهم الحفاظ على نظام امني ضد الارهاب والعمل المستمر على تطويره، والعمل على وجود تعاون دولي بين الدول ضد الارهاب.

مسح شامل

القوات الاميركية في العراق تواصل مسح عدد من المدن والقرى غربي بغداد بحثا عن عناصر تدعي انها موالية لنظام صدام حسين المعزول والاسلحة غير المشروعة «والتي لم يثبت وجود اي منها بالعراق» بينما ينبري بوش للدفاع بشدة عن الحرب المسبقة خاصة الحرب ضد العراق التي تمكنت من الاطاحة بنظام صدام وهاجم الذين وصفهم بأنهم يحاولون التقليل من

التهديد الذي كان يشكله هذا النظام.

انحياز

في مؤتمر عقد بالولايات المتحدة بمشاركة شخصيات بارزة من الجالية العربية الاميركية تم تناول الموقف العربي من قضايا السلام والأمن القومي العربي والوحدة الاقتصادية والتنمية البشرية والديموقراطية والارهاب وحوار الحضارات، والاشارة الى حجم العلاقات العربية الاميركية في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي وكيفية معالجة الولايات المتحدة لقضية فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي وازمة العراق لكن لم يتطرق احد الى الانحياز الاميركي لاسرائيل واثره على الموقف.

حفظ سلام

اشارت وسائل الاعلام الى ان وزراء خارجية الاتحاد الاوروبي بحثوا احتمالات ارسال قوة سلام للشرق الاوسط على اساس ان كافة الاطراف في حاجة لوجود قوة حفظ سلام يمكنها ان تعوق تحركات الارهابيين وهجماتهم بما يساعد على استقرار الاوضاع في منطقة الشرق الاوسط. والسؤال الذي يجب طرحه هو: هل لو تم ذلك فستمنع هذه القوة ايضا العدوان الاسرائيلي على الشعب الفلسطيني؟ وهل ستقبل اسرائيل تواجد مثل هذه القوة؟

نصر عسكري وهزيمة سياسية

ادارة بوش توزع التهديدات في كل اتجاه سعيا للخروج من المأزق

الدبلوماسية الإيرانية نجحت في نزع فتيل الأزمة النووية

نجم رامسفيلد يأفل بعد تحول حلم الحرب المسبقة إلى كابوس

روسيا تتحرك عسكريا واقتصاديا بعد ان صار الخطر على أبوابها

تحدثنا كثيرا عن اثار الحرب على العراق وعلى المجتمع الدولي ولم نتطرق إلى وجهات نظر مراكز الدراسات في دولة مثل روسيا الاتحادية وغيرها من دول شرق آسيا. وتصدر في روسيا حاليا بصفة دورية -ربما شهريا- نشرة عن الشؤون الدولية. وروسيا هي التي ورثت مكان الاتحاد السوفيتي السابق وان لم تكن قد ورثت مكانته كقوة عظمى لكنها مازالت قوة عظمى نووية وقوة كبرى تقليدية رغم انكفائها على مشاكلها الاقتصادية وقد بدأت في تطوير قدراتها العسكرية التقليدية وادخلت إصلاحات طموحة على قواتها المسلحة التقليدية واضافت ٢٠٠ صاروخ نووي عابر للقارات قادر على اختراق أي نظام دفاع جوي بما يجعلها آمنة في مواجهة نظام الدفاع القومي وعن المسرح الأميركي ضد الصواريخ الباليستية.

وفي آخر نشرة للمركز الروسي تحدث عن خطط الولايات المتحدة ضد دول مارقة بالشرق الأوسط، وقال ان النصر السريع الذي حققته أميركا في حملتها على أفغانستان وحربها ضد العراق أحدث تغييرا في النظام العالمي وأصبح على دول كبرى أخرى ان تضع في اعتبارها أن الولايات المتحدة اخذت على عاتقها القيام بعمليات عسكرية كبيرة المستوى منفردة دون الالتفات إلى الأمم المتحدة وتقصد بذلك عقيدة واستراتيجية الحرب المسبقة التي أعلنها الرئيس بوش وطبقها لأول مرة على العراق. وأولئك الذين ارادوا منذ البداية استخدام ضغط متعدد الأطراف ضد دول تقليديا تعتبر نفسها مضادة للولايات المتحدة -على حد تعبير هذه الدراسة- وفي مقدمتها دول محور الشر وان تناست الدراسة ان العراق كانت قبل ذلك احدى الدول المقربة للولايات المتحدة.

وبعد اختفاء نظام صدام حسين أصبح مصطلح "الدول المارقة" قاصرا على إيران وكوريا الشمالية من الناحية الرسمية الأميركية. ولكن البنتاجون وضع سوريا في قاعدة القائمة على انها دولة ترعى الإرهاب الدولي وجزئيا فإن السعودية من وجهة النظر الروسية" قريبة من هذه الدول رغم انها أحد الحلفاء الاستراتيجيين الرئيسيين لواشنطون بالمنطقة، ولكن وسائل الإعلام الأميركية تتهمها بانها المول الرئيسي للإرهاب الدولي الذي أطلقت عليه الدراسة

"الإرهاب الإسلامي" والإسلام بريء تماما من هذه التهمة وكل الدول الإسلامية والعربية ادانت الإرهاب بكل صوره.

وتتساءل الدراسة: هل هذه الدول ستشعر بضغوط متعددة الاطراف أو ستتعرض لعمليات عسكرية؟ أم هل ستكون الولايات المتحدة عاقلة وحكيمة وتمتنع عن اللجوء إلى القوة والاعتماد على اثار تدخلها العسكري ضد أفغانستان والعراق؟

وترى الدراسة ان واشنطون ليست لديها اجابات صريحة واضحة على هذه الأسئلة وهناك تناقضات واضحة داخل إدارة بوش بين البنتاجون ووزارة الخارجية في المقام الأول ورغم ان هناك بعض الاجماع حول الضغط السياسي والاقتصادي على كل من إيران وكوريا الشمالية وسوريا يبدو ان اللجوء إلى القوة سيكون الحل الاخير ضد تلك الدول. ومن الواضح ان الولايات المتحدة تستخدم بنشاط إمكانيات دول الجوار مثل إسرائيل وتركيا.

نجاح إيراني

ولا اعتقد ان الدراسة الروسية دقيقة بالنسبة للسعودية، فالولايات المتحدة لن تقدم على أي عدوان على المملكة لأسباب كثيرة معروفة للجميع كما انها بالنسبة لسوريا ستلجأ إلى إسرائيل للضغط على سوريا وحدث ذلك فعلا ووجهت إسرائيل ضربة جوية لهدف بجوار دمشق دون ان تتعرض طائراتها لأي نيران أو خسائر. وبدأت إسرائيل تهدد بانها قادرة على استخدام قواتها المسلحة ضد أي دولة عربية. وهذا أيضا أمر خطير على المصالح الأميركية بالمنطقة وفي العالم الإسلامي. كما ان الولايات المتحدة صرفت النظر نهائيا -تقريبا- عن استخدام القوة ضد كوريا الشمالية، ونجحت إيران بأسلوب دبلوماسي في نزع فتيل احتمال تعرضها لاستراتيجية الحرب المسبقة من الولايات المتحدة وقبلت كل شروط وكالة الطاقة النووية الدولية شريطة قيام دول أوروبية بامدادها بما يلزمها من وقود لمفاعلاتها للاستخدام المدني.

وتقول الدراسة انه منذ البداية كان العراق "أضعف نقطة" في محور الشر ولذلك كان الاسهل في التعامل معه عسكريا بل ان الجميع في الولايات المتحدة تقريبا كانوا ينظرون إلى ان غزو العراق وتغيير النظام فيه هو في واقع الأمر المرحلة الأخيرة لحرب الخليج عام ١٩٩١ لأن عدوان العراق على الكويت ونجاة العراق من العقاب واستمراره في تهديد جيرانه كان سببا كافيا لغزوه في الحرب الأخيرة ولان الولايات المتحدة اقتنعت طوال التسعينات من القرن الماضي باستمرار العراق في عدم الالتزام بقرارات مجلس الأمن وان العقوبات اثبتت عدم فاعليتها رغم انها دمرت مصالح الشعب العراقي ولكنها لم تؤثر في النظام كما بدأ صدام حسين ادعاء دور مهم له في العالم العربي بتقديم مساعدات للانتفاضة الفلسطينية واثارة المشاعر ضد إسرائيل.

وبعد رحيل مفتشي الأمم المتحدة عام ١٩٩٨ فشل القادة العراقيون في اثبات خلو العراق من أسلحة التدمير الشامل. ونظرت الولايات المتحدة إلى العراق على انه "ثقب اسود" به كل أسلحة الدمار الشامل.

ولدي تعليق على بعض النقاط التي تعرضت لـها الدراسة الروسية أهمها أن لجـان التفتيش قامت بمهـامها داخل العـراق دون أي عقبـات ولم تكتشف شـيئا بل دمـرت كل ما له صلة بأي أسلحة دمـار شامل، وكان تقريرها الذي قـدمته لمجلس الأمن انها في حـاجة إلى فترة اضـافية للبـحث عن وثائق ومناقـشة الـعلماء العـراقـيين الأمر الذي رفـضـته الولايـات المتحـدة شكلا وموضوعا لانها كانت قـد صممت على مهاجمة العراق عسكريا رغم عـدم نجاحها في الحصول على تفويض من مجلس الأمن ومعارضة غالبية المجتمع الدولي لأي عمل عسكري ضد العراق لما له من آثار خطيرة على الاستقرار الدولي.

وتقول الدراسـة انه كانت هناك اعتبـارات اخرى مهمـة، ذكرها جيوفـري كيمبي من مـركز نيكسون وهو أحد الخبراء في شؤون الشرق الأوسـط مشيرا إلى ان التخلص من صدام حسين والسيطرة على العراق يعنيان عدم الحاجة لتواجد عسكري أميركي رئيسي داخل السعودية التي تعتبـر أراضيها مقدسة فـي كل العالم الاسلامي. وذكر كيمـبي ان البيت الابيض في أوائل عام ٢٠٠٢ قرر التخلص من صدام حسين ونظامه قبل نهاية مدة الرئيس بوش.

وتتساءل الدراسة عما قد يدفع الولايات المتـحدة لاتخاذ إجراءات شديدة ضد سوريا وتحدد لذلك عدة أسبـاب.. منها ان سوريا مستـمرة في دعم منظمات متطرفة مـثل حزب الله في لبنان وحركـتي حماس والجهـاد والأخيرة لهـا ضباط يقـيمون في سوريا. ويصـر الأميركـيون على وجود عـدة مئـات من المتطوعين في سوريا يرغـبون في الدخـول إلى العراق لمهـاجمـة القوات المحـتلة.. وهناك ما يسـمى النشــاط السيـاسي السـوري في عرقلة أي اتفـاق سـلام فلسطيني إسرائيلي واصرار الولايات المتحدة على ان سوريا تمتلك أسلحة كيماوية.

وبالنسبة لإيران -أحد عناصر محور الشـر من وجهة نظر الإدارة الأميركية- ترى الدراسة ان المعارضة لرجال الدين التي تصـاعدت منذ منتصف التسعينات والتي تأكـدت مرتين بانتخاب واعادة انتخاب خـاتمي بدأت تنتشر في الشارع الإيراني، وان حدوث تغـيير في النظام الإيراني محـتمل. ويرى الاسـتراتيـجيون الأمـيركـيون ان تدميـر الأهداف النووية الإيرانيـة هدف آخر بالاضافة إلى تغـيير النظام. وترى واشنطون انه لا النظام القائم ولا المعارضة الإيرانـية لديهما الرغبة في التخلي عن البرنامج النووي.

جبهة أخرى

وتقول الدراسة ان الخبراء الغربيين حصلوا على وثيقة تقول انه إذا تطور الموقف داخل إيران في اتجـاه خاطيء "وهو نجـاح رجـال الدين في التـغلب على الاصلاحـيين في الصـراع الدائر بينهم" فـان الضربات العـسكرية ضد إيران غـير مـستـبعدة من الأراضــي العراقيـة وان كنت استبـعد هذا الرأي للموقف الحالي داخل الـعراق وتصاعد أعمـال المقاومة ضد قـوات الاحتلال. وتقول الوثيقـة ان الولايات المتحدة سوف تعـتمد ليس على شركـائها في حلف الناتو وانما على جمهـوريات الاتحاد السوفيـتي السابق مثل جورجـيا واذربيجان، وتقول ان البنتـاجون يخطط لفتح قواعد في هـاتين الجمهوريتين.

وترى الدراسة ان التهديد النووي وعدم الاستقرار واحتمالات التغيير في طهران وضبط النفس الأميركي ليست السبب الوحيد في تغيير الاستراتيجية الأميركية تجاه ايران، فهناك سبب آخر في ان الخبراء الأميركين يعتقدون ان القادة الايرانيين يتوقعون ان الشيعة العراقيين "حوالي ٦٠ في المئة من السكان" سيتمكنون من الوصول إلى السلطة في العراق وتحويله إلى جمهورية إسلامية. وبتعبير آخر ترى الدراسة ان الولايات المتحدة وإيران دخلتا مرحلة جديدة من المواجهة حول مستقبل العراق. وترى ان الرأي العام الأميركي أصبح مستعدا لقبول ذلك الزعم الذي يسهل الأمور لإدارة بوش لتخطيط تورط الولايات المتحدة في إيران. وانا اعتقد ان أي تورط للولايات المتحدة في إيران ستكون له عواقب وخيمة على المنطقة وعلى أوراسيا.

وتؤكد الدراسة أن روسيا ستعمل على انقاذ وضعها السياسي والاقتصادي في ايران اذا حدث انقلاب داخلي فيها أو في حالة تدخل عسكري اميركي. ففي موسكو كل الادارات المعنية تعمل ضمن خطة موحدة بالنسبة لايران، والكرملين يكرر بصفة مستمرة أن ايران اقرب جيران روسيا وان روسيا مصممة على التعاون ولن تنحاز إلى أي مجموعة في الصراع الدائر داخل ايران، وستبقى ايران منطقة مصالح حيوية لروسيا.

وتقول الدراسة ان موقف روسيا متزن بالنسبة لقلق المجتمع الدولي من البرنامج النووي الإيراني وقامت موسكو بابعاد نفسها عن طهران في الوقت الذي تحاول فيه الابقاء على حضورها الاقتصادي داخل ايران، فمصالح روسيا الاقتصادية في ايران واسعة، بالاضافة الى ان وزارة الطاقة النووية الروسية اصبحت اكثر نشاطا هناك وعمالقة البترول يخططون لاستخدام نظام الانابيب لنقل البترول الى اوروبا. ومن الواضح انه مهما كانت التغيرات السياسية التي قد تحدث في ايران فإن الشركات الروسية العاملة هناك ستحتفظ باوضاعها.

وتتحدث الدراسة عما اطلقت عليه "العراق: الصورة بعد الحرب" فتقول: انه بالنسبة للمؤسسات والهيئات الدولية ودور المجتمع الدولي الذي يمكن ان يلعبه في بناء عراق جديد لا يمكن تجاهل حقيقة الوضع أو يتناسى المستقبل المنظور بأن الولايات المتحدة ستظل العامل الحيوي في تحديد مسار الاحداث في العراق وحوله. وترى ان هناك كثيرا من المشاكل في العراق مثل بناء أمة عراقية وعلى مستوى اوسع تحديث كل العالم العربي. واذا تم حل المشكلة الاولى بخلق دولة ديمقراطية كنموذج فإن هذا سيمثل تهديدا لاقرب الجيران "على حد تعبير الدراسة" وخلق شعور عدائي ضد الولايات المتحدة.

وتقول الدراسة انه بالنظر الى الواقع في العراق لا يمكن توقع عراق ديمقراطي وحكومة عراقية قريبا. واذا تم اجراء انتخابات ديمقراطية قريبا فانها ستأتي براديكاليين اسلاميين "وهذا رأي الدراسة وهو ايضا فيه تحيز ضد الاسلام والمسلمين" وهذه النتيجة كما تزعم ستشبه الى حد كبير خلق نظام مشابه لنظام طالبان في افغانستان ومن المؤكد أن الولايات المتحدة لن تقبل ذلك.

وترى الدراسة ان هناك احتمالا اخر هو الاعتراف بالواقع داخل العراق وقبوله مع تراجع فكرة الدولة الديمقراطية وتأجيلها بعض الوقت ويمكن نقل السلطة الى يد قوية -رجل عراقي أو

مجموعة من العراقيين الموالين تماما للولايات المتحدة- ومع ذلك فإن "سلطة" قوية لا يمكن اختيارها من بين الاكراد لانها ستكون مرفوضة تماما من غالبية الشعب العراقي ومن تركيا التي لن تقبل ذلك حتى لا يكون هذا دافعا لاكراد تركيا للمطالبة بالمثل أو السعي للاستقلال. كما ان شيعيا لن يكون مقبولا حتى لا يكون لايران نفوذ سياسي في العراق، الامر الذي لن تقبله الولايات المتحدة كذلك. وتتساءل الدراسة هل سينتهي الامر الى يد قوية تعيد البعث الى الظهور في العراق؟

وترى ان التواجد العسكري الاميركي في العراق سيستمر لفترة طويلة بحجة بناء دولة ديمقراطية عراقية وهو هدف تواجهه عقبات -كما ترى الدراسة- انه سيكون من الصعب اقناع الشعب الاميركي بان الديمقراطية في العراق تمثل اسبقية اولى بالنسبة للولايات المتحدة وسياستها الخارجية وامنها القومي. وربما يكون هذا هو التفسير الامثل للجوء الولايات المتحدة للامم المتحدة في المساهمة في حل مشكلة العراق.

وتتساءل الدراسة عن أهمية العراق بالنسبة لروسيا في ظروف الموقف الجديد، فتقول ان سياسة روسيا في العراق يجب ان تنبع من مصالحها الوطنية. وعليها تجنب انخفاض كبير في اسعار البترول في السوق العالمية عندما ينضم العراق الى هذه السوق، خاصة ان التنبؤات المتشائمة توحي بأن السعر سينخفض الى ١٢ دولارا للبرميل وحين تتمكن الولايات المتحدة من السيطرة تماما على حقول البترول العراقية وانتاجها. والولايات المتحدة احد المنتجين الكبار للبترول ولكن انتاج البترول في الاسكا لن يكون اقتصاديا اذا انخفضت الاسعار عن ١٨ دولارا للبرميل، كما أن انتاج البترول في الخليج المكسيكي يفقد معناه، اذا انخفضت اسعار البترول عن ١٥ دولارا للبرميل. وعليه فإن انخفاض اسعار البترول الذي يتوقعه الخبراء بدخول بترول العراق الى السوق ستكون له اثار خطيرة.

وترى الدراسة ان على روسيا ان تبقى في سوق البترول العراقية وان تساهم في اعادة بناء واصلاح البنية الاساسية للبترول، ولها خبرة طويلة في التعاون مع العراق في مجال البترول.

وخلاصة القول إن هذه الدراسة تؤكد امورا رئيسية بالنسبة للعراق هي: أن الولايات المتحدة تواجه مشاكل ضخمة في العراق حتى ان بوش أعلن انه سيدعم القوات الموجودة في العراق حتى يمكن السيطرة على الامن والاستقرار وهو ما يؤكد مقولة الدراسة بأن احتلال العراق سيستمر لفترة طويلة.

وتصاعدت في الولايات المتحدة انتقادات كثيرة للادارة الاميركية بسبب الخسائر المتزايدة وعدم تحقيق نجاحات في اقامة حكومة عراقية جديدة قادرة على اجراء انتخابات وعودة الحياة الطبيعية الى العراق.

إن لجوء الولايات المتحدة الى الامم المتحدة وحلفائها في ارسال قوات وعناصر من الهيئات الدولية للاغاثة يؤكد ان المسألة العراقية ستطول وستمتد كما توقع الجميع في كل انحاء العالم.

وثبت بلا شك ان غزو العراق لم يكن للقضاء على تهديد عراقي للولايات المتحدة من أي نوع

كما ان مزاعم وجود اسلحة دمار شامل ثبت عدم صحتها وأصبحت اجهزة المخابرات الاميركية والبريطانية محل هجوم بأنها قدمت معلومات كاذبة لحكوماتها لشن حملة ضد العراق.

وبدأت وسائل اعلام اميركية تقول ان وزير الدفاع الاميركي رامسفيلد تحول في عيون الاميركيين من فتلح مغوار لا يقهر الى عاجز عن حل المشاكل التي حدثت في ادارة شؤون العراق. وبذلك فقد رامسفيلد كل ما بناه من مجد، وبدأت نظريته التي ادعاها "نظرية الحرب الحديثة" في عصر ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا والشؤون العسكرية تنهار فمازالت القوات المسلحة الاميركية ضخمة ولم يتم خفض عدد فرقها أو معداتها.. وقد كان للاسلحة الذكية والتفوق الجوي فضل في أن تنتهي الحملة العراقية في ثلاثة اسابيع ولكنه نسى ان الجيش العراقي لم يقاتل ولم يقاوم.

ولم يحدث في التاريخ ان صعد قائد عسكري الى قمة المجد ثم اصبح مهددا بالسقوط الى قاع الهاوية مثل ما يحدث لوزير الدفاع الاميركي رامسفيلد. لقد تراجع رامسفيلد عن تطبيق استراتيجية الحرب المسبقة ضد كوريا الشمالية خوفا من الخسائر الضخمة التي قد تتعرض لها القوات الاميركية وهذا يؤكد ان الحرب لبست نزهة وليست لعبة يلهو بها وزراء الدفاع.

أمن إسرائيل

الدراسة الروسية تقول ان الولايات المتحدة لا ترى في سوريا تهديدا لها وإنما تنظر إليها من منطلق إنها تقدم مساعدات لحزب الله في لبنان والمقاومة الفلسطينية وهذا في رأي أميركا تهديد لأمن إسرائيل لذلك قررت واشنطون استخدام ضغوط سياسية ودبلوماسية واقتصادية لاحتواء سوريا.

استخبارات

يبدو أن دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي مصمم على تكرار نفس الخطايا والاعتماد من جديد على معلومات استخبارية مضللة.. حيث قال ان المعلومات الاستخبارية في أميركا وحول العالم تؤكد ان إيران ستمتلك سلاحا نوويا خلال سنوات قليلة.. ويبدو ان رامسفيلد نسى الأزمة التي مازالت تحيط به نتيجة المعلومات الاستخبارية الكاذبة حول امتلاك العراق أسلحة دمار شامل.

الأيام تفتح مخزن الأسرار

البترول يثبت كل يوم انه البطل المطلق للحرب على العراق

أسلحة الدمار الشامل لعبة مكشوفة وتحرير العراق لغز كبير

مستقبل بلير في مهب الريح لأنه كذب حول أسباب الحرب

غياب الأمن والانهيار الاقتصادي مقصودان لتبرير استمرار الاحتلال

أميركا تسعى لفرض تسوية في الشرق الأوسط لصالح إسرائيل

حسم الأميركيون أمرهم بالنسبة لحكم العراق في المستقبل الذي لا يعلم أحد متى يأتي.. وقال جاي جارنر الحاكم الاميركي للعراق ردا على سؤال حول إمكانية قبوله حكما إسلاميا في العراق: إننا نريد حكومة ديمقراطية.. وهذا التعبير يعني في العرف الأميركي السائد ان الحكم الإسلامي ضد الديمقراطية وان الحكم العلماني هو الديمقراطي.. كما قال رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي بشكل أكثر وضوحا: لن نسمح للمتطرفين بحكم العراق.. ولن نسمح بأي نفوذ إيراني.. وهذا أيضا يعني في العرف الأميركي ان الحكم الإسلامي يعني التطرف وأن النموذج الإيراني دليل على هذا التطرف.

الثابت الذي لا يقبل الجدل أن البقاء الأميركي في العراق سوف يطول ويمتد أعواما.. وتكرار الأميركيين لمقولة أنهم سينسحبون من العراق في الوقت المناسب يعني ان الوقت المناسب بأيديهم وأن تحديده يرجع إليهم.. وقد قالوا ذلك حين دخلوا أفغانستان وحين تواجدت قواتهم بالمنطقة في اعقاب حرب تحرير الكويت.

والأوضاع في العراق تزداد تعقيدا من النواحي الأمنية والأقتصادية والإجتماعية ويبدو أن هذا التعقيد مقصود ليعطي مبررا لامتداد بقاء قوات التحالف في العراق اطول فترة ممكنة.. بل ان الولايات المتحدة بدأت تضيق بمن يصف تواجدها في العراق بانه احتلال.. على الرغم من أن توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الحليف الأقوى لواشنطن أكد بالنص أن العراق الآن تحت الاحتلال وأن القوة المحتلة عليها مسؤوليات وفقا لاتفاقية جنيف في هذا الشأن.

وبدأت إدارة بوش تفقد لهجة الثقة التي كانت تتحدث بها قبل شن الحرب عن قدرتها على كشف أسلحة الدمار الشامل. وبدأت هذه الإدارة نغمة جديدة وهي خشيتها من تسرب هذه الأسلحة إلى أيد أكثر خطرا من النظام السابق في العراق.

وتقول انه قد يكون بعض المسؤولين البعثيين السابقين نهبوا المواد والوثائق الخاصة بهذه

الاسلحة التي تدل على أماكن تخزينها خلال حملات النهب والسلب التي جرت في العراق بعد انهيار النظام. وهذا دليل واضح على افلاس الإدارة الأميركية التي أكدت في كل المناسبات ثقتها في وجود أسلحة دمار شامل بالعراق رغم تأكيد لجان التفتيش للأمم المتحدة عدم وجودها. وهذا دليل واضح على ان الحرب ضد العراق لم تكن تستهدف لا تحرير شعب العراق ولا تدمير أسلحة دمار شامل وانما هي خطوة في طريق الهيمنة الأميركية على بترول الشرق الأوسط واوراسيا واحتواء الصين وتطويع إيران.

أبعد من العراق

وذكر أحد مراكز الدراسات الاستراتيجية الأميركية في دراسة بعنوان «الحرب على العراق تفتح الأبواب لشركات أميركية في المنطقة» ان النصر الأميركي في العراق لا يؤدي إلى ان تلعب شركات أميركية الدور الرئيسي في اعادة إعمار العراق فحسب وإنما يؤدي ايضا إلى زيادة نصيب هذه الشركات في العالم العربي.

ويقول ان ذلك يرجع إلى فشل التحالف الفرنسي الألماني في منع نشوب الحرب والحفاظ على النظام السياسي العربي القديم مما يعني حرمان الدول الغربية التي رفضت الانضمام إلى الولايات المتحدة في حملتها على العراق من الحفاظ على مصالحها الاقتصادية في العالم العربي.

وفي العالم العربي تتأثر الاعمال بمن يمتلك النفوذ السياسي، كما ان الحكومات تفضل التودد إلى الولايات المتحدة عندما تقرر من يحصل على العقود للمشروعات. وعليه فان نتيجة الحرب ضد العراق ستكون لها اثار على التجارة والاستثمار في أبعد من العراق لصالح الولايات المتحدة.

وتتحدث الدراسة عن التأثير المباشر للحرب على اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي وانه أقل من حرب الخليج عام ١٩٩١. وبالنسبة لكثير من رجال الأعمال بالمنطقة كان الذعر التلج من هذه الحرب أقل بكثير من سابقتها. وترى ان المسألة الأولى التي تحظى باهتمامهم هي الاثار السلبية على اسعار البترول نتيجة زيادة انتاج البترول في عراق موال للغرب بعد صدام وتأثر «الأوبك» وانخفاض الاسعار الذي ينتظر ان يكون له اثر سلبي على اقتصاديات السعودية والدول الأخرى بمجلس التعاون.

ومع ذلك فان قدرة دول الخليج على مواجهة الصدمات السلبية لأسعار البترول أعلى بكثير مما كانت عليه في الثمانينات ومن الخطأ النظر إلى ان اعادة بناء اقتصاد العراق من الصفر ستكون لها اثار سلبية على جيرانه. فالتجارة الاقليمية ستزداد ومن المتوقع اتساع الفرص امام دول الخليج في مجال المشروعات والصفقات.

وترى الدراسة ان اقتصاديات دول الخليج اقوى مما كان متوقعا منذ عام مضى عندما ادى ارتفاع اسعار البترول الى اختفاء عجز الموازنات الحكومية وحتى لو انخفضت اسعار البترول الى مادون ٢٠ دولارا للبرميل فان اقتصاد دولة كالسعودية سيواجه صعوبة ضئيلة في التأقلم مع الموقف.

ودون الدخول في تفاصيل ما ورد بالدراسة فانها تشير الى ان دول المنطقة ستستفيد من نتائج حرب العراق الى حد ملموس وهو رأي غريب لأن المستفيد الوحيد من كل ذلك هي الولايات المتحدة اما دول المنطقة فهي احد الخاسرين من جراء هذه الحرب.

ونشرت مجلة «ديفنس نيوز» ان حجم اعمال الاعمار العاجلة في العراق تتمثل في: اصلاح حوالي ١٠٠ مستشفى و٦٠٠٠ مدرسة واصلاح وتشغيل ١٠ محطات توليد كهرباء وحوالي ١١٠ محطات فرعية واصلاح وتشغيل خطوط السكك الحديدية واعادة انشاء ١٠٠ جسر و٦٠٠ ميل من قنوات الري.

وقدرت تكاليف اعادة الاعمار اكثر بكثير من ٢٠ مليار دولار وتصل الى ١٠٠ مليار دولار وتحدثت عن منح عقود بالامر المباشر لشركات بعينها وضربت مثالا بشركة «براون آندروت» التي منحت عمليات اطفاء الحرائق في بعض آبار البترول بحجة انها الشركة الوحيدة القادرة على البدء في هذا العمل دون استعدادات مكثفة.

وذكرت ان ست شركات أميركية ستحظى بميزة حصولها على عقود بالامر المباشر مكافأة لها على مساهمات في انتخاب بوش وان مسؤولين برروا منح شركات اميركية عقودا بالامر المباشر بقولهم: «انها حربنا وانها اموالنا ورجالنا هم الذين يموتون في هذه الحرب»

العقوبات

ويدور الحديث عن إلغاء العقوبات المفروضة على العراق وقد انتهت الحرب واقعيا وان لم يعلن ذلك رسميا حتى الان. وأشارت مصادر اميركية الى ان هذا الموضوع لا يجب ان يكون مدعاة للنقاش وانه بعد ان تم القضاء على نظام صدام حسين لم تعد هناك حاجة الى بقاء هذه العقوبات وعلى الارجح لن يوافق مجلس الامن على هذا الاستنتاج البسيط وقد يتطلب الامر جدلا داخل المجلس يستغرق عدة اسابيع.

وكان قادة الاتحاد الاوروبي قد عقدوا اجتماعا في اثينا وكان مخصصا لتوقيع معاهدة توسيع الاتحاد لكن المراقبين اعتبروه فرصة لاصلاح التصدع الذي حدث بسبب الحرب ضد العراق وصدر عن المؤتمر اعلان اعتبره المراقبون خطوة مهمة في طريق هذا الاصلاح وطالب بأن تلعب الامم المتحدة والمجتمع الدولي دورا مركزيا في اعادة اعمار العراق وركز على خبرة الامم المتحدة في هذا المجال.

وطالب بسرعة تدخل المؤسسات المالية الدولية والتركيز على الرغبة الجماعية للاتحاد الاوروبي في قيام هذه المؤسسات بدور ملموس في عملية الاعمار. وربط البيان بين هذه العملية ومسيرة السلام الفلسطينية واتخاذ خطوات سريعة لتطبيق خريطة الطريق بعد التصديق على حكومة فلسطينية جديدة.

وسبق هذا المؤتمر جهد كبير من بريطانيا وفرنسا للتغلب على الخلافات بينهما بسبب انضمام بريطانيا للتحالف ودخولها الحرب مع الولايات المتحدة ضد العراق وتهديد فرنسا باستخدام الفيتو ضد مشروع القرار الدولي في هذا الشأن. ويرى المراقبون ان هذه المحاولة

اثمرت وان بريطانيا نجحت الى حد ما في عزل فرنسا عن المانيا وروسيا.

وآخر المعلومات تفيد ان الادارة الاميركية تخطط لتقديم مشروع قرار جديد الى مجلس الامن بهدف رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق ومناقشة سبل التعامل مع الاوضاع الجديدة ومرحلة مابعد الحرب. ويطرح هذا القرار تقليص دور الامم المتحدة في السيطرة على عائدات البترول الذي يدخل في اطار برنامج النفط مقابل الغذاء. كما يطرح التصديق على الدور الذي تلعبه قوات التحالف بقيادة اميركية وتأسيس سلطة انتقالية عراقية وقيام الامين العام للامم المتحدة بتعيين منسق خاص للاشراف على انشطة المنظمة الانسانية تحت اشراف المسؤول الاميركي عن العراق.

عودة الصراع

ويرى المحللون انه على الرغم من انفراج التوتر بين فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا فمن المتوقع ان يصطدم مشروع القرار الاميركي الجديد بعدة عقبات ومناقشات مطولة في مجلس الامن من جانب فرنسا وروسيا وربما المانيا ومن المنتظر ان يدخل مجلس الامن في صراع جديد يتمثل في مستقبل الحظر الاقتصادي وبرنامج النفط مقابل الغذاء ومبيعات النفط العراقي. ومن المعروف ان فرنسا اقترحت تعليق الحظر بصورة موقتة ووقف العمل ببرنامج النفط مقابل الغذاء على مراحل.

اما روسيا فتطالب باشراف كامل للامم المتحدة على عمليات بيع النفط العراقي ومهام تطوير حقول البترول وتشكيل حكومة عراقية معترف بها دوليا وهو الامر الذي تدعي الولايات المتحدة انه قد يستغرق اعواما.

واعلن الجنرال جارنر المسؤول عن الجهود التي تقودها الولايات المتحدة لاعادة اعمار العراق ان عملية بناء العراق ستكون اسرع مما يتصور البعض وكان جارنر قد اجتمع مع ثلاثين من العراقيين الذين وصفهم البعض بأنهم مسؤولون عن ادارة البنية التحتية لبغداد كما اعلن سعيه لاعادة فتح وتشغيل الوزارات الحكومية.

وقالت مصادر عسكرية اميركية ان الجنرال دافيد ماكيرتين قائد القوات البرية الاميركية في العراق أكد ان قوات التحالف هي السلطة الوحيدة في العراق لحين انتخاب حكومة عراقية جديدة ويأتي هذا الاعلان في اطار تأكيدات تم توجيهها لساسة عراقيين بعدم محاولة ملء الفراغ السياسي الذي نتج عن سقوط نظام صدام حسين. وقد شهدت الساحة في الفترة الماضية اعلان بعض الساسة تولي مسؤوليات محددة ومنهم محسن الزبيدي الذي اعلن نفسه مسؤولا عن المجلس التنفيذي لادارة العاصمة بغداد واعتقلته القوات الاميركية واحمد الجلبي الذي يمارس نشاطا سياسيا واسعا حاليا في العراق وهذا الاعلان من جانب الجنرال الأميركي يوحي بان الولايات المتحدة على وشك اعلان القوات الاميركية كقوات احتلال للعراق وفقا لاتفاقيات جنيف ونظم وقواعد القانون الدولي وهو ما يتعارض مع ماسبق اعلانه من ان الولايات المتحدة لا ترغب في اعتبار قواتها قوات احتلال بشكل رسمي ولكن الواقع يقول ان الاحتلال يبدأ حينما

توضع الاراضي تحت السلطة المباشرة للقوات المحتلة وهو مايشير اليه هذا الاعلان وطبقا للقوانين الدولية تصبح القوات المحتلة مسؤولة عن اعادة النظام العام والامن وهو ما تقوم به القوات الاميركية حاليا.

وفي الوقت الذي تحذر فيه الولايات المتحدة ايران من اي تدخل في الشؤون الداخلية للعراق خاصة بعد المسيرة الشعبية الضخمة للشيعة في كربلاء ناقش وزراء خارجية الاتحاد الاوروبي في اجتماعهم الشهري فتح مفاوضات مع طهران لمساندة الاصلاحات السياسية والاقتصادية في ايران ويعتقد الاتحاد الاوروبي ان توقيع اتفاقيات تعاون مع ايران في شتى المجالات السياسية والاقتصادية سيجعل ايران عاملا مساعدا في تحقيق السلام في الشرق الاوسط. وكانت شركات نفط اوروبية قد وقعت عدة اتفاقيات مع ايران علما بان النفط الايراني يشكل ٧ في المئة من المخزون العالمي فهل يعني هذا مجالا جديدا لخلاف بين الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة؟ وهل سيكون ذلك سببا في حرمان الشركات الاوروبية من اي اعمال خاصة بآبار البترول في العراق؟

كل ذلك يؤكد أن غزو العراق لم يكن بسبب امتلاكه أسلحة تدمير شامل فلم يثبت لا قبل الحرب ولا بعدها ان العراق لديه اسلحة تدمير بل اصبحت اسلحة العراق تثير تساولات حول مستقبل توني بلير رئيس وزراء بريطانيا بسبب توليه اقناع صناع القرار في بريطانيا بأن الهدف الرئيسي من هذه الحرب هو التخلص من اسلحة الدمار الشامل العراقية التي تشكل تهديدا للعالم وليس من اجل التخلص من النظام العراقي وثبت عدم صحة ذلك وان غزو العراق هو حلقة في مخطط اميركي للهيمنة على بترول الشرق الاوسط وعلى اوراسيا وضرب حلقة احتواء حول الصين الصاعدة الواعدة والسيطرة على بترول اسيا الوسطى وبحر قزوين وتطويع ايران للارادة الاميركية وتحقيق امن اسرائيل المطلق وتنصيبها وكيلا في منطقة الشرق الاوسط.

ويبدو ان الولايات المتحدة عازمة على تنفيذ خارطة الطريق الخاصة بالمسألة الفلسطينية، لكن السؤال: هل السبب هو ايجاد حل عادل لهذه القضية؟ اعتقد ان الامر ليس كذلك انما هو كغطاء لما يجري في المنطقة لان استمرار الصراع الفلسطيني الاسرائيلي سيؤثر على الاستراتيجية الاميركية اما اذا حدث اتفاق فقد يؤدي ذلك الى حدوث استقرار يخدم المخطط الاميركي واحد عناصر هذا المخطط هو امن اسرائيل وعقد صلح شامل بينها وبين كل الدول العربية مع بقائها اقوى قوة عسكرية في المنطقة بل واستمرارها القوة النووية الوحيدة بها.

والسؤال المهم اذا كانت الولايات المتحدة تريد منع الانتشار النووي فهل تنوي او هي قادرة على اقناع اسرائيل بالتخلص من اسلحتها النووية واسلحة التدمير الشامل الكيماوية والبيولوجية التي تمتلكها؟ ام ان هذا الامر يقتصر على دول كالعراق وايران واي دولة عربية اخرى؟ وهل لو تم التوصل الى اتفاق بشأن المسألة الفلسطينية ستلتزم اسرائيل بعدم العدوان وبالسلام وهي التي تأسست على التوسع والعدوان؟ وما موقف الجولان المحتل هل سيعود الى سوريا وهو جزء منها ام سيفرض على سوريا حل لصالح اسرائيل؟ واذا استقرت الاوضاع في

العراق بالصورة التي تريدها الولايات المتحدة فلن تبحث الولايات المتحدة عن دولة عربية اخرى تطبق عليها استراتيجية الحرب المسبقة لاسباب تختلقها واشنطن.

وقد اعلن كولن باول ان الولايات المتحدة تسعى للقضاء على التطرف الديني فهل سيكون هذا عنوانا جديدا لخطة الحروب المسبقة؟

وزير أميركي

تتكشف الأمور شيئا فشيئا ويظهر المخطط المرسوم بعناية.. وها هي واشنطن أعلنت ضمنا وصراحة انه سيتم تعيين وزير أميركي للبترول العراقي يعمل تحت امرته مسؤول عراقي من الذين كانوا في المنفى ويحظون بقبول واشنطن مما يؤكد ان البترول هو الوسيلة وهو الغاية وهو الذي اشعل الحرب ضد العراق مهما تحدثوا عن أسباب أخرى.

سر عزيز

لا ندري حتى الان سبب تسريب أنباء وتقارير في الصحافة البريطانية تحديدا عن ان طارق عزيز نائب رئيس وزراء صدام حسين هو الجاسوس الذي يسرب معلومات عن مخابيء صدام وفريقه المقرب وانه استسلم بعد ضمانات أميركية بتأمين أسرته ونقله إلى لندن.. وما معنى ان يكون عزيز رقم ٤٣ على لائحة المطلوبين للقوات الأميركية إذا كان فعلا هو الجاسوس.. لعلها تسريبات مقصودة لخلق حساسيات في العالم العربي بين المسلمين والمسيحيين باعتبار طارق عزيز مسيحيا فلماذا اختاروا عزيز بالذات ليكون جاسوسا ولماذا لم يقولوا انه الصحاف أو ناجي صبري أو حتى صدام نفسه..؟ لابد من التعامل بحذر ويقظة مع هذه التسريبات الخبيثة!

عالم جديد على الطريقة الأميركية

الصمود العراقي في وجه الغزاة اجهض مخطط الهيمنة مؤقتا

واشنطون أدركت ان الالتهام السريع لدول المنطقة وهم كبير

استراتيجية الاجتياح مستمرة لكن على اميركا ان تضمد جراحها أولا

الحرب ما زالت ممتدة ومعركة بغداد ستكبد قوات التحالف خسائر كبيرة

الحديث عن التقدم الذي تحرزه القوات الاميركية والبريطانية الغازية للعراق واقترابها من العاصمة بغداد أو حتى سقوط هذه العاصمة في أي لحظة لا يمثل رجما بالغيب أو مفاجأة مدوية من العيار الثقيل فكل هذا متوقع ومعروف ويقيني.. لكن المفاجأة الساحقة للقوات الاميركية والبريطانية وللعالم كله ذلك الصمود الصلب للعراقيين في وجه اقوى قوة عسكرية في العالم.. وهو الصمود الذي افقد اي نصر عسكري يحققه الغزاه طعمه ومعناه.. فهو نصر سيكون بطعم الهزيمة اذ صح التعبير.. بل ان هناك من يعتبرون العراق هو المنتصر حتى لو انهزم عسكريا وذهب صدام حسين وزمرته.. فالقوات الاميركية والبريطانية لن تنعم بإقامة آمنة في العراق ولم تستقبلهم النساء بالزغاريد والرقص والورود كما توقعوا.. وانما وجدوا بدلا من ذلك كما قال أحد ضباطهم كمائن الموت والألغام والقنابل البشرية.

وصمود العراق هزيمة للولايات المتحدة من جانب آخر.. فبعد الخسائر البشرية والمعاناة ستتغير الاستراتيجية القائمة على التهام منطقة الشرق الاوسط دولة دولة أو قطعة قطعة في عدة أيام كما كانوا يحلمون.. وسيفكر القائمون على أمر البيت الابيض مهما كان توجههم الف مرة قبل ان يكرروا ما فعلوا في العراق مع دولة اخرى سواء كانت سوريا أو ايران أو غيرهما.. لأن الحقائق على الارض اثبتت ان الاميركيين في البيت الابيض والبنتاجون واهمون وانهم لا يستطيعون التفرقة بين الحرب الحقيقية وحرب في احد افلام هوليوود.. وهذه المعطيات تؤكد ان العراق بصموده القوي والمفاجيء انقذ دولا عربية اخرى من المخطط الاميركي ولو مؤقتا.. ويبقى الدور على هذه الدول تستعد للقادم من الأمر.. فالهجمة آتيه لا ريب فيها وكل ما حدث انها تأجلت حتي تضمد الادارة الاميركية جراحها النازفة بعد موقعة العراق.

وقد أقر القادة العسكريون الاميركيون بأن المقاومة العراقية العنيفة تعوق سير الحملة العسكرية خاصة مع استمرار المعارك على حدود البصرة والناصرية والنجف في الجنوب. وقالت الصحف الاميركية ان احد الجنرالات حذر من ان طول خطوط الامداد واسلوب حرب العصابات الذي لجأت اليه المقاومة العراقية تعوق فرص تحقيق نصر سريع في العراق.

ونسبت الصحف لمصدر في وزارة الدفاع البريطانية قوله أن القوات المتحالفة لا تمتلك قوة كافية للسيطرة على العراق. وأكد أن واشنطن أعلنت بالفعل ارسال ١٢٠ ألف جندي جديد لتعزيز قواتها المقاتلة في العراق.

ورد الجنرال تومي فرانكس قائد الحملة بأن هذا غير صحيح وان القوات الموجودة كافية لتنفيذ المهمة وانه بالنسبة للفرقة الرابعة المشاه التي كان من المفروض انزالها في تركيا ورفضت انقرة ذلك تم توجيهها للانضمام الى القوات عن طريق الخليج.

وأكد أن الحملة تسير طبقا للخطة وان الاعمال الفدائية التي قيل انها تمت قليلة متناثرة وغير مؤثرة وان الامداد يتم للقوات دون اي عراقيل ولم يتوقف لحظة وان القوات اذا كانت قد توقفت عن التقدم حوالي يومين فليس هذا بسبب تدخل للعدو أو نقص للامداد وإنما للاستعداد لمتابعة التقدم لتنفيذ المهمة. ولما سُئل عن المدة التي ستستغرقها الحملة قال انه لا يمكنه ان يحددها ولكن الحملة ناجحة بكل المقاييس وان القوات الجوية بدأت تركيز ضرباتها بعنف ضد قوات الحرس الجمهوري العراقي وأن فرق هذه القوات انخفضت قدراتها نتيجة ذلك وقدر ما حدث بها من خسائر بحوالي ٤٠ في المئة أو اكثر قليلا. وقال ان الحرب فن وليست علما وان قواته لم تتعرض لخسائر مؤثرة.

وتحدثت وسائل الاعلام عن قتال في البصرة وفي الناصرية ووصفته بانه عنيف. ثم يتحدث قائد القوة البريطانية المنوطة بحصار البصرة وتصفية عناصر المقاومة فيها بأنه يحاصر البصرة من كل جانب وان القوات البريطانية دمرت طابورا مدرعا من ١٤ دبابة وعددا من مركبات القتال المدرعة كما دفعت بعض الفصائل البريطانية لتطهير بعض المباني وتمكنت من اسر ٢٧ فدائيا وخمسة من الضباط العراقيين وقتلت عددا منهم واكتشفت اسلحة وذخائر في بعض المباني كما هاجمت القوات الجوية اهدافا في البصرة. واصبح وضع المياه والاغذية للسكان حرجا وصعبا وبدأت اعداد كبيرة منهم مغادرة المدينة.

وفي الناصرية التي تحاصرها قوة اميركية من مشاة الاسطول تدور أعمال قتالية مع عناصر قوات الفدائيين العراقيين ومن المؤكد ان القوات الاميركية تعرضت لخسائر ولكنها ليست مؤثرة في الوقت الذي تعرضت فيه قوات الفدائيين العراقيين لخسائر كبيرة ونجحت القوات الاميركية في اسر عدد منهم وفي اعتقادي ان الموقف سيستمر بهذه الصورة لمدة طويلة وسيستمر القصف الجوي للمدينة ولا اعتقد ان قوات مشاة الاسطول ستقتحم المدينة حتى لا تدخل في قتال شوارع على اساس ان الحصار والقصف وقطع داخل المدينة عن خارجها سيؤدي في النهاية الى انهيار مقاومة المدافعين عنها وربما استسلامهم. وقد نشاهد ايضا محاولات لجموع من السكان مغادرة المدينة وما يصحب ذلك من احداث.

الزحف الى بغداد

لقد اعلنت قيادة قوات التحالف انها نجحت في تأمين خطوط الامداد وان القوات التي وصلت الى مسافة حوالي ٥٠ ميلا من بغداد بدأت تتخذ مواقعها بما يوحي بانها تأخذ موقعا شبه

دفاعي يوحي بأن الهجوم على بغداد لن يتم قبل اسبوع أو اكثر الى ان تتمكن القوات الجوية من تركيز ضربات عنيفة ضد فرق الحرس الجمهوري التي تدافع عن المحيط الخارجي لبغداد رغم ما قيل عن ان الضربات السابقة كبدت تلك الفرق خسائر كبيرة وأن قدراتها القتالية انخفضت بما لا يقل عن ٤٠ في المئة.

وربما هي محاولة لاغراء هذه الفرق بان تشن هجوما على القوات التي تحاصر المدينة واذا حدث ذلك فستكون تلك القوات فريسة للقوات الجوية وللهليكوبتر الاباتشي وللطائرات «أ-١٠» صائدة الدبابات وغيرها ولكني اعتقد من تصريحات وزير الدفاع العراقي انهم لن يقدموا على ذلك وانهم مصممون على ادارة القتال داخل بغداد لتعويض التفوق في التسليح وفي الجو.

وربما تنتظر قوات التحالف وصول الفرقة الرابعة المشاة لتنضم الى القوات قبل الهجوم على بغداد كما ان القصف الجوي المركز على بغداد قد يثمر عن تأثير في معنويات سكان المدينة والمدافعين عنها.

ومن التطورات الجديدة ان قوات التحالف بدأت تبسط سيطرتها على المنطقة الغربية الصحراوية من العراق ربما لمنع اي تسلل لمجموعات أو افراد عبر حدود الدول المجاورة واستخدام القواعد الجوية بتلك المنطقة في المرحلة القادمة من الحملة الجوية ضد بغداد وقوات الحرس الجمهوري.

واعلنت القوات البريطانية انها بدأت ما اطلقت عليه حربا ذات شعبتين وتعني احكام الحصار على البصرة والضغط عليها وشن حرب نفسية تمثلت في اطلاق طلقات مضيئة ليلا حول البصرة وبث تسجيلات بمكبرات الصوت لمعارك وتحركات تجعل العناصر الفدائية والقوة المدافعة داخل البصرة تظن انها تهاجم من عدة اتجاهات فتخرج من مخابئها وتتحرك في هذه الاتجاهات لصد الهجمات فتصبح لقمة سائغة للطيران البريطاني وضرباته التي يمكن تركيزها بكل وسائل الرؤية الليلة ضد هذه القوات بالاضافة الى تحديد اماكن تجمعها ليتم القضاء عليها.

إن جورج بوش مصمم على هدفه وهو احتلال العراق والتخلص من صدام حسين ونظامه واقامة نظام موال للولايات المتحدة وسيستمر في العراق لمدة طويلة ليستغل بتروله وموقعه لتأمين استراتيجية الهيمنة الاميركية على الشرق الاوسط واوراسيا كما ان وقوع خسائر ملموسة في قواته سيمنعه من التفكير في مهاجمة دول اخرى بالمنطقة.

وتتحدث وسائل الاعلام الاميركية عما اطلقت عليه قنبلة ساحقة جاهزة للاستخدام ضد العراق وهي قنبلة انفجار جوي اطلق عليها غقخد تمت تجربتها يوم ١١ مارس الماضي ودخلت الخدمة فور ذلك وهي زنة ٢١٠٠٠ رطل وطولها ٩ امتار وبها ١٨٠٠٠ رطل مواد متفجرة صممت لتحقيق اقصى تأثير انفجار جوي على الاهداف البرية وذلك لتدمير القوات والمعدات في منطقة كبيرة. وهي غير مصممة لاختراق ومهاجمة الاهداف المحصنة على عمق كبير. ويرى الخبراء ان تأثير الصدمة التي ستحدثها هذه القنبلة ذات قيمة كبيرة في الحرب النفسية والصوت المدوي الضخم الناتج عن الانفجار والسحابة الضخمة التي تولدها قادرة على تدمير

معـنويات القوة التي تتـعرض لهـا. وهذه القنبلة مـوجهـة بواسطة نظام الملاحة وتحـديد المحل الكوني. ويعتـبرها الخـبراء اكبـر قنبلة غير نووية في التـرسانة الامـيركيـة. ومن المقرر ان يتم اسقـاطها من طائرات «ام سي-١٣٠ ام» والخطأ المحتـمل لاسقاطهـا من هذه الطائرة في حدود ١٣ متـرا «وهو خطأ صغير جـدا تعوض عنه القوة التدمـيرية للقنبلة» كمـا سيتم اسقـاطها من طائرات النقل «سي-١٧» ويقال ان منطقة التدمير لهذه القنبلة ستصل الى نصف كيلو متر مربع وعلى القيادة العسكرية العراقية ان تعي تأثير مـثل هذه الاسلحة وتجد حلا لتلافيه وخاصة في معركة بغداد المقبلة.

موقف دفاعي

وهناك تقارير نشرتهـا وسائل الاعلام تقول ان ادارة بوش ترى نفسـها في موقف اضطرها الى اتخاذ موقف دفاعي عن خطة الحرب في العراق في مواجـهة النقد الذي يوجه اليها حول ما اذا كانت قد اخطأت في تقديرهـا لاحتياجات هذه الحرب وحجم القوات المـطلوبة للاستيلاء على العراق والقضاء على صدام حسين ونظامه والسيطرة الكاملة على العراق الى جانب فشل القوات حتى الان في تقديم الدعم الانساني اللازم للشعب العراقي بصـورة مباشرة وعاجلة. بل وتقول تلك المصادر ان بوش اعترف بانه لا يعرف كم ستستغرق تلك الحرب وإن كان قد اكد ان الحملة ستـحقق نتـائجهـا. وتشير تلك المـصادر الى انه لم تظهـر حتى الان اي بوادر تدل على انهـيار القيـادة العراقية أو تدني عـزيمتها على المقاومـة كما تشيـر الى تدني حماس الشعب الامـيركي للحرب أو تفاؤله بالنسبة لمسيرتها.

ومن الواضح ان نقدا شـديدا وجهته وسـائل الاعلام والمحللين لوزير الدفاع الامـيركي بانه فشل في حشـد قوات كافية في الخليج لسرعـة انهاء الحرب كما كـان يريد بوش وانتقدوا خطة الاندفاع السريع نحو بغداد دون تأمين خطوط المواصلات، وترك الفرصة للفدائيين العراقيين في العمل ضد القوات الاميركية في عدة مناطق وعلى طول خطوط امدادها بالاحتياجات.

وبدأ القلق يخـيم على وزير الدفـاع الاميـركي ومرؤوسـيه حـول مـستـوى الروح المعنوية والقتالية لقوات الحرس الجـمهوري العراقية التي ستواجهها القوات الامـيركية في بغداد، ومدى تحمل هذه الـقوات للقصف الجـوي. ومن المعروف ان هذه القـوات مواليـة تماما لصـدام حسين وانها على مستوى جيد من التدريب والتسليح، واستبدل صدام حسين بعد حرب الخليج ١٩٩١ الكثير من افرادها بافراد يتميزون بالولاء والتـصميم على القتال، وإن كان الخبراء يرون ان هذه القوات لم تشتبك في معارك عسكرية تقليدية ولم تختبر بعد.

وكانـت الولايات المتحـدة قد سـعت لاستـلام زمام الدعم الانسـاني للعراق والسـيطرة على مليارات الدولارات من عـائدات النفط العراقيـة تحت ستار المعـونة الانسانية ولكنهـا فشلت في ذلك. واكد مجلس الامن استمرار القرار كما كان وإن كان سكرتير الامم المتحدة كوفي عنان ذكر انه يخشى ان انفـراد الامم المتحدة بهذا الامـر وابعاد الحكومة العراقـية الحالية عنه قـد يفسره البعض على انه شبـه اعطاء شرعية للهجوم الامـيركي البريطاني على العراق. وهذا امر حـقيقي الى حد ما، فـاستبعـاد النظام العراقي من هذه المسألة ترجمـته ان الامم المتحدة لا تعـترف بهذا

النظام، ويبدو ان عنان كـان يعتقـد ان العراق سيسـقط بسرعة الامـر الذي دفع به الى مناشدة اعضاء مجلس الامن منحه الصلاحية للسيطرة على برنامج النفط مقابل الغذاء وهو ما تحقق.

ورغم ان الموقف يؤكد ان الحرب قد تمتد لاكثر من شهر على اقل تقدير وربما شهرين إلا ان الحديث بدأ يدور حول ادارة العراق بعد صدام. ويبدو أن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير قد عرض على الرئيس الاميـركي بوش ان تتولى الامم المتحدة ادارة العـراق بعد الحرب وهذا يعني عدم انفراد الولايات المتحدة بالسلطة على العراق، وكان بلير في هذا يسعى اولا لانقاذ نفسه بعد ان تعرض لمشاكل داخل بريطانيا الى جانـب التوتر الحالي بين بريطانيا ودول الاتحاد الاوروبي ودول حلف الناتو المعارضـة للحرب والرافضـة لانفراد اميـركا بكل شيء في العراق، البـترول والإعـمار والسـيطرة. ومن المؤكـد ان بوش رفض اقتـراحـات بلير والـتي ظهرت بوضـوح في تعليقات كـولن باول وزير الخارجية الاميركي بأن السـيطرة على العراق ستكون اميركـية بحتة وان دور الامم المتحدة ينحصر في تقديم المعونات الانسانية بواسطة المنظمات الدولية العاملة في هذا المجال.

لقد أصبح اعـمار العراق بعد تدميرها بواسطة القـوات الاميركية مجـال سباق أو تنافس بين الدول سواء تلك التي وافـقت على الحرب أو تلك الرافضـة والمعارضة وكل يسـعى لان يقتنص قطعة من كـعكة مشروعـات التعمـير وبترول العـراق. وينبري بوش ليـقول انه يسعى لتـحرير الشعب العراقي من حكم صدام الاستبـدادي وانه يريد للشعب العراقي الحرية والتطور والنعيم. ولا يعلم احد من الذي اعطى الولايات المتحدة هذا الحق.

ان القوات الغازية ستدفع خلال الايام المقبلة بجهودها لمحاصرة بغداد استعدادا للمعركة التي ستكون معركة الحسم لانهاء الحرب لصالحـها ومن المتوقع ان يتحقق هذا الحصار خلال الأيام العشرة القادمة وبعـدها سنشاهد حملة جوية ضارية ومركزة على بغـداد تهدف الى ايقاع اكبر خسـائر ممكنة ومـؤثرة في قوات الحـرس الجمهـوري وتدميـر كل وسائل القـيادةوالسـيطرة والاتصالات وافـقاد القيـادة العراقيـة السيطرة على القوات. وتدمـير البنية الاسـاسية خـاصة الكهرباء والمياه والاتصالات لبث الاحباط في نفوس القوات المدافعة وسكان المدينة.

ويبدو ان الرهان الاميركي على ان شعب العراق او مجموعات كبيرة منه ستنقلب على النظام الصدامي لم يتحقق وان الهجوم الاميركـي على العراق ينظر اليه اغلبية الشعب العراقي على انه عدوان استعماري وليس حرب تحرير كما يدعي الرئيس الاميركي.

ويرى بعض المحللين انه باقتراب معـركة بغداد ستزداد وتيرة خطط ما بعـد صدام لتحصل دول اوروبية وغير اوروبية على نصيب في اعمار العراق.

وهنا تطفو على السطح عدة تساؤلات:

■ هل ستـصمد قـوات الحرس الجمهـوري العراقي المدافعـة عن بغداد امام القـصف الجوي العنيف الذي قد يستمر اياما وستستخدم فيه كل انواع الذخائر الحديثة؟

■ هل ستـشهد المعـركة استـخدامـا موسعـا للطائرات الموجهة بدون طيـار مثل البـريديتور

والجلوبال هوك القادرة على الاستطلاع وعلى توجيه ضربات صاروخية؟

■ هل ستنجح وسائل الاستطلاع الاميركية الحديثة في تحديد اماكن قوات الحرس الجمهوري لتوجيه الضربات الميدانية اليها بدقة؟

■ هل سيصمد سكان بغداد امام الحملة الجوية الاميركية وما قد يحدث من تدمير مصاحب للقصف ضد المدنيين؟ وهل سيشهد العالم نزوح لاجئين من المدينة؟ واذا حدث فكيف ستتعامل معهم القوات الاميركية؟

■ واذا نتج عن القصف الجوي تدمير محطات المياه والكهرباء.. ومخازن احتياطي المواد الغذائية وسيصبح موقف القوات العراقية سيئا للغاية في مجال المياه والمواد الغذائية، الى متى يمكن لهذه القوات والسكان ان يصمدوا وكيف ستواجه القيادة العراقية مثل هذا الموقف؟

واخيرا.. يجب ان ندرك ان هذه الحرب ستكون لها نتائج خطيرة على منطقتنا وربما على العالم كله ويجب علينا دراستها والخروج بدروس مستفادة مهمة وفي مقدمتها ان الضعف دعوة للعدوان وان الدفاع عن اوطاننا وشعوبنا يحتم علينا ان نطور نظمنا الدستورية وان نطور قدراتنا الدفاعية. وان نواكب عصر ثورة المعرفة والمعلومات والتكنولوجيا والشؤون العسكرية وهو امر ممكن.

حرب شوارع

رغم ضعف تسليح قوات الحرس الجمهوري العراقي بالمقارنة مع القوات الاميركية والبريطانية فإن دخولها في معارك شوارع ببغداد سيلغي التفوق التسليحي لقوات التحالف خصوصا القوات الجوية التي لن تكون قادرة على قصف المتحاربين الملتحمين في حرب مواجهة سيتعرض فيها الاميركيون بلا شك لخسائر كبيرة.

المخطط الكبير

لم يعد الأمر في حاجة الى اجتهاد بعد ان اعترفت الولايات المتحدة صراحة وبلا مواربة بأنها ستنفرد وحدها بحكم وادارة العراق وان كعكة الإعمار والبترول ما عدا الفتات ستكون لها وحدها وأن المخطط أكبر بكثير من العراق وسيشمل العالم كله وهذا واضح من التهديدات الصريحة لسوريا وايران قبل ان تنطفيء نار الحرب في العراق.

ردع العدوان

يجب أن نكون قادرين على ردع العدوان والقوة لا تتحقق الا اذا كانت نظمنا قوية وحياتنا ديمقراطية وشبابنا قد تم اعداده للمستقبل باسلوب علمي.. ولدينا الامكانيات وعلينا ان نطورها حتى لا تحمل لنا الايام القادمة الشر المستطير.

الهدف الاميركي التالي

واشنطن لن تغامر بعمل عسكري ضد دولة تمتلك اسلحة الدمار

السياسة الناعمة تجاه كوريا الشمالية تغري الاخرين بإمتلاك الردع النووي

الولايات المتحدة لا تمتلك أي مبرر لاستهداف ايران عسكريا

استراتيجية حرب الاحباط مبنية على أهواء القطب الاوحد في العالم

تصنيف دول العالم بمعايير أحادية يدمر مصداقية الامن الجماعي والأمم المتحدة

ديمقراطية العلاقات الدولية الضمان الوحيد للاستقرار والقضاء على الارهاب

المبدأ الاساسي الذي لا يختلف عليه اثنان هو أن الولايات المتحدة لن تقدم بسهولة على عمل عسكري ضد دولة تمتلك اسلحة دمار شامل «نووية وكيماوية وبيولوجية».. بل ربما لا تقدم على هذا العمل العسكري أبدا.

وقد قدمت الولايات المتحدة الدليل الأكيد على أن العراق لا يمتلك هذه الأسلحة عندما اتخذت قرار خوض الحرب ضده انطلاقا من المبدأ الاكيد بأنها لن تحارب دولة تمتلك اسلحة دمار ولن تقدم على عمل عسكري إلا وهي على يقين بأن الخصم خال تماما من هذه الاسلحة.

والدليل الناصع على هذا الاستنتاج حالة كوريا الشمالية التي اعترفت بأنها تمتلك اسلحة نووية وصواريخ بعيدة المدى قادرة على حمل الرؤوس النووية الى المدن الاميركية خاصة في الغرب.. بل إن بيونج يانج تمادت أكثر حين أكدت أن أي عقوبات اقتصادية تُفرض عليها ستعتبرها بمثابة إعلان حرب وسترسل اسلحتها النووية فورا الى العمق الاميركي.

ومع كل هذا فإن سياسة واشنطن التي تعتبر كوريا الشمالية من الدول المارقة ومن محور الشر حسب تصنيف بوش.. مازالت سياسة هادئة وناعمة بل ونائمة تتجنب التصعيد والتهديد واللهجة الحادة وتلتزم اقصى درجات ضبط النفس وتؤكد أن التفاوض هو الطريق الامثل لاحتواء وكبح بيونج يانج المارقة والشريرة.

ولاشك أن المخطط الاميركي القائم على حرب الاجهاض ضد الدول او المجموعات التي تمثل أو يحتمل أن تمثل تهديدا لاميركا يتوقف تحديد هدفه التالي بعد العراق على اجابة سؤال مهم: هل تمتلك الدولة المرشحة للغزو الاميركي اسلحة دمار شامل أم لا؟ وعلى هذا الاساس سيكون القرار بخوض الحرب كما حدث مع العراق أو بالحل الدبلوماسي كما يحدث مع كوريا.

والثابت الان ان كوريا الشمالية ليست هدفا ثانيا ولا حتى عاشرا وانها مستبعدة تماما الان

وغدا من استراتيجية حرب الاحباط أو الاجهاض.

الاختيار في الهدف التالي سيكون بين سوريا وايران كما يرى كثير من المحللين والمراقبين.. وربما تفلت ايران من هذا الاستهداف لأن هناك تقارير تؤكد انها طورت وتطور اسلحة نووية واذا ثبت ذلك فسيكون من الصعب حتى المستحيل أن تدرجها واشنطن ضمن الدول المرشحة للغزو.

ومن المعروف انه في اعقاب ازمة البترول عامي ١٩٧٣- ١٩٧٤ بدأت ايران تفكر في استخدام الطاقة النووية في الاغراض السلمية وسعت لانشاء مفاعلين نوويين لهذا الغرض وتقدمت المانيا وفرنسا بعروض لهذا المشروع وزار ايران عدد من العلماء الصينيين في هذا المجال لبناء المفاعلين، وضغطت ادارة الرئيس الاميركي الاسبق جيمي كارتر على المانيا وفرنسا لعدم امداد ايران بوقود للمفاعلين.. واندلعت الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ الامر الذي أدى الى توقف البرنامج وخروج العلماء والفنيين الفرنسيين والألمان من ايران «الذين يشرفون على بناء مفاعل نووي في بوشهر بواسطة الالمان ومفاعل نووي في اصفهان بواسطة الفرنسيين».

وخلال الثمانينات بدأت طهران احياء برنامجها النووي من جديد، لكن الادارة الاميركية نجحت في اقناع الحكومات الاوروبية في فرض حظر نووي على ايران بحجة أن ايران تسعى لبدء برنامج تسليح نووي تحت غطاء استخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية- وهي حجة بلا أي دلائل- ولكن الولايات المتحدة يمكنها أن تضغط وتفرض ما تريده.

وفي عام ١٩٩٢ توجهت ايران صوب روسيا والصين ووافقت روسيا على استكمال مفاعل بوشهر ووافقت الصين على امداد ايران بمفاعلين نوويين. كما وافقت روسيا والصين على التفاوض مع ايران لامداد هذين المفاعلين بالوقود اللازم لتشغيلهما.

وفي عام ١٩٩٥ ضغطت ادارة الرئيس الاميركي السابق كلينتون على موسكو لالغاء عقد امداد ايران بوحدة غاز طرد مركزي لتخصيب اليوارنيوم والحد من تعاون روسيا مع ايران في استكمال مفاعل بوشهر. ومع ذلك استمرت روسيا في مساعدة ايران لاستكمال المشروع. وفي عام ٢٠٠٠ وعدت الولايات المتحدة بأن تبيع لايران مفاعلات نووية وألغت القيود التي كانت قد فرضتها عام ١٩٩٥. ونجحت واشنطن في الوصول الى اتفاق مع الصين على الغاء تعاونها النووي مع ايران والغاء انشاء وحدة تخصب اليورانيوم في اصفهان. ومع ذلك استمرت ايران في احراز نجاح مع شركات روسية وجذب علماء روس للعمل لديها. وفي عام ١٩٩٨ فرضت الولايات المتحدة عقوبات على منظمتين روسيتين للابحاث النووية لتعاونهما مع ايران في انتاج الماء الثقيل الذي يمكن استخدامه مع المفاعلات التي تعمل باليورانيوم الخام ويمكن أن يساعد في انتاج بلوتونيوم صالح للاسلحة النووية. وفي عام ٢٠٠٠ تدخلت الولايات المتحدة لاجبار روسيا على الغاء بيع وحدة ليزر لتخصيب اليورانيوم لايران.. وبعد تولي بوش الابن الرئاسة استمرت الولايات المتحدة في سياستها لإيقاف البرنامج النووي الايراني رغم الاعلان عن انه لأغراض سلمية ويتفق مع أحكام اتفاقية منع الانتشار وقبلت ايران اشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية عليه.

مزاعم

وفي أغسطس ٢٠٠٢ أعلنت الولايات المتحدة أن مجموعة معارضة للثورة الايرانية يطلق عليها المجلس الوطني للمقاومة في ايران تدعي وجود منشأتين نوويتين اخريين في ايران لم تعلن عنهما احداهما بالقرب من «آراك» وادعت انها تنتج الماء الثقيل، والثانية بالقرب من مدينة «ناتنان» قيل انها منشأة تحت الارض مازال استكمالها جاريا وهي لانتاج وقود نووي. وتدعي الولايات المتحدة أن أجهزة المخابرات وصور أقمار صناعية تعرفت على منشأة «ناتنان» على أنها يحتمل أن تكون منشأة غازية طاردة مركزية لانتاج اليورانيوم المخصب.

وأعلن الرئيس الايراني محمد خاتمي في ٩ فبراير ٢٠٠٢ ان ايران تبني منشأتين في اصفهان وكاشان لانتاج اليورانيوم الخام لانتاج وقود لبرنامج طاقة نووية للاغراض المدنية. ولاثبات ذلك دعت ايران الدكتور محمد البرادعي مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية لزيارة هذه المنشآت في ٢١ و٢٢ فبراير ٢٠٠٢. وخلال زيارة البرادعي عرض خاتمي أن تخضع المنشأتان للتفتيش ووافق على امداد الوكالة بكل التفاصيل اللازمة عن هاتين المنشأتين وعن أي منشآت نووية أخرى قد ترى ايران ضرورة انشائها لأغراض مدنية، كما وافق على كل الاجراءات التي تطلب الوكالة الدولية تطبيقها على مثل هذه المنشآت والبرامج والتفتيش عليها.

وتدعي الولايات المتحدة أن هذه المنشآت متطورة ويمكن تحويلها بسهولة لأهداف عسكرية. وتقول أن اليورانيوم الخام الذي يتم استخراجه من مناجم ايرانية تتم معالجته في اصفهان ويتم تحويله الى المادة الغازية المستخدمة مع الاجهزة التي تفصل نظائر اليورانيوم.. وادعت انه في وحدة الطرد المركزي الغازية تمكنت ايران من تجميع مشروع تجريبي لمجموعة آلات تعاقبية من ١٦٠ آلة طاردة مركزية ذات تصميم متطور نسبيا زعمت الولايات المتحدة ان ايران حصلت عليها من باكستان. كما تدعي الولايات المتحدة أن ايران لديها ١٠٠٠ آلة طاردة مركزية اضافية وانها تخطط لأن تكون لديها ٥٠٠٠ آلة بحلول عام ٢٠٠٥.

وتقول احدى الدراسات ان الولايات المتحدة تعمدت تحقيق أقل تعاون ممكن مع ايران قبل وخلال الحرب ضد العراق وتجنب أي مواجهة مع طهران بالنسبة لبرنامجها النووي وبعد أن حققت الولايات المتحدة ما سعت اليه بالنسبة للعراق ستوجه اهتمامها لإيقاف واحباط البرنامج النووي الايراني. وبخلاف كوريا الشمالية التي أعلنت أنها تمتلك اسلحة نووية فإن ايران- في رأي الولايات المتحدة- مازال أمامها بضع سنوات لتتمكن من امتلاك سلاح نووي.

وترى الدراسة أن الغزو الاميركي للعراق يدعم قدرة الولايات المتحدة في الضغط على ايران اذ ستفهم طهران ان عليها الدور بعد العراق، وسيصبح القادة الايرانيون اكثر حرصا وحذرا بالنسبة لامتلاك سلاح نووي خوفا من رد فعل عسكري اميركي خاصة وأن وزير الدفاع الاميركي أعلن أن بلاده ستحتفظ بقواتها في المنطقة لفترة غير قصيرة. وترى الدراسة انه اذا استمرت ايران في بناء امكانيات تخصيب اليورانيوم فقد تقوم الولايات المتحدة بتدمير هذه المنشآت خاصة وان الوسائل اللازمة لذلك موجودة بالمنطقة.

وأعتقد ان الولايات المتحدة لديها مخطط كامل ضد ايران لكني لا أعتقد انها ستنفذه في الوقت الراهن أو في المستقبل القريب لأن ايران بفرض انها تسعى لامتلاك قدرات نووية فمازال أمامها حوالي خمس سنوات والأمر من وجهة النظر الاميركية يمكن تأجيله عاما أو عامين الى أن تستقر الاوضاع في العراق واعداد القواعد الجوية التي تخطط لها في العراق. وقيل ان القوات الاميركية استولت على احدى القواعد الجوية العراقية بالقرب من الحدود مع ايران وبالقطع يحتاج الامر لعام على الاقل لتجهيز هذه القاعدة والقواعد الثلاث أو الاربع الاخرى بالعراق وكذا تشكيل حكومة عراقية جديدة خاضعة للارادة الاميركية ستوقع مع الولايات المتحدة اتفاقية شغل هذه القواعد وبذلك تحقق واشنطن شرعية لبقاء قواتها في العراق.

ان شن حرب ضد ايران الآن فيه مخاطر كثيرة بالنسبة للولايات المتحدة سواء على المستوى الدولي أو الاقليمي. ولا اعتقد ان دولا اوروبية ستوافق على ذلك بل ستعارضه بشده وهناك انباء من ان دول الاتحاد الاوروبي تتفاوض مع ايران للحصول على عقود في مجال البترول. كما ان دولا اوروبية اعلنت صراحة أنها لن تنضم الى اي حملة ضد ايران ولا يوجد اجماع دولي على ان حكام ايران يشكلون اي تهديد خارج حدود ايران.

ولا أعتقد ان الولايات المتحدة يمكنها اتهام ايران بأنها دولة غير ديموقراطية فقد وصل خاتمي الى رئاسة ايران في انتخابات عامة حرة، ولا يوجد في ايران ديكتاتور كصدام حسين والشعب الايراني ينتخب رؤساءه ونوابه باسلوب ديموقراطي خاص قد لا يكون على نمط الديموقراطية الغربية ولكنه اسلوب قبله الشعب الايراني.. لذلك لن تكون الديموقراطية سببا مقبولا عالميا لشن هجوم على ايران.

سابقة خطيرة

وتتحدث مراكز الدراسات الاستراتيجية والمحللون عن ان تبني استراتيجية الحرب المسبقة يخلق سابقة سيئة وخطيرة يمكن لدول اخرى ان تتخذها ذريعة لشن حرب مسبقة بحجة مماثلة لا أساس لها من الصحة، وضربوا مثالا بأن الهند وباكستان يمكن لايهما مهاجمة الاخرى بنفس الحجة. كما انهم يؤكدون ان استراتيجية الحرب المسبقة لا يمكنها منع الدول التي اطلق عليها بوش مارقة ومحور الشر من امتلاك اسلحة تدمير شامل، فكلنا يعلم ان كوريا الشمالية نجحت وأعلنت عن امتلاكها اسلحة نووية ووسائل حمل لها وبالذات صواريخ بعيدة المدى وأصبح الهجوم عليها امرا محفوفا بالمخاطر بل ومتعذرا تماما وسبق في عام ١٩٩٤ ان هددت ادارة الرئيس الاميركي السابق كلينتون بتوجيه ضربات احباط «مسبقة» ضد كوريا الشمالية لكنها تراجعت عن ذلك لخوفها من اثار خطيرة لهذه الحرب. وفي يونيو ١٩٩٤ مرر مجلس الشيوخ الأميركي قرارا يحض الرئيس كلينتون على اتخاذ الاجراءات اللازمة لاعداد القوات لردع وصد هجوم من كوريا الشمالية وطلب وزير الدفاع الأميركي آنذاك ويليام بيري من الجنرال شاليكاشفيلي اعداد خطة لضربة مسبقة ضد المنشآت النووية لكوريا الشمالية «ضمن الخطة ٥٠٢٦ للدفاع عن كوريا الجنوبية» لكن الرسميين بالبنتاجون خشوا ان مثل هذا الهجوم قد يؤدي الى شن كوريا الشمالية هجوما عسكريا على كوريا الجنوبية «وبالطبع القاعدة الاميركية

فيها» حتى بفرض ان كوريا الشمالية ستخسر الحرب فإن النتيجة المؤكدة هو مقتل مئات الالوف وربما الملايين من الكوريين الجنوبيين قبل ان تنتهي الحرب.

وحذر وزير الدفاع الاميركي من ان الحرب قد تؤدي الى استخدام اسلحة تدمير شامل من الجانبين وما في ذلك من خطورة بالغة وآنذاك بوساطة من الرئيس الاسبق جيمي كارتر تم التوقيع على اطار اتفاق في جنيف في ٢١ اكتوبر ١٩٩٤ ادى الى استبعاد حدوث حرب في شبه الجزيرة الكورية.

ان النظرية التقليدية للحد من التسليح تهدف اساسا الى تجنب وتقليل الخطر من الهجمات والحروب المسبقة بين القوى الكبرى عن طريق التفاوض وتنظيم التسليح. كما ان هذا المبدأ يجب ان يطبق على العلاقات بين القوى الكبرى والصغرى والتركيز الجديد للرئيس بوش على الحرب المسبقة لم يستبعد الردع وانما استبدل طبيعته، واستبدلت إدارته التدمير المشترك المؤكد بالتدمير المفرد «أي للطرف الآخر فقط». واتضح ذلك في خطاب قال فيه «.. ان ردع الحرب الباردة لم يعد كافيا.. والردع لم يعد يعتمد فقط على التهديد بالرد النووي» وحولت الولايات المتحدة هدف الردع من روسيا إلى الدول المارقة. ومدت إدارة بوش في رأي المحللين تطبيق استراتيجية الردع من ردع الآخرين عن استخدام أسلحة التدمير الشامل لمهاجمة الولايات المتحدة إلى ردع الآخرين من امتلاك أسلحة تدمير شامل بل وتطبيق استراتيجية الحرب المسبقة ضدهم لمجرد الاشتباه في ان ايا منهم يسعى لذلك.

والحرب المسبقة تعكس نزعة الإدارة الأميركية في الانفراد بالعمل - دون موافقة الأمم المتحدة- وكان ذلك واضحا من كلمات بوش حين قال: ان الولايات المتحدة لن تتردد في العمل منفردة عند الضرورة في استخدام حقها في الدفاع عن النفس بالهجوم المسبق ضد أي تهديد تراه.

ويرى المحللون ان الإرهاب الدولي وانتشار أسلحة التدمير الشامل مشكلة دولية وان المجتمع الدولي ككل هو الذي يمكنه حل هذه المشكلة وليس دولة واحدة تنفرد بالحل مهما كانت قوتها وقدراتها.

والأمر يبدأ بتحليل الدوافع التي تدعو دولا لمحاولة الحصول على أسلحة دمار شامل. ومن الواضح ان الدافع الاساسي هو تعرض تلك الدول لتهديدات من دول تمتلك قوة تقليدية وقوة نووية متفوقة وتشن العدوان والتوسع على حساب جاراتها دون ان تتعرض لأي ردع من المجتمع الدولي كما ان كثيرا من الدول حصلت على قرارات من مجلس الأمن لصالحها ولكن الدولة التي صدرت ضدها هذه القرارات امتنعت عن التنفيذ، ولم يصدر مجلس الأمن أي قرار بعقوبات ضدها. هذا بالاضافة إلى امتلاك عدد محدود «خمس دول» من اعضاء مجلس الأمن حق الفيتو الذي استخدمته دول لحماية دول معتدية وابرز مثال لذلك إسرائيل التي ساعدتها الولايات المتحدة وبريطانيا ودول غربية اخرى على اغتصاب الأرض ولما صدر قرار مجلس الأمن بتقسيم للأرض بينها وبين الشعب الفلسطيني رفضت إسرائيل القرار وهبت الولايات المتحدة والغرب لحمايتها ومساعدتها وتقويتها اقتصاديا وعسكريا ليكون لها التفوق العسكري

على كل جيرانها. ولم تكتف إسرائيل بذلك بل اعتدت على جيرانها بهدف التوسع واصدر مجلس الأمن عدة قرارات ضدها واستخدمت الولايات المتحدة الفيتو لابطال هذه القرارات. واصبحت إسرائيل دولة تمتلك أسلحة نووية وأسلحة تدمير شامل كيماوية وبيولوجية ووسائل الحمل لهذه الأسلحة من طائرات وصواريخ ولم يمنعها العالم من ذلك بل لم توقع على اتفاقية حظر الانتشار.

ان نجاح كوريا الشمالية في ان تصبح نووية وصاروخية ردع العدوان عليها، وقررت الولايات المتحدة التفاوض معها لايجاد حل سلمي.. وهذا نجاح يمثل حافزا قويا لأن تسعى أي دولة معرضه للتهديد الى ان تصبح نووية أو صاروخية..!

ان الامر يحتاج الى بناء نظام دولي مستقر يمكن ان تعيش فيه كل الدول حرة من كل صور الفقر والتفاوت أو التباين والتمييز في المعاملة والاستيلاء على أراضيها كما ان ضمان أمن الشعوب.. هو السبيل الوحيد لايقاف السعي للحصول على أسلحة تدمير شامل والقضاء على الإرهاب بكل صوره. كما ان على الدول التي تمتلك ترسانات نووية وتدمير شامل ان تستمر في الاتفاق على التخلص من هذه الأسلحة المدمرة والالتزام بعدم اجراء اختبارات نووية. ولكن يبدو ان كل هذه آمال لن تتحقق. فالنمو العسكري الأميركي وبرنامج الصواريخ الوطني وعن المسرح المضاد للصواريخ البالسيتية والحرب المسبقة عناصر رئيسية للاستراتيجية الأمنية الأميركية. وكل ذلك كانت له اثار سلبية على التوازن الاستراتيجي الدولي وعلى السيطرة على الحد من التسلح لأن معظم دول العالم فقدت ثقتها بنظام عدم الانتشار الدولي بالأمم المتحدة. ولا شك ان تحول الولايات المتحدة الى استراتيجية الحرب المسبقة عامل أساسي في سعي دول للحصول على سلاح ردع مؤثر، ولن تتوقف دول كثيرة عن ذلك الا اذا احست بالامن والاستقرار والسلام.

عواقب وخيمة

إن أي هجوم اميركي على ايران سيؤكد أن الولايات المتحدة لا تحارب المارقين أو المهددين لمصالحها وانما تستهدف الاسلام والمسلمين.. وهذا سيثير زوبعة عالمية ويؤدي الى عزلة الولايات المتحدة دوليا كما قد يؤدي الى عواقب وخيمة على الاستقرار العالمي كله.

القطب الواحد

اختفاء الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بحكم العالم وتدبير شؤونه وفق ارادة الجالسين في البيت الابيض ادى الى ديكتاتورية مقيتة في العلاقات الدولية واصبح العالم يسير وفق مشيئة قوة واحدة أو يراد له أن يسير وفق هذه المشيئة.. واصبح تصنيف الدول الى مارقة وصديقة وشريرة وخيرة خاضعا لاهواء شخصية لا لمعايير وقواعد دولية متفق عليها مما يضرب نظام الامن الجماعي الدولي في مقتل.

القوة الأرملة

تلعب الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين دور الارملة «آخر قوة عظمى بكل ما

يعنيه هذا التعبير»، دولة ضــخمة لها قدرات اقتصادية وعسكرية وسياســية كبرى وامبراطورية ذات بنية متغايرة الخواص اتخذت عقيدة تغيير النظم في دول اخرى وهذا خلق نوعا من الرفض للهيمنة الاميركية من كثير من الدول ومن بينها فرنسا والمانيا وروسيا وتحاول الولايات المتحدة دعوة منافسيها الـسابقين للتعاون معها كشركاء بغض النظر عن رغـبتهم في ان يكونوا شركاء ولا أعداء. ولذلك نلاحظ ان الاتحاد الاوروبي وروســيا والصين يحاولون الوقوف ضـد ما تقوم به الولايات المتحدة.

نفق الشرق الاوسط المظلم

زوال نظام صدام ليس حلا سحريا لقضايا المنطقة

الاستقرار في العراق يبتعد والبقاء الاجنبي لا تبدو له نهاية

تركيا ضائعة بين طموحات الاكراد والرغبة في الاندماج مع الغرب

سوريا وايران طبقان ساخنان على المائدة العسكرية الاميركية

الاردن يخشى استمرار الوضع الضبابي العراقي وموجات الهجرة المتوقعة

ذراع الارهاب تمتد من الرياض الى الدار البيضاء ومناطق اخرى في الطريق

بعد الحرب على العراق وزوال نظام صدام حسين ظن البعض ان التواجد الاميركي سيكون قصير المدى.. وخبراء عسكريون أميركيون حددوه بعامين أو ثلاثة على الاكثر.. وشدد الرئيس الاميركي بوش ورئيس الوزراء البريطاني بلير على القول اكثر من مرة بأن بقاء قواتهما في العراق مرهون باستقرار الاوضاع فيه وأن هذه القوات ستبقى المدة الضرورية فقط وأن تواجدها مؤقت.

لكن الايام والاحداث على الارض تؤكد أن بقاء هذه القوات اطول مما يتصور الكثيرون وانه يبلغ حد الوجود الدائم وان اميركا اعدت بالفعل أربع أو خمس قواعد عسكرية في العراق وترسل تعزيزات اضافية لقواتها وأجرت تغييرات واسعة في الطاقم الاداري الاميركي الذي يحكم العراق الان وحل بول بريمر محل جاي جارنر في تولي المسؤولية.

والمسألة بعد زوال صدام حسين ونظامه اصبحت اوسع بالنسبة لأميركا فهناك النفط العراقي وعائداته وعزم الولايات المتحدة على السيطرة عليه الى ما لا نهاية.. وهناك ما بدأت الولايات المتحدة تردده بشأن الخطر السوري والخطر الايراني اللذين يتطلبان وجود قوات اميركية في العراق على مقربة من هذين الخطرين.. وهناك مسألة متفجرة بين تركيا واكراد الشمال العراقي لا يمكن لأميركا أن ترحل من المنطقة وتتركها.. وهناك ذراع الارهاب الطويلة التي امتدت من الرياض الى الدار البيضاء برسائل دامية ضد التواجد الاميركي البريطاني.. وهناك مناطق اخرى في محيط الشرق الاوسط مرشحة لضربات ارهابية قادمة.. وكلها مبررات قوية تسوقها اميركا أو توفرها لها الظروف والعمليات الارهابية لتواصل احكام قبضتها على المنطقة بتواجد عسكري مباشر على أراضيها.

وحين نبدأ الحديث عن تركيا الدولة العضو في حلف الناتو والتي تمثل لها المسألة الكردية

صداعا مزمنا نجد أن علاقاتها بالولايات المتحدة توترت بشدة قبيل وأثناء الحملة العسكرية على العراق.. بل ان ظلال هذا التوتر مازالت تخيم على علاقات البلدين رغم محاولات لإصلاحها.

فقد رفضت تركيا استخدام أراضيها لينطلق منها المحور الشمالي لغزو العراق لدرجة أن البعض ظن أن عدم استخدام اراضي تركيا سيكون سببا في تعثر الحملة على العراق، وهو ما لم يحدث حيث استغلت الولايات المتحدة قدرات النقل الجوي الاستراتيجي الضخمة خاصة الطائرات العملاقة «سي- ١٧» في تجميع قواتها بشمال العراق وتعاونت قوات الأكراد معها وتم تنفيذ المهمة. وحدث التوتر مع تركيا والذي سماه البعض التباعد.

كما أن محاولات وزير الخارجية التركي عبدالله جول خلق علاقات وثيقة مع ايران وسوريا أمام تساؤلات حول مستقبل السياسة الخارجية التركية تجاه الغرب خلقت توقعات متنامية بأن بيئة أمنية اقليمية جديدة تم تشكيلها بعزل صدام حسين ونظامه، وأن العلاقات بين تركيا والولايات المتحدة ستصبح متعارضة بدلا من التعاون بسبب الموقف غيرالمؤكد بالنسبة للمنطقة الشمالية العراقية التي تعيش فيها أغلبية كردية.

ومع ذلك فان التردي في العلاقات الثنائية كان نتيجة لعدد من الاحداث المعقدة للسياسات التركية والاجندات المتغايرة والاخطاء في تقديرات الحكومة والمؤسسة العسكرية التركية القوية.

فعلى الرغم من اكثر من خمسين عاما من ديمقراطية متعددة الاحزاب فان العسكرية التركية لها السيطرة القوية على السياسة الامنية.

وبحلول صيف ٢٠٠٢ أدركت هيئة الاركان التركية ان الحملة العسكرية بقيادة الولايات المتحدة ضد العراق محتمة ولا يمكن تجنبها وليس امام تركيا خيار سوى المشاركة فيها، وخططت هيئة الأركان التركية لإرسال قوات الى شمال العراق لتأمين مؤخرة القوات الاميركية اثناء تقدمها صوب بغداد. وكان الهدف ضمان أنه بعد التخلص من صدام حسين ستكون لتركيا قوات في شمال العراق على الارض لمنع الاكراد العراقيين من اقامة كيان سياسي مستقل أو دولة كردية في شمال العراق، فهذا أمر تخشاه هيئة الاركان التركية اذ سيكون دافعا لشحذ همة الانفصاليين الاكراد وقد يشمل حربا أهلية منخفضة المستوى ضد حزب العمل الكردستاني «كما حدث في الفترة ما بين ١٩٨٤ و١٩٩٩» مما أدى الى مقتل ٣٧ الف نسمة.

وأجلت هيئة الاركان التركية اعطاء التزام واضح للولايات المتحدة. وكانت تهدف للحصول على تنازلات من واشنطن تتضمن صفقة معونات والحصول على تكنولوجيا عسكرية والتزام اميركي بأن يظل العراق موحدا بعد التخلص من صدام حسين. وادى فوز حزب العدالة والتطور التركي في انتخابات نوفمبر ٢٠٠٢ الى اضافة عامل معقد جديد لحسابات هيئة الاركان التركية. وعلى الرغم من تأكيدات حزب العدالة والتطور أنه حزب محافظين فان هيئة الاركان التركية العلمانية كانت على قناعة بأن الحزب له أجندة اسلامية ورغم أن البيان الرسمي الانتخابي للحزب أكد التزام تركيا بسياسة خارجية مناصرة للغرب فانه اعلن ايضا ان الحزب سيعطي اهتماما خاصا بتطوير العلاقات مع دول اسلامية.

استنكار

وكانت الاستعدادات للحملة الاميركية ضد العراق تواجه استنكارا شديدا من الرأي العام التركي بوجه عام ومن الناخبين لحزب العدالة والتطور على وجه الخصوص. لكن هيئة الاركان التركية كانت على يقين من أن حزب العدالة والتطور يرى أن تركيا يجب أن تدعم الولايات المتحدة حتى لا تخسر نفوذ واشنطن على صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وحثهما على دعم تركيا لاخراجها من أسوأ كساد اقتصادي خلال خمسين عاما.

وبدلا من الضغط على الحكومة لتدعيم الولايات المتحدة تراجعت هيئة الاركان التركية واعلنت ان القرار النهائي سيتم اتخاذه بواسطة الحكومة المدنية. وخلال اوائل عام ٢٠٠٣ راوغ حزب العدالة والتطور بتأخير اتخاذ قرار بشأن دعم الحملة الاميركية الى أن يحصل على وعد بتقديم صفقة معونة من الولايات المتحدة تساعد على من تعديل الرأي العام. وفي السادس من فبراير ٢٠٠٣ أثناء استمرار المفاوضات مع الولايات المتحدة مرر البرلمان التركي قرارا يسمح للقوات الاميركية بتطوير منشآتها العسكرية بتركيا لتصبح جاهزة للاستخدام الى شمال العراق. وترجمت الولايات المتحدة هذا القرار بأن السماح بمرور القوات الاميركية عبر تركيا سيتحقق وبدأت تنفيذ خططها في دفع ٦٢٠٠٠ جندي الى تركيا.

وفي أول مارس ٢٠٠٣ قدم حزب العدالة والتطور مشروعا للبرلمان التركي للسماح للقوات الاميركية بالمرور عبر تركيا، ولم يتوقع المؤيدون أو المعارضون ان المشروع سيسقط لدرجة ان كثيرا من المعارضين صوتوا بالموافقة وامتنع آخرون عن التصويت. وسقط المشروع في البرلمان. وترددت الحكومة وخافت من الهزيمة في البرلمان اذا قدمت مشروعا جديدا للموافقة عليه. وبدلا من الانتظار حركت الولايات المتحدة قواتها بحرا الى منطقة الخليج. وحاولت الحكومة التركية الحصول على معونة اميركية في مقابل السماح بمرور الطائرات الاميركية عبر الاجواء التركية.

والموقف الان بعد الحرب بالنسبة لتركيا كيف تقوم بضبط الوضع الاستراتيجي ففي ربيع ٢٠٠٢ اصدرت هيئة الاركان التركية سلسلة من التقارير السرية عن السياسة التركية تجاه العراق، وافترضت التقارير ان تركيا قد تشترك مع الولايات المتحدة في حملتها العسكرية، ثم تشارك في المباحثات الخاصة بإعادة اعمار العراق بعد التخلص من صدام حسين. وذكرت التقارير أنه من الافضل أن تحكم العراق سلطة مركزية واحدة. واذا كانت هناك اي شراكة في السلطة فان تركيا ستستخدم الاقلية التركمانية في العراق لمنع الأكراد من خلق دولة لهم وستركز تركيا على ان يمنح التركمان حقوقا مماثلة لحقوق الاكراد فإذا تم منح الاكراد حكما ذاتيا يجب ان يمنح التركمان نفس الوضع وهذا يعني ان تركيا تدق اسفيننا بين الحزب الديموقراطي الكردستاني في الغرب والاتحاد الوطني الكردستاني في الشرق. كما ان ميليشيا تركمانية مدربة في تركيا ستكون مسؤولة عن الأمن في منطقة التركمان. كما تفيد التقارير أيضا أن تركيا لن تسمح بسيطرة الاكراد على حقول البترول في الموصل وكركوك.

وفي السنوات الأخيرة قامت الاحزاب التركمانية العديدة بتشكيل تنظيمين كمظلة تجمعها هما

الاتحاد الـوطني التركـماني الذي يتـمركـز في شمـال العراق ويعـمل مع الحزب الديموقـراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، والجبهة العراقيـة التركمانية التي تدعمها تركيا ولها مكتب يمثلها في أنقـرة. ومن المعروف ان عدد التركمان في الـعراق محل جدل وخلاف، فتـركيا والجبهة العراقية التركمانية تزعـمان ان عدد التركمان ١٢ في المئة من اجمالي سكان العراق أي حوالي ٢,٨ مليـون نسمة مـعظمهم في بغـداد. ومع ذلك فان معظـم المصادر الغربيـة تقول ان اجمالي عدد التركمان في العراق حوالي ستمئة الف نسمة. وتزعم الجبهة العراقية التركمانية ان عدد التركمان في شمال العراق ٣٠٠ ألف نسمة مقابل ٤ ملايين كردي.

تواجد تركي

ويرى المراقـبون والمحللون ان فـشل الحكومـة في اقناع البرلمان الـتركي بالسـماح للقـوات الأميركية بالمرور عبر تركيا خلق صعوبة أمـام هيئة الأركان التركية لخلق شرعية لارسال قوات تركية عبر الحدود داخل العراق في الوقت الذي يعتبر عدد التركمان قليل جدا وضعيف التسليح في مواجهة اكراد العراق.

ويوجد لتـركيا لواء من ٥٠٠٠ جندي فـي شمال العراق مـنذ التسعـينات لمراقبة مـعسكرات حزب العمـال الكردستاني في الجبال على طـول الحدود مع تركيا، وجمع مـعلومات عن الاكراد العراقيين والعمل كردع لأي اتجاه لاقامة كيان كردستاني في شمال العراق.

وفي أوائل ٢٠٠٣ تم دعم هذا اللواء بحـوالي ٤٠٠٠٠ جندي معـهم مـدرعات ومـدفعـية تم فتحهم داخل الحدود التركية استعدادا للتحرك داخل العراق. وادى هذا الحشد العسكري التركي إلى قلق الولايات المتـحدة التي حـذرت تركـيا من أي دخـول لقواتهـا في شمـال العراق وانهـا ستضطر للتعامل معها إذا حدث ذلك. ومع ذلك فان هيـئة الاركان التركية تصر على انها ستفتح قواتها في شمال العراق إذا تطلب الأمر ذلك.

وبانتهاء الـقتال في العراق وإعلان الولايات المـتحدة تأكيد وحـدة العراق بعد اختـفاء صدام ونظامه بدأت هيئة الاركـان التركية خفض حجم قواتها المفتـوحة على طول الحدود لكن مازالت هناك اشارات لتغير في نوايا تركيا تجاه شمال العراق.

لقد زاد التوتر بين الولايات المتحدة وتركيا بسبب محاولة وزير الخارجية التركي فتح قنوات مع كل من إيران وسوريا وكلاهما متهمتان من الولايات المتحدة بتدعيم الإرهاب الدولي دون أي دليل على ذلك.

وبالرغم من ان هيـئة الأركـان التركـية تتـهم طهران بعـدائهـا للعلمانيـة، وتدريب وتمويل المجمـوعات الإسلامـية داخل تركيـا. الا انها ترى ان لها مـع سوريا وإيران مصلحـة مشتـركة بالنسبة لمسألة الأكراد في شمال العراق لأن الدول الثـلاث بها اقليات كردية وتخشى قيام كيان كردي في شمال العراق وتعتبره تهديدا مباشرا.

ان هذا الوضع يتطلب قيـام الدول العربية بدراسة الموقف في المنطقـة وعلي المستوى الدولي بعـد ان نجحت الولايات المـتحـدة في خلق أوضـاع جديدة أهمـهـا: تغيـيـر التوازن العـسكري

والاستراتيجي فقد اختفى العراق كقوة عربية وهناك سعي لاحتواء كل من سوريا وايران بصورة أو بأخرى حتى ان احد المحللين الاستراتيجيين الاسرائيليين قال انه لم يعد هناك أي تهديد ضد اسرائيل بالمنطقة لكن التهديد الاسرائيلي لكل الامة العربية مازال قائما وخطيرا.

رسالة تحذير

وأكد محللون عسكريون ان الحملة على العراق دعمت قدرة الولايات المتحدة على إعادة تشكيل البنية الامنية والتأثير على الحكومات في كل انحاء الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من ان الرئيس الأميركي حاول -دون نجاح- ان يبرر الغزو الأميركي للعراق على اساس التخلص من أسلحة تدمير شامل فان عددا من الرسميين الأميركيين يرون ان تغيير النظام في العراق أمر حيوي ومهم لأهداف استراتيجية أخرى أهمها عزل سوريا وإيران وتأمين إسرائيل التي اختفى -كما يرون- أي تهديد لها من الجبهة الشرقية.

ويرى كثير من المحللين أن كلمات واعمال الولايات المتحدة التي اشتملت على تغيير النظام ارسلت اشارة إلى كل حاكم بالمنطقة بأن هناك حدودا لما يمكن ان تتحمله الولايات المتحدة في مجال التطرف وتدعيم الإرهاب «وهذه أقوال المعلقين الإسرائيليين الذين يحاولون بها خلق توترات بين دول عربية والولايات المتحدة ويستغلون كل حادث مهما كان في هذا المجال».

ويرى الخبراء والمحللون ان توازن القوى بالمنطقة والاستقرار بها يتوقف الى حد كبير على كيف تعالج الولايات المتحدة الموقف بعد صدام حسين.

ويقولون ان أكبر تحد تواجهه الولايات المتحدة هو خلق نظام علماني في العراق خاصة وانه يوجد بين شيعة العراق من يطالبون باقامة دولة إسلامية تضم كل الفئات في العراق وهو ما ترفضه الولايات المتحدة.

كما ان هناك تحديا رئيسيا آخر أمام الولايات المتحدة وهو الحفاظ على وحدة العراق، ومن المعروف ان تركيا قلقة بالنسبة لموقف اكراد العراق، كما ان إيران اظهرت اهتماما باستقلال الاغلبية الشيعية العراقية لأهداف خاصة بها.

ويرى بعض المحللين ان موقف السعودية في تغيير توازن القوى تعرض للتعقيد نتيجة قرار الولايات المتحدة انهاء تواجدها العسكري بالمملكة ونقل قواتها إلى دول خليجية اخرى، وان كنت اعتقد ان هذا الاستنتاج خاطيء لأن خروج القوات الأميركية لن يؤثر على مكانة السعودية نتيجة التغيير في ميزان القوى بل سيؤدي إلى ايجاد استقرار داخل المملكة.

ويرى بعض المحللين ان الاردن في انتظار نوع الحكم الجديد في العراق بعد اختفاء صدام حسين ونظامه. والأمر الذي لا شك فيه ان استقرار الموقف داخل العراق وقيام نظام مستقر يقبله الشعب العراقي مهم بالنسبة لأمن الاردن، كما ان الأردن قلق من احتمالات هجرة كثير من العراقيين اليه إذا لم يستقر الموقف في بغداد فتيار الهجرة يمثل خطورة على الأمن القومي الأردني.

والأمر الذي لم يتحدث عنه المحللون ان ما قامت به الولايات المتحدة ضد العراق سيزيد احتمالات استغلال المجموعات الإرهابية للموقف وشن هجمات إرهابية في كثير، من الدول. ولعل ما حدث في الرياض وفي الدار البيضاء من انفجارات راح ضحيتها عدد كبير من القتلى والجرحي يؤكد ذلك. واتمنى ألا تتخذ الولايات المتحدة من الحادثين ذريعة جديدة لشن ضربات احباط أو «حرب مسبقة» ضد دول عربية هي ضحية هذه الاعمال الإرهابية التي كان سببها الرئيسي الاستراتيجية الأميركية الجديدة.

وتحدثت بعض مراكز الدراسات الاستراتيجية الأميركية عن «تغييرات في الاساسيات بعد حرب العراق» مؤكدة نفي الولايات المتحدة ان الحرب على الارهاب بعد ١١ سبتمبر ضد الإسلام والعالم الإسلامي.

وتساءلت: هل الشقاق بين الغرب والعالم الإسلامي سيزداد عمقا؟ وكيف سيكون رد فعل الغرب تجاه هذه التوترات؟.

وهذه التساؤلات توحي بان هذه المراكز تعتبر ما تقوم به الولايات المتحدة موجه ضد الإسلام والعالم الإسلامي، وهذا أمر بالغ الخطورة لأن الإسلام ضد كل أنواع الإرهاب.

وتتحدث مراكز دراسات استراتيجية عن القلق من احتمالات حملة عسكرية أميركية جديدة خلال العامين القادمين وتقول انه أمر غير محتمل لأن الاعباء العسكرية لحرب العراق كلفت الولايات المتحدة الكثير ورغم انها اظهرت مدى تأثير قوتها فان اقدامها على جولة جديدة في المدى القصير أمر بعيد الاحتمال. فالحرب تطلبت التزاما كبيرا من القوات الأميركية كما ان احتلال العراق سيتطلب أيضا التزاما ملموسا من هذه القوات، وهناك ثماني فرق من بين عشر فرق بالجيش الاميركي اما ساهمت في الحرب أو كانت مستعدة للاشتباك خلال فترة انذار قصيرة. وسيتطلب استمرار احتلال العراق حوالي ثلاث فرق للبقاء فيه. ولو تم شن حملة جديدة لا يمكن سحب هذه الفرق من العراق، بالاضافة إلى ضرورة بقاء قوة في أفغانستان وفي مناطق اخرى. ومع ذلك فان البنتاجون لديه موارد لدعم أي طوارىء غير متوقعة مثل تصاعد التوتر في شبه الجزيرة الكورية. لكنه لا يمتلك قوات كافية لشن حملة غزو جديدة في المستقبل القريب.

ان البيئة المحيطة بأي حملة جديدة في الشرق الأوسط ستتطلب عددا أكبر من القوات من الحجم الذي تم حشده للحملة على العراق. كما ان دعم التحالف سيكون أقل مما كان عليه في الحملة على العراق. ويرى المحللون انه حتى توني بلير لن يشترك في مثل هذه الحملة.

ان تكاليف أي حملة جديدة ستكون مرتفعة الى حد كبير. فبالنسبة للحملة على العراق وصلت التكاليف المالية حتى الآن إلى أكثر من ٢٠ مليار دولار ويقدر البنتاجون تكاليف احتلال العراق بأكثر من ٣ مليارات دولار ومن الواضح ان هذه الأرقام لا تشمل أي تكاليف لاعمار العراق.

ونظرا لان عام ٢٠٠٤ هو عام انتخابات الرئاسة الأميركية فمن المتوقع ان يركز الرئيس

بوش عليها وليس على شن حملة جديدة.

ذرائع

هناك ذرائع وتلميحات وتصريحات اميركيـة بأن السعودية وكثير من الدول العربية الاخرى غـير جـادة في محـاربة الارهاب.. على الرغم من أن الولايات المتـحـدة بكل ما أوتيت من قـوة وأجهزة أمنية فشلت في اتقـاء هجمات ارهابية هزتها بعنف واخطرها أحداث ١١ سبتـمبر.. كما أن اميركا لم تكشف حتى الان كل أسرار وخفايا هجمات ١١ سبتمبر.

هروب من الحقيقة

يبدو أن التبريرات والحجج الاميركية مجرد محاولة فاشلة للهروب من الحقيقة الدامغة وهي أن الدول العربيـة التي تكتوي بنار الارهـاب انما تدفع ثمن سياسـة اميـركية خـاطئة مـزدوجة المعايير وتكيل بمكيالين.. وكان ينبغي على واشنطن ان تكون اكـثر صراحة وتسعى الى مراجعة سيـاستها المنحـازة الى اسرائيل كعـلاج جذري لأهم اسباب العـنف والارهاب في المنطقة.. لكن اميركا على ما يبدو لا تعترف بأخطائها القاتلة.

مارس شهر الحرب

أميركا انهزمت دبلوماسيا لكنها لن تتراجع عسكريا

أفلام ومسرحيات واشنطن لصناعة الأدلة فشلت رسميا وجماهيريا

الحلف الفرنسي الألماني الروسي الصيني نجح في احباط محاولات بوش

واشنطن تسعى إلى قرار دولي جديد بنزع أسلحة العراق التقليدية

الحشود الأمنية حول المطارات والمنشآت في واشنطن ولندن مسرحية مكشوفة

السيناريو قد يتضمن تفجيرات مخابراتية في الشوارع لتبرير ضرب العراق

رسالة أسامة بن لادن مزيفة لاقناع الجميع بعلاقة صدام مع القاعدة

بدأت الصحافة الاميركية تتحدث عن العد التنازلي للحرب الامر الذي يؤكد ان الحرب قادمة لا ريب فيها. وذكرت ان العسكريين الاميركيين يقولون ان ٢٥٠ الف جندي موجودون على «باب» العراق وهذه القوات اكثر من الحاجة الى قتال حرب يفكر البنتاجون في شنها بمعنى ان حجم هذه القوات اكبر من الحجم اللازم لهزيمة العراق واحتلاله وان العسكريين الاميركيين قالوا انهم قادرون على القتال في الصيف وان كانوا يفضلون ان تكون الحرب في مارس وليس في ابريل لان درجة الحرارة في ابريل نهارا تصل الى ٣٨ درجة مئوية والجنود سيعانون صعوبات في مثل هذه الظروف بسبب ارتدائهم ملابس الوقاية ضد الاسلحة الكيماوية والبيولوجية بفرض امتلاك العراق لها ولوسائل حملها واطلاقها وهو امر مشكوك فيه.

ويقول الخبراء ان طائرات الهليكوبتر لن تحلق بكفاءة في الجو الحار. وسيتطلب الامر امدادات مياه اكبر الى الجبهة وكل ذلك يؤكد ان الحرب ستكون في مارس.

ويؤكدون أن هذا يتفق والجدول الزمني للدبلوماسية، وهذا يعني نجاح الولايات المتحدة في كسب تأييد شعبي داخليا وفي الغرب لشن الحرب ضد العراق.

وتقول وسائل الاعلام ان صدام حسين سيحاول القيام ببعض المناورات السياسية لتفادي الغزو كما فعل عام ١٩٩١ ولكن الرئيس بوش قال ان الولايات المتحدة لن تنطلي عليها هذه المناورات وان لعبة آخر لحظة لن تنجح. ويؤكد الخبراء ان المرحلة الدبلوماسية ستنتهي في الاسبوع الاخير من فبراير الحالي وان هذا التوقيت قد تم توصيله الى الرأي العام.

أدلة واهية

ولاقناع العالم ان القوة هي الخيار الوحيد حاول وزير الخارجية الاميركي كولن باول في

بيانه امام مجلس الامن تقديم ما قال انه ادلة استخباراتية تثبت ان العراق خالف قرار مجلس الامن ١٤٤١ وذكر ان العراق حرك اسلحة بيولوجية وكيماوية قبل التفتيش وان لديه عدد من معامل الاسلحة البيولوجية المتحركة مخبأة في مقطورات وعربات سكك حديد. وان صدام حسين اصدر اوامر بارسال صواريخ كانت مخبأة في بغداد الى الصحراء بعضها معبأ بسموم بيولوجية كما تمكن من بناء منصة اختبار جديدة لمحركات الصواريخ واستورد ٣٥٠ محركا لصواريخ بعيدة المدى، كما ان العراق يطور طائرة موجهة بدون طيار ذات مدى ٥٠٠كم.

لكن كثيرا من دول العالم ومن المراقبين والمحللين لم يقتنعوا بهذه الاتهامات وما قيل عن انها مدعمة بأدلة. حيث اعتمدت على صور يمكن اخراجها على نمط الاخراج السينمائي الاميركي ولا يمكن الاعتماد عليها كأدلة حقيقية.

ولم تقتصر المحاولة الاميركية لاقناع الدول والرأي العام بالحل العسكري على مسرحية كولن باول امام مجلس الأمن وإنما بدأت مسرحية جديدة ابطالها الاعلام الاميركي واسامة بن لادن. فقد اعلن المسؤولون عن الامن في الولايات المتحدة وفي بريطانيا عن وجود معلومات مؤكدة عن توقع قيام عناصر من تنظيم القاعدة في كل الولايات المتحدة وبريطانيا باعمال ارهابية في الدولتين، وتم بناء على ذلك تشديد إجراءات المخابرات والامن ونشر عناصر من قوات الامن والقوات المسلحة في لندن ومدن بريطانية واصبح المواطن الاميركي أو البريطاني يشاهد دوريات عسكرية مسلحة تجوب الشوارع ويتابع ذلك على شاشات التليفزيون وفي شبكات دولية تليفزيونية كلها تهدف الى اقناع المشاهد بان هناك خطرا داهما على حياة المواطن ومصالحه من اسامة بن لادن.

ولاستكمال المسرحية بثت محطة «الجزيرة» القطرية رسالة من إبن لادن يقول فيها انه متحالف مع العراق في صراعه ضد الولايات المتحدة وخرج بوش باتهام جديد للعراق بانه على علاقة وثيقة مع تنظيم القاعدة وانه يأوي عناصر منها قتلت احد الدبلوماسيين الاميركيين وان العراق دولة ارهابية يجب محاربتها.

ويجمع عدد من المراقبين على ان الرسالة المزعومة لأسامة بن لادن مفبركة وغير حقيقية وانها من صناعة واخراج اجهزة الولايات المتحدة لاقناع الشعب الاميركي اساسا وشعوب اوروبا الغربية بان العراق يمثل تهديدا للعالم الغربي وحلفائه واصدقائه وانه قادر على تدبير وتخطيط وادارة اعمال ارهابية وان الحملة ضد العراق وتغيير نظامه والسيطرة عليه تدخل ضمن الحرب ضد الارهاب.

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن: هل إبن لادن بهذه الخطورة وتمكن من انشاء قواعد له داخل الولايات المتحدة وبريطانيا وفي دول كثيرة من العالم؟ وهل معنى ذلك ان الحملة الاميركية ضد طالبان والقاعدة في افغانستان فشلت في القضاء على القاعدة؟ ام ان الولايات المتحدة تريد الابقاء على صورة إبن لادن والقاعدة لتستخدمها كلما ارادت لتبرير عمل عسكري ما ضد دولة ما وهذا في رأي المحللين والمراقبين هو الاكثر احتمالا والاقرب الى الواقع خاصة وان الولايات المتحدة بدأت تسيطر على كل التحويلات المالية الى كل مكان في العالم ولا يمكن

لاي تنظيم ارهابي ان يستمر دون تمويل.

ومن حلقات هذا المخطط الاعلامي ما اعلنته بريطانيا اخيرا عن ضبطها مواطنا من فنزويلا قرب مطار هيثرو ومعه قنبلة يدوية واتهم بالارهاب والغريب في ذلك ان تكون القنبلة اليدوية في حقيبته التي يحملها وهذا امر لا يصدق بالنسبة لاي فرد ينوي القيام بعمل ارهابي او ينتمي لجماعة ارهابية لان احتفاظه بهذه القنبلة وبتلك الصورة سذاجة شديدة.. الا اذا كانت قد دست عليه بواسطة سكوتلاندرياد لاثارة مسألة الارهاب واقناع الشعب البريطاني بمدى خطورة ذلك.

محاولات الاقناع

واستكمالا لهذه الخطة بدأت تظهر على محطات التليفزيون الاميركية التي تصل الى كل انحاء العالم برامج وندوات بعناوين مثيرة مثل اسئلة واجوبة او رؤية داخلية يتحدث فيها المشتركون عن اسباب الحرب وهل السبب الرئيسي لها هو السيطرة على بترول العراق ام هناك اسباب اخرى وتنتهي الندوات واللقاءات بان البترول هو احد الاسباب ولكنه ليس السبب الوحيد وهذا اسلوب يهدف لاقناع الشعب الاميركي بان اسباب الحرب اهمها محاربة الارهاب الذي يمثله على حد زعمهم العراق والتهديد العراقي للشعب الاميركي الذي يبعد عن بغداد عشرات الألوف من الكيلو مترات رغم عدم امتلاكه لوسائل الردع التي يمكنها ان تصل الى مثل هذا المدى.

ومما يؤكد ان الحرب قادمة الاجتماعات التي تمت في الامم المتحدة لهيئات دولية لدراسة ما يمكن عمله وتقديمه لشعب العراق الذي سيتعرض لاثار مدمرة نتيجة الحرب وقرروا ان عدد المهاجرين او الفارين العراقيين من الحرب سيصل من ٢-٤ ملايين نسمة بل قرروا رصد ٣٧ مليون دولار للاغاثة وهو مبلغ ضئيل وهذا يذكرنا بما حدث في افغانستان عندما قامت الطائرات الاميركية بالقاء اكياس بها مأكولات على المدنيين الافغان.

وطالبت الولايات المتحدة حلف الناتو بفتح بطاريات باتريوت «باك-٣» وطائرات انذار مبكر «اواكس» في تركيا لمساعدتها في الدفاع عن نفسها ضد التهديد العراقي المزعوم، لكن فرنسا استخدمت حق الفيتو ضد اي قرار يصدر من الحلف في هذا الشأن. الامر الذي اغضب الولايات المتحدة وهاجم الرئيس بوش فرنسا بعنف واتهم شيراك بقصر النظر وحاول الحلف في اجتماع جديد حل هذه الازمة لكن فرنسا أصرت على عدم شن اي عمل عسكري ضد العراق واعطاء لجان التفتيش فرصة اطول لاستكمال مهامها بل تقدمت بمقترحات تضمنت زيادة فاعلية جهاز التفتيش الذي يجب ان يكون اكثر كثافة واكثر توجها ونفاذا وترى انه اذا كان عدد المفتشين الحالي وهو ١١٩ وهم موزعون على ١٠ فرق تفتيش يوميا فانه يجب مضاعفة هذا العدد الى الضعف او ثلاثة اضعاف لمضاعفة عدد المواقع التي يمكن التفتيش عليها يوميا وزيادة عدد الحراس الذين يتولون حماية المفتشين الامر الذي يمكن معه استخدامهم في رقابة بعض المواقع المشتبه فيها او التي تم تفتيشها ومنع الدخول والخروج لغير اعضاء هيئة التفتيش. وبذلك يمكن اكتشاف اي محاولات عراقية لتجديد النشاط باي صورة من الصور ومنعه وايقافه.

ورغم معارضة المانيا للحرب ضد العراق فقد اعلنت السماح للولايات المتحدة باستخدام كل القواعد الجوية فهل يعني ذلك ان الضغط الاميركي على المانيا قد يجبرها في النهاية على الموافقة على ماتريده واشنطن؟

وفي جلسة عاصفة لمجلس الامن لبحث خيارات الحرب والسلام اكد بليكس في تقريره عدم وجود اسلحة دمار شامل لدى العراق وانه لا دليل على انشطة نووية ولكنه قال ان العراق لديه صواريخ يفوق مداها المسافة التي تسمح بها قرارات الامم المتحدة وهي ١٥٠ كم وواقعيا هذا المدى حددته الدول الثماني الصناعية ليطبق على دول دون اخرى.

وقال ان العراق لم يحدد مصير الف طن من المواد الكيماوية وان التزام العراق بالقرار ١٤٤١ يعني ما هو اكثر من مجرد فتح الابواب امام المفتشين. كما شكك في مغزى بعض معلومات الاستخبارات التي عرضها وزير الخارجية الأميركي كولن باول بشأن برامج اسلحة التدمير الشامل العراقية.

اما وزير الخارجية البريطاني فكان بيانه كما توقعه الجميع مهاجمة العراق واتهامه بخرق مادي واضح للقرارات الدولية وبالكذب بشأن حيازته لاسلحة تدمير شامل ومع ذلك قال انه لايزال يعتقد ان الحرب ليست امرا حتميا ولكن على العراق ان يثبت تعاونه مع مطالب الامم المتحدة.

اما وزير الخارجية الروسي فقد قال ان تقرير بليكس والبرادعي يوضح احراز تقدم في عمليات التفتيش وان المفتشين وصلوا الى جميع المواقع دون عائق بما في ذلك اكثرها حساسية وان روسيا ترى مواصلة المفتشين الدوليين عملهم في العراق ودعمهم بما يخدم مصلحة التسوية السياسية والوفاء بجميع الشروط التي تكفل ذلك.

وحذر وزير الخارجية الفرنسي من عواقب استخدام القوة لنزع اسلحة العراق واقترح عقد اجتماع جديد في ١٤ مارس لبحث عمليات التفتيش بمعنى استمرار اللجان في عملها وعرض النتائج بعد شهر.

اما وزير الخارجية الاميركي كولن باول فقد اتهم العراق بخداع الامم المتحدة وانه لا يمكن استمرار اعمال التفتيش الى ما لا نهاية وان المجتمع الدولي لم يحصل على مستوى التعاون الذي توقعه. ورفض مطالب فرنسا مضاعفة عدد المفتشين او زيادتهم الى ثلاثة امثال العدد الموجود. وقال ان القرار ١٤٤١ يختص بنزع سلاح العراق وليس التفتيش على العراق وطالب بالابقاء على التهديد باستخدام القوة ضد العراق. وكل ذلك يعني وجود انقسام شديد داخل مجلس الامن بالنسبة لمسألة الحرب ضد العراق فهناك فريق يتكون من ثلاث دول هي الولايات المتحدة وبريطانيا واسبانيا تصر على ان نزع سلاح العراق يجب ان يتم بالقوة والفريق الاكبر واهم عناصره فرنسا والمانيا وروسيا والصين يصر على استمرار التفتيش الى ١٤ مارس ثم يقدم تقرير آخر الى مجلس الامن لاتخاذ قرار نهائي.. ومع كل ذلك فان استمرار حشد القوات الاميركية يسير على قدم وساق فقد تم حتى الان حشد اكثر من ١٦٠ الف جندي حول العراق

وهناك قوات في الطريق منها الفرقة ١٠١ ابرار جوي وقوامها ١٥٠٠٠ جندي و٢٧٠ هليكوبتر قتالية من وحدة الاقتحام الجوي ومن المخطط ان تتحرك في غضون اسبوع الى منطقة الخليج وكذلك الفرقة ٨٢ ابرار جوي. وتوجد بمنطقة الخليج حاملتا طائرات وتتحرك حاملتان اخريان الى الخليج تحمل كل منهما ٧٥ طائرة قتال وتم فتح ١٢ طائرة شبح في المنطقة منذ اسبوع ويعتقد انها ذهبت الى الكويت.. ومن المخطط ان يصل الى تركيا ٣٨٠٠٠ جندي اميركي للحشد على حدود العراق الشمالية ومن المحتمل ان تركيا ستشترك باربع فرق في المحور الذي سيهاجم العراق من الشمال.

قرار جديد

ويرى المحللون والمراقبون ان الولايات المتحدة ستتقدم بمشروع قرار جديد لمجلس الأمن تحاول فيه الحصول على تصريح بشن الهجوم على العراق لنزع سلاحه وتغيير نظامه والسيطرة عليه وعلى بترول العراق. وتعبير «نزع السلاح» دون النص على سلاح التدمير الشامل له معنى أوسع وهو وضع حدود معينة لحجم القوات المسلحة وتسليحها وهو بكل المقاييس تغيير جذري في قرار الأمم المتحدة الذي يركز على أسلحة التدمير الشامل. والكل يجمع على ان لأميركا هدفا سياسيا لسيطرتها على العراق وفي مقدمة ذلك بترول العراق والهيمنة على أوروآسيا.

واعتقد انه حتى لو لم تنجح الولايات المتحدة في استصدار قرار من مجلس الأمن على هواها فانها كما قال احد المحللين حصلت على موافقة عشر دول أوروبية وفي رأيه ان هذا كاف لخلق تحالف لشن الحرب ويرى ان هذا العدد يعطي شرعية لما ستقوم به الولايات المتحدة.

أما بالنسبة لطلب عدد من الدول العربية امتداد فترة التفتيش وعرض تقرير جديد في ١٤ مارس فالبعض يرى ان الهدف منه تأجيل العمل العسكري فحتى بفرض حدوث ذلك فانه لن يلغي قرار الغزو وان كنت اعتقد ان الموعد الأقرب للمنطق ولمجريات الأحداث هو أول مارس خاصة ان الجو في مارس مناسب تماما لكل أنواع العمليات. كما اعتقد ان ما بقي من فبراير كاف لاستكمال الحشد وزيادة الضغط على الدول المهمة المعارضة للحرب وهي فرنسا وألمانيا وروسيا لتغيير موقفها.

ويجب على العالم العربي ان يفكر جيدا فيما بعد نظام صدام حسين وسيطرة الولايات المتحدة على العراق، وماذا يجب ان تفعله الدول العربية لتحافظ على امنها القومي وتمنع حدوث ما حدث للعراق بالنسبة لدول عربية اخرى.والتفكير في كيفية استخدم ما لدينا من أوراق لتدعيم قوتنا وردع أي تهديد لنا.

ولا أعتقد ان المظاهرات التي تخرج في بلداننا احتجاجا على ما قد يحدث للعراق هو الحل للموقف، كما أرى انه لو خرجت مظاهرات فلابد ان تكون بصورة حضارية وليست بالصورة الفوغائية أو التخريبية.

وقد آن الأوان لأن يكون لدينا مركز عربي لإدارة الازمات مجهز بكل الوسائل الحديثة وبه

علماء سياسيون واستراتيجيون على مستوى رفيع ويقدم للدول العربية دراسات واعية وتوصيات هادفة لكل سيناريو محتمل.

ويجب ان ندرس بعناية وبعقلانية ووطنية حاجتنا إلى صناعة عسكرية عربية مشتركة بصورة أو باخرى لننتج ما نحتاج إليه من أسلحة للدفاع عن أوطاننا.

فيلم فاشل

جاء بيان باول أمام مجلس الأمن هزيلا وغير مقنع رغم ان الصحافة الأميركية قالت انه كان عرضا رائعا وان باول اتبع الأسلوب السينمائي حين اجرى عدة بروفات على بيانه في جو مماثل لجو مجلس الأمن.. لكن الفيلم الأميركي رغم ذلك الاعداد لم يلق أي جماهيرية عند عرضه في قاعة مجلس الأمن.

تفجيرات مدبرة

ليس من المستبعد وقوع انفجارات في الولايات المتحدة وبريطانيا تخطط لها وتنفذها استخبارات الدولتين بمهارة ويتم افتعال حوادث وضحايا لاحكام السيناريو لاقناع الجميع بان الحل الوحيد لانهاء هذه العمليات الإرهابية هو غزو العراق وتدمير كل ما يمتلكه من أسلحة تقليدية وغير تقليدية.

عقلانية

علينا ان نستعد لما بعد الحرب وان نتخلى عن الشعارات الجوفاء وندرس الأساليب العقلانية للمواجهة.. ولابد ان يبتعد الأعلام العربي عن الإثارة وان يعتمد على مفكرين في تحليل الموقف بمنطق وعلم.

فاتورة المغامرات الأميركية

أميركا تريد السيطرة على العالم وتطالب الاخرين بتحمل التكاليف

خطة طويلة الاجل للبقاء في العراق وعودة نظام الانتداب

واشنطون تدعو لاعادة النظر في الديون والتعويضات لتنفرد بالكعكة

الجيش العراقي القادم مجرد قوة شرطة لحماية مخطط الهيمنة الاميركي

الوضع في العراق معقد لدرجة كبيرة، ويبدو ان الاميركيين يجدون صعوبات بالغة في تنفيذ خطتهم بخلق عراق جديد طبقا لمواصفات وضعتها الولايات المتحدة. وفي خطاب اذاعي للرئيس بوش طلب من الكونجرس ٨٧ مليار دولار لتمويل عمليات ما بعد الحرب في العراق وافغانستان. وقال ان العراق اصبحت الجبهة المحورية في الحرب العالمية ضد الارهاب. واكد انه مصمم على الوفاء بكلمته لخمسين مليون نسمة هم مجموع سكان العراق وافغانستان.

وطلب من اوروبا واليابان ودول شرق أوسطية المساعدة في الجهود لاعمار افغانستان والعراق. وهذا يعني ان الولايات المتحدة تقوم بمغامراتها بتطبيق استراتيجية الحرب المسبقة التي تهدف الى الهيمنة على كل بترول منطقة الشرق الأوسط الأكبر ووسط أسيا وبحر قزوين والسيطرة على اوراسيا وان تتحمل دول اوربية واليابان ودول شرق اوسطية – دول الخليج البترولية– تكاليف هذه المغامرات.

ومن المعروف ان المراقبين يجمعون على ان تمويل حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١ والتي تكلفت على حد تقديرهم ستين مليار دولار تم توفيرها من موارد غير اميركية.

وقال بوش انه على الرغم من انه ليس كل اصدقاء الولايات المتحدة وافقوا على قرار الحرب على العراق فإن عليهم ترك خلافات الماضي وتناسيها حتى لا تؤثر على الواجبات الحالية.

ومن المعروف ان نقدا شديدا تعرضت له الولايات المتحدة بشأن ما يدور في العراق، ويتركز هذا النقد في أن التخطيط العسكري للعمليات لم يتضمن اي شيء عن المعونات الانسانية والاعمار بعد الاستيلاء على العراق.

وفي محاولة لتحديد مستقبل العراق اجرى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن دراسة قدمها للادارة الاميركية يبدو انه على اساسها تم تقدير مبلغ ٨٧ مليار دولار ستتحمله دول اخرى كما حدث بالنسبة لتكاليف حرب الخليج. وتقول الدراسة ان الامر يحتاج الى تحديد خطوط عمل محددة وهي: توفير بيئة آمنة للشعب العراقي وحماية حدود العراق وتأمين المنشآت

الانتاجية وإزالة كل اسلحة التدمير الشامل في العراق "ولم يثبت وجود مثل هذه الاسلحة حتى الآن". والبدء في تطوير ثقافة سيادة القانون والنظام في العراق. وتخليص العراق من التزاماته المالية "أي الديون" حتى يمكن لأقتصاده ان يستقر وينمو.

مجتمع مستقر

وتقول الدراسة ان الشعب العراقي يريد العودة الى حياته الطبيعية بعد ربع قرن من الحروب والمعاناة الاقتصادية. والعراق على النقيض من افغانستان بعيدا الى حد كبير عن ان يكون دولة فاشلة "التعبير الذي ذكرته الدراسة" ففيه حكومة مركزية وبيروقراطية راسخة، كما أن العراق ليس ملاذا للمتطرفين، وحكومته علمانية رغم ان الحكم لم يراع حقوق الانسان والأمر يحتاج الى اعادة بناء هذا الحكم. والعراق به مؤسسات عاملة ونظام قانوني. وينقسم المجتمع العراقي بين شيعة وسنة عرب وأكراد ومجموعات صغيرة اخرى وكانت المجموعة السنية وهي ثاني اكبر مجموعة هي التي تحكم العراق رغم ان الشيعة يمثلون حوالي ٥٥ في المئة من شعب العراق ومع ذلك لا يوجد تاريخ عراقي حدث فيه صدام اثني أو قبلي. وهناك خوف من ان الشيعة يعتبرون حلفاء، لايران ولكن هذا ايضا يبدو غير صحيح لأنهم حاربوا كجنود ضد ايران خلال الحرب العراقية الايرانية، وهذا يشير الى ان الدراسة ترى ان الشيعة العراقيين وطنيون ولا يفكرون في التواطؤ مع ايران ضد العراق.

وترى الدراسة ان جيش العراق والشرطة السرية واجهزة المخابرات يجب ان تحل وان يعاد تنظيمها ودمجها في المجتمع ولكنها لم تذكر اي تفاصيل عن كيفية اعادة تنظيمها وتشكيلها ودمجها في المجتمع.

وتقول الدراسة انه على الرغم من ان العراق يملك ثروة بترولية ضخمة فانه لن يكون قادرا على تغطية كل احتياجاته بعد الحرب، فالبنية الاساسية للبترول تحتاج الى اعادة بناء مكلفة ويحتاج الأمر الى عدة سنوات يمكن لدخل البترول بعدها ان يتحمل تكاليف الاعمار. وحتى آنذاك فان نجاح العراق في الخروج من هذا المأزق ستحدده قدرة المجتمع الدولي واستعداده لالغاء الديون العراقية الضخمة أو على الأقل اعطاء فترة سماح طويلة لسداد هذه اديون.

ويجب على المجتمع الدولي ان يقدم تمويلا وموارد اخرى لمواجهة الاحتياجات الانسانية وبذل الجهود لدعم اقتصاد العراق.

وتقول الدراسة ان الامم المتحدة تضع خطة لمواجهة الاحتياجات الاساسية للشعب العراقي لمدة سنة، ولكن الجزء الرئيسي من العراقيين قد يحتاج لمساعدات لفترة أطول. لان حوالي ٦٠ في المئة من الشعب العراقي كانوا يعتمدون على الحكومة في توفير احتياجاتهم الضرورية، كما ان قطاع الزراعة في العراق تدنى بصورة واضحة خلال العقد المنصرم، مع غياب الاغاثة والمنح وعلى اي حكومة جديدة توفير الاحتياجات من المواد الغذائية والمياه النقية للشرب والطاقة والعناية الصحية.

وتقترح الدراسة خلق قوة أمن انتقالية جيدة التجهيز والاعداد ولها سلطات وصلاحيات

"وهذا يعني وضع العراق تحت الانتداب" وان تشمل قوة شرطة عسكرية. وتبرر ذلك بتجنب فراغ آمني خطير وهذا يتطلب تدريب وتسليح هذه القوة لمهام امنية مدنية بالاضافة الى قدرتها على القتال..وتطالب الدراسة بأن يتم تدريب قوة اميركية لفرض الانتداب. ويذكرنا ذلك بالانتداب البريطاني على فلسطين وما انتهى اليه الامر من زرع جسد غريب في المنطقة يفصل المشرق العربي عن المغرب العربي –مقولة تشرشل الشهيرة– وتم فعلا انشاء دولة يهودية، وتم اختيار اليهود حتى لا يذوبوا في المنطقة كما حدث لغزاة قبلهم.

ولتقليل أي ثغرات في عناصر فرض القانون ترى الدراسة ضرورة التفكير في استخدام افراد الشرطة العراقيين الذين يمكن لقوات الانتداب استخدامهم للمساعدة في الحفاظ على القانون والاستقرار.

ويجب على قوات التحالف ان تبدأ التحضيرات المكثفة اللازمة لعودة الحياة لطبيعتها باعلان العفو واعادة تدريب ودمج القوات المسلحة العراقية فيعود الجنود الى ثكناتهم مع اطعامهم وكسوتهم ونقلهم الى منازلهم. وان يتم جمع كل الاسلحة والمعدات. واعادة تنظيم جيش صغير عراقي ليكون منظمة أمنية. ولقد قرانا ان الولايات المتحدة تنوي اعادة انشاء جيش عراقي من ٤٠ الف رجل وان يكون تسليحه محدودا للقيام بمهام امنية.

وتوصي الدراسة بحماية البنية الاساسية البترولية للعراق واصلاحها ليمكن وصولها الى مستوى الانتاج المطلوب.. ويجب على قوات التحالف الحصول على تعهدات مقبولة وموثوق فيها من جيران العراق خاصة تركيا وايران بعدم التدخل.

كما يجب اخذ تعهدات مماثلة من الاحزاب المعارضة الكردية بعدم اعلان قيام دولة كردية مستقلة. وهذه التعهدات ستضمن عدم تدخل تركيا عسكريا اذا اعلن اكراد العراق الاستقلال، وكذا لمنع ايران من اقامة كيان شيعي مستقل في الجنوب. فهل تعني هذه التوصية المحافظة على وحدة وسلامة الاراضي العراقية؟

وترى الدراسة حل قوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص. وواقعيا اختفت هذه القوات بعد توقف الاعمال القتالية ومازالت القوات الاميركية تطارد عناصرها وقادتها. وتقترح الدراسة محاسبة قادة هذه العناصر لارتكابهم جرائم ضد حقوق الانسان.

ويجب على اعضاء مجلس الامن ان يبدأوا مناقشة سلطات الادارة الانتقالية التي يجب ان تكون قوية ومرنة وغير غامضة وان تعطى كل السلطات التنفيذية والقضائية والمالية. والاسراع في تشكيل فريق عدالة من خبراء قانونيين دوليين وقضاه ورجال نيابة ومحامين... وهنا تساؤل مهم وهو ما مصير رجال القضاء والنيابة والمحامين الموجودين بالعراق والذين كانوا يقومون بهذه المهام؟.

وتطالب الدراسة بأن تبدأ الولايات المتحدة والامم المتحدة العمل معا لتنفيذ هذه التوصيات اذا كانتا تريدان النجاح في عملية اعمار طويلة للعراق، كما ان اشتراك دول اخرى في هذا الامر مفيد الى حد كبير. واذا كانت اعتبارات سياسية ستمنع الامم المتحدة أو الدول الاعضاء فيها من

اخذ دور مبكر في هذا الامر فعلى الولايات المتحدة ان تتحرك بسرعة في مجال الاعمار.

نوايا أميركا

واحب ان اوضح عدة امور اعتقد انه يجب نلتفت اليها اذا كانت النوايا صادقة وهي انه لا يجب ان تنفرد الولايات المتحدة بهذا الموضوع والامم المتحدة هي الجهة التي يجب ان تكون لها القيادة في المسألة العراقية سواء في خلق نظام ديمقراطي جديد أو في الاعمار.

واشك في ان الولايات المتحدة ستتنازل عن الدور القيادي لان لها اهدافها التي تتعدى اقامة نظام ديمقراطي في العراق واعماره.

ومن الواضح ان الدول العربية سوف لا يكون لها دور في هذا الشأن بأي صورة من الصور لا لأنها لا ترغب في مساعدة العراق ولكن لان الولايات المتحدة لا تريد لها أي دور لاسباب لا تخفي على أحد. وان كنت اعتقد ان الولايات المتحدة ستضغط على دول بعينها لتقديم دعم مالي لمشاريع الإعمار المزعومة، وستفوز شركات اميركية بنصيب الأسد في هذا المجال.

إن أهم ما يقلقني هو الحفاظ على وحدة العراق وعدم دخوله في دوامة صراع اثني ومذهبي، واتمنى ان يتفهم زعماء الطوائف العراقية ان وحدة العراق هي لصالح كل شعب العراق الشيعة والسنة والأكراد.

واعترف وزير الدفاع الأميركي دونالد راسفيلد بان الادارة الاميركية اساءت تقدير تدهور البنية الاساسية العراقية وارجع ذلك الى عهد الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين وتناسى دور الولايات المتحدة في هذا الشأن سواء في حرب الخليج عام ١٩٩١ بضرباتها الجوية والصاروخية المتكررة وفرض عقوبات على العراق أو في الحملة العسكرية الأخيرة التي انتهت باحتلال العراق. وقال ان هذا الأمر خلق تعقيدات كبيرة بالنسبة لخطط اعادة اعمار العراق بعد الحرب. وفي الوقت ذاته اعلن بوش ان طلبه بتخصيص ٨٧ مليار دولار خلال العام المالي القادم لتمويل عمليات العراق وافغانستان امر ضروري للأمن القومي الاميركي، لكنه لم يفسر ما هي هذه الضرورة ولماذا؟ الا اذا كانت هي السيطرة على العراق وبتروله لتكمل الولايات المتحدة السيطرة على كل بترول الشرق الاوسط والسيطرة على آوراسيا وضرب حلقة احتواء حول الصين وهو التفسير المنطقي لما قاله.

وأشار الى ان الادارة الاميركية تبحث عن حل للمخاوف الفرنسية من مشروع القرار الاميركي المطروح على مجلس الأمن باعتبار انه لا يلبي مطالب استعادة العراق لسيادته بدرجة كافية وابدى استعداد الولايات المتحدة لبحث أي مقترحات في هذا الشأن.

ووسط كل ذلك يحذر مكتب التحقيقات الفيدرالي الاميركي من احتمالات تهديدات ارهابية داخل الولايات المتحدة خلال اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة بمدينة نيويورك وان هذا الاجتماع قد يكون هدفا لانشطة ارهابية أو مظاهرات عارمة مدمرة بسبب العنف الدائر في العراق.

وأشار مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي الى الهجوم الذي ضرب مقر الأمم المتحدة

في العراق في اغسطس الماضي وانه قد يتكرر في نيويورك. وتزامن ذلك مع تحذير تم بثه على شريط صوتي على قناة "الجزيرة" لابن لادن دعا فيه المسلمين والمتخاذلين عن الجهاد للتعلم والاقتداء بمغزى هجمات ١١ سبتمبر ,٢٠٠١.

وعلى ما يبدو فان الادارة الاميركية لا تسعى جادة لقتل اسامة بن لادن حتى تستخدمه في مناسبات مختلفة للم شمل المجتمع الدولي لتأييد كل ما تقوم به الولايات المتحدة في الحرب ضد الارهاب الذي يمثله ابن لادن. وقد اعلن بوش عشية ذكري حادث ١١ سبتمبر انه لا يعلم متى ستنتهي الحرب ضد الارهاب.

تكرار المأساة

مقولة الرئيس بوش بأن الولايات المتحدة ستبقى عشر سنوات على الاقل في العراق.. مع تكرار الحديث عن خطة لفرض الانتداب على العراق تثير الشكوك حول تكرار مأساة فلسطين عندما زرعت بريطانيا اسرائيل في المنطقة بهدف الفصل بين المشرق والمغرب العربي فهل تتكرر الحالة في العراق بزرع جسم غريب هناك يفصل المسلمين في اسيا عن المسلمين في العالم العربي؟

أعباء مالية

خرج العراق من حرب الخليج الثانية بديون قدرها ١٣٠ مليار دولار وبلغ اجمالي الاعباء المالية عليه باضافة التعويضات وغيرها ١٧٢ مليار دولار.. وهناك اتجاه اميركي لمطالبة الأمم المتحدة بمراجعة هذه الاعباء للتأكد من دقتها وصحتها.. وعقد مؤتمر دولي لتقديم مساعدات للعراق لمواجهة الاحتياجات الانسانية العاجلة وبدء مشروعات اعادة الاعمار.

غزو العراق ليس نزهة

الحرب تستمر ستة اسابيع خلافا لتقديرات الاميركيين

اميركا وبريطانيا افرطتا في الثقة والمقاومة العراقية مفاجأة

خسائر الحليفتين ليست كبيرة وتضخيمها مجرد دعاية عراقية

محاولة التهويل في الخسائر الاميركية ستؤدي الى كارثة في العراق

الاميركيون سيستخدمون اسلحة فتاكة كما فعلوا في الحرب العالمية

استدراج القوات الغازية الى حرب مدن سلاح ذو حدين

لا اظن ان احدا يراهن على انتصار عراقي في الحرب الحالية يؤدي الى دحر القوات الاميركية والبريطانية الغازية وردها على اعقابها، فهذا بالتأكيد رهان خاسر ولا محل له من الاعراب السياسي او العسكري، لكن الرهان الان بين العامة والمتخصصين في الشؤون العسكرية على السواء هو المدى الذي ستتمكن فيه القوات العراقية والشعب العراقي من الصمود في وجه هذا الغزو.. فالكل يعد الايام منذ بدأت الحملة العسكرية الرئيسية في الواحد والعشرين من مارس.. وهناك ما يشبه الارتياح في الشارع العربي لان موعد الاثنين الماضي لدخول القوات الغازية بغداد مضى دون ان تسقط العاصمة العراقية.. كما ان هناك تراجعا في اللهجة الواثقة لدى قادة التحالف عن ان الحرب ستكون نزهة او لمدة قصيرة جدا وبدأ هؤلاء القادة يتحدثون تلميحا وتصريحا عن حرب طويلة نسبيا وآخرهم نائب وزير الدفاع البريطاني الذي قال: نتمنى ان تستمر الحرب عدة اسابيع ولا تمتد الى شهور طويلة.

ولا شك ان الصمود الطويل للعراقيين سيزيد الرأي العام العالمي وخاصة في الغرب اشتعالا ضد هذه الحرب كما انه قد يؤدي الى انفلات اعصاب قادة اميركا وبريطانيا واقدامهم على اخطاء جسيمة لحسم الحرب مثل تدمير المرافق المدنية وتزايد عدد القتلى بين المدنيين وهو امر يؤدي الى حساسية بالغة لدى الرأي العام العالمي خاصة وان الثورة الاعلامية الهائلة تحول تماما دون اي تعتيم على تلك الخسائر وكل ذلك سيعيد الى اذهان الاميركيين خصوصا مآسيهم السابقة في فيتنام وكوريا والصومال ولبنان وسيؤدي الى ضغط متزايد على ادارة بوش للخروج من المستنقع العراقي لتكتمل الهزيمة السياسية الساحقة لهذه الادارة التي دخلت حربا ضد العراق خارج الشرعية الدولية.. كل هذه المعطيات ستحددها الايام القادمة والمدة التي سيصمدها العراقيون قبل ان يحسم الاميركيون والبريطانيون المعركة النهائية في بغداد.

وقد بدأت الحملة العسكرية الرئيسية على العراق مساء ٢١ مارس مسبوقة بقصف جوي

وصاروخي لأهداف محددة سبق الحديث عنها. ومن الواضح ان الحملة الجوية الرئيسية بدأت بقصف مئات الأهداف في كل انحاء العراق مع التركيز على بغداد والموصل وكركوك وشاهد العالم انفجارات ضخمة في بغداد وغيرها من المدن ولم يصدر بيان واحد عن تدخل أي طائرات عراقية ضد هذه الحملة مما يؤكد ان القوات الجوية الأميركية حققت سيادة جوية في سماء العراق، كما ان وسائل الدفاع الجوي العراقية لم تتمكن من التأثير على هذه الحملة وكل ما نشاهده هو اطلاق مدافع مضادة للطائرات وطلقاتها تنفجر في سماء بغداد على ارتفاعات محدودة ولا اعتقد انها مؤثرة على طائرات القصف الجوي الأميركية. وكما كان متوقعا أيضا انطلقت القوات البرية الأميركية والبريطانية في التقدم نحو بغداد في ثلاثة محاور: من الجنوب في اتجاه الناصرية ومن الغرب ومحور آخر كان هدفه أم قصر وصفوان ثم البصرة مع القيام بابرار بحري في الفاو وكما توقع كل المراقبين والخبراء لم تحدث مقاومة ضد هذه القوات الا عندما تورطت في قتال داخل المدن. فعلى الرغم من السيطرة على أم قصر اتضح وجود جيب قوي في المدينة بدأ يبدي مقاومة قوية وبدأت القوات البريطانية التعامل مع هذا الجيب وتعرضت لخسائر غير كبيرة. وكُلفت القوة البريطانية بعزل البصرة والاستيلاء عليها ان أمكن وتمكنت من السيطرة على مطار البصرة لكنها تواجه مقاومة عنيفة وتدور بالبصرة معركة مع حامية تدافع عنها يقال انهم في زي مدني وما يمكن الخروج به ان قتالا يدور هناك ومن المتوقع ان ينتهي لصالح القوة البريطانية فيما تقدمت فرق مشاة اسطول أميركية في اتجاه الناصرية وقيل انها احتلتها -وهي مدينة لها أهمية استراتيجية- ولكن بدأت فيها معركة قوية أيضا وتركت قوات مشاة الاسطول عناصر منها للتعامل مع الجيوب الموجودة بها وتابعت تقدمها في اتجاه بغداد ووصلت مقدمة الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية الاميركية الى النجف وأصبحت على مسافة ١٢٠كم من بغداد. كما استولت القوات البريطانية على رأس جسر في الفاو وايضا تدور هناك اشتباكات مع جيوب مقاومة. كما ان المحور الشمالي لم يكتمل بسبب رفض تركيا عبور القوات الاميركية من أراضيها الى شمال العراق. ثم عادت تركيا ووافقت على السماح باستخدام اجوائها للعبور. وبعد ان اعتقد المراقبون ان واشنطن صرفت النظر نهائيا عن الجبهة الشمالية قامت بابرار قوات خاصة في مطارين شمالي العراقي في المنطقة التي يسيطر عليها الاكراد وقامت بتكوين قوة لفتح الجبهة الشمالية ينتظر ان تبدأ نشاطها خلال يومين وركزت ضربات جوية على القوات العراقية هناك وعلى كركوك والموصل، ومن المحتمل ان يشترك الاكراد في هذا المجهود.

وكثر الحديث في وسائل الاعلام عن الخسائر في القوات الأميركية والبريطانية وقيل انها بلغت ٤٠ قتيلا أو أكثر كما وقع عدد من القوات الاميركية بينهم طيارون في الاسر. وفي رأيي ان هذه اعداد قليلة بالمقارنة بحجم القوات المهاجمة الذي يصل إلى ما يقرب من ٣٠٠ ألف جندي. ومن المعروف انه حتى في المشروعات التدريبية بالذخيرة الحية تقبل بعض الجيوش نسبة خسائر تصل إلى نصف في المئة. ولذلك فان التضخيم في تأثير هذه الخسائر على العمليات يؤدي الى استنتاج غير صحيح وان استخدامه هو لهدف اعلامي وليس لأي هدف آخر. وفي رأيي ان الخطأ الذي ارتكبه المخططون الأميركيون هو فرط الثقة ودفع قواتهم للتقدم

بسرعة كبيرة تجعل التأمين المادي أمرا صعبا إلى حد كبير وتؤدي إلى اثار ضارة على القوات تطول خطوط الامداد وتجعلها معرضة لأعمال الخصم وان كنت لا أرى ان العراق يستغل ذلك وانما تقبع عناصره داخل المدن اعتمادا على ان القتال بها قد يعطيهم ميزة امام التفوق في التكنولوجيا والتسليح الأميركي، وهذا صحيح إلى حد ما، ولكن تفادي هذه المناطق الحضرية وعزلها والتقدم صوب بغداد لكن التعامل مع تلك المناطق بواسطة القوات الجوية والمدفعية ووسائل انتاج النيران سيؤدي في النهاية إلى استسلام تلك العناصر خاصة وانها ستنقطع نهائيا عن قيادتها ولن تصل اليها اي امدادات وستظل دائما تحت ضغط نيراني مؤثر وقوي.

اسابيع

ان الغزو سيستغرق بضعة اسابيع وليس كما كان متوقعا اسبوعا أو اثنين فلقد مر اسبوع واعتقد انه سيستغرق من ٤ إلى ٦ اسابيع اخرى وربما اكثر من ذلك قليلا واعترف الرئيس الاميركي بذلك.

وستواجه القوات الاميركية الى ان تبدأ محاصرة بغداد كمرحلة نهائية للحملة مقاومة متناثرة بعضها قد يكون قويا والبعض الاخر متقطعا، وستتعرض لبعض الخسائر لكنها لن تكون خسائر مؤثرة.

واعتقد ان الرهان العراقي هو جذب القوات الاميركية والبريطانية في قتال داخل المدن مكلف وقاس، لكني اعتقد ان الولايات المتحدة ستلجأ الى حصار بغداد من عدة جهات خارج مدى اسلحة القوات العراقية الموجودة بها. وتحدد عن طريق وسائل استطلاعها الكثيرة المتطورة أهدافا محددة داخل بغداد لقصفها جوا وبالصواريخ بعنف شديد مع قطع المياه والكهرباء والاتصالات وكل ما يمكن ان تكون له صلة بالقيادة والسيطرة لعزل القيادة العراقية عن قواتها. وستشن حربا نفسية ضد القوات المدافعة لبث اليأس في قلوبها ودعوتها للاستسلام خاصة اذا نجحت في احداث خسائر جسيمة فيها، وستدعو السكان المدنيين لترك المدينة وانها ستستقبلهم في معسكرات لاجئين مجهزة بكل وسائل الحياة.. فلماذا لا يخرجون من هذا الجحيم الى هذه المعسكرات؟ واعتقد ان هذه الحملة ستنجح وسينطلق سكان العراق لمغادرة المدينة واذا حاولت قوات صدام منعهم فستكون لذلك اثار سيئة على ادارة القوات العراقية لمعركتها الدفاعية.

ان الامر الذي اصبح واضحا ان الحملة الاميركية لن تكون نزهة كما اراد الرئيس بوش واوردات حربه وان القوات الاميركية ستتعرض لخسائر رضوا ام ابوا.. وهذا ما ستثبته احداث الحرب في الاسابيع القليلة القادمة.

ورغم كل الاحداث والتطورات فإن سير العمليات يوحي بأن الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا ستحققان الهدف في نهاية المطاف نتيجة التفوق الكبير في القوة الجوية والاسلحة الذكية ولكن سيكون ثمن ذلك غاليا نسبيا.

واعتقد ان المبالغة في حجم الخسائر في القوات الاميركية تضر اكثر مما تفيد لان ذلك قد يؤدي الى تغاضي الولايات المتحدة عن التدمير المصاحب خاصة ان خطة صدام حسين تعتمد

على اختفاء المقاتلين بين المدنيين ومنع وصول الاخبار الحقيقية عن القتال الى الشعب العراقي والتضخيم في اداء الدفاعات العراقية الامر الذي قد يؤدي في نهاية المطاف الى خسائر كبيرة بين افراد الشعب العراقي. ومن المعروف من خبرة تاريخ الحروب التي دخلتها الولايات المتحدة انها اذا زادت خسائرها تلجأ الى ضرب المدن بعنف شديد للتأثير على قيادة الخصم واجباره على الاستسلام كما حدث في الحرب العالمية الثانية عندما ضربت هيروشيما وناجازاكي بالقنابل النووية وادعى الرئيس الاميركي آنذاك ان هذه الضربة لانقاذ ارواح الجنود الاميركيين من الخسائر التي قد تنتج عن غزو اليابان والتي قدرها آنذاك بحوالي ٣٠٠ ألف جندي اميركي. وفي حرب فيتنام لا يمكن ان ينسى احد القصف الجوي ضد هانوي.. والامثلة كثيرة. والرئيس بوش سيكون اعنف من اسلافه في هذا المجال ولا استبعد ان يصدر اوامره بقصف بغداد بكل ما لديه من اسلحة مدمرة تقليدية قد تؤدي الى كارثة انسانية. وفي اعتقادي ان وزير دفاعه رامسفيلد لن يتورع عن تحفيز الرئيس بوش ليفعل ذلك.

ويتحدث رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عن اعمار العراق وانه من الافضل ان تحصل الولايات المتحدة وبريطانيا على تصريح من الأمم المتحدة بذلك وهو في هذا يبحث عن غطاء شرعي لما قامت به الولايات المتحدة وعدد قليل من حلفائها ضد العراق. لكن المؤكد ان فرنسا وروسيا والمانيا لن تقبل ذلك وستمنع صدور مثل هذا التصريح من الأمم المتحدة لانها جميعا ومعها عدد آخر من الدول تريد ان يكون لها نصيب في هذا الاعمار وفي بترول العراق. ولذلك فان المسعى سيكون هو ان تشرف الأمم المتحدة على كل ما يحدث في العراق بعد صدام.

ومن الغريب حقا ان يطلق بلير على هذه الحرب «حرب تحرير» لا «حرب غزو» وكأن الولايات المتحدة وبريطانيا حصلتا على تفويض عالمي بتحرير الشعوب التي تريان انها ليست حرة من وجهة نظرهما أو ان نظمها ليست ديموقراطية وبدون أي قرار من الأمم المتحدة فان الامر كله يتوقف على ارادة ورغبة الإدارة الأميركية. ومع ذلك فان الحرب لن تكون نزهة كما توقع الرئيس بوش ومن المنتظر ان تتكبد القوات الأميركية والبريطانية خسائر مؤثرة، وهذه الخسائر ستكون رسالة واضحة للرئيس بوش ان العدوان على أي دولة بزعم انها بعد ١٥ عاما ستمتلك صواريخ وأسلحة نووية تهدد بها الولايات المتحدة ومصالحها، أمر غير مقبول والاقدام عليه فيه مخاطر بالغة لأن مثل هذه الدولة لن تكون ندا للولايات المتحدة في القوة التقليدية والنووية. وهذا وحده ردع كاف لتلك الدولة الا تهدد الولايات المتحدة أو مصالحها أو اصدقاءها. فالصين الشعبية رغم انها قوة نووية واعدة ولها اهداف في منطقة الشرق الاقصى «توسعية وبسط نفوذ» ارتدعت لان الولايات المتحدة خلقت مظلة نووية لحماية دول المنطقة وردع الصين ونجحت في ذلك حتى الآن.

كساد

وطبقا لرأي خبراء الاقتصاد الدوليين سيؤدي طول أمد هذه الحرب –وهو امر اصبح شبه مؤكد – الى اثار مدمرة على الاقتصاد العالمي الذي سينزلق الى بئر عميق من الكساد خاصة اذا ما ارتفعت اسعار البترول بصورة حادة لتوقف تصدير البترول العراقي وربما ايضا من دول

اخرى في المنطقة رغم ان منظمة «أوبك» اعلنت انها ستحافظ على مستوى انتاج البترول الحالي. واكثر المناطق تأثرا ستكون اوروبا.

إن الرئيس بوش كان يؤمن بان الحرب ستكون نزهة وانه سيشاهد انهيارا كاملا في الجيش العراقي واستسلام عشرات الالوف من جنوده بمجرد بدء الحملة الجوية وقد تحقق تماما ما قيل قبل بداية الحرب بأن الحملة الجوية ستكون ساحقة ومدمرة بفضل التطور الكبير في الذخائر الذكية وحرب المعلومات. ويبدو ان حدوث مقاومة ملموسة من القوات العراقية كان بالنسبة للرئيس الاميركي امر غير عادي ولا يمكن تصديقه.

ان القيادة العسكرية الاميركية متأثرة بما حدث في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ والتى انتهت في مئة ساعة وكذلك بالحملة الاميركية فـي افغانستان التي انهارت فيها طالبان والقاعدة بسرعة واعتقدت ان الامر سيتكرر في العراق بصورة اكبر لانها تمتلك تفوقا تكنولوجيا ضخما وتسليحا متفوقا.. ولذلك وضعت خطتها على الاختراق السريع للوصول الى بغداد وحصارها لانهاء الحرب بسرعة تلبية لرغبة بوش.

ومع كل هذا التطور في الذخائر والتسليح والصواريخ فلقد ثبت ان لهذا التطور حدودا فمن المعروف ان اشعة الليزر تتأثر بالاحوال الجوية ويبدو ان الدخان يؤثر على درجة دقتها. كما بدأت الولايات المتحدة تتهم روسيا بانها اعطت العراق وسائل اعاقة لهذه الاسلحة الامر الذي يوحي بأن تأثير هذه الذخائر والاسلحة لم يكن بالدرجة التي قيل انها ستحققها.

إن الخطة الاميركية وضعت في اعتبارها ان الهدف الاساسي من الحملة هو بغداد ولذلك صرفت النظر عن احتلال البصرة واكتفت بعزلها واعلن قائد القوات البريطانية ان البصرة اصبحت هدفا عسكريا بمعنى انها ستتعرض لقصف جوي ومدفعي وصاروخي بعد ان فشلت القوات في اقتحامها. ونفس الامر بالنسبة للناصرية حيث تحاصر وتدور فيها بعض الاعمال القتالية وتمكنت مقدمة قوات مشاة الاسطول من عبور الجسر الامر الذي يدل على تأمينه وتقدمت في اتجاه بغداد وإن كانت العاصفة الرملية قد اجبرتها على الابطاء في تقدمها الى جانب ان ذلك سيعرضها لكمائن قد تنجح القوات العراقية في استغلال العاصفة وتشن هجمات متفرقة على هذه العناصر. والعاصفة الرملية ستعوق الى حد كبير قيام الهيكوبتر «الاباتشي» بمهامها في حماية القوات المتقدمة وتطهير المنطقة من عناصر المقاومة العراقية.

وطبقا لأحدث معلومات الاستطلاع والاستخبارات الاميركية فإنه يدافع عن المحيط الخارجي لبغداد ثلاث فرق من الحرس الجمهوري. ومن المؤكد أن هذه الفرق ستقاتل بضراوة لأنها ستدافع عن بقائها لانه في حالة انتهاء الحرب فانها ستكون اول من يحاسب على ما ارتكبته ضد الشعب العراقي -كمال يقال- ولذلك أتوقع أن تركز القوات الجوية الاميركية خلال الأيام القادمة حملتها الجوية على هذه القوات، وأتوقع ايضا انها ستحدث خسائر ملموسة في القوات الاميركية البريطانية.

وإذا ثبت ان روسيا امدت العراق بأجهزة متطورة للرؤية الليلية وفي الاحوال الجوية السيئة

واجهزة اعاقة وتشويش ضد الصواريخ والاسلحة الذكية فإن هذا تطور مهم يجب ان يؤخذ في الاعتبار ويعني ان روسيا قررت القيام بدور اكثر فاعلية على الساحة الدولية. وهذا ايضا يدل على ان لهذه الحرب اثارا بالغة على الموقف الدولي بعد انتهائها ويجب ان يحظى ذلك بدراسة وعناية من العسكريين والقادة العرب.

غزالحرب دائما معقدة وتقع فيها مفاجآت كثيرة ولا ينبغي الحكم على ما يدور فيها بناء على معلومات تنشرها وسائل الإعلام لان الحكم الصحيح يحتاج إلى الالمام بالخطط والقوات والقدرات بتفصيل كاف.. ولا يمكن التكهن بالنتائج من خلال حجم محدود من الخسائر في الأفراد أو بعض الحوادث.

مبالغة

بالغت القيادة العسكرية الأميركية في حساباتها وتصورت ان الانهيار العراقي سيكون سريعا.. لكني اعتقد ان المقاومة العراقية الحالية ستوقف تقدم القوات الأميركية والبريطانية في اتجاه بغداد لكن الأمر سيتطلب وقتا اطول مما كانت ترجوه واشنطون.. كما ان القوات الغازية ستتعرض لخسائر أكبر من المتوقع.

رسالة إلى العرب من الفضاء

الأرض ضاقت بالدول الكبرى فراحت تناطح النجوم

سباق محموم على احتلال الفضاء بين اميركا والصين

اقمار الاتصال والاسلحة الذكية نجحت في البلقان والعراق والانظار تتجه الى الصين

بكين استوعبت فحوى الرسالة وتواصل الليل بالنهار لتطوير ترسانتها

ويبقى السؤال الكبير بلا اجابة.. أين العرب من السباق الرهيب؟

عندما يأخذنا الحديث شرقا وغربا وشمالا وجنوبا الى كل نقطة على خريطة العالم فإن الهم هو الامة العربية. والمقصود من اي حديث مهما ابتعد هو شأن هذه الأمة والاسقاط على حالها ومقارنتها بالاخرين.. وامتنا هي ميدان السباق وساحة المعركة وملتقى المتصارعين من انحاء العالم ومع ذلك فانها تعيش في غيبوبة طويلة كأن الامر لا يعنيها.

والصراع الحقيقي في هذه الامة الان.. صراع بيني.. وتنافس بين دولها على الدور والريادة والقيادة دون فعل.. فهي مجرد جعجعة بلا طحن.. وادخنة بلا نيران.. فالامن القومي العربي تحيط به المخاطر وتتداعى عليه الأمم من كل حدب وصوب لكن الاهتمام العربي لم يعد قوميا وأصبح قطريا ضيقا.. فلا تعاون ولا تكامل ولا تنسيق ولا حتى ارادة سياسية نحو تحقيق الحد الادنى من حماية الامن القومي العربي.. وكل ذلك في مقابل برنامج نووي اسرائيل رهيب وانحياز اميركي سافر وهيمنة واضحة على ثروات ومصير الأمة وحزام نووي من الاتجاهات الاصلية الاربعة يهدد الأمة من شرقها وغربها وشمالها وجنوبها وفي قلبها ايضا.. وخير يتدفق من سطح ومن باطن الارض يذهب الى الاخرين.. بينما تتضاعف اعداد العاطلين والفقراء وتتعطل التنمية في ربوع الأمة.. فالى متى تظل الغيبوبة.. ومتى يتعلم الغافلون الدرس الذي نتلقاه كل لحظة ولا نلقي له بالا.. وقد اصبح الخطر اقرب الينا من حبل الوريد.. بعد ان بلغ السباق العالمي مداه في ثورة الاتصالات.. وتحت وفوق الارض وفي الفضاء.

لقد اصبح واضحا – طبقا لقول كل المحللين والمراقبين– ان السياسة والاستراتيجية الاميركية تسعى للهيمنة على أهم مناطق العالم وأن حربها ضد العراق ليست الا خطوة في سبيل تحقيق ذلك، فقد سيطرت على كل بترول الشرق الاوسط وهي على وشك السيطرة على بترول وغاز آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين وفي طريقها للسيطرة على أوراسيا. والاستراتيجية الاميركية ترى ان الفضاء مجال حيوي بالنسبة للأمن القومي الاميركي ورفاهية واشنطون اقتصاديا وستفعل كل ما تستطيع لحماية تفوقها في الفضاء وسيطرتها عليه.

واتضح ذلك في يناير ٢٠٠١ فيما اطلق عليه "لجنة الجائزة الأولى على الفضاء" التي رأسها دونالد رامسفيلد قبل أن يصبح وزيرا للدفاع والتي رأت ان امن واقتصاد الولايات المتحدة وحلفائها واصدقائها يعتمد على قدرة الولايات المتحدة على العمل بنجاح في الفضاء تكنولوجيا وعملياتيا كما هي في الجو والبر والبحر وان الاعتماد المتزايد للولايات المتحدة على الفضاء والذي يتزايد بخطى سريعة يتطلب ان نعتبر الامن الفضائي الاميركي له الاسبقة الاولى في الامن القومي الاميركي. ولكي تسهم في السلام والاستقرار في بيئة دولية مختلفة وخطيرة فان الولايات المتحدة في حاجة الى أن تكون في الصدارة في الفضاء.

وبدأت مراكز الدراسات الاستراتيجية بحث هذا الموضوع باستفاضة وترى أن الولايات المتحدة تعتمد اقتصاديا على تكنولوجيات الفضاء وعلى قدراتها في دعم مدى واسع من الانشطة التجارية / الاقتصادية.. وضربوا مثالا بالاقمار الصناعية لنظام الملاحة وتعيين المحل الكوني الذي يسمح للسيارات والطائرات والسفن بتحديد محلها وما لذلك من تأثير على التجارة والعمل.

ومن الطبيعي ان شبكة النظام المالي يمكن ان تنهار بدون هذا النظام. وبنفس درجة الأهمية تحمل الاقمار الصناعية التجارية معظم وسائل الاتصال العالمية. وعلى الرغم من معدل النمو غير الطبيعي لشبكات الألياف الصناعية ستظل للاقمار الصناعية التجارية السيادة على الاتصالات الكونية البعيدة المدى.

وتقول الدراسات ان الولايات المتحدة تعتمد بصوة غير عادية على الفضاء في مجال أمنها القومي. فلقد قامت القوات المسلحة الاميركية بدمج تكنولوجيات الفضاء في كل مجالاتها وعملياتها العسكرية الامر الذي طور القوة المسلحة الاميركية بصورة كبيرة. فمنذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ والتي تعتبر أول حرب فضائية اعتمد البنتاجون على رادارات اقمار صناعية عسكرية الكتروبصرية طيفية واشعة دون الحمراء، ورادارات اقمار صناعية لرؤية ما يحدث في ارض المعركة.

وسمحت اقمار الاتصالات للقادة العسكريين بأن يكونوا على صلة دائمة مع قواتهم وكانت اشارات تعيين المحل من اقمار نظام الملاحة وتعيين المحل الكوني مهمة وحيوية للهجمات الدقيقة. واثبتت الحملات الجوية فوق كوسوفو وافغانستان والعراق قيمة الوسائل الفضائية في الحرب الحديثة.

ويعتمد القادة العسكريون الاميركيون بصورة متزايدة على الصور التي يتم الحصول عليها من الاقمار الصناعية التجارية لدرجة أن ٨٠ في المئة من الاتصالات العسكرية خلال عملية كوسوفو عام ١٩٩٩ كانت من اقمار تجارية.

فضاء الصين

ومن المؤكد -كما يعتقد المحللون ومراكز الدراسات الاستراتيجية- أن اهداف الصين في الفضاء تعكس مصالح عسكرية واقتصادية كثيرة. فمن وجهة النظر الاقتصادية ترى الصين في

استكشاف الفضاء جزء حيويا لتطورها الاقتصادي فالنمو السريع لاقتصاد الصين في العقدين المنصرمين أدى بها الى الاستثمار في مجال الفضاء حيث أدركت مدى تاثير الوسائل الفضائية على التجارة والاقتصاد. وتابعت كيف أن وسائل الاستطلاع الفضائية ساعدت القوات الاميركية على تحقيق نجاحات سريعة وبخسائر طفيفة في عملياتها العسكرية في البلقان وافغانستان والعراق، وكيف زادت هذه الوسائل درجة دقة الضربات الذكية وتأثيرها، ولما كان ذلك يمثل نقطة ضعف في القوة الصينية بالمقارنة بالقوة الاميركية فهي تسعى لسد هذه الثغرة خاصة وان القوة الاميركية نجحت في ردع الصين عن بعض مخططاتها ضد تايوان وغيرها. واذا نجحت في سد هذه الثغرة فستتمكن من تنفيذ مخططاتها دون خوف من رد فعل اميركي.

ويشير بعض المراقبين الصينيين الى جهود الولايات المتحدة لعسكرة الفضاء وأن ذلك دليل على طموحات الولايات المتحدة لفرض هيمنة على الفضاء. وفي تعليق لأحد المحللين الصينيين قال انه رغم ان الولايات المتحدة تمتلك فعلا ميزة استراتيجية على كل الكرة الارضية ولديها معظم تكنولوجيات الفضاء المتطورة والعدد الاكبر من الاقمار الصناعية فانها مازالت تسعى الى أن تجعل كل الفضاء تحت سيطرتها العسكرية لتسهيل هيمنتها على العالم في القرن الحالي. ولهذا طالبت الصين بأن يتم على مستوى العالم خلق جهاز لتنظيم انشطة الفضاء كما ان الصين وروسيا عارضتا فتح اسلحة فضائية بأي صورة.

وفي الوقت الذي ترى فيه الولايات المتحدة ان السيطرة على الفضاء من أهم عناصر امنها القومي فان الصين ترى في ذلك تهديدا رئيسيا لمصالحها الجغرافية الاستراتيجية. ولذلك فان الصين ترى ان نظام الدفاع المضاد للصواريخ الباليستية التي تقوم الولايات المتحدة بإنشائه والذي سيعتمد الى حد كبير على وسائل الاستطلاع الفضائية والاقمار الصناعية تهديد خطير لقواتها الصاروخية النووية المحدودة ولذلك فإنها تسرع حاليا في زيادة عدد صواريخها العابرة للقارات للدرجة التي تجعل أي نظام دفاع مضاد للصواريخ الباليستية غير قادر على اعتراض عدد كبير من هذه الصواريخ اذ من المعروف ان هذا النظام يمكنه اعتراض عدد محدود من هذه الصواريخ وهو الامر الذي جعل روسيا آمنة من أن يؤثر هذا النظام على قدراتها الصاروخية النووية الكبيرة.

ولدى الصين قلق كبير من البحوث المشتركة حول نظام الدفاع المضاد للصواريخ الباليستية بين الولايات المتحدة وحليفتها اليابان وترى فيه احباط لأي طموحات صينية اقليمية بل ربما يهدف لاحتواء الصين. واكثر ما يقلق الصين هو احتمال ان تقرر اليابان الانضمام الى خطة الولايات المتحدة في فتح هذا النظام في شمال شرق آسيا الامر الذي سيزيد القدرة العسكرية اليابانية ويوفر فرصة للقوات اليابانية للتمتع بميزة الاندماج مع القوات الاميركية في مجال الاتصالات والمخابرات الفضائية. كما ان الاستخدام العسكري للفضاء سيؤدي الى تجميد الموقف في مضيق تايوان، فالولايات المتحدة لها القدرة على فتح قوات على مسافات بعيدة بعد أن اصبح لها تواجد عسكري دائم في منطقة الخليج بمعنى وصول قواتها بسرعة بالقرب من خليج تايوان بينما تقوم وسائل الاستشعار الفضائية واسلحة نظام الدفاع المضاد للصواريخ

الباليستية بتعمية ترسانة الصواريخ الباليستية الصينية الموجهة الى تايوان.

وترى الصين أن ارسال نظم صواريخ مضادة للصواريخ الباليستية الى تايوان يعني تعاونا عسكريا غير مسبوق بين تايوان والولايات المتحدة وهو أمر خطير من وجهة نظر بكين.

ويرى المحللون أن وجهات النظر المختلفة بين الولايات المتحدة والصين تسهم في أن كلا منهما تعتبر الاخرى تهديدا لها في الفضاء. ومع ذلك فإن المحللين يقولون أن آخر مراجعة للقوة العسكرية الصينية عام ١٩٩٨ أظهرت صورة عن قدرات الصين في الفضاء. وفي الوقت الذي اعتقد فيه ان التكنولوجيات الصينية متخلفة عن الغرب فإن هذه التقارير تفيد بأن نظرية الفضاء بدأت تسيطر على الاستراتيجية العسكرية الصينية. كما أن الصين أنشأت برامج عسكرية رئيسية لحرمان الولايات المتحدة من استخدام الفضاء. فقد طورت الصين ليزر عالي الطاقة يمكنه تعمية مستشعرات اقمار التصوير لفترة أو بصفة مستديمة. وأفادت الدراسة أنه بحلول عام ٢٠١٠ ستكون الصين قد طورت تكنولوجيات فضاء متقدمة وأقمارا صناعية للاتصالات والتصوير. ومن التقارير التي ازعجت البنتاجون اهتمام الصين بتطوير قدرات مضادة للاقمار الصناعية يمكنها منع الولايات المتحدة من استخدام الاقمار الصناعية العسكرية والتجارية.

وقامت لجنة خاصة من الكونجرس بدراسة ومراجعة الامن الاميركي والامن الصيني وخلصت الى أن الصين ستحتاج لاستطلاع فضائي للتوجيه الدقيق لجيل جديد من الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز هجوم بري وصواريخ كروز مضادة للسفن. والصواريخ كروز المضادة للسفن ستكون ذات أهمية خاصة وحيوية في أي عمليات عسكرية ضد حاملات الطائرات الاميركية في مضيق تايوان. كما أشارت اللجنة الى أن الصين تقوم بمعالجة استراتيجيات لمواجهة وسائل الحرب الاميركية المتمركزة في الفضاء وضربت مثالا بأن الصين قد توجه ضربة احباط لوسائل الولايات المتحدة في الفضاء قبل نشوب صدام في مضيق تايوان يهدف منع الولايات المتحدة من تنسيق تدخلها العسكري كما يمكن للصين ايضا تعطيل الاقمار التجارية التي تعتمد عليها حياة الاميركيين للقضاء على رغبة الولايات المتحدة في التدخل.

مهمة صعبة

ويرى المحللون انه خلال العقد القادم لن تتمكن الصين من منافسة الولايات المتحدة في كل مجالات تكنولوجيا الفضاء. بالاضافة الى أن خطط الولايات المتحدة واستثماراتها في الجيل الثاني من الطفرة التكنولوجية ستجعل مهمة الصين صعبة الى حد كبير، ومع ذلك فان الصين يمكنها ان تختار مجالات محددة للعمل فيها وتمويلها وتشكل تحديا للمصالح الأميركية في الفضاء، خاصة وأن كثيرا من التكنولوجيات يمكن ان تكون لها استخدامات مزدوجة، ولا تحتاج الصين الى ان تتساوى في القوة مع الولايات المتحدة لايذاء المصالح الأميركية في الفضاء، وبعض المفكرين الصينيين يقولون ان الصين يمكنها استخدام مدى واسع من التكنولوجيات القديمة والجديدة بما في ذلك قدرات فضائية متطورة لاضعاف الارادة السياسية لمتفوقين يعتمدون بصورة كبيرة على الفضاء لادارة حروبهم. ويرى المراقبون ان الاستراتيجيين في الدولتين يراقبون بدقة تطورات قدرات كل منهما في الفضاء.

ومع ذلك لا يمكن الجزم بأن سباقا عسكريا في الفضاء قد بدأ بين الولايات المتحدة والصين. ويرى المحللون أنه من مصلحة الطرفين عدم الدخول في مثل هذا السباق وان مصلحة كل منهما ان يؤخذ في الاعتبار فرص التعاون التي يمكن ان تؤكد أو تضمن بقاء البيئة الاساسية في الفضاء صالحه ومستقرة لكل المجتمع الدولي. ويتحقق ذلك بمباحثات ثنائية ودور للامم المتحدة وكل دول العالم التي تمتلك قدرات في الفضاء مثل روسا ودول أوروبية الى جانب الولايات المتحدة والصين. ومن المعروف ان المعالم الرئيسية للسياسة الصينية هي التحفظ التقليدي في الكشف عن نواياها في وسائل الأمن القومي والقدرات العسكرية. ولذلك فان الخبراء يعتقدون ان مثل هذا التعاون قد يكون بعيد المنال.. ولكنهم يعتقدون ان على الطرفين العمل على تجنب أو على الاقل معالجة هذا التنافس، والاتفاق على سياسة تقلل التخوف السائد بينهما ومخاطر وتكاليف اي مواجهات في الفضاء.

واول خطوة يجب على الولايات المتحدة والصين ان تتخذاها هي الاعتراف بوجود مشكلة تتطلب معالجتها، وان الاهمية الاستراتيجية للفضاء يجب ان تكون على قمة اجندة مؤتمر بين الرئيسين الاميركي والصيني. بل ان منافسة محدودة في مؤتمر ثنائي أوسع قد تشجع صناع السياسة في البلدين على تركيز انتباههم على مشكلة احتمال حدوث صدام بينهما في الفضاء. وعلى المستوى الدولي يجب ان تشجع الولايات المتحدة اشتراك الصين في محطة الفضاء الدولية تجقلج لأن البرنامج الصيني الفضائي اعتمد اساسا على تصميمات وتكنولوجيات روسية وهذا يسهل اشتراك الصين في هذه المحطة. ويجب على الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الاوروبي واليابان دراسة كل هذه المشاكل ومن المكن ان تنضم قوى اخرى صاعدة مثل الهند وباكستان الى هذه الاجتماعات ونجاح مثل هذه الاجتماعات يتوقف على امكانية خلق تعاون في الفضاء دون وجود تساو أو تقارب في القدرات وحل المشاكل القائمة بطرق سلمية مثل مشكلة تايوان؟

أين نحن؟

نحن العرب ليس لنا قمر صناعي واحد يعطينا معلومات تفيدنا في ردع العدوان على امننا القومي وعلى اراضينا وابنائنا.. ونستجدي السلاح من كل مكان ولا نصنع منه شيئا..! واجمالي الدخل القومي لكل الدول العربية مجتمعة البترولية وغير البترولية اقل من الانتاج القومي لاسبانيا ولدينا مساحات شاسعة من الاراضي الصالحة للزراعة ونستورد القمح ومعظم المواد الغذائية..!

نظرة

نظرة عامة الى احوال الامة العربية تقودنا الى ان دولا عربية تتعرض لمآسي طاحنة مثل الصومال والسودان والجزائر. واخرى مازال جزء من اراضيها تحتله اسرائيل مثل سوريا ولبنان وفلسطين ودول محتلة مثل العراق. وتهديدات حالة وخطيرة تتعرض لها كل الدول العربية فاسرائيل تهديد نووي عسكري حال وخطير. واوروبا التي تجمع دولا- تختلف في اللغة والعادات والتقاليد توحدت وفي طريقها لان تكون قوة عظمى اما الامة العربية فمتفرقة وتوجد

توترات بين الكثـير منهـا وفي اوروبا يمكن لاي مـواطن ان يذهب الى اي دولة دون حاجـة الى تأشيـرة بل يمكنه ان يقود سـيارته من لندن الـى باريس الى مدريد امـا في عالمنا العـربي فان الحصـول على تأشيرة دخـول مشكلة بلا حل. والعالم كله يتطور بسـرعة الضوء ونحن نسـير بسرعة السلحفاه.

ثمار مُرة للتغيير بالقوة

العراق أبعد ما يكون عن الاستقرار والأمن بعد الحرب

احلام الديمقراطية والدولة النموذج تبددت بعد سكوت المدافع

أسلحة الدمار المزعومة تنفجر في وجه إدارتي بوش وبلير

القنابل العنقودية والألغام مأساة جديدة لأبناء العراق

استراتيجية الحرب المسبقة تنشر سرطان الإرهاب في كل أنحاء العالم

بعد ان قام وزير الدفاع الأميركي رامسفيلد بزيارة لبغداد كرر ما سبق أن قاله عن الحملة الأميركية على العراق وتفاخر بان الخطة العسكرية التي نفذتها قوات التحالف نجحت في حرمان النظام العراقي السابق من استخدام صواريخ «سكود» المزعومة ضد جيرانه وبالطبع حماية إسرائيل أحد الأهداف الرئيسية للاستراتيجية الأميركية، ومنع النظام العراقي من حرق آبار البترول العراقية وهي أيضا أحد الأهداف الرئيسية لهذه الحرب.. وتحدث عن ابداع قوات التحالف في عدم تعريض البنية الاساسية العراقية لدمار كبير رغم ما نشاهده الآن من آثار لهذه الحرب على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العراق. ومع ذلك اعترف رامسفيلد بان العراق يحتاج إلى جهد ضخم وأموال كثيرة حتى يستعيد عافيته ويسير نحو الديموقراطية «التي تريدها الولايات المتحدة» والتغلب على الفوضى التي سادت البلاد بعد الغزو. ويتفاخر رامسفيلد بانه رغم ان الوجود الأميركي بالعراق لم يتجاوز بضعة أسابيع فان الانجازات التي تمت كبيرة وهو ما يشكك فيه أغلب المحللين والمراقبين.

وقال إن الرئيس الأميركي ملتزم بمبدأ عراق موحد يتمتع بالحرية والديموقراطية وان الولايات المتحدة لن تفرض مقاييسها كنموذج لعراق ديموقراطي وتلتزم بان تكون فيه حكومة تحترم وتدافع عن حقوق الاقليات.

وحدد رامسفيلد عدة أمور أطلق عليها «خطوات أساسية للاتجاه قدما نحو خلق مجتمع حر في العراق» وهي توفير الأمن حيث أن على قوة الاحتلال ان تخلق سلطة جديدة في العراق وتوفر لها الأمن وان تبقي الحد المطلوب من تواجدها في العراق لتوفير هذا الأمن وان تبقى هناك إلى ان يتحقق الاستقرار ويتمكن شعب العراق من إدارة شؤونه، لكنه لم يحدد هذه المدة.

وأكد أهمية تحسين الأوضاع داخل العراق ومشاركة العراقيين في القيام بذلك حيث اعيدت الطاقة الكهربائية والخدمات الاساسية في الشمال والجنوب بصورة أفضل وأصبح أمام الشعب العراقي فرصة أكبر لإعادة بناء وطنه.

قنابل عنقودية

وهناك قضية مهمة في المسألة العراقية وهي تلك القنابل العنقودية المبعثرة في كثير من انحاء العراق والتي تم اسقاطها بواسطة الطائرات الأميركية والبريطانية ومنها اعداد مهولة سقطت ولم تنفجر وأصبحت بمثابة الغام خطرة ضد الشعب العراقي. واظهرت أول خريطة بناء على معلومات من المخابرات العسكرية الأماكن المحددة والدقيقة للالغام المضادة للافراد والمضادة للدبابات التي لم تنفجر وأماكن القنابل العنقودية التي لم تنفجر. وأكثر المناطق تركيزا لهذه الالغام والقنابل حول بغداد وعلى الطرق الرئيسية بين بغداد والمناطق التي تسيطر عليها القوات البريطانية في البصرة وأم قصر إلى الجنوب الشرقي. كما توجد تجمعات أخرى حول الجبال في شمال وشرق مدينة كركوك.

وقال ريتشارد ليود مدير أعمال التطوير الأميركي ان هذا الموقف يؤكد ان القوات الأميركية والبريطانية قصفت مناطق في المدن العراقية بالقنابل العنقودية، مما يثير تساؤلات عما إذا كان هذا القصف مخالفا للقوانين الدولية. ويقدر الخبراء عدد القنابل العنقودية التي سقطت ولم تنفجر بحوالي عشرة آلاف قنبلة معظمها داخل المدن وفي المزارع وعلى الطرق.

وفي محاولة جديدة لفبركة شرعية للحرب ضد العراق تتحدث وسائل الإعلام عن تغيير استراتيجية البحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية والتي بدأ الفشل في العثور عليها يشكل حرجا للإدارة الأميركية وحلفائها. وقد توجه إلى بغداد فريق خبراء كبير من الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا لبدء حملة تفتيش جديدة على هذه الاسلحة. وسيركز الفريق المكون من ١٤٠٠ خبير على تفتيش المناطق التي أشارت اليها بعض المستندات والمقابلات بالاضافة الى أدلة جديدة مزعومة عن احتمال اخفاء اسلحة كيماوية وبيولوجية.. وتقول هذه المصادر أن المسؤول عن قيادة هذا الفريق يدعي أنه على ثقة بالعثور على اسلحة عراقية محظورة. مرددا مقولة وزير الدفاع الاميركي دونالد رامسفيلد بأن العراق تمكن من تدمير مخزون هذه الاسلحة قبل واثناء الحرب. وهو منطق غير مقبول لأنه لو كان لدى العراق هذه الاسلحة فعلا ما تردد صدام حسين في استخدامها ضد قوات التحالف لعلمه بأن الحرب ستؤدي إما الى قتله أو القبض عليه ومحاكمته واعدامه.

ويبدو أن هذا التحول في استراتيجية البحث عن الاسلحة المزعومة كان بسبب تنامي تساؤلات الحلفاء واعضاء في الكونجرس الاميركي عن الفشل في العثور على أسلحة تدمير شامل في العراق والتي كانت السبب الرئيسي في شن الحرب.

ويصر توني بلير رئيس وزراء بريطانيا على أنه يمتلك الدليل على أن اسلحة التدمير الشامل سيتم اكتشافها. ولما سُئل عما اذا كان يعلم أشياء لم يكشف عنها بعد.. رد بأنه يعلم بعض الامور التي تم تجميعها نتيجة استجوابات وغير ذلك.

والواضح أن كثيرا من اعضاء حزب العمال البريطاني بدأوا يقتنعون بأنه قد غُرر بهم ولا ينتظر أن يصدقوا تصريحات رئيس الوزراء توني بلير. ومع ذلك فإن مصادر المخابرات

البريطانيـة تدعي بأن المعلومات الجديدة تم الحـصول عليها مـن علماء عراقيين ومن عـضو من تنظيم الأمن السـري الذي تم اسـتجـوابه بواسطة المخـابرات البريطانيـة والامـيركـية. وتقـول المخابرات البـريطانية أن صـدام حسين دمر أسلحـة التدمـير الشامل قـبل زيارة مفـتشي الامم المتحدة للعراق وهذا يتـعارض مع ما قيل عن أن صدام كان قد فتح هذه الاسلحـة قبل العمليات ثم قام بتدميرها أثناء تقدم القوات الاميركية.

وفي تصريح غـريب للرئيس بوش تعهـد بالعثور على اسلـحة دمار شـامل في العراق وهي المشكلة التي تحولـت الى قضية سـياسيـة داخلية في الولايات المتـحدة والمملكة المتحـدة بسبب تصـاعد الاتهامـات لكل من الادارة الامـيركيـة ورئيس الوزراء البـريطاني توني بلير بالضـغط والتلاعب لتـغييـر وتطويع معلومـات المخابرات لخدمـة خطط الولايات المتحـدة لشن حرب على العـراق والمبالغـة في الحديث عن خطر نـظام صدام حـسين. وحاول بوش ان يوهم العـالم بأن منظمـات ارهابية حـصلت على اسلحة دمـار شامل «لا وجـود لها» من العـراق. وتكثف الادارة الاميركية جهودها لاحتواء تحـركات داخل الكونجرس ترمي الى اصدار قرار باجراء تحقيق في مسألة اساءة استخدام تقارير المخابرات من اجل تبرير شن الحرب على العراق.

ظلال كثيفة

ويرى المحللون أن تغييـر النظام في العراق ألقى بظلال كثيـفة على الشرق الاوسط والخليج العربي. فلقد رأت الإدارة الاميركية أن القوة العسكرية الأمـيركية المتفوقة توفر الوسيلة اللازمة لتغـييـر الوضـع القائم بمنطقة الشرق الاوسط الاكـبر. ويقـول المحللون أن هناك اسبـابا دعت الولايات المتحدة الى تنفيذ هذا التغييـر وهي.. ترسانة العراق من اسلحة التدمير الشامل «والتي لم يثبت ان الـعراق كان يمتلك أيا منهـا» والقضـاء على تهديد صدام حـسين لجيـرانه.. وركزت الولايات المتحدة على أن هذا التهديد موجه الى اسرائيل والسعودية وايران «وهذا ايضا أمر ثبت عدم وجوده واوضحته الحرب ضد العراق واسلوب اداء القوات المسلحة العراقية المتدني.

ويرى الأميركيـون ان زوال النظام العراقي سيخلق اساسا لتحـول العرب والعالم الاسلامي الى منطقة لـيبراليـة ديمقراطية أكـثر قدرة عـلى معالجـة المشاكل واقل تهديـدا لاسرائيل «وهذا يوضح التحيز الكامل لاسرائيل لأنه لم يرد ذكر للتهديد الاسرائيلي للعالم العربي».

ويرون ان القـضاء على نظام صـدام حسين يجـعل التواجـد الاميـركي في السعـودية غـير ضروري بعـد أن اصبحت العـراق بديلا. وفي رأي الولايات المتحدة أن ذلك يقـضي على مزاعم تنظيم القاعدة بأن التواجد الاميركي بالاراضي المقدسة أمر يجب محاربته.

وتتحدث مراكز الدراسات الاستراتيجية الاميركـية والغربية عن الاستراتيجية القومية للأمن للولايات المتحدة بصورة تحاول فيها إضفاء شرعية على ما تقوم به أميركا من عدوان تحت اسم الحرب المسبقة .

وتقول هذه المراكز ان الاسـتراتيجية ناقشت الحـرب المسبقة «المانعة أو الاحبـاط» في مجال واحـد فقط وهو كـيف يتم التـعامل مع الارهاب الدولي والدول المـارقة، ولكنهـا لا تفتـرض أن

الحرب المسبقة لها دور في التعامل مع دول مثل الصين والتهديد الذي تمثله روسيا أو أي تهديد تقليدي آخر. وأن الحرب المسبقة أسست على ثلاثة افتراضات أو مزاعم هي ان التهديد بالرد لن يكون كافيا لردع الارهابيين أو الدول المارقة، فالمنظمات الارهابية لاتنتمي لدول الامر الذي يجعلها أقل تعرضا لرد الفعل، كما أن قادة الدول المارقة أقل قابلية للردع من قادة الاتحاد السوفيتي الذين واجهتهم الولايات المتحدة ابان الحرب الباردة. وهذا يخالف حقيقة واضحة وهي أن الردع المتبادل منع نشوب حرب نووية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بسبب الدمار المتبادل المحتمل. ومن المعروف أن الحكم في الاتحاد السوفيتي كان حكما شموليا وغير ديمقراطي وكان عدوانيا وقام بغزو افغانستان دون شرعية فكيف يمكن لدولة مهما كان نظامها أو حكامها تمتلك عددا صغيرا جدا من الرؤوس النووية بل ولا تمتلك وسيلة حمل قادرة على ايصال هذه الاسلحة الى اراضي الولايات المتحدة ألا ترتدع بالقوة العسكرية والنووية الساحقة للولايات المتحدة؟ ولو ردت تلك الدولة الصغيرة على أي ضربة نووية لأي سبب من الاسباب فستتعرض لدمار شامل وفناء وكل المحللين يتفقون على أن مثل هذه الدول تسعى لامتلاك سلاح نووي لا لضرب الولايات المتحدة وانما لردع العدوان.

ان الكراهية التي دفعت الذين قاموا بالعدوان الارهابي على الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر وانتشار الرغبة في الحصول على تكنولوجيات لازمة لصناعة اسلحة تدمير شامل أشارت الى التهديد الحقيقي المباشر بحدوث هجوم مأساوي.. وان مستوى الضرر الذي قد يحدثه هجوم ناجح يجعل الاعتماد على الردع وحده أمر غير مناسب. كما أشارت الاستراتيجية الى أن الولايات المتحدة استخدمت من قبل ضربات احباط مسبقة ضد تهديدات لأمنها القومي.

ومع ذلك ظهرت وجهات نظر متناقضة بالنسبة لتحديد الظروف التي تجعل ضربة الاحباط «الحرب المسبقة» مشروعة. وذكرت هذه الاستراتيجية– ببساطة ودون ذكر لهذه التناقضات– أن الولايات المتحدة لن تستخدم القوة في كل الحالات لاحباط كل التهديدات المحتملة أو بعضا منها، كما ان الاستراتيجية لم تحدد صور الحرب المسبقة التي قد تتم، والعمل قد يكون توجيه ضربات جوية أو قد يكون شن حرب شاملة. وفي حالة العراق تم استخدام النوعين فقد تعرض العراق لضربات جوية وصاروخية عدة مرات ثم لحرب شاملة انتهت باحتلاله. ومع ذلك –كما يقول المحللون– فإن الاستراتيجية تضع تعريفا أوسع بما يسمح بحرب مسبقة. وذكرت أن الضعف النسبي للارهابيين وللدول المارقة يعني أنهم لن يشنوا هجوما بالاسلوب التقليدي وهو تعبئة القوات المسلحة، وانما سيشنون هجوما سريا باستخدام اسلحة تدمير شامل يمكن اخفاؤها بسهولة وتوصيلها لأهداف بأسلوب سري ويستخدمونها دون انذار. فخطورة حدوث هجوم مفاجيء تعني ان القانون الدولي الذي يمنع الدول من شن هجوم على دول أخرى الا اذا واجهت خطر هجوم مؤكد يخلق قيودا أكثر من اللازم، وأن للولايات المتحدة –في رأيهم– الحق في القيام بعمل عسكري توقعي «أي مسبق» للدفاع عن نفسها حتى اذا كان هناك عدم تأكد من وقت ومكان الهجوم المعادي. وهذا المبدأ يعني ان الدولة ليست مطالبة قانونا بأن تمتص ضربة أولى مدمرة لأن هذا يجعل الدفاع عن النفس لا معنى له، ويعطي شرعية للحرب المسبقة –في

نظر واضعي هذه الاستراتيجية- وهذا يعني مهاجمة دول أخرى لأنها محل شك بانها ستقوم يوما ما بمهاجمة الولايات المتحدة. وهذا يعني منع أي دولة اخرى تحددها الولايات المتحدة من تطوير قواتها المسلحة لتعادل القوة المسلحة الاميركية.

والأمر المحير في هذه الاستراتيجية هو ما الذي يمنع من ان تعتنقها وتطبقها دول كبرى أخرى مثل روسيا والصين ضد أي دول تختلف معها أو لها مصالح حيوية فيها فتقوم بمهاجمتها واحتلالها بدعوى انها تسعى الى امتلاك قوة مسلحة قوية بالقدر الذي يمثل ردعا لأي تهديد لها؟ ولن تحرك الولايات المتحدة ساكنا لأنها لو تدخلت فقد تتعرض لضربات نووية قوية من دولة مثل الصين أو روسيا وكلاهما تمتلكان عددا كبيرا من الرؤوس النووية والصواريخ العابرة للقارات القادرة على الوصول الى الأراضي الاميركية. ويبدو ان التركيز على الحرب المسبقة رغم استبقاء الردع قد اعتمد على قناعة لدى كثير من اعضاء ادارة بوش بانهم بهذه الاستراتيجية قادرون على تكييف وتحديد تصرف الآخرين. ويبدو انهم لاحظوا انه منذ خطاب الرئيس بوش الذي احتوى على عبارات شديدة بالنسبة لمحور الشر قد دفع بكثير من الحلفاء الى تكثيف جهودهم لكبح انتشار اسلحة التدمير الشامل وحث دولا لها طابع مماثل لدول محور الشر على تصحيح مسارها. ومع ذلك هناك من خرج عن هذه القاعدة فلقد اصبحت كوريا الشمالية نووية وصاروخية واعلنت عن ذلك بكل قوة وتراجعت الولايات المتحدة عن تطبيق استراتيجية الحرب المسبقة ضدها، وهناك دول اخرى في طريقها لان تصبح نووية وستغير موقف الولايات المتحدة بالنسبة لها. ولنا ان نتساءل هل لو سادت الديموقراطية الدول التي صنفتها الولايات المتحدة على انها مارقة وطلبت تلك النظم الديموقراطية انهاء التواجد الاميركي فيها والغاء أي قواعد عسكرية اميركية على اراضيها هل تستجيب الولايات المتحدة لطلبات شعوب هذه الدول؟ أم ستبحث عن اسباب اخرى لفرض سيطرتها على اراضي تلك الدول؟ الامر كله اهداف اميركية رئيسية تعمل على تحقيقها أهمها استكمال هيمنتها على الشرق الاوسط وبتروله باحتلال العراق والسيطرة على بترول آسيا الوسطى وبحر قزوين وحققت في ذلك نجاحا ملحوظا اذ اصبح لها تواجد عسكري في عدد من الدول وحصلت شركاتها على عقود للعمل في مجال البترول بتلك المنطقة، وهي بصدد انشاء خط انابيب بترول وغاز طبيعي من تلك المنطقة الى البحر المتوسط أو الى بحر العرب والسيطرة على افغانستان تؤمن مد الخط عبر اراضيها الى بحر العرب وخلق حلقة احتواء للصين التي تعتبرها الولايات المتحدة تهديدا لأمنها القومي وان كان ليس حالا وذلك لما تمتلكه من قدرات نووية وصاروخية.

والحفاظ على ان تكون أميركا القوة العظمى الوحيدة في العالم والعمل على منع أو على الاقل تأخير تحول الصين الى قوة عظمى

ورغم ان الاستراتيجية الاميركية تعتبر روسيا تهديدا رئيسيا لها الا انها مطمئنة الى ان ازمة روسيا الاقتصادية وحاجتها الى الغرب تحد من خطورة هذا التهديد أو يحيده تماما.. كما تم احتواء الهند وباكستان وضمهما الى المعسكر الغربي بصورة ما وتعتبر الهند عنصرا رئيسيا في تحييد الصين، وتعمل واشنطن جاهده على نزع فتيل الموقف المتوتر بين الهند وباكستان

ويبدو انها حققت نجاحا نسبيا في ذلك ومازالت تحاول الحفاظ على انضمام حلفائها للحرب المزعومة ضد الارهاب الدولي وان كانت هناك خلافات بينها وبين حلفاء اوروبيين حول اسلوب التعامل مع هذا الارهاب.

فشل

فشلت الولايات المتحدة بكل ما تملك من قوة وما اتخذت من إجراءات بلغت حد الاجتياح والتدمير والحروب في القضاء على تنظيم القاعدة عدوها الرئيسي.. لأن استراتيجية الحرب المسبقة لا تصلح لمواجهة أشباح.. وإذا أرادت الولايات المتحدة ان تقضي على الإرهاب فعليها أن تغزو العالم كله.. بل عليها ان تحارب داخل أراضيها لأن في أميركا عشرات المجموعات الإرهابية التي تعمل باساليب وأهداف مختلفة.

مدرسة

هناك من يؤكد ان كافة المجموعات الإرهابية التي تعمل على الساحة الدولية الآن هي في الاساس خريجة المدرسة الأميركية حيث تدرب أفرادها على أيدي خبراء أميركيين واستخدمتهم الإدارات الأميركية المتعاقبة في أثناء الحرب الباردة ضد نفوذ الاتحاد السوفيتي السابق.. وعندما إستغنت أميركا عن خدماتهم انقلب السحر على الساحر.

الأهداف المستحيلة في العراق

قوات التحالف تخلق صعوبات لكي يستمر الاحتلال طويلا

المقاومة المتصاعدة تنسف احلام اعادة الاعمار وتحقيق الأمن

٦٠٠ ألف جندي في الجيش السابق تحولوا إلي قنابل موقوتة بالشوارع

كثر الحديث عن إعادة بناء عراق جديد على حد تعبير الإدارة الأميركية وعن دور قوات الاحتلال الأميركية والبريطانية. وكل الدلائل والأحداث توحي بانها مهمة صعبة بفرض صدق النوايا.. فهناك مقاومة وقتال من جانب مجموعات صغيرة من الشعب العراقي .

ويرى المحللون والمراقبون ان أجندة اعادة الاعمار طموحة ومن المحتمل ان تواجه كثيراً من العقبات. فعلى قوات الاحتلال ان تعيد بناء وتنظيم القوات المسلحة العراقية من الصفر وتؤمن البلاد من أي توترات داخلية بدأت تظهر بصورة مقلقة ومؤثرة.

كما ان اقناع قادة المستقبل العراقيين بنزع السلاح لن يكون سهلا. ويقولون ان برنامج أسلحة التدمير الشامل لم يكن من اختراع صدام وحده وانما نبع من الضعف الاستراتيجي العراقي ورغبة الدوائر العسكرية العراقية انذاك في امتلاك هذه القدرات رغم ان من حق أي دولة ان تمتلك ما يمكنها من ردع العدوان.

كما ثبت ان العراق نفذ كل ما طالب به مجلس الأمن من تدمير اسلحة الدمار الشامل وثبت عدم وجود أي منها بعد الغزو ثم يتحدثون عن الديموقراطية وان قيامها في العراق سيكون أمرا صعبا حيث لم يكن هناك اشتراك في السلطة بالمعنى الصحيح وكانت المعارضة ضعيفة ومفككة. كما ان العراق سيعيش في جوار صعب فتركيا وإيران وربما سوريا كذلك كثيرا ما تدخلت في شؤون العراق وقد تفعل ذلك مرة اخرى إذا كان هناك فراغ سلطة.

وهذه العقبات قد تجعل استمرار الاحتلال ضروريا -على حد رأيهم- كما ان تكاليف التواجد العسكري وتكاليف الاعمار قد تزيد على مئةمليار دولار. فالتواجد العسكري قد يستمر عقدا من الزمن أو أكثر إلى جانب ان قوات الاحتلال قد تواجه صدامات بسبب وجودها بالعراق وستكون معرضة لهجمات إرهابية -كما يدعون- وهذا يعني في رأيهم ان النضال من أجل الخلاص من الاحتلال إرهاب وهذا ما تراه إسرائيل بالنسبة للنضال الفلسطيني.

ويرى المراقبون ان التغلب على هذه المصاعب سيحتاج إلى حرص في تطبيق القوة والدبلوماسية فالفوز بدعم الأمم المتحدة وجذب قوات من حلف الناتو قد يزيدان شرعية التدخل وتقليل العبء على الولايات المتحدة وبريطانيا.

شكوك

ويؤكد الخبراء ان الوضع الأمني في العراق اتخذ منعطفا دراميا نحو الاسوأ بعد أن شن المقاتلون العراقيين مجموعة من الهجمات الدموية على القوات البريطانية والأميركية الأمر الذي أثار التساؤلات حول المصدر والدافع وراء تلك الهجمات وما إذا كانت قوات الاحتلال قادرة على القضاء عليها.

ويرون ان هذه الهجمات ابرزت المشاكل الأوسع التي يواجهها الرئيس الأميركي بوش ورئيس الوزراء البريطاني بلير خاصة ان مقتل الجنود البريطانيين حدث في الجنوب الشيعي الذي كانت هذه القوات تعتبره منطقة معادية لنظام صدام حسين ومتعاطفة مع قوات التحالف. وان تصاعدا في هذه الهجمات سيحول دون انسحاب القوات الأميركية التي يزيد عددها على ١٣٠ ألف جندي. وكل ذلك يلقي الشكوك حول الانطباع الذي يحاول الرئيس الأميركي اعطاءه لشعبه وللعالم بنجاح الحرب ضد العراق.

وذكرت صحيفة «واشنطن بوست» ان قوات الاحتلال الأميركية في العراق تشعر باحباط بسبب عدم تحديد المهمة الموكلة إليها وتصاعد المقاومة. وذكرت ان هذه القوات تشعر بعدم اهليتها للتعامل مع مهمة حفظ السلام التي كُلفت بها وانها تفتقد الوسائل اللازمة لهذه المهمة. وكان الجنود الأميركيون يعتقدون انه باعلان بوش ان الحرب في العراق قد انتهت فانهم سيعودون إلى الولايات المتحدة خلال أسابيع وهو ما لم يحدث ومن المنتظر ان يستمروا بالعراق لمدة طويلة.

ويرى المحللون ومراكز الدراسات ان أهداف قوات الاحتلال هي: إعادة النظام والانضباط والقانون. وانهاء برنامج العراق لأسلحة التدمير الشامل وهو أمر لم يثبت ولا معنى لذكره كمهمة لقوات الاحتلال.

وذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» ان أحد كبار خبراء الأسلحة الكيماوية والبيولوجية أعلن في جلسة مغلقة لاحدى لجان الكونجرس انه تعرض لضغط من شخصيات كبيرة في الإدارة الأميركية لكي يعد تقييمه لامتلاك العراق أسلحة دمار شامل بما يسمح بشن الحرب على العراق. وتقول الصحيفة ان فشل الولايات المتحدة في العثور على أدلة حول هذه البرامج والأسلحة أو ارتباط نظام صدام حسين بتنظيم القاعدة يثير تساؤلات تزداد حدة حول درجة الخطر الذي كان يمثله هذا النظام على الولايات المتحدة.

ومن أهداف الاحتلال أيضا مساعدة العراق في بناء نظام ديمقراطي تعددي. وكانت فئات كثيرة من الشعب العراقي -في بداية الأمر- لا تمانع في بقاء قوات التحالف لبعض الوقت على أمل تنظيم وتشغيل مؤسسات الدولة وتحسين الخدمات المعيشية وتشكيل حكومة مؤقتة. لكن الواقع ان الإدارة الأميركية المدنية تواجه في هذا الأمر مشكلات بالغة التعقيد.

وهناك هدف إعادة تشكيل وتنظيم الجيش العراقي وتحويل البيئة الأمنية الاقليمية وهذا لم يحدث منه شيء حتى الآن وتواجه الإدارة الأميركية في هذا الشأن صعوبات ضخمة.

ويقول المراقبون ان الجنود العراقيين السابقين قد يتحولون إلى عصابات أو ميليشيات. ومن المعروف انه قبل الحرب كانت القوات العسكرية العراقية حوالي ٣٧٥٠٠٠ جندي بالاضافة إلى أكثر من ٣٠٠٠٠٠ جندي احتياطي. كما ان تسريح مئات الألوف من هذه القوات اضاف إلى المجتمع المدني العراقي رجالا اشداء لا يجدون أي عمل ويمكن للوردات الحرب أو المجموعات المتطرفة ان تشكل قلقا وذعرا وحالة من عدم الاستقرار وتصاعدا لاعمال المقاومة والسلب والنهب.. وربما يتطور الامر إلى تفكك العراق.

جيش جديد

وحول انشاء جيش عراقي جديد يرى المحللون ان حجمه يجب ان يقل عن نصف ما كان عليه قبل الغزو. ويقولون ان للعراق حقا مشروعا في احتياجات أمنه ولكنه لا يحتاج إلى جيش قوامه ٦٠٠٠٠٠ جندي عامل واحتياط للدفاع عن نفسه ضد إيران أو تركيا. وهم بهذا يقرون بان إيران وتركيا تمثلان تهديد للعراق. ويرون ان جيشا عراقيا قوامه ١٥٠ ألف جندي جيد التدريب سيكون أكثر من كاف لأمن العراق خاصة إذا صار العراق جزء من نظام دفاعي اقليمي «تفصيل أميركي» وله علاقات أمنية مع الولايات المتحدة «وهذا ما يراه المحللون الغربيون» ويرون ان الفشل في انشاء جيش عراقي كما يريده الأميركيون سيؤدي إلى خطورة على دقرطة العراق. ويرون ان هذا يجب ان يتم مع وجود عدد كبير من قوات التحالف وان تكون قوات العراق دفاعية بحتة «أي ليست لها قدرات هجومية وهو أمر يحد من التسليح خاصة في القوات الجوية والمدرعات». ووضعوا لذلك عددا من الشروط هي: الحد من أي نظم تسليح وقوات قد توفر معركة استراتيجية. وتقليل عدد الدبابات وناقلات الدبابات التي توفر فتح القوات العراقية خارج أراضي العراق. وإلغاء نظام التجنيد الاجباري. وتطوير عقيدة دفاعية. وتشجيع ان يكون جزء كبير من القوات في الاحتياط الأمر الذي يصعب من الاشتباك في هجوم مفاجيء.

ويقول المحللون ان على قوات التحالف ان تنتشر في كل انحاء العراق لاظهار نواياها في الحفاظ على النظام والقانون، ومن المهم خلق احساس باستتباب الأمن والاستقرار لتقليل المؤثرات وخلق أرضية للأمن في المستقبل. فلو شعر العراقيون بفراغ امني فان لوردات الحرب سيشغلون هذا الفراغ. كما يجب على قوات الاحتلال ان تسيطر على حدود العراق لتنظيم المهاجرين ومنع تهريب الأسلحة والقبض على الإرهابيين عند حدود العراق وهي حدود تمر عبر الجبال والمستنقعات الأمر الذي يزيد صعوبة السيطرة عليها ضد التسلل والتهريب. وغلق هذه الحدود تماما أمر غير ممكن ان لم يكن مستحيلا. كما ان مراقبة الحدود والقيام بدوريات على طولها يجب ان يكون حذرا حتى لا يشكل حساسيات مع دول الجوار. فعلى سبيل المثال أي دوريات على طول الحدود العراقية التركية ستسبب غضبا في تركيا، كما ان الدوريات على طول الحدود مع إيران قد تخلق ردود فعل إيرانية.

ويرى المحللون ان جيشا عراقيا ضعيفا -كما تريده الولايات المتحدة- لن يحقق أمن العراق بالمقارنة بجارتيها إيران وتركيا، ويجب ان يتم ضم العراق إلى نظام تحالف اقليمي يشمل دول الخليج والولايات المتحدة وربما الاردن أيضا، على ان يركز هذا التحالف على الدفاع المشترك

وإجراءات لدعم الثقة بين أعضائه ووسائل أخرى لتقليل التنافس وطمأنة كل دول المنطقة. ويعتقدون ان نشوب مثل هذا التحالف قد يتطلب سنوات طويلة حتى إذا تم قبول المبدأ.

ويرى المحللون ان قوات اقليمية أي من المنطقة مثل دول الخليج والاردن يجب استخدامها باعداد محدودة. كما ان امورا سياسية ستحكم اعمال وتصرفات قوات من تركيا وإيران. وفي مثل هذه الحالات فان مستوى التدريب ليس عاليا بقدر كاف ولا يرقي إلى قوات حلف الناتو وسياسيا وعملياتيا من المهم وجود من يتقنون العربية كما قد يتطلب الأمر قوات اقليمية للعمل كعناصر اتصال.

ويعتقد المحللون ان تشكيل قوة دولية من أجل تلك المهام امر صعب علاوة على عدة عوامل قد تعرض مهمتها للمخاطر تشمل حدوث صدام أو اعمال إرهابية ووقوع صدامات في العراق اخطر تهديد لقوات التحالف. وعلى الرغم من ان معظم العراقيين رحبوا بتدخل القوات الأميركية في مايو ٢٠٠٣ فان هذا الترحيب قد يتآكل كلما طال بقاء قوات الاحتلال في العراق.

ان أخطر ما لاحظه المراقبون والمحللون ان قوات التحالف خاصة الولايات المتحدة مفرطة في الانتشار والتوسع فأميركا لها قوات مشتركة في مهام حفظ سلام ومهام مضادة للارهاب أو الردع في كوريا والبوسنة والفلبين وافغانستان وجيبوتي وفي أماكن اخرى عديدة. والفتح في العراق للسيطرة على الأمن وعلى الدولة شمل حجما كبيرا من القوات «١٣٠ الف جندي».. وهذا يعوق اي مهام أخرى محتملة ويؤدي الى التأثير على المعنويات والشؤون اللوجيستيكية والنقل والقيادة والسيطرة. وهذا العبء قد يصبح غير محتمل اذا تطلب الامر القيام بعمل عسكري على مستوى كبير ضد خصوم اخرين أو لتنفيذ حرب احباط «مسبقة» اخرى. ومع ذلك فإن قوات الحرس الوطني والاحتياط الاميركية قد تسهل الى حد ما هذا العبء ولكن استخدامها له ثمن سياسي لأن الجنود الاحتياط يتركون أعمالهم في بلادهم.

تغيير بالقوة

وفي سياق البحث عن أسباب لغزو العراق وغيره من الدول يتساءل المحللون: هل امتلاك دولة لاسلحة تدمير شامل يخلق سببا شرعيا للقضاء على نظامها؟ صحيح ان المجتمع الدولي اعترف بأن انتشار اسلحة التدمير الشامل تهديد خطير للأمن الدولي. ولكن غالبية المحللين يرون ان الوضع الحالي وهو امتلاك خمس دول كبرى «الولايات المتحدة وروسيا والصين وفرنسا وبريطانيا» لاسلحة تدمير شامل «وانضمت اخيرا كل من الهند وباكستان لهذه المجموعة» مع بقاء باقي دول العالم غير نووية لا عدالة فيه ويوجد تفرقة بين الدول، وهذه السياسة لقيت قبولا بحجة مصلحة الأمن العالمي حتى من عدد من الدول غير النووية.

وقد عقد في عام ١٩٩٢ اجتماع لمجلس الأمن وصدر بيان رسمي اعلن ان الانتشار تهديد رئيسي للأمن الجماعي وطبقا لميثاق الأمم المتحدة فإن من حق مجلس الأمن ان يتعامل مع الانتشار ومع ذلك فإن الاجراء الذي يمكن ان يتخذ لم يكن واضحا. ووجود دول لها حق الفيتو يجعل صدور قرار من مجلس الأمن أمر ضعيف اذا ما تعارضت المصالح الاقتصادية

والسياسية بين الدول. ودليل ذلك ما حدث بالنسبة لشن الحرب على العراق بحجة «غير حقيقية» حول امتلاك اسلحة تدمير شامل وعجز المجلس من اتخاذ قرار بالموافقة على شن الحرب أو قرار بمنع شن الحرب. وضربت الولايات عرض الحائط بمجلس الامن وشنت حربها على العراق واحتلته ولم يفعل مجلس الامن شيئا.

وهناك تبريرات اخرى للتدخل من أجل تغيير بعض نظم الحكم في العالم ومنها الابادة الجماعية ويضربون المثل بما حدث في رواندا عندما اتخذ المجتمع الدولي اجراء ضدها، وكذا ما حدث ضد الخمير الحمر في كمبوديا الذين قتلوا ملايين الكمبوديين من ١٩٧٥ الى ١٩٧٩. ومع ذلك لم يتخذ المجتمع الدولي اي اجراء ضد اسرائيل في مذابح صابرا وشاتيلا وغيرها. وهذا يعني ان هناك خللا في تطبيق هذا المبدأ. وروسيا ترتكب مذابح في الشيشان وعلى مرأى ومسمع من المجتمع الدولي. واسرائيل تعيث فسادا في الضفة الغربية وقطاع غزة وتعترف باغتيالات على مسمع من المجتمع الدولي.. أليست هذه ابادة جماعية لمدنيين؟

ويرى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن أن أي نظام يرتكب مجازر جماعية سيكون هناك اجماع كبير على ضرورة التخلص منه حتى ولو كان ذلك منافيا لقرار من مجلس الامن. ومع ذلك فإن العمل بدون تفويض من الامم المتحدة يتطلب ان تكون الحالة واضحة ومؤكدة فيجب أن يكون هناك تحديد واضح لمسؤولية النظام عن هذه المجازر وأن يكون الهدف الوحيد من التدخل العسكري- في رأي المركز الاميركي- عاجلا بدون موافقة مسبقة من الامم المتحدة وأن تكون مهمته محددة وهي ايقاف القتل على ان تتولى الامم المتحدة اقامة نظام جديد في تلك الدولة مقبول من المجتمع الدولي. ومع ذلك لم يطبق هذا على العراق الذي انفردت الولايات المتحدة بغزوه واحتلاله رغم معارضة الامم المتحدة والمجتمع الدولي ولم تسلم الولايات المتحدة الامر للامم المتحدة لاقامة نظام جديد في العراق بل اعلنت انها ستستمر في احتلاله لمدة طويلة.

ان المجتمع الدولي لم يتحرك في الماضي ضد نظم اتهمت بالقتل الجماعي، وعلى سبيل المثال احتفظ نظام الخميرالحمر في كمبوديا بمقعده في الامم المتحدة بدعم من العالم الغربي بحجة ان هذا النظام كان يتعرض لهجوم من فيتنام الشيوعية الحليف للاتحاد السوفيتي. وهذا يوضح ان ما يقوله هذا المركز ليس إلا خدمة لمصالح امبريالية لدولة تسعى للهيمنة لأهداف خاصة بها وليس لأنها تريد تحرير شعب من سطوة نظام ديكتاتوري.

ويحدد هذا المركز حالة اخرى للتدخل العسكري ضد نظام ما وهو انه يأوي ويشجع الارهاب. وعبر التاريخ اختلف تعريف الارهاب طبقا للمواقف السياسية، فعلى سبيل المثال في فرنسا المحتلة خلال الحرب العالمية الثانية اعتبر النظام النازي الألماني ان المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي ارهابية في حين اعتبر الغرب المقاومة الفرنسية قوة تناضل لتحرير أراضيها. وحاليا -وللأسف الشديد- يرى الغرب في النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي ارهابا وهو لا يختلف عن المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي.

ان الجدل حول تغيير النظم أو التدخل العسكري لتغيير نظام ما يثير تساؤلات منها كيف

يمكن التوفيق بين الحفاظ على السيادة والحاجة الى التصرف ضد اعمال تعتبر انتهاكا لحقوق الانسان؟. وكيف يمكن تبرير قواعد توضع لفرض مشروعية تغيير نظام؟ وما القواعد التي يمكن للمجتمع الدولي ان يحددها لتطبق على الدول القوية والدول الضعيفة بعدالة؟ ومن يمكنه الحكم بعدالة على هذه القواعد – هل هي الامم المتحدة وبالاجماع أم ستترك لقوى اقليمية أو دول كبرى تطبقها كيفما واينما شاءت؟.

ان تغيير النظام في دولة ما يجب أن يكون الحل الاخير بعد ان تستهلك كل الوسائل الدبلوماسية والاقتصادية والقانونية في حل المشكلة.

كما أن الحل العسكري لتغيير النظام يجب أن يتم بأقل قوة وألا يتعرض اقتصاد الدولة وشعبها للدمار والموت، كما لا يجوز أن ينتهي باحتلال لأرض الدولة ونهب مواردها بحجة تكاليف الحرب.

ونظرة فاحصة لعملية تغيير النظام في العراق يمكن لأي منصف أن يخرج منها بملاحظات هي انه لم يكن العراق تهديدا للولايات المتحدة أو حلفائها بأي صورة من الصور ولم يثبت أن العراق يمتلك اسلحة دمار شامل أو وسائل حمل لأي نوع من هذه الاسلحة وهي الحجة الاساسية التي اعتمد عليها غزو العراق.

وكان المفروض ان تنسحب القوات الاميركية وتتولى الامم المتحدة اقامة نظام مقبول شعبيا ومتعدد وديمقراطي، وأن تتولى قوة حفظ سلام اقرار الامن وأن تشرف الامم المتحدة على اعمار العراق لكن القوات الاميركية باقية وتحولت الى قوات احتلال سيستمر عقودا من الزمن وسيطرت الولايات المتحدة على مصادر البترول العراقي.. وكل هذا يتعارض تماما مع دعوى بوش بانه يحرر شعب العراق من حكم استبدادي ويبدو انه استبدال حكم صدام بحكم اميركي.

تبرير

ما زالت مراكز الدراسات في الغرب تحاول اختراع تبريرات لشن الحرب على العراق بعد ثبوت زيف ملف اسلحة الدمار الشامل.. فمرة يقولون ان صدام حسين من عتاة الديكتاتورية في العالم.. ومرة يقولون انه اثار المخاوف لجيرانه بحروبه ومغامراته المتوالية.. وتارة يقولون انه دمر شعبا ودولة غنيين وعريقين وحول بلاده ذات الثروات الضخمة الى كيان فقير متهالك هرم.. وربما يكون هذا كله حقا لكنه لا يصلح تبريرا لاحتلال دولة.. وإلا لجاز ذلك بالنسبة لدول اخرى كثيرة محكومة بالحديد والنار.

ارهاب

وصف الارهاب أصبح يتم تفصيله على المقاس الأميركي فالمقاومة العراقية كلما تصاعدت وجدنا الاميركيين يصفونها بالارهاب كما فعلوا ويفعلون في كل مكان يلقون فيه مقاومة وكما تفعل إسرائيل في وصفها للمقاومة الفلسطينية.. وكلها تصنيفات فقدت مصداقيتها لانها نابعة من الهوى والمعايير المزدوجة في الحكم على الأمور.

حرب رغم أنف العالم

الأزمات لن تنتهي بل ستصبح أكثر خطورة بعد الحرب

الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والمعاهدات الدولية في مهب الريح

القوى الفاعلة تقف ضد أميركا بقوة لأول مرة بعد الحرب الباردة

الصراعات قادمة على كعكة الاعمار والنفط وشكل الحكم في العراق

الانتصار العسكري الأميركي مؤكد لكنه لا ينفي الهزيمة السياسية الساحقة

الحرب الحالية تعتمد على القتال أربعا وعشرين ساعة ودور المعلومات يحسن المعركة

بدأت الولايات المتحدة حربها ضد العراق رغم أنف العالم كله.. وضد ارادة الأمم المتحدة وميثاقها والقوانين والاعراف الدولية.. وراح الأميركيون يتحدثون عن الحرية والديمقراطية والازدهار لشعب العراق بعد رحيل أو قتل صدام حسين وأركان نظامه.. وراحوا أيضا يتحدثون عن تحالف دولي كبير يساندهم يضم خمسا وأربعين دولة منها خمس وثلاثون تؤيد وتشارك علنا وخمس عشرة تدعم سرا على حد زعم إدارة بوش.

وواقع الأمر ان الحرب التي تشنها الولايات المتحدة الآن ضد العراق اميركية بحتة بمساندة عسكرية رمزية من بريطانيا وبدعم دبلوماسي أكثر منه عسكري من جانب اليابان والبرتغال واسبانيا واستراليا وكوريا الجنوبية والفلبين.

انه تحالف دولي هش كما قالت عنه صحيفتا «ليبراسيون ولوفيجارو» الفرنسيتان. واكدتا بالحرف الواحد انه يضم دولا ليس لها أي ثقل سياسي أو عسكري.

أما القوى الفاعلة والمؤثرة في العالم فانها وربما لأول مرة منذ انتهاء الحرب الباردة تقف بقوة وبشكل رسمي وشعبي سافر ضد هذه الحرب التي اطلقت أميركا شرارتها ولا يعلم أحد كيف ومتى تنتهي.. وإذا كان من المؤكد بحكم التفوق العسكري ان تحقق الولايات المتحدة نصرا ساحقا على القوات العراقية المهزومة اصلا قبل اطلاق أي رصاصة.. فان المؤكد ان الولايات المتحدة ستخرج من هذه الحرب بهزيمة سياسية ساحقة أيضا لانها باتت شبه معزولة دوليا وينهال عليها الهجوم الدبلوماسي بشكل غير مسبوق من جانب القوى الكبرى في العالم وعلى رأسها روسيا وفرنسا والصين وألمانيا.

اما النظام العالمي الذي قيل انه جديد فان تلك الحرب المشتعلة الآن ستعيد صياغته بشكل شبه انقلابي قادته الولايات المتحدة بتمردها على المجتمع الدولي.. فالأمم المتحدة تلقت لطمة

قوية ربما تطيح بها تماما بعد الحرب. والاتحاد الأوروبي اصيب بتصدع شديد بعد ظهور بوادر صراع حاد بين قطبيه الكبيرين بريطانيا وفرنسا.. وحلف الناتو تبعثرت أوراقه ولا احد يدري ان كان سوف يستطيع ترتيبها من جديد أم لا.. وهناك مساع عربية لعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد فشل مجلس الأمن.. وفشل الجمعية العامة إذا انعقدت.. في وقف الحرب ضد العراق سيكون المسمار الأخير في نعش الأمم المتحدة.. والعولمة واتفاقيات الجات وغيرها من المعاهدات الدولية ستكون في مهب الريح.

والأزمة لن تنتهي بنهاية الحرب.. مهما كانت تلك النهاية.. سواء انتصرت أميركا كليا أو جزئيا.. وهناك أزمات متفجرة لاحقة ليس اقلها خطورة ولا أكبرها اثرا.. قيام كيان كردي في شمال العراق أو كيان شيعي في جنوبه.. أو الصراع الذي سيحتدم بين الكبار على تقسيم كعكة اعمار ونفط العراق.. أو شكل الحكم في العراق بعد صدام حسين والذي سيكون للكبار الآخرين رأي فيه بالتأكيد.. وقد ألمح وزير خارجية فرنسا أمام مجلس الأمن في جلسته التي سبقت انتهاء مهلة الانذار الأميركي وبدء الحرب.. فقد قال ان أي حكومة في العراق بعد الحرب لن تكون شرعية ما لم يتم الرجوع إلى مجلس الأمن والأمم المتحدة.. معنى ذلك ان الحكومة التي ستقودها أو ستصنعها أميركا لن تحظى باعتراف دولي يحقق لها الشرعية المطلوبة.. أو هكذا تبدو الصورة بعد ان تضع الحرب أوزارها.

ويبدو ان الولايات المتحدة قد غيرت استراتيجيتها السابقة القائمة على شن حرب خاطفة وسريعة.. وبدأت تتحدث عن حرب طويلة ربما لانها تريد خلق أمر واقع خلال الحرب الطويلة يمكنها من فرض ما تريد على المجتمع الدولي بعد الحرب.

قطع الرأس

لقد بدأت الحرب على العراق بعد تسعين دقيقة من انتهاء مهلة الانذار باطلاق صواريخ كروز «توما هوك» من ست سفن مختلفة استهدفت اهدافا في بغداد تمثل مراكز قيادة لصدام حسين ومعاونيه، كما قصفت القوات الجوية الاميركية اهدافا عسكرية في انحاء العراق. واطلق المسؤولون الاميركيون على الهجوم الصاروخي «عملية قطع الرأس» اما الهجوم الرئيسي فمن المنتظر ان يبدأ خلال ساعات كما أُعلن عن اشتراك طائرات «ستيلث» قامت بابطال الرادارات ووسائل الدفاع الجوي العراقية وبعد الضربة ظهر صدام حسين في التليفزيون العراقي ليؤكد انه لم يصب بسوء وانه سيقوم بادارة الحرب. واعلنت القيادة الاميركية ان العراق إطلق ثلاثة صواريخ على الكويت تم اعتراض اثنان منها وسقط آخر في شمال الكويت ولم يسببا اي اضرار وتم التأكد من انها ذات رؤوس تقليدية ولا تحمل اي عوامل كيماوية أو بيولوجية، واعتقد انها صواريخ «صمود -٢» بمدى ١٥٠ كم.

واعلن البنتاجون انه استهدف من الضربة الاولى القيادة العراقية وان الهجوم الرئيسي لم يبدأ بعد ومن المؤكد ان هذه الضربة المحدودة ضد بغداد وان كانت استهدفت اساسا صدام حسين وزمرته الا انها ايضا قد تكون دافعا لسكان بغداد لمغادرة المدينة حتى لا يتعرضوا للموت الى جانب انها انهت اي جدل حول اي محاولات لايجاد حل سلمي.

أما الحملة الرئيسية فمن المتوقع ان تتم بالتسلسل الآتي:

حملة جوية مركـزة قوية ومدمرة تستمرمن يومين الى ثلاثـة ايام على الأكثر وتشمل اطلاق عدد كبير من الـصواريخ كروز «توما هوك» وهجمات جوية بأعداد كـبيرة من الطائرات لقصف كل اهداف البنيـة العسكرية العراقـية والبنيـة الاساسيـة المدنية مـثل محطات الكهـرباء والمياه والمستودعات والمنشآت الصناعية وكل المناطق والأمـاكن التي يحتمل أن تكون بها مواد كيماوية أو بيولوجـية أو ذخائر. كمـا ستركـز اساسا على قوات الحـرس الجمهوري والحـرس الخاص لصدام ومـراكز القيادة والسـيطرة والقواعد الجوية وورش الطائرات ووسـائل الاتصالات بكل انواعهـا. بهدف احداث اكـبر خسـائر ممكنة وشل القدرة العـراقية على اي رد فـعل مؤثر. ومن المؤكد ان القوات البرية سـتبدأ هجماتها قـبل ان تنحسر سحابة الضربات الجـوية والصاروخية وستتم في عدة اتجاهات من المتوقع ان تكون كالآتي:

■ الاول: محور هجـوم رئيسي يطلق عليه عسـكريا اتجاه المجهود الرئيسـي في اتجاه بغداد ويتم بقوات مدرعة تحمـيها الهليكوبتر «الأباتشي» ومعها عناصـر من القوات الخاصة وسيكون هدفها الوصول بسرعة الى منطقة بغداد ومحاصرتها على مسافة بعيدة عن المدى الذي يمكن ان تصل اليه اي اسلـحة لدى قوات الحـرس الجمهـوري والحرس الخاص العـراقي التي تدافع عن بغـداد. وحينذاك سُـتلقى «ان لم يكن قـبل ذلك» القنابل الحـديثة الجـديدة القـادرة على تعطيل محطات الكهـرباء «والتي قد تكون دمرتهـا الضربة الجوية» ووسـائل الاتصالات والحاسـبات ومحطات المياه.. أي كل ما تعتمد عليه القوات المدافعة لتفقد القيادة العراقية القدرة على السيطرة على القوات أو اصدار تعليمات لها خاصة وان كل اجـهزة الاتصال ستقطع. ثم تبدأ القوات التي تضرب الحصار استخدام وسائل استطلاع كثيرة في مقدمتها الطائرات الموجهة بدون طيار مثل «البريديتور» وغيرهـا في مسح منطقة بغداد واكتشاف أوضاع القوات المـدافعة بدقة وبالصورة التليفزيونية ليتم ضربها بكل الأسلحة والوسائل الدقـيقة البعيدة المدى. كما ان الطائرة الموجهة بدون طيار «بريديتور» منها ما هو مزود بصواريخ «هيل فاير» المضادة للدبابات والتي يمكن ان تطلقها على أي اهداف تكتشفها كما فـعلت في افغانستان بنجاح علما بأنه ثم تطويرها وتحسين ادائها.

■ المحور الثـاني للهجوم سـيكون في اتجاه البصـرة ويحتمـل ان تقوم به القوة البـريطانية لتكون مهمـتها الاستـيلاء على البصرة وتأمين حقـلي بترول في منطقة البصرة حـتى لا يتمكن العراقيون من اشعال النار فيهما او نسفهما رغم ان الأميركيين زعموا ان العراقيين دمروا بالفعل بئرين للنفط هناك ومن المؤكد ان هذه القوة سترافقها عناصر من المهندسين العسكريين والخبراء للقيام بمهمة اكـتشاف وابطال اي مفرقعات قد يكون العراق اعدها في هذه الحـقول لنسفها عند اللزوم.

■ المحور الثالث للهجـوم يبدأ من الشمال وكان المخطط ان يعتمد على القـوات الاميركية التي تم حشدها فـي الاراضي التركية هناك لكن ان البـرلمان التركي وافق فقط على السمـاح للقوات الاميركية بعبور الاجواء ولم يسمح باستـخدامها لاي قواعد للهجوم على العراق وقد يكون ذلك

سببا في تأخير بدء العملية الرئيسية «الهجوم الكبير» لمدة يوم او اكثر. وطبقا لخطة العمليات كانت مهمة هذا المحور الاستيلاء على الموصل وكركوك وتأمين حقول البترول ثم متابعة التقدم في اتجاه بغداد من الشمال.

وطبقا لما يتوقعه المحللون والخبراء فان الحرب ستكون قصيرة الى حد ما وانه لا توجد فرصة للعراق لاحباط هذا الهجوم، ولكن القيادة العراقية تأمل في سحب القوات الاميركية الى قتال داخل المدن لتتعرض لخسائر ولكن هناك اجماعا على ان ذلك لن يحدث وهناك حديث عن مهمة للفرقة الاميركية ١٠١ المحمولة جوا التي قد تستخدم في الاستيلاء وتأمين احد المطارات في شمال العراق ويتم بعد ذلك نقل دبابات ومركبات قتال مدرعة جوا بواسطة الطائرات العملاقة «سي-١٧» لخلق القوة المناسبة للمحور الشمالي وكل ذلك يعتمد ولا شك على تحقيق القوات الاميركية سيادة جوية مطلقة في سماء العراق تمكنها من منع اي طائرة عراقية من الاقلاع وتدمير اي طائرة تحاول ذلك وهو امر ممكن للقوات الجوية الاميركية بالمنطقة التي يصل عددها الى مئات الطائرات الحديثة المتطورة والتي تتفوق على الطائرات العراقية ناهيك عن ان الحملة الجوية المتوقعة ستهاجم كل القواعد الجوية العراقية لتعطيلها تماما.

الحملة الجوية ستستخدم فيها احدث الاسلحة الدقيقة الذكية ولمقارنتها مع الحملة الجوية في حرب الخليج عام ١٩٩١ أطلق الخبراء على الحملة الجديدة «الثوران العنيف» وهو تعبير مستقى من نظرية ان الكون تكون نتيجة فوران عنيف لنقطة مركزية.

وتشتمل الخطة على عدد غير مسبوق من القنابل والاسلحة الذكية الموجهة بالاقمار الصناعية ومن بينها القنبلة التي اطلقوا عليها «ام القنابل» التي تزن حوالي ١٠ أطنان ولها قوة تدميرية تعادل قوة التدمير لقنبلة نووية تكتيكية. ويطلق بعض القادة الاميركيين على ذلك «عقيدة المحتوم» او المتعذر اجتنابه فالخطة تستهدف الاستيلاء على ٧٥ في المئة من الاراضي العراقية في اسبوع من الحرب واقناع القوات العراقية باستحالة المقاومة لانها ستكون حربا مدمرة فالرهان كله يتركز على ان الجيش النظامي العراقي «٤٠٠ الف» رجل لن يقاتل. هكذا يتمنى الاميركيون وان كان البنتاجون يتوقع ان قوات الحرس الجمهوري والقوات الخاصة العراقية ستقاوم بعنف داخل بغداد ويقدرون حجمها بحوالي ٤٠ ألف رجل مسلحين بدبابات حديثة «ت- ٧٢، ت - ٧٢م» وان كانت ليست ندا قويا للدبابة الاميركية «م-١». ويقولون إن عدد الاهداف التي سيتم ضربها وتدميرها في الاربع والعشرين ساعة الاولى من الحملة الجوية سيكون اكبر مما تم ضربه في ٤٣ يوما خلال حرب الخليج ١٩٩١ والهدف من ذلك احداث صدمة للنظام العراقي والقوات العراقية فيشعرون بان النهاية محتومة.

ففي حرب الخليج ١٩٩١ استخدم اقل من ١٠ في المئة من الذخائر الذكية لكن هذه المرة فان النسبة ستصل إلى اكثر من ٨٠ في المئة. ويقول البنتاجون: اذا كان صدام حسين يحتاج الى دافع اضافي للاستسلام فان القوات الجوية الاميركية ستطلق قنابل انفجار جوي من الطائرات «سي-١٣٠» من مسافات بعيدة موجهة بالاقمار الصناعية وقنابل «سحابة عش الغراب» تزن ٦,٥ طن وتسمى «ديزي كاتر» لخلق شعور بالاحباط ويأس في صفوف القوات العراقية

وتحييدها قبل ان تتمكن من استخدام اي اسلحة كيماوية او بيولوجية.

معلومات

ويؤكد الخبراء ان تكنولوجيا المعلومات أكثر أهمية في هذه الحرب مما كانت في أي صدامات سابقة. ففي قلب مركز العمليات المشتركة الذي تم انشاؤه في قطر تتم متابعة تحركات القوات الاميركية وكل عناصر الخصم بواسطة عدد كبير من الحاسبات الالكترونية. ورغم ان هذا المركز ليس أمرا جديدا الا ان المعلومات في وقت حقيقي التي ستصل إليه تخلق تحديا كبيرا أمام القيادة المركزية الأميركية لمعالجتها واتخاذ القرارات الصحيحة في وقت حقيقي كذلك. وهذا في رأيهم يمثل مرحلة جديدة في تطوير شبكة مركزية لإدارة الحرب.

ويرى خبراء مراكز الدراسات الاستراتيجية ان الميزة الرئيسية للقوات الأميركية ستكون القتال لمدة ٢٤ ساعة في اليوم مع سرعة اختراقها وتقدمها وسرعة استدعائها للقوات الجوية لتقديم المعاونة القوية المؤثرة للقوات المتقدمة. وقالوا ان عددا من القوات الأميركية تم تزويدها بأحدث معدات رقمية، فالفرقة الرابعة المشاة الميكانيكية مزودة بأجهزة عصضصمم وهو نظام يربط المعلومات من المستشعرات الموجودة بالمركبات البرية ومن الهليكوبتر «أباتشي» والطائرات والاقمار الصناعية مع «انترنت تكتيكي» على مستوى اللواء فأقل. وعلى مستوى المستخدم النهائي توجد شاشة عرض على حاسب لاب توب «محمول» توضح القوات الصديقة واوضاعها وأي موانع مثل حقول الالغام. وأدى هذا إلى تطور كبير في الالمام بالموقف للجنود والقادة على حد سواء. وبالنسبة لغالبية القوات التي تناور عبر الصحراء دون ان تكون لديها قدرات أجهزة الحصول على المعلومات وتنسيق دقيقة بدقيقة من خلال وسائل أخرى سيتحتم عليها تفادي التعرض لنيران صديقة أو اطلاق النيران على قوات صديقة.

وعلينا ان نتصور موقف القوات العراقية التي تفتقر إلى معظم هذه الوسائل وانها ستكون مرئية ومكشوفة من العدو وهي غير قادرة على جمع معلومات عن قوات العدوان الا عن طريق بعض دوريات استطلاع لا يمكنها رؤية لعمق أكبر من مدى نظارة الميدان، كما انها محرومة من أي وسائل استطلاع جوي لان السيادة الجوية انتقلت إلى المهاجم لقدراته الفائقة في هذا المجال «والسيادة الجوية تعني عدم القدرة على اقلاع طائرة عراقية أو أي وسيلة استطلاع جوي» ناهيك عن القتال الليلي فهناك طرف يرى كل شيء بوضوح ولكل عمق المسرح وطرف يكاد لا يرى شيئا.. من نتصور انه سيفوز..؟

وتقول مراكز الدراسات انه إذا سارت الأمور كما يتمنى المخططون فان التوقعات ان الحرب ستكون قصيرة جدا وان العراق سوف يستسلم بسرعة. ولكن إذا تمكنت قوات عراقية من الصمود في بغداد أو في مراكز حضرية أخرى فان القوات الأميركية قد تتورط في قتال مدن تتعرض فيه لخسائر ملموسة. ومع ذلك فان القوات الأميركية ستعاونها تكنولوجيا جديدة خاصة أجهزة الرؤية الليلية، وذخائر جديدة ووسائل دقيقة لتحديد الأهداف وأجهزة ملاحة وتحديد مجال كونية تمكنها من الحصول على دعم نيراني قوي وسريع. كما انها ستستخدم في المدن قنابل خاصة مثل «بانكر – باستر» أي قنابل تدمير الملاجيء والتحصينات وقواذف

صواريخ تطلق من الكتف مزودة برؤوس قـتالية حرارية وقنابل جديدة قـادرة على انتاج طاقة ميكرويف تقطع الكهرباء وتعطل الحاسبات ووسائل الاتصالات.

وعلى الرغم من قناعتي بان العراق قد يتعرض لهـزيمة قد تكون اقسى بكثير من هزيمته في حرب الخليج ١٩٩١ وان التـدمير سيكون ضــخما الا انني اعتـقد ان ما ماقـيل عن ان الجيش العراقـي سوف لا يقاتل وسـيسـتسلم لا يمكنني قـبوله لان الحـرب في هذه المرة على الارض العراقـية ودفاعـا عن شرف شعب العـراق رغم ان صدام حسين هو الذي ادى بالعـراق وبالامة العربـية كلها الـى هذه المأساة ولذلك اعـتقد ان كل فـرد في الامة العـربية وربما في العـالم كله يتمنى ان يقاتل الجيش العـراقي بشراسة وقوة حتى لا يعتقـد الرئيس بوش انه قادر وبسهولة على ان يغـزو اي دولة لمجـرد انها قـد تكون في يوم من الايام بعـد سنوات طويلة قـادرة على امتلاك سلاح نووي لردع التهديد الذي تتـعرض له ويزعم بان هذا يمثل تهديدا للولايات المتحدة ومصالحـها رغم ان هذا امر غيـر منطقي ولا يمكن ان يقبله عقل لان الولايات المتـحدة تمتلك من وسائل الردع التـقليدية وغيـر التقليدية مـا يمنع اي دولة من تهديدها ولان رد الفعل الامـيركي سيكون فائق التدمير.

جندي الكتروني

تتحـدث المصادر الأميركـية عن الجندي الالكتروني الذي تم استـخدامه ويحتـمل ان يشارك لأول مرة في الحرب ضد العراق وهو جندي لا يضل طـريقه في أراض غريبة لانه مزود بنظام ملاحي مثـبت في جيب سترته يمكنه من تحـديد مكانه والاتصال بكل أفراد فصـيلته عن طريق شبكة معلومـات متحركة ويحـمل مذياعا رقميا صـغيرا كوسيلة اتصــال ويمكنه ارسال صورة تظهر على شاشات زملائه.

الكرة الأرضية في ملعب أميركا

واشنطن تسعى جاهدة لفرض شرعية القوة لا قوة الشرعية

العصا والجزرة لضم دول في عملية العراق من أجل تحالف خارج الأمم المتحدة

الولايات المتحدة تخلق أمرا واقعا بالقوة ثم تطلب من العالم اقراره

المقاومة الشرسة أجلت ضرب الهدف التالي بعد العراق

القوة العظمى الوحيدة تريد تفصيل قواعد دولية على مقاسها

يوحي الموقف الحالي في العراق بأن العملية العسكرية الأميركية ليست نزهة كما اعتقد البعض. كما ان السهولة والسرعة التي انهارت بها المواجهة العسكرية العراقية لا تعني ان شعب العراق قد قبل الاحتلال واستسلم لقوات الغزو.. فقد اشتعلت المقاومة العراقية وتنامت وتشن هجمات مؤثرة ضد قوات الاحتلال يوميا حتى ان المحللين يؤكدون ان الخسائر التي تكبدتها قوات الاحتلال حتى الآن تفوق كل الخسائر التي تكبدتها أثناء العمليات العسكرية.

ويبدو ان الولايات المتحدة التي لم تنجح في خلق تحالف كبير للحملة على العراق ولم تشترك معها الا بريطانيا ثم استراليا بقوة صغيرة ودون قرار من مجلس الأمن نجحت بطريقة ما في ان تجبر دولا أوروبية وغير أوروبية على المساهمة بقوات ارسلتها الى العراق تحت القيادة الأميركية بلا قرار من الأمم المتحدة. وتم تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق: منطقة تديرها أو تسيطر عليها القوات البريطانية في الجنوب تشمل المحافظات الجنوبية، وتضم إلى جانب القوات البريطانية قوة من حوالي ٥٥٠٠ جندي من تسع دول أوروبية في أول شهر سبتمبر. وانضم إلى هذه القوات قوة حفظ سلام –حوالي ٢٨٠٠ جندي إيطالي– بدأت العمل فعلا.

وفي القاعدة الجوية بالقرب من الناصرية يوجد ٢٠٠ جندي من القوات الجوية الايطالية وعدد من طائرات «سي–١٣٠» الإيطالية أيضا، ويقوم ٥٠٠ من البحرية الإيطالية بأعمال دوريات وتطهير الغام بحرية بواسطة اربع سفن على طول شواطيء العراق بالخليج. كما انضمت قوات من رومانيا والبرتغال للعمل تحت قيادة القوة الإيطالية. وفي مناطق أخرى بجنوب العراق توجد قوة تشيكية من ٤٦٠ فردا تعمل في منطقة البصرة. وهناك قوة قتالية دنماركية قوامها ٤٥٠ فردا وتضم ٣٠ جنديا من ليتوانيا وقوة من ١١٠٠ جندي هولندي تشمل كتيبة مشاة اسطول وشرطة عسكرية وفريقا طبيا وثلاث طائرات هليكوبتر سي اتش–٤١٠ «شينوك» في منطقة طليل. ومن المخطط تمركز قوة نرويجية قوامها ١٤٠ جنديا في البصرة، وحوالي ٤٠ جنديا من نيوزيلندا من المهندسين العسكريين وكل هذه العناصر تحت القيادة البريطانية في الجنوب.

وفي المنطقتين المخصصتين للقوات الأميركية المسيطرة على كربلاء وبابل والنجف والقادسية والوسيط انضمت قوة بولندية قوامها ٢٣٠٠ جندي و١٨٠٠ جندي من أوكرانيا و١٣٠٠ من أسبانيا، وستوضع قوة قوامها ١١٠٠ جندي من دول أميركا اللاتينية تحت قيادة القوة الاسبانية «بسبب اللغة الموحدة» والدول اللاتينية المشاركة هي: هندوراس والدومينكان والسلفادور ونيكاراجوا. كما قدمت بلغاريا والمجر والفلبين ولاتفيا وليتوانيا وسلوفاكيا عناصر من القوات لتساهم في العمل في منطقتي السيطرة الأميركية. وأعلن ان حلف الناتو مد القوات بعناصر مخابرات واتصالات وإدارة.

سلطة عليا

كل ذلك يوضح ان الولايات المتحدة تمكنت من اشراك عدد كبير من الدول الأوروبية وغير الأوروبية في مغامرتها في العراق على أمل ان تضفي على الاحتلال سمة دولية كما لو كانت قوات حفظ سلام وليست قوات احتلال.. وهذا أمر غير صحيح لأن قوات حفظ السلام تكون بقرار من الأمم المتحدة ولكن يبدو ان الولايات المتحدة اعتبرت نفسها سلطة تعلو على الأمم المتحدة.

ان الرئيس بوش يعتقد انه بتجميع عدد كبير من عناصر قوات من عدد من الدول سيخلق شرعية لبقاء قواته بالعراق والسيطرة عليه، إلى جانب إمكانية سحب جزء من قواته لمهمة اخرى أو لاعادتها إلى الولايات المتحدة ليقلل من قلق اسر القوات الأميركية على سلامة ابنائها بعد ان ارتفعت الخسائر نتيجة هجمات المقاومة العراقية وكل ذلك قد يساعده على عبور أزمة الانتخابات الرئاسية التي يتعرض لها حاليا.

ويجمع المحللون والخبراء على ان احتلال الولايات المتحدة للعراق له تداعيات سلبية على وضعها ومكانتها بين دول العالم وهذا يزيد فرصة شن عمليات إرهابية ضد مصالحها كما ان امتداد التواجد الأميركي على رقعة كبيرة من المسرح الدولي وتدخلها في صراعات مع عديد من الدول في مناطق كثيرة من العالم يزيد من تعرضها لهذه العمليات الإرهابية. وقد بدأ في أفغانستان ظهور مجموعات معارضة تعمل على شكل خلايا وتنظيمات سرية ومنها ما يتبنى فكر قاعدة بن لادن. كما ان عدم عثور الولايات المتحدة على أي أسلحة تدمير شامل في العراق -وهي السبب الرئيسي لشن الحرب – زاد من سوء الوضع السياسي للولايات المتحدة ويؤثر سلبا على مصداقيتها.

والأمر الذي قد يكون خافيا على إدارة بوش ان الطريقة التي تحاول بها الولايات المتحدة تشكيل حكومة جديدة في العراق -والتي بدأت بمجلس حكم انتقالي على أسس طائفية وعرقية- أمر يفتح بابا خطيرا يستحيل السيطرة عليه والتحكم فيه، فالتوزيع الطائفي والتقسيم العرقي في هذا المجلس يمكن ان يؤدي إلى انفجار لا حدود له ويدخل العراق في نفق من الصراع لا نهاية له.

ويرى المحللون ان الولايات المتحدة تريد بضم قوات من عدة دول إلى قواتها بالعراق وتحت قيادتها الحصول على شرعية للوضع الجديد في العراق. ويبدو أنها ستنجح في ذلك فسكرتير

عام الأمم المتحدة كوفي عنان حث مجلس الأمن على الاعتراف بمجلس الحكم العراقي الجديد كخطوة نحو تكوين حكومة حقيقية. وقال عنان ان على مجلس الأمن خلق بعثة للأمم المتحدة في العراق وانتقد الدول التي لم تقل شيئا حول هذا الأمر. ووزعت اسبانيا -أحدى الدول التي تمردت على الرأي العام ومجلس الأمن وايدت العملية العسكرية ضد العراق- بيانا في مجلس الأمن ترحب فيه بالمجلس العراقي الانتقالي كخطوة نحو تشكيل حكومة يعترف بها دوليا. ومع ذلك لم يمر هذا الاقتراح بسبب وجود خلافات بين الخمسة عشر عضوا في المجلس. وأعلن كوفي عنان ان العالم يحتاج إلى زيادة دور الأمم المتحدة في العراق لكنه لم يوضح هل سيكون هذا الدور خاضعا وتابعا للإدارة الأميركية وهو ما تتمسك به الولايات المتحدة بصورة قاطعة ومؤكدة.. وهناك تساؤلات في كل الأوساط عن الدولة التي عليها الدور في مغامرة أميركية جديدة بحجتها المعروفة انها قد تصبح بعد فترة تهديدا للولايات المتحدة ومصالحها وأصدقائها وحلفائها. ورجح بعض المحللين ان إيران هي المرشحة الأولى لذلك على أساس ادعاء بانها تسعى لامتلاك قدرات نووية، كما ان الولايات المتحدة تزعم أنها تدعم المقاومة العراقية حاليا ضد قوات الاحتلال. وفي الوقت الذي قبلت فيه إيران تفتيش هيئة الطاقة الدولية على منشآتها النووية لتؤكد انها لاغراض مدنية بدأت عدة مراكز دراسات استراتيجية الحديث عن إيران بصورة تشير فيها إلى انها تسعى لتطوير قدراتها الدفاعية التقليدية وانها تسعى لامتلاك القنبلة النووية.. وهذا أمر لا تقبله الولايات المتحدة وهذا يعني ان هناك تمهيدا إعلاميا لتكون إيران الهدف القادم للحملة العسكرية الاميركية.

ويصف احد المحللين الروس الموقف الدولي الآن بان تحلل القطبية العالمية بعد انهيار واختفاء الاتحاد السوفيتي لم يضف شيئا للديمقراطية في النظام الدولي. فالعلاقات بين الدول والأمم رغم انها مازالت نظريا تؤكد تساوي الجميع في الحقوق والواجبات فان الكل يعرف من من الدول والأمم أكثر تمتعا بالمساواة. ومع ذلك فان الأمر الجديد ان أسلوب التعاون بين الدول الكبرى تغير بصورة غير مسبوقة، فالقوى الأكثر نفوذا والتي تطلق على نفسها تجاوزا -لقوتها النووية والعسكرية- قوى عظمى أو قوى كبرى توقفت عن تهديد بعضها البعض ولجأت الى الدبلوماسية في حل خلافاتها.

ويرى ان بعض المعالم ظهرت كعناصر أساسية في العلاقات الدولية للقرن الحالي وهي ان. العلاقات التقليدية بين الدول أصبحت تسمى «السياسات الدولية» وان الولايات المتحدة تستخدم قيادتها للاقتصاد وتقدمها التكنولوجي وقدراتها العسكرية المتفوقة في دعم مكانتها كقائد عالمي يدور حوله النظام الدولي الجديد. وتقوم الإدارة الاميركية الجمهورية بتأكيد ذلك بكل العجرفة بغض النظر عن مشاعر الدول الأخرى.

ووسعت واشنطن من مدى الوسائل التي تستخدمها لاقحام حلفائها في الناتو وأصدقائها في أوروبا وروسيا الجديدة في مهامها الدولية. واختلفت هذه الوسائل وزادت براعتها. كما ان الصفوة الأميركية اخذتهم النشوة بجهود الولايات المتحدة لوضع اجندة جديدة للسياسات الدولية للنصف الأول من هذا القرن اطلقوا عليها «المشروع الأميركي للعالم وروسيا». فالولايات المتحدة عازمة على انه للحفاظ على زعامتها وقيادتها للعالم يجب ان تسيطر على مصادر الدول

الأخرى خاصة مصادر الطاقة بأي وسيلة كانت سلمية أو بالردع. وتدعي أنها تريد تحقيق ذلك من خلال الدمج الذي أصبح العنصر الاساسي لإدارة السياسة الخارجية الأميركية. ويتضح ذلك من محاولة الولايات المتحدة اختراق نظام التعاون الاقتصادي الآسيوي الباسيفيكي «الآسيان» مستغلة علاقاتها الاقتصادية والعسكرية الخاصة مع اليابان والتعاون الاقتصادي مع تايوان والصين وكوريا الجنوبية.

تغيير النظم

ويقول ان الولايات المتحدة تسعى للهيمنة العالمية كقوة عظمى وحيدة مستغلة قدراتها الضخمة الاقتصادية والعسكرية.. وسلحت نفسها بعقيدة «تغيير النظم» في دول أخرى وتراقب الدول التي تعتبرها عدوا لها وتحاول ان تحتفظ بقائمة لهذه الدول التي اطلقت عليها رسميا تسمية «الدول المارقة» في إطار ثابت وصغير. وتشير الإدارة الأميركية إلى ان هذا العدد الصغير يعني ان استخدام القوة العسكرية ضد أي منها لن يؤدي إلى اتساع نطاق الصدام.

ويرى ان الولايات المتحدة تحاول المحافظة على وحدة حلفائها والعلاقات بينها وبينهم لتتفادي أي صدام معهم وتفضل واشنطن المباحثات لوضع حل مناسب لكل موقف، ومع ذلك فانها تلجأ كثيرا للوعيد والتهديد كملاذ اخير لحل أي مشكلة. وضرب مثلا لذلك بما حدث أثناء مناقشة الحل العسكري ضد العراق في مجلس الأمن ووقوف فرنسا وألمانيا وروسيا والصين ضد هذا العمل ونجاحها في منع صدور قرار من مجلس الأمن يسمح بالعمل العسكري.

ويرى ان الولايات المتحدة فازت في هذه المعركة الدبلوماسية ونفذت ما صممت عليه بغض النظر عن موقف هذه الدول. ويرى ان الولايات المتحدة تدعو منافسيها القدامى لتحويلهم إلى شركاء وانها نجحت في كثير من الحالات في ان يصبح الكثيرون منهم شركاء وليس اعداء.

ومع ذلك فإنه يدعي ان روسيا والصين والدول الأوروبية مازالت تصر على ان يكون لها رأي وقرار مستقل عما تفعله الولايات المتحدة. ولكن العكس صحيح أيضا فأقوى هذه الدول «الصين وروسيا وفرنسا وألمانيا» لها علاقات تجارية واقتصادية وتمويلية مع الولايات المتحدة وليست مستعدة لقطعها بأي صورة من الصور.

إن التطور الحالي غير المسبوق هو أن مجال النفوذ الآن أصبح العالم كله ولكي تخلق الولايات المتحدة نوعا من الشرعية للهيمنة على العالم أدعت انها تتعرض لتهديدات من منظمات إرهابية ودول ضعيفة وصفتها بانها «دول مارقة» تبعد عن أراضي أميركا عشرات الألوف من الاميال وترى أن لها الحق في ان تتدخل في قارات بعيدة. وكان مجال النفوذ قبل ذلك يقتصر على مناطق وكان التدخل في هذه المناطق يتعارض مع مبدأ عدم التدخل في شؤون الدول. ولكن اليوم أصبح هناك مجال واحد له سمة كونية خلقته القوى العظمى ولما أصبح العالم أحادي القطبية انفردت الولايات المتحدة بعقيدة التدخل في أي مكان. وخرج بوش على العالم بعقيدة واستراتيجية جديدة هي «الحرب المسبقة» أو «الحرب المانعة» ليعطي نفسه الحق في ان يهاجم أي دولة في أي مكان من العالم بحجة انها تطور قواتها المسلحة بما قد يشكل تهديدا في المستقبل للولايات المتحدة ومصالحها وحلفائها واصدقائها. وبدأ بتطبيق هذه الاستراتيجية على

العراق «الدولة المارقة» في رأيه وأدعى انهـا تمتلك أسلحة دمار شامل وثبت بعد انتهـاء العمليات انه ادعاء غيـر حقيقي لدرجـة ان الرئيس الأميركي يتعـرض حاليا لهجـوم من الكونجرس بانه خدع الرأي العام، كما ان توني بلير رئيس الوزراء البريطاني يتعرض أيضا لأزمة سياسية حادة قد تطيح به من المسرح السياسي البريطاني.

أحداث معقدة

الأحداث الجارية حاليا في العالم شـديدة التعقيد لأن العالم يتغير بسرعـة أكبر بكثير. فهناك قوى تـعيد تـشكيل كوكب الارض. فـفي العقـد الاخيـر من القرن العـشرين شـاهدنا ثورة في الاتصالات والتكنولوجـيا ونهاية الحـرب الباردة التي استـمرت حوالي خـمسين عامـا «من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٩١» واخـتفى الاتحاد السـوفيتي كقـوة عظمى وأصبح العالم أحـادي القوة. ويرى المحللون والمراقـبون ان الارهاب الدولي والتطرف الديني أصـبحا عـاملا ايديولوجـيا في السياسات الدولية.

قواعد التدخل

بدأت مراكز الدراسـات الاستراتيجيـة الدولية تتحدث عمـا يعطي شرعية لتغـيير نظام دولة أخرى وطبـقا للمادة ٥١ من مـيثاق الامم المتـحدة اذا هاجمت دولة مـا دولة أخرى مبـاشرة أو بصورة غـير مباشـرة فإن من حق الاخيـرة «الدولة التي تعرضت للهجـوم» الدفاع عن نفسـها وبالتالي استخدام القـوة ضد الطرف المعتدي. وفي حالة أفغانستان اعـتبرت الولايات المتحدة أن الهجوم الارهابي ضدها في ١١ سبتمبر عدوان غير مباشر عليها واستخدمت البند الذي أشارت اليه المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة وهاجمت حـركة طالبان عسكريا. أما في حالة العراق فإن العراق لم يعتد - عدوانا مباشرا أو غير مبـاشر- على الولايات المتحدة ومع ذلك هاجمته أميركا لتغييـر النظام فيه ودار جدل حول تغـيير النظم والتدخل العسكري للقيـام بذلك. واقترح بعض المحللين ضرورة وضع قواعد لهذا المبدأ اذا تمت الموافقة عليه.

تساؤلات

اثارت هذه التطورات أسـئلة تبحث عن اجـوبة: كيف يمكن التـوفيق بين حـماية السـيادة مع الحاجة الى العـمل ضد المخالفة الجسـيمة لحقوق الانسان مـثل الجرائم التي ارتكبت في رواندا والبوسنة. وألـيس من العدالة ان تكون للأمم المتـحدة وحدها الحق في تقـرير ما اذا كـان الامر يتطلب تغيير نظام ما وأن يكون القرار بالأغلبـية المطلقة لاعضاء مجلس الامن ولا حق لأي دولة في أن تستخدم الفيـتو في ذلك؟ وكيف يمكن للمجتمع الدولي وضع قواعد صـالحة للتنفيذ على الدول القوية والدول الضـعيفة على حـد سواء لايقاف انتشـار الارهاب؟ وكيف يمكن منع دولة كبرى من ان تضرب عرض الحائط بالقواعد الموضوعة ومعاقبتها اذا تخطت هذه القواعد؟

الحرب بقرار أميركي

واشنطون غير معنية بمجلس الأمن وضرب العراق حتمي

المناورات في الأمم المتحدة مجرد فرصة لحشد القوات وترتيب مواقعها

الحلفاء الأوروبيون تراجعوا الى مرتبة متدنية في عهد بوش

اميركا تريد قيادة العالم بشكل انفرادي من منطلق مصالحها

اوروبا بقيادة فرنسا تبحث عن صيغة للاعتماد الأمني على الذات

تركيا تناور لتحقيق مكاسب لكنها ستركب القطار الأميركي في النهاية

تقترب الأزمة العراقية من النهاية المأساوية بالغزو الأميركي للعراق واحتلاله وتغيير نظامه.

وما يدور على الساحة الدولية والاقليمية لن يغير القرار الأميركي لان الإدارة الأميركية ستنفذ ما عزمت عليه رغم ما قد يسفر عنه قرار مجلس الأمن.

وتقدمت واشنطون بمشروع قرارها لمجلس الأمن ليس لانها تريد ضمان صدور تفويض رسمي من المجلس باستخدام القوة وانما لاقناع الشعب الأميركي بانها حاولت وانها وان لم تحصل على قرار من المجلس فقد حققت تحالفا دوليا يؤيدها في الحرب يتكون من عدد من الدول قد يصل إلى عشر أو أكثر، إلى جانب تقديم خدمة لحليفها توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الذي بدأ يواجه أزمة داخلية تهدد مستقبله السياسي.

ويقف توني بلير مع رئيس وزراء اسبانيا ليعلنا دعمهما لمشروع قرار مجلس الأمن الذي قدمته الولايات المتحدة للمجلس وشن حملة دبلوماسية واعلامية لكسب أكبر عدد من أعضاء المجلس واقناع فرنسا بعدم استخدام الفيتو.

ويقول توني بلير ان العراق خالف ومازال قرارات الأمم المتحدة وانه يهدد الأمن والسلام الدوليين وشن خلال العقدين المنصرمين حربا على جاريته إيران والكويت وعلى المجتمع الدولي نزع سلاحه وتغيير نظامه. وعدد حجم المواد البيولوجية والكيماوية الموجودة لدى العراق، حتى ان بعض المراقبين والمحللين يقول انه ذكر ارقاما يصعب معرفتها الا إذا كانت هذه المواد قد تم استيرادها من دول غربية ومنها بريطانيا.

وتتحدث الانباء عن استكمال حشد القوات الأميركية واستعداداتها المكثفة فلقد وصل عدد حاملات الطائرات بالمنطقة إلى ست حاملات ووصلت طائرات الشبح إلى الخليج، وتم حشد ٦٤ ألف جندي أميركي في تركيا.

ووصل دعم حلف الاطلنطي لتركيا للدفاع عن نفسها ضد التهديد المزعوم من العراق

وتوغلت القوات التركية أكثر من مرة في شمال العراق لمطاردة الثوار الاكراد الاتراك.

روسيا والمانيا

وأعلنت روسيا انها ستستخدم حق الفيتو «النقض» لمنع قرار الحرب الذي تصر الولايات المتحدة على اصداره من مجلس الأمن. وقال وزير الخارجية الروسي ايجور ايفانوف ان روسيا ستستخدم حق الفيتو للحفاظ على السلام في العالم إذا كان ذلك ضروريا.

وقال المستشار الألماني شرودر امام البوندستاج ان أسباب معارضة ألمانيا للغزو الأميركي للعراق هي انه يرى ان الأزمة العراقية سوف تقرر مصير العالم كله لفترة عقدين من الزمان، وانه إذا غزت الولايات المتحدة العراق بموافقة الجميع فان ذلك يعني الاقرار بعالم خاضع لقطب واحد لعقدين من الزمان. وقال بعض المحللين ان المستشار الألماني قال انه قد لا تنجح فرنسا وألمانيا في منع هذا الغزو ولكنهما ستتمكنان من تعرية الدوافع الامبريالية الأميركية من غطاء الشرعية الدولية. وهذا يوضح ان ألمانيا وفرنسا تدركان تماما ان الولايات المتحدة لن تتراجع عن غزو العراق وافق مجلس الأمن أو لم يوافق.

ويتوقع المحللون والمراقبون اندلاع الحرب خلال الفترة القليلة القادمة وان كانت الولايات المتحدة قد تجد نفسها وسط معركة عاجلة في مجلس الأمن من أجل صدور القرار الذي تطلبه لذلك لجأت إلى ما أطلق عليه المحللون «دبلوماسية الدولار» لاقناع عدد من الدول بتأييد القرار خاصة انجولا والكاميرون وشيلي وغينيا والمكسيك وباكستان على أساس انها بذلك ستحصل على ٩ أصوات بغرض اقناع فرنسا وروسيا والصين عن استخدام حق الفيتو.

ويعتقد المحللون انه لو نجحت الولايات المتحدة في الحصول على هذه الاصوات وقررت أي دولة من دول الفيتو الاعتراض فان واشنطون ستعتبر نفسها قد حصلت على غطاء شرعي لشن عملياتها العسكرية ضد العراق رغم عدم صدور قرار بذلك من مجلس الأمن.

كما ان المسؤولين الأميركيين اعلنوا ان الإدارة الأميركية اعدت خطة طوارىء بمشاركة عشر دول اخرى لإدارة الاوضاع الإنسانية المتدهورة التي يمكن ان تترتب على العمل العسكري والسيطرة على العراق من أجل توفير الغذاء والخدمات العاجلة لملايين العراقيين النازحين الذين سيتحولون إلى لاجئين في الدول الأخرى، بل أعلنوا ان الإدارة الأميركية بدأت منذ سبتمبر الماضي إقامة مراكز تخزين لمواد غذائية في أربع دول مجاورة للعراق وتم انفاق حوالي ٢٧ مليون دولار لتغطية تكاليف هذه المساعدات الإنسانية بعد اندلاع الحرب. الا يعني ذلك ان الولايات المتحدة قررت تنفيذ عملياتها بغض النظر عن نتائج ما يدور في مجلس الأمن.

ومن المعروف ان المبادرة التي قدمتها فرنسا لمجلس الأمن ردا على مشروع القرار الذي قدمته الولايات المتحدة وبريطانيا واسبانيا اقترحت وضع جدول زمني واقعي ومحدد للتفتيش وان يحدد المفتشون المهام الأساسية التي يجب على العراق تحقيقها خاصة في مجال الصواريخ والأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية. ومن المعروف ان العراق بدء في تدمير صواريخ «صمود -٢» وتفكيك منصة اختبار المحرك الصاروخي.

شجار

وأشار برجنسكي مستشار الأمن القومي الاميركي الاسبق في مقال له بصحيفة «واشنطن بوست» الى ما سماه «حالة من الشجار البشع» بين الحلفاء بسبب القضية العراقية. وان الأسلوب الذي تعاملت به الولايات المتحدة مع قضية الإرهاب الدولي بدا للاوروبيين انه يتسم بنزعة دينية وهو ليس كذلك، وان اوروبا تشعر بأن الولايات المتحدة تستغل الحرب ضد الإرهاب لخدمة مصالحها في العالم خاصة في الشرق الأوسط واوراسيا. وانتقد برجنسكي مبايعة بوش لسياسة شارون في تعامله مع الشعب الفلسطيني وان المنحازين لإسرائيل في إدارة بوش يهدفون إلى القضاء على اتفاقيات أوسلو وتدمير العراق لفرض السلام الذي يريدونه على الفلسطينيين. ودعا الادارة الاميركية لأن تعي ان السير نحو السلام يتطلب نزع سلاح العراق ويتطلب أيضا استئناف مفاوضات السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل. وعلى الولايات المتحدة اعطاء المفتشين الدوليين ما يطلبونه من وقت لاستكمال مهامهم في العراق.

وبالنسبة للموقف التركي وما قد قيل عن رفض البرلمان بشأن المصادقة على خطة تواجد ٤٠ ألف جندي اميركي في الاراضي التركية حدد المحللون ما تطالب به تركيا لتنضم إلى الحملة في:

■ اسقاط الديون العسكرية والحصول على منحة لا ترد قدرها ١٠ مليارات دولار وعلى قروض قدرها ٢٠ مليار دولار في حين تعد الولايات المتحدة بأن الأمر لا يتعدى اسقاط الديون العسكرية التركية «٥ مليارات دولار» ومنح تركيا قروضا في حدود ٦–٨ مليارات دولار.

■ ان تسيطر تركيا على منطقة شمال العراق بعمق حتى ٢٢٥كم.

■ منع قيام أي كيان كردستاني في شمال العراق.

■ ابعاد أي نفوذ كردي عن الموصل وكركوك لحرمان أي حركة كردية انفصالية من أية موارد تساعدها على تحقيق مآربها.

■ تشغيل خط انابيب البترول من العراق إلى تركيا والذي تحصل منه تركيا على ١٥٠ مليون دولار كل ستة أشهر.

■ ان تحصل تركيا على ١٠ في المئة من بترول العراق.

وذكرت بعض المصادر ان البنتاجون وضع سيناريوهين للعمل العسكري في شمال العراق في حالة استمرار رفض البرلمان التركي شن هجوم أميركي من الأراضي التركية. الأول: الاعتماد على الهجوم من الجنوب ومن الغرب ودفع عناصر إلى الشمال للسيطرة على المنطقة الكردية. والثاني: الاستيلاء على مطار واقع تحت السيطرة الكردية في شمال العراق تندفع إليه قوة المحور الشمالي اعتمادا على ان الاكراد سيؤمنون لها ذلك، مع عملية ابرار جوي كامل بشمال العراق وهي عملية تتطلب مجهود نقل جوي كبير وتنسيقا وتخطيطا دقيقا.

تأهب القوات

وأعلن وزير الدفاع الأميركي رامسفيلد ان القوات الأميركية في المنطقة استكملت استعدادتها

تماما لشن الحرب على العراق إذا اتخذ الرئيس الأميركي قرارا ببدء الحرب وان البنتاجون مستعد تماما ولديه الإمكانات والخطة لتنفيذ ذلك بنجاح كامل.

وأكد كولن باول وزير الخارجية الاميركي أن الولايات المتحدة لا تريد تدمير العراق وانه بمجرد الاطاحة بنظام صدام حسين سوف تبقى المؤسسات العراقية الاخرى التي يمكنها العمل بعد سقوط هذا النظام. وحاول ان يبعد شبهة الاستعمار عن الولايات المتحدة قائلا ان سجل الولايات المتحدة لا يشير إلى انها دولة استعمارية وانما تسعى لاحلال السلام وتحقيق الأمن والنظام. لكنه لم يفسر من الذي اعطى الولايات المتحدة الحق منفردة في ان تقوم بذلك.

وكانت دول غرب أوروبا تعتمد على الولايات المتحدة في حماية أراضيها. والآن ولأسباب كثيرة تحاول دول الاتحاد الأوروبي ان تعتمد على نفسها في هذا المجال بل وتحاول ان تصبح مصدرة للأمن لا مستوردة له وهنا طفا الى السطح تساؤل يواجه الحكومات والمؤسسات الأوروبية عن مدى الأمن الذي يجب ان يحققوه ويصدروه وما الوسائل اللازمة لذلك. ودار جدل كبير حول القدرات الأوروبية والقدرات عبر الاطلسي مركزا على الانفاق العسكري وتكلفة تطوير القدرات العسكرية والمقارنة بين القوة العسكرية الاوروبية والقوة العسكرية الأميركية. ومع ذلك فان السؤال المهم الآن هو كم دولة اوروبية يمكنها ان تحقق شيئا في مجال الأمن؟ وما هي المعادلات الجديدة التي يمكنها ان تحقق في هذا المجال؟ وأهم ما يشتمل عليه هذا الجدل هو مدى الطموح الأوروبي في تحقيق دور نشيط ومسؤول في مجال الأمن العالمي، وما إذا كانت المجتمعات الأوروبية قادرة على تحمل وتقبل المخاطر والتضحيات في هذا السبيل. ومن المؤكد ان النتيجة المحتملة لهذا الجدل ستؤدي إلى حدوث تغييرات ملموسة. فالحدود بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي أصبحت غامضة كما ان الاعتماد المتبادل أو التداخل الاقتصادي والاجتماعي سواء داخل أوروبا أو بينها وبين باقي العالم زاد بوضوح.

ونتيجة تركيز الولايات المتحدة على الدفاع عن نفسها -كما تدعي إدارة بوش- وعلى الإرهاب الدولي وعلى إدارة الأزمات في مناطق خارج أوروبا يرى المحللون ان على أوروبا ان تستعد لتحمل مسؤولية أكبر في مجال امنها القومي. فلقد أصبح واضحا الان وجود منظور مختلف عن شكل التهديد ومعنى العمليات المتعددة الجنسيات بين جانبي الاطلسي «أي بين الولايات المتحدة وأوروبا».

ويرى المراقبون ان الاقتراب الأوروبي من الأمن أصبح مؤسسا على ان الوسائل العسكرية ليست إلا عنصر واحد من عناصر كثيرة لتحقيق سيادة أمنية مستقرة.

ومن الأمور التي تترتب على هذه التطور الخبرة من المواجهات الشرقية - الغربية في أوروبا التي اكدت انه ليس بالضرورة ان كل مشكلة يجب حلها عسكريا. وأدى ذلك إلى فهم أوسع للقدرة على معالجة الازمات أو منع حدوثها.

ويرى المحللون ان هذا أحد أسباب معارضة فرنسا وألمانيا شن حرب ضد العراق بالاضافة إلى الاضرار الاقتصادية التي ستلحق بهذه الدول نتيجة استحواذ شركات أميركية على الثروة

البترولية الضخمة للعراق إلى جانب ان الولايات المتحدة -على حد تعبير المحللين الأوروبيين- تحاول ان تنفرد بالسيطرة على أوراسيا. وان مصالح حلفائها أصبحت تأتي في مرتبة متدنية في السياسة والاستراتيجية الأميركية.

ويقول المحللون انه على الرغم من صدور مبادرة القدرات الدفاعية لحلف الناتو بعد اكتشاف نقاط ضعف أوروبية في عملية قوات التحالف في كوسوفو عام ١٩٩٩ واعلان وزارة الدفاع الأميركية ان الحلفاء الأوروبيين ضعفاء وبصفة خاصة في الضربات الدقيقة وخفة الحركة والنقل الجوي الاستراتيجي والقيادة والسيطرة والاستطلاع والاستخبارات فإنه لا يمكن لأوروبا ان تفتح أي قدرات عسكرية على مسافات بعيدة. كل ذلك بالاضافة إلى الاتجاه الانفرادي للولايات المتحدة في كل المسائل السياسية والاستراتيجية الدولية مما دفع بدول مثل فرنسا وألمانيا إلى السعي لان يكون لها دور في الأزمات الاقليمية خاصة في المناطق التي لها أهمية اقتصادية لتلك الدول. بل تعتقد دول الاتحاد الأوروبي ان لها قدرات لان تصبح قوة عالمية في منع الصدامات وادارة الأزمات. وعلى الرغم من ادراكها بانها لا تملك الادوات وطريقة استخدامها مثل الولايات المتحدة أو مثل تحالف بقيادة الولايات المتحدة فإنها تعتقد ان في مقدورها ان تكون شريكا استراتيجيا فاعلا حين تكون مصالحها مهددة. وبدأت فعلا تطوير قدراتها ليمكنها القيام بهذا الدور، ولكن يبدو ان الولايات المتحدة لا تريد ذلك.

تعديل لا تراجع

خبراء الاستراتيجية والسياسة الاميركيون ومنهم برجينسكي مستشار الامن القومي السابق يطالبون بتعديلات في سياسة الادارة الاميركية تجاه العراق وهي تعديلات لا تعني التراجع عن الاهداف وانما تعني ضمان حدوث اتفاق مع الحلفاء الأوروبيين بالذات حول تلك الاهداف.. حتى يمكن لمجلس الأمن ان يوافق في النهاية على ضرب العراق دون حدوث انشقاق بين الحلفاء.

الرد جاهز

دفعت الولايات المتحدة عناصر من قواتها عبر الحدود مع تركيا في شمال العراق لتأمين عملية ابرار جوي كبيرة في حالة استمرار رفض البرلمان التركي شن هجوم على العراق من الاراضي التركية.. وستتم هذه العملية بالتعاون مع الاكراد.. كما ان عناصر القوات الاميركية الموجودة في شمال العراق منذ فترة تعرفت على القدرات القتالية للاكراد واعدادهم وتدريبهم.

٣

الدمار الشامل

أوروبا تتمرد على اميركا

فرنسا والمانيا تقودان محورا ضد القطب الواحد وتحتاجان الى دعم عربي

اشتروا المنتجات الفرنسية والالمانية وحولوا أموالكم لبنوك البلدين

اتجاه السوق العربية والاسلامية لمنتجات باريس وبرلين يحطم الهيمنة الاميركية

المعايير المزدوجة لواشنطن قتلت كل الآمال في حيادها ونزاهتها

بوش يضرب العراق بناء على أكاذيب ويسعى لحل سلمي مع كوريا النووية

اميركا ضحت بكل الدول العربية من أجل تحقيق حلم اسرائيل الكبرى

انتظر الجميع خطاب الرئيس بوش يوم ٢٨ يناير الماضي حول حالة الاتحاد امام الكونجرس حيث كان المتوقع ان يشير الى نية الولايات المتحدة بشأن العراق.. وهل ستمضي في مخططها العسكري لتغيير النظام والاحتلال أم ستستجيب لرأي عام دولي متنام باللجوء إلى وسيلة أخرى بخلاف الحرب، علما بان محمد البرادعي مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية أوضح أن الوكالة تأكدت من ان البرنامج النووي العراقي قد تم تدميره تماما وان أنابيب الالومنيوم التي اتهم العراق باستيرادها لاستخدامها في تخصيب اليورانيوم وصنع أسلحة نووية لم يتم استعمالها في هذا المجال وانما استخدمت لأغراض مدنية.

وأعلن بوش في خطابه بصورة قاطعة ان ساعات حاسمة مقبلة تنتظر القوات الأميركية في منطقة الخليج حيث ستقود الولايات المتحدة تحالفا دوليا لنزع أسلحة الدمار الشامل العراقية في حالة رفضه الامتثال للقرارات الدولية. وهي اشارة إلى ان العراق يتلاعب وان الحرب قادمة لا ريب فيها.

وفي اشارة واضحة لعدم أهمية أي انتقادات عالمية متزايدة بشأن شن هجوم شامل على العراق قال بوش بأسلوب مسرحي: «ان مصير الأمة لا يجب ان يعتمد على قرارات الآخرين» كما لو كان العراق يمثل تهديدا خطيرا لمصير الأمة الأميركية، وهو أمر تحدثنا عنه وأكد المحللون ان العراق لا يمثل أي تهديد لأراضي اميركا لأنه لا يملك الوسائل ولا ادوات توصيل أي أسلحة دمار شامل إلى الأراضي الأميركية وأصبح مؤكدا أن كل ما له علاقة بأي أسلحة دمار شامل عراقية قد تم تدميره بشهادة آخر تقرير لمفتشي الأمم المتحدة.

وعدد بوش الادعاءات حول انتهاكات النظام العراقي لابسط حقوق الإنسان التي ارتكبها ضد شعبه كما لو كانت العناية الالهية نصبت بوش وادارته حمل رسالة تحرير الشعوب من طغيان حكامها.

واشار بوش إلى ان الولايات المتحدة لديها أدلة استخبارية دامغة حول قيام رجال الأمن العراقيين باخفاء الوثائق والمستندات والمواد المهمة لكشف برامج أسلحة الدمار الشامل عن المفتشين الدوليين بان كانوا يسبقون فرق إلتفتيش إلى مواقع التفتيش من أجل تنظيفها– على حد قوله– وهو تصريح غريب لان العراق كانت لديه الفرصة قبل وصول اللجان لاخفاء هذه الوثائق.

وقال ان رجال الأمن يراقبون تحركات لجان التفتيش ومنع العراق تحليق طائرات التجسس «يو–٢» التي طالب بها المفتشون علما بان المفتشين لم يثيروا مثل هذه الأمور خلال التفتيش أو في تقاريرهم بعد انتهاء مهمتهم.

وقال السيناتور الاميركي ادوارد كيندي انه سيتقدم بمشروع قرار جديد لمجلس الشيوخ يمنع بوش من شن الحرب على العراق دون الحصول على موافقة جديدة من الكونجرس معللا ذلك بان أمورا كثيرة تغيرت منذ مناقشة الكونجرس لأزمة العراق في الخريف الماضي وان هناك تقدما واضحا على صعيد عمل المفتشين في العراق وان هذا العمل يجب ان يستمر.

ولا اعتقد ان هذا المشروع سيمر في الكونجرس لأن الحزب الجمهوري له السيطرة وسيقف الاعضاء الجمهوريون خلف بوش.

محور الشر

ورغم ان بوش تجنب في خطابه استخدام تعبير «محور الشر» الذي اطلقه في خطاب حالة الاتحاد السابق فإنه تحدث عن نفس الدول التي تكون هذا المحور في رأيه.. فقال ان العراق وكوريا الشمالية وإيران تتطلع إلى امتلاك أسلحة نووية وكيماوية وبيولوجية مما يهدد العالم والولايات المتحدة. ودعا الشعب الأميركي والمجتمع الدولي للتصدي لهذه الدول معلنا ان بلاده تقود العالم للتصدي لخطر الإرهاب الدولي رغم ان العالم لم يفوضه في ذلك أو يعترف بقيادة الولايات المتحدة لهذه الحرب. وقال ان النظام الكوري الشمالي –الذي وصفه بالنظام القمعي– يقود شعبه إلى الفقر والجوع ويستخدم برنامجه النووي لاثارة الخوف وليس للردع كما يدعي، وأكد ان الولايات المتحدة لن تقبل هذا الابتزاز. ومع ذلك قال ان الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية وروسيا والصين تعمل معا من أجل الوصول إلى حل سلمي لازمة الأسلحة النووية في كوريا الشمالية. ويبدو ان العراق امر آخر لا يستحق السعي لحل سلمي لانه اضعف من كوريا الشمالية ولا يمتلك سلاحا نوويا مثل بيونج يانج يهدد سول عاصمة كوريا الجنوبية والحرب في كوريا الشمالية ستكون مكلفة إلى حد كبير في أرواح الجنود الأميركيين اما غزو العراق فكما وصفه وزير الدفاع الأميركي رامسفيلد فسيتم في لمح البصر ودون خسائر تذكر، كما ان العراق به ثاني أكبر احتياطي بترول في العالم عكس كوريا الشمالية التي لا يوجد بها شيء يهم الولايات المتحدة إلا مجرد فرض هيمنتها على منطقة الشرق الأقصى وهذه مسألة يمكن تأجيلها أو حلها دبلوماسيا.

ان أي عمليات عسكرية ضد كوريا الشمالية إذا تمت فستكون بعد حشد قوات في كوريا

الجنوبية وهو أمر اعتقد ان الرئيس الكوري الشمالي سيعتبره خطرا يهدد بلاده ونظامه وسيبادر بالتدخل ضد هذا الحشد وسول تبعد عن حدود كوريا الشمالية بما لا تزيد على ٣٠كم ومن السهولة ان يبادر بالهجوم عليها ان لم يكن بقوات برية فبتوجيه ضربات صاروخية مدمرة، كما ان الهجوم على كوريا سيتم من محور واحد من كوريا الجنوبية شمالا في اتجاه كوريا الشمالية. وهذا يمثل نقطة ضعف واضحة في أي عمل عسكري ضد دولة مثل كوريا الشمالية حصنت كل الأراضي المتاخمة لكوريا الجنوبية ولها بقوات قوية ومدربة يمكنها ادارة عمليات قتالية مؤثرة. ومن المؤكد ان المخابرات الأميركية وتقارير الاستطلاع المختلفة تعلم ان قوات كوريا الشمالية انشأت انفاقا طويلة وعميقة تحت الأرض تتحرك من خلالها قوات دُربت على ذلك إلى أي مكان دون ان تكشفها وسائل الاستطلاع الجوي... أي ان كوريا الشمالية ستتمكن من إدارة اعمال قتالية مؤثرة، كما ان الصين لن تقف متفرجة وحليفتها -كوريا الشمالية- تتعرض لغزو.

وكان أول رد فعل عالمي على خطاب بوش هو تأكيد وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر بان مجلس الأمن هو الجهة الوحيدة المخولة بمنح سلطة شن أي عمل عسكري ضد العراق وتعهد بان حكومته ستبذل ما في وسعها لنزع سلاح العراق دون اللجوء إلى القوة وان المانيا تتعاون بصورة دقيقة مع كبير مفتشي الأسلحة الدوليين وفريقه.

أما بالنسبة لروسيا فقد طالبت بتضافر الجهود لتجنب الحرب وضرورة تقديم أدلة حقيقية مؤكدة إلى مجلس الأمن للمفتشين الدوليين ليتمكنوا من اداء عملهم بصورة أفضل. ورحبت فرنسا بالأخبار القائلة بان باول سيقدم أدلة جديدة على مخالفات العراق. فهل يعني ذلك ان تلك الدول ستنضم إلى الولايات المتحدة في هجومها على العراق؟

وتشير الأنباء إلى ان بوش بدأ جولة أخيرة من المشاورات الدولية لتحديد ساعة الصفر للحرب ضد العراق.

واصدر بوش قرارا باستدعاء ٩٥ ألف جندي من الاحتياط، وهذا قرار بالاستعداد للحرب. كما ان حشد القوات يتم طبقا لخطة زمنية تتفق مع التوقيتات التي يرى المراقبون ان الحرب ستتم بناء عليها وهي أواخر فبراير الحالي أو أوائل مارس المقبل. وأعلن البنتاجون ان لورد الحرب رامسفيلد «وهو لقب اطلقته عليه احدى المجلات الأميركية الكبرى» رأس اجتماعا مهما مع قادة القوات الأميركية لدراسة أخيرة لأوضاع قوات الغزو واوضاع القوات الأميركية في شتى انحاء العالم فيما يبدو انها مراجعة اللمسات النهائية للعملية. وقيل ان الولايات المتحدة ستستخدم أراضي واحد وعشرين دولة في شن هذه الحرب.

معايير مزدوجة

ويجمع المراقبون على ان الولايات المتحدة تتعامل مع الأزمتين الكورية والعراقية بمعايير مزدوجة فأهداف الولايات المتحدة في منطقة شرق آسيا تتمثل في السعي للتخلص من النظام الشيوعي الدكتاتوري -على حد تعبيرهم- في كوريا الشمالية وتغيير الخريطة السياسية

الاستراتيجية بتوحيد الكوريتين لتتحقق سيطرة الولايات المتحدة على كل شبه الجزيرة الكورية كما كان منذ أكثر من خمسين عاما وتقترب بذلك من سور الصين العظيم لاحتواء المارد الصيني الصاعد ومنعه من ان يصبح قوة عظمى تنافس هيمنة الولايات المتحدة، كما ان هذا يحقق للولايات المتحدة استكمال احد حلقات الهيمنة على أوراسيا.

أما بالنسبة للعراق فالهدف من السيطرة عليه بالاضافة إلى استكمال الهيمنة الاميركية على كل بترول الشرق هو استكمال حلقة الاحتواء للصين والنجاح في السيطرة على بترول آسيا الوسطى وبحر قزوين. كما ان الولايات المتحدة ترى ان تكلفة الحملة على العراق قليلة وتتمتع واشنطن بتفوق ساحق في شن تلك الحرب بعكس منطقة شرق آسيا التي لا تتمتع فيها بنفس المزايا الاقتصادية ولا تتمتع ايضا بتفوق عسكري ساحق في حالة شن حرب على كوريا الشمالية.

والغريب ان بوش يحاول «وقد يكون قد نجح في ذلك» اقناع الشعب الأميركي بأنه مهدد من دول صغيرة مثل العراق وإيران وكوريا الشمالية «وستمتد القائمة لدول اخرى من اختيار القيصر بوش» التي تبعد عن الأراضي الأميركية الوف الكيلومترات ولا تمتلك تقنيا وصناعيا واقتصاديا ان تبني صواريخ عابرة للقارات وتفتح اعدادا من الرؤوس النووية تجعلها قادرة على احداث دمار كبير بالولايات المتحدة. بل إدعى بوش ان هذا التهديد محتمل بعد عام ٢٠١٥ رغم ان التطورات التكنولوجية في الولايات المتحدة تسير بسرعة الضوء ولا يمكن لتلك الدول ان تلاحقها. وابتكر استراتيجية الحرب المسبقة «الاحباط» التي أصبحت عقيدة استراتيجية أميركية تسمح له– رغم انف القوانين الدولية– بضرب الدول بحجة احباط أي برامج تطوير في قدراتها العسكرية قد تجعلها بعد عام ٢٠١٥ تشكل تهديدا للولايات المتحدة ولتبرير هذا المنطق اضاف امكانية تهديد اصدقاء وحلفاء الولايات المتحدة.

وفي حديث لكوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي قالت ان الولايات المتحدة ليست بحاجة للعودة إلى مجلس الأمن لاستصدار قرار جديد وان القرار ١٤٤١ نص على انه في حالة وجود خرق مادي فان ذلك يعني الحل العسكري. وقالت انها لا تستبعد استمرار الوجود العسكري الأميركي في العراق بعد الحرب.. وهذا يؤكد ان قرار الحرب ضد العراق تم اتخاذه وان الولايات المتحدة ستغزو العراق وتسيطر عليه وستبقى هناك فترة طويلة.

وأكد مسؤولون أميركيون انه ستكون امام بوش وقادته العسكريين خيارات عديدة لاستخدام أسلحة متنوعة على نطاق واسع بدأ بالأسلحة النووية. وفي بغداد أعلن الرئيس صدام حسين توقعه حدوث عمليات ابرار جوي لقوات أميركية في مناطق عراقية خالية من السكان. وأكد ان العراق قادر على قتل مليون جندي أميركي وهو يعلم ان حجم القوات التي ستهاجم العراق لا يزيد على ٢٥٠ ألف جندي. وقالت صحيفة «واشنطن بوست» ان بوش وقع وثيقة سرية تسمح للقوات الأميركية باستخدام أسلحة نووية للرد على أي هجوم بيولوجي أو كيماوي عراقي.

وتأكيدا لهذه الانباء أعلن اندريه بنكولاييف رئيس لجنة الدفاع في مجلس النواب الروسي

«الدوما» ان هناك احتمالا بان تستخدم القوات الأميركية أسلحة نووية تكتيكية ضد العراق لتدمير الأهداف العميقة لاسيما مراكز القيادة والمستودعات العسكرية. كما ذكرت الصحف البريطانية ان قوات خاصة أميركية وبريطانية قامت اخيرا بمهمة خاصة استمرت ستة أيام في غرب العراق لتحديد أهداف مهمة وان هذه القوات انطلقت من قاعدة جوية شرقي عمان. وكل هذا يؤكد ان الحملة العسكرية ضد العراق تكون قد بدأت فعلا أو بدأت اعمال تحضيرية لها.

ومن المعروف ان إدارة بوش قررت فتح قدرات دفاع ضد الصواريخ عاجلة فيما بين عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٨ وان يتم بحلول عام ٢٠٠٤ ايجاد نظام بري يشمل ٢٠ وسيلة اعتراض «١٦ في فورت جريلي بالاسكا.. و٤ في القاعدة الجوية في فاندنبرج بكاليفورنيا وسرعة فتح ٢٠ وسيلة اعتراض على بوارج ومدمرات إلى جانب عدد من بطاريات الصواريخ «باتريوت باك-٣» القادرة على اعتراض صواريخ باليستية قصيرة ومتوسطة المدى. والخطة تقضي باستكمال النظام كله عام ٢٠٠٨. وهذا يعني ان الولايات المتحدة ستكون لديها وسائل دفاع ضد الصواريخ الباليستية عابرة القارات يمكنها اعتراض ما لا يقل عن عشرين صاروخا في آن واحد. وهذا يعني ان اطلاق دولة مارقة -بعد عام ٢٠١٥- لعدد محدود من الصواريخ ضد الولايات المتحدة ستنجح الولايات المتحدة في اعتراضها واسقاطها. فكيف يمكننا ان نقتنع بأن تلك الدول ستكون تهديدا للولايات المتحدة بعد عام ٢٠١٥ كما يدعي بوش؟ علما بان وسائل الاستطلاع الفضائية والجوية الأميركية سترصد فتح أي صواريخ في أي دولة من تلك الدول استعدادا لاستخدامها وتمتلك بالقرب منها في القواعد الاميركية المنتشرة في كل انحاء العالم من الوسائل ما يمكنها من تدمير هذه القواذف قبل ان تطلق صاروخا واحدا. وبفرض اختراق صاروخ لنظام الدفاع القوي وعن المسرح المضاد للصواريخ فان رد الفعل الأميركي سيكون مدمرا لهذه الدولة. ولا اعتقد ان دولة صغيرة مثل كوريا الشمالية والعراق وما شابه ذلك ستجازف بهذا العمل البالغ الخطورة حتى ولو كان على رأسها دكتاتور طاغية مثل صدام حسين أو غيره.

وتوجد بوادر في أوروبا لتمرد على الهيمنة الأميركية وتريد أوروبا ان يكون لها رأي مؤثر على الساحة الدولية كما ان لها مصالح اقتصادية في دولة كالعراق تريد المحافظة عليها. وفي مقدورنا ان نساعد أوروبا على ذلك دون احراج للحكومات العربية.. فمن الممكن للمواطنين العرب ان يحولوا مشترياتهم من الانتاج الأميركي إلى الانتاج الفرنسي والألماني وهو لا يقل جودة عما تنتجه الولايات المتحدة وعمل مثل ذلك سيؤثر بالقطع على الولايات المتحدة لأن سوقا ضخمة كالعالم العربي والعالم الإسلامي لو انحسرت فيها البضائع الأميركية فان الشركات الأميركية ستقوم بالضغط على الادارة الاميركية لتعديل مواقفها تجاه العالم العربي والعالم الإسلامي. كما ان اغنياء العرب لهم أكثر من تريليون دولار في بنوك أميركية لو تم تحويلها إلى بنوك فرنسية وألمانية فان هذا سيشجع تلك الدول على الصمود امام أي ضغط أميركي. وما ينطبق على أوروبا ينطبق على روسيا. إلى جانب ان عددا من الدول العربية تحصل على مساعدات اقتصادية أميركية يمكن ان تحل محلها مساعدات اقتصادية عربية أو يضخ

استثمارات عربية في تلك الدول تجعلها لا تقبل الضغط الأميركي عليها. ولقد شاهدنا كيف اخلفت الولايات المتحدة وعودها بحل المشكلة الفلسطينية وهي تريد حلا يرضي شارون وامثاله وان تصبح إسرائيل وكيلا لها بالمنطقة في تنفيذ مخططاتها المختلفة.

خلط الأوراق

قال الرئيس بوش في خطاب حالة الاتحاد انه تم القبض على ثلاثة آلاف ارهابي مشتبه فيهم وتم تدمير خلايا تنظيم القاعدة في مدريد وميلانو وباريس واعتقال العقل المدبر لعدد من عمليات القاعدة.. وادعى انه ثبت وجود علاقة بين القاعدة ونظام الرئيس العراقي.. ولم يقدم الدليل على ذلك.. لكنها مجرد محاولة يائسة لحشد الرأي العام الاميركي مع الحرب بالاضافة الى الخلط المتعمد بين الحرب على الارهاب وضرب العراق.

سياسة انتقائية

الولايات المتحدة التي تطالب العالم كله او دولا معينة وفق هواها بالتخلي عن الاسلحة النووية لم تعلن في أي وقت عزمها على اجبار اسرائيل على التخلي عن ترسانتها النووية.. بل قامت اميركا بتطوير نظام دفاع مضاد للصواريخ الباليستية لمواجهة اي تهديد وادخلت في مظلته اسرائيل.. كما تقوم الولايات المتحدة باستمرار بتطوير قوة الردع النووي لديها ولدى اسرائيل.

لا تراجع

لا يستطيع الرئيس بوش التراجع عن قرار الحرب لأن حشد القوات يعني استخدامها.. واذا لم يستخدمها فإن مركزه سيتأثر داخليا لدى شعبه.. وهو يتصرف وعينه على انتخاب الرئاسة الاميركية العام القادم ويسعى للفوز بفترة رئاسة جديدة.

الامم المتحدة على حافة الهاوية

عقيدة الحرب المسبقة فتحت الباب للتصرف خارج الاطار الدولي

قوة وحيدة في العالم تحدد العدو والصديق وفقا لأهوائها

اختبار القوة قبل ضرب العراق اخرج دولا كبرى من المعادلة

انتخابات الرئاسة الاميركية اجلت مؤقتا حربا ضد ايران وسوريا

القوة النووية لكوريا الشمالية انقذتها نهائيا من الحرب المسبقة

كثر الحديث عمن عليه الدور بعد الحرب المسبقة التي شنتها الولايات المتحدة على العراق. هل هي كوريا الشمالية ام ايران ام سوريا؟ لكني اعتقد ان احتمالات شن حرب مسبقة على دولة اخرى غير واردة هذا العام او عام ٢٠٠٤ بسبب انتخابات الرئاسة الاميركية العام القادم والتي يريد بوش الفوز فيها ويدرك ان شن حرب مسبقة سيؤثر على نتائجها.

ويتحدث المحللون ومراكز الدراسات الاستراتيجية عن القانون الدولي واستخدام القوة بعد حرب العراق.. ويبدو ان ذلك بسبب الهجوم المكثف على الرئيس الاميركي بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير لعدم وجود مبرر يدعو لشن الحرب ضد العراق اذ لم يثبت ان لديه اسلحة دمار شامل ولم يكن يمثل تهديدا للولايات المتحدة.

وركز المحللون على دور مجلس الامن في شرعية مثل هذا النوع من الحروب واشاروا الى فشل المجلس في اقرار خط مترابط بالنسبة للعراق قبل نشوب الحرب الأمر الذي القى بظلاله حول مستقبل هذا المجلس بل والامم المتحدة فلقد اتضح ان محاولة اخضاع استخدام القوة لقواعد القانون الدولي فشلت.

وكانت هناك عقيدتان محل جدل حول امكانية توسيع حق الدول في استخدام القوة وهما عقيدة التدخل الانساني وعقيدة الحق في التصرف المسبق ضد تهديدات محتملة.

ويعتقد المحللون ان هاتين العقيدتين تضمنتا توسعا في شرعية التدخل في دول اخرى واصبح واضحا انهما تمثلان تحديا لحقيقتين اساسيتين هما عدم التدخل في شؤون الدول والمساواة في السيادة بين الدول وهما من الحقوق التي نص عليها ميثاق الامم المتحدة خاصة المادة ٥١ من الميثاق التي تمنع التدخل في شؤون الدول الاخرى وتعطي كل دولة الحق في الدفاع عن نفسها ضد اي عدوان مسلح لكن الدول العظمى اعطت لنفسها الحق في التدخل عدوانا على دول اخرى لانها تعلم انها ستكون بمنأى عن اي عقاب لقوتها وتفوقها.

وهناك قوى عظمى خلقت لنفسها مبررات للتدخل لمنع منافس لها من ان يطور قواته حتى يظل دائما خاضعا لارادتها. وكثير من هذه القوى بذلت جهودا مستمرة لفرض حدود على حرية

العمل لدول اخرى وكل هذا يخالف ميثاق الامم المتحدة بصورة واضحة.

مجال النفوذ

وترى مراكز الدراسات الاستراتيجية ان التطورات الجارية غير المسبوقة مناطق النفوذ هي التي تحدد الكثير من الأمور. فـاذا كانت الولايات المتحدة يمكن ان تهدد بواسطة ارهابيين او من اطلقت عليهم لقب «دول مارقة» على مسافة عشرات الألوف من الاميال من اراضيها فانها تبحث عن الحق في التدخل عـلى مسافة بـعيدة جدا فـي نصف الكرة الارضية الاخـر.. واذا ظهر على شاشات التليـفزيون ان شعبا مـا يلاقي الامرين من حكامه فان الأمـر في رأي الولايات المتحدة يخلق بعض الحق في التدخل في قارة بعيدة.

وقبل ذلك كان ينظر الى مناطق النفوذ على انها استثناءات اقليمية بالنسبة للمعدل العام لعدم التدخل. امـا الآن فإن العـالم كله يشبه منطـقة واحدة من وجـهة نظر القوى العـظمى ويبدو ان شرعية التدخل اصبحت تمثل تحديا مباشرا للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة.

وهذا التحدي للمعدلات العادية لاستخـدام القوة المسلحة زاد تعقدا بوجود قوة عظمى واحدة متـفوقـة. وادى ذلك الى ظهور اهتـمام أو رغبـة في اعادة التـوازن للنظام الدولي. وهذه الدول وغيرها عندما تواجه تدخلات معينة تقودهـا الولايات المتحدة فانها ترى أن مبدأ عدم التدخل في شؤون الدول الاخرى هو أساس موقفها. ومع ذلك وفي بعض الحالات وخاصة في أزمة العراق استخـدمت الولايات المتحدة القـوة لأهداف ترى ان كثير من دول العـالم تقرها وانها شـرعية.. وهذا هو رأي الولايات المتحدة وعدد قليل من الدول مثل بريطانيا واسبانيا.

ومنذ نهاية الحرب البـاردة كانت لمجلس الامن ادوار مهمة في منح السلطة باسـتخدام القوة في عـدد كبـير من المواقف، وسـاهم ذلك في تغـيـيـرات في فهـم حق الدفاع عن النفس وعـدم الاعتداء. وكانت الفكرة أن مجلس الامن يمكنه في مواقف خاصة اتخاذ اجراءات معينة كما حدث في عام ١٩٩٨ حيث طالب يوغوسلافيا بأن تسهل عودة اللاجئين في كوسوفو. وصرح بتغيير نظام بالقوة كما حدث في هايتي عام ١٩٩٤.. ولكن لم تكن تلك قاعدة عامة وانما لخدمة مصالح دول اخرى بعينهـا. ومن المعروف أن مجلس الامن نجح في اصدار القـرار رقم ٨٣١ في يونيو ١٩٩٣ وشمل ان دول اعـضاء سـتتصـرف قوميـا، ومن خلال تنظيـمات او ترتيبـات اقليمـية فبتصريح من مجلس الامن وبتنسيق معه ومع قـوة حفظ السلام في يوغوسلافيا السابقة يمكن اتخـاذ الاجراءات الضـرورية باستـخدام القـوة الجوية فـي دخول مناطق آمنة في جـمهـورية البوسنة لدعم قوة حفظ السلام.

وفي التسعينات ناقش مجلس الأمن مشكلة الارهاب، وأصدر قرارا بعد حوادث نيروبي ودار السـلام مؤكـدا ان على كل دولة عـضو في الامم المتـحدة الامـتناع عن تنظيم او تحـريض أو معاونـة أو الاشتراك في أعمال ارهـابية في اراضـي دولة اخرى أو قبـول تنظيم نشاطات داخل أراضيها موجهة لارتكاب مثل هذه الاعمال.

وفي اليوم التالي لاحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ اقـترب مجلس الامن من الموافقة على استخدام القوة للرد على الارهاب الدولي. واعترف القرار ١٣٦٨ بالحق الشرعي للدول منفردة أومجتمعة

في الدفاع عن النفس، كما ينص ميثاق الامم المتحدة، واعتبر الهجمات الارهابية تهدد السلام والأمن. كما أكد استعداد المجلس لاتخاذ الخطوات الضرورية للرد على مثل هذه الهجمات ومحاربة كل صور الارهاب. وبعد ذلك بشهر تقريبا تم تأكيد هذه النقاط في قرار اضاف عديدا من الالتزامات على الدول للسيطرة على مشكلة الارهاب، ولكن هذه القرارات الكبرى لا تعني تصريحا مباشرا باستخدام القوة. ويبدو أن الدول الكبرى ترجمت هذه القرارات بأنها تعطيها الحق في استخدام القوة اينما تشاء ومتى تشاء. واتخذت الولايات المتحدة من هذه القرارات قاعدة شرعية دولية لشن حملتها على افغانستان. وعلاوة على ذلك فإن هذه القرارات وما صاحبها من تصريحات واعمال اعتبرها البعض تأكيدا لحق مهاجمة اي دولة يعتقد أن جماعات ارهابية تتخذها ملاذا أو قاعدة للعمل منها.

وبعد المراحل الاولى من الحملة على افغانستان وسقوط نظام طالبان وافق مجلس الامن على انشاء قوة حفظ سلام ليست تابعة للامم المتحدة وهي ما اطلق عليها قوة المساعدة الامنية الدولية التي تم انشاؤها في كابول واعطاها الحق في استخدام القوة. وكان هذا القرار ايضا لصالح دولة بعينها هي الولايات المتحدة ولا يتفق وميثاق الامم المتحدة.

ان المشاكل الاعظم بالنسبة لمشروعية استخدام القوة تظهر عندما يكون هذا الاستخدام دون قرار من مجلس الامن أو ليس لحالة مباشرة للدفاع عن النفس ردا على هجوم مسلح.. وبخلاف الدفاع عن النفس ضد هجوم مسلح فعلي لا يجب أن تلجأ الدول للعمل العسكري إلا بإذن من مجلس الامن. ولكن يبدو أن هذا يطبق فقط على دول العالم الثالث اما الدول الكبرى فلا تبالي إذا وافق مجلس الامن أو رفض التصريح بالعمل العسكري.

فبالنسبة لأزمة العراق عندما اصبح واضحا احتمال عدم صدور قرار من مجلس الأمن باستخدام القوة اعتبرت الدول والمحامون الدوليون ان قرار الولايات المتحدة بشن عمل عسكري ضد العراق غير شرعي وضد كل القوانين الدولية. فلم يكن هذا العمل دفاعا عن النفس ضد هجوم عسكري عراقي. ومن المعروف انه في عام ١٩٩٨ مرر الكونجرس الأميركي قانون تحرير العراق الذي نص على ان تدعم الولايات المتحدة جهود عزل نظام صدام حسين من السلطة وتشجيع قيام حكومة ديموقراطية بدلا منه بحجة ان العراق شن حربا ضد إيران.. والغريب هنا ان هذه الحرب شجعتها وايدتها الولايات المتحدة.

كما اتهم العراق بمحاولة اغتيال الرئيس السابق جورج بوش عام ١٩٩٣ وفي مارس ٢٠٠٣ شنت الولايات المتحدة ومعها حليفتها بريطانيا عملا عسكريا ضد العراق وزعمت الدولتان ان ذلك بسبب فشل النظام العراقي في تنفيذ قرارات مجلس الأمن.

ويقول المراقبون ان الشرعية القانونية للعمل العسكري الأميركي في مارس ٢٠٠٣ كان من الممكن ان تكون اسهل وأكثر اقناعا لو ان بريطانيا والولايات المتحدة نجحتا في جهودهما لاجبار مجلس الأمن على ان يصدر قرارا ثانيا ومن الممكن ان يكون القرار الثامن عشر الخاص باستخدام القوة واجبار العراق على شروط نزع السلاح. ومع ذلك فإن هذا القرار بالنسبة لفرنسا وروسيا والصين ولعدد من أعضاء المجلس مشكوك فيه أو مرفوض تماما. ولم يكن ذلك

مستغربا بسبب المصالح المختلفة بين تلك الدول والولايات المتحدة واختلافات وجهات النظر بالنسبة للحرب وقلقها من الهيمنة الأمريكية.

هذا القرار -لو صدر- يطلب من الدول الرئيسية بان توافق على شن حرب بواسطة قوة أخرى وهي قوة مفرطةوعلى سياساتها تحفظات. والأمر الذي لا جدال فيه ان الحرب ضد العراق لا تقع بأي صورة من الصور ضمن التصنيفات الموجودة لعمل عسكري توافق عليه الأمم المتحدة أو ضمن الدفاع عن النفس.

ان الحرب المسبقة «الاحباط أو المانعة» التي ابتدعها جورج بوش وصقوره تأسست على الهجوم على دولة تعتبرها الولايات المتحدة تهديدا لها ولمصالحها في المستقبل.

منع الصدام

ويرى بعض المحللين انها عقيدة تهدف الى تحجيم أي دولة في العالم تريد ان تبني قوات مسلحة يمكنها مواجهة القوة المسلحة الأميركية. ويرى البعض ان الحرب المسبقة تعود إلى فكرة «منع الصدام» الذي كان محل اهتمام كبير خلال الحرب الباردة داخل الأمم المتحدة والتي تأسست على ان الأفضل هو منع الصدامات بدلا من معالجة اثاره.

ويقول المحللون انه خلال الحرب الباردة قاومت الإدارات الأميركية المتعاقبة احتواء شن ضربات وقائية « مانعة أو مسبقة» لايقاف الاتحاد الأوروبي والصين عن أن تصبح قوى نووية وهذه الكراهية للتصرف مسبقا توضح التحدي في عصر الإرهاب الدولي خاصة عندما يوجد قلق من وصول أسلحة دمار شامل إلى أيدي الإرهابيين. وكثير من المحللين يرون ان الولايات المتحدة ربما تكون على حق في مواجهة هذه الحقيقة لان هذه المجموعات لا يمكن ردعها بأسلوب تقليدي، ويجب التعامل معها قبل ان تطور قدرات هجومية فعلية وهذا رأى فيه خطأ وتطرف فليس معنى وجود عناصر إرهاب دولي -وهو منتشر في كل دول العالم -شن حرب مسبقة على دول مستقلة بحجةغير حقيقية خاصة ان ما طبق من هذه العقيدة حتى الآن كان بصورة خاطئة وعلى دولة مستقلة لا تملك أي قدرات على تهديد الولايات المتحدة ولا تأوي عناصر إرهابية وأعني العراق هذا إلى جانب أن اتخاذ الولايات المتحدة هذه العقيدة وهذه المهمة فيه تهديد للاستقرار والنظام العالمي.

ان عقيدة بوش «الحرب المسبقة» تعاني عددا من العيوب منها الخاصية المتعجرفة لانبثاقها والتي قد تكون بسبب جدول زمني للكونجرس لم يترك أي فرصة للاستشارة والتفاهم مع الحلفاء خاصة ان كثيرين منهم يعارضون هذه العقيدة. والتركيز على الولايات المتحدة أدى إلى فشل اكتشاف اثر هذه العقيدة على دول أخرى وفشلت في ان تأخذ في الاعتبار الآثار على العلاقات الدولية إذا انتشرت فكرة الحرب المسبقة بين دول أخرى قد ترى ان لها الحق في شن حرب مسبقة ضد دول بعينها. وفشلت فشلا ذريعا في ذكر حالات عدم تطبيق الحرب المسبقة الذي مازال احد الأسس الرئيسية في النظام الدولي وان دولا تحتاج إلى تأكيد درجة من الاحترام إذا كان عليها ان تلعب دورا ملموسا كحلفاء للولايات المتحدة في الحملة ضد الإرهاب.

وأغلب المحللين يرون ان تأثير هذه العقيدة على نشوب أزمة العراق كان سلبيا إلى حد كبير.

فلم تكن هذه العقيدة ضرورية للحرب ضد العراق، وكان من الممكن انهاء الأزمة دون غزو. ولكن يبدو ان الولايات المتحدة وجدت في العراق فرصة ذهبية لتجربة هذه العقيدة عمليا دون ان تتعرض لأي اضرار عسكرية. ودليل ذلك ان أزمة كوريا الشمالية كانت ومازالت اخطر بكثير من حالة العراق ولكن الولايات المتحدة رفضت تطبيق هذه العقيدة على كوريا الشمالية لوجود مخاطر جسيمة قد تتعرض لها من جراء ذلك.

وخرج احد مراكز الدراسات الاستراتيجية الروسية بعدة استنتاجات من هذه الحرب أهمها ان العالم مازال أحادي العقيدة وان قوانين التعددية القطبية التي سادت خلال النصف الثاني من القرن العشرين اختفت أو انتهت وان هذه القوة الاحادية –وهي الولايات المتحدة– قامت ببناء اقتصادها وقوتها العسكرية إلى الدرجة التي أدت إلى جذب العالم كله إلى داخل دائرة مصالحها الخاصة، وانها تتحول إلى إمبراطورية لا مثيل لها في تاريخ البشرية، ولا يوجد حاليا منافس لها. ويرون ان روسيا رغم امتلاكها لقدرات نووية فائقة فانها لن تكون قوة عظمى ندا للولايات المتحدة قبل عشرين عاما.

استعمار

ان عالم القطبية الوحيدة «الولايات المتحدة» يملي على العالم سياسة خارجية استعمارية امبراطورية ليس على اعداء اميركا فحسب بل على اصدقائها وحلفائها.

والحرب على العراق أظهرت ان الخلاف في المعسكر الغربي حول استخدام القوة بواسطة الولايات المتحدة خلاف تكتيكي ولا توجد أي اعتبارات سياسية واستراتيجية وراءه.

دور تافه

ان العمل العسكري الانجلواميركي في العراق يؤكد ان الأمم المتحدة لعبت دورا تافها في السياسات الخارجية الأميركية في الوقت الذي مازالت فيه روسيا ودول أخرى تنظر إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن على انها هيئة دولية مهمة وأنه من خلالها يمكن إلى حد ما التأثير على الولايات المتحدة وكبح طموحاتها.

كراهية

على المدى البعيد ستنسف السياسات الاميركية أسس القوة الطاغية وبالتالي أسس النظام العالمي الاحادي، وستزداد كراهية الكثيرين للولايات المتحدة بصورة أو بأخرى خاصة في الدول التي كانت لها خبرة سلبية مع الولايات المتحدة. واليوم يطالب شعب العراق بجلاء القوات الأميركية من العراق. والأمر الواضح حتى الان ان الولايات المتحدة لم تنجح بعد في اقامة نظام عراقي جديد يقبله الشعب وهذا يعني انها ستواجه كثيرا من المشاكل، كما انها لم تستكمل سيطرتها على أفغانستان.

نهاية القانون الدولي

استراتيجية الحرب الأميركية المسبقة شهادة وفاة للأمم المتحدة

ادارة بوش فتحت كل الأبواب لسباق التسلح وامتلاك القوة النووية

الدول الصغيرة فقدت الثقة بالنظام العالمي وتسعى لامتلاك رادع للعدوان

كوريا الشمالية اعطت النموذج للاخرين بحماية نفسها من ضربة أميركية

إسرائيل منطقة محظورة على القانون الدولي لانها تحت الحماية الأميركية

انتهز الرئيس الاميركي بوش حادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ليعلن استراتيجية "الحرب المسبقة" أو "المانعة". ونجح في تشكيل تحالف لشن حملته ضد طالبان والقاعدة في أفغانستان بعد ان رفضت طالبان تسليم قادة وأعضاء تنظيم ابن لادن لمحاكمتهم.

واستراتيجية الحرب المسبقة خيار خطير وتطبيقها قد يؤدي الى نتائج عكسية. فسياسيا تحتاج اي دولة لأسس قانونية وأخلاقية لدعم الهجمات المسبقة. كما أن هذه الاستراتيجية غيرقادرة على منع ما يسمى الدولة المارقة من امتلاك اسلحة دمار شامل. ورغم ان بوش أعلن ما اطلق عليه "محور الشر" الذي يشمل كوريا الشمالية وايران والعراق فان تعامله مع الدول الثلاث كان مختلفا تماما –فبالنسبة للعراق قام بغزوه واحتلاله رغم معارضة المجتمع الدولي ورغم عدم ثبوت أن العراق كان يمتلك أسلحة دمار شامل أو يمثل تهديدا للولايات المتحدة، اما بالنسبة لكوريا الشمالية وايران فإنه لا يخطط لهجمات ضد أي منهما، ورغم علم الولايات المتحدة بامتلاك كوريا لقدرات نووية وصاروخية وشكوكها في أن ايران تسعى لأن تكون نووية. فإنه في نوفمبر ٢٠٠٢ أعلن مساعد وزير الخارجية الاميركي جيمس كيلي أن الولايات المتحدة ليست لديها أي نية لشن هجوم على كوريا الشمالية.

وفي عام ١٩٩٤ هددت الادارة الاميركية في عهد كلينتون بشن ضربات وقائية ضد كوريا الشمالية لكنها تراجعت خوفا من الآثار الخطيرة التي قد تحدث،بل ان الكونجرس الاميركي منح كلينتون سلطة اعداد قوات اميركية لردع أو صد أي هجوم من كوريا الشمالية، وتم تكليف وزير الدفاع بوضع خطة لضربة مسبقة ضد المنشآت النووية لكوريا الشمالية "ضمن خطة أعطيت رقما كوديا ٥٠٧٧– أ" لهزيمة هجوم كوري شمالي. ولكن انتهى الامر الى القول بان هذا العمل قد يدفع كوريا الشمالية الى شن هجوم ضد كوريا الجنوبية حتى بفرض ان كوريا الشمالية قد تخسر الحرب. وانتهى المطاف بأن بدأت الولايات المتحدة التفاوض مع كوريا الشمالية ووقعت الدولتان إطار اتفاق في اكتوبر ١٩٩٤في جنيف الأمر الذي أدى الى نزع فتيل

الصدام.

وهذا يؤكد أن فكرة الحرب المسبقة ليست جديدة على العقيدة الاستراتيجية الاميركية وأنها بدأت تدخل الاستراتيجية بعد تحلل الاتحاد السوفيتي واختفائه من على الساحة وانفراد الولايات المتحدة بموقع القوة العظمى وبدأ صقورها يفكرون في الهيمنة على العالم. ثم جاء الى السلطة رئيس جمهوري جمع حوله عددا من الصقور الذين يؤمنون بهذه الاستراتيجية ويدل على ذلك ما قاله نائبه تشيني من أن الضربة الجوية التي شنتها اسرائيل ضد المفاعل النووي العراقي هي ضربة إحباط نجحت في تأخير برنامج صدام حسين عدة سنوات الى أن هاجمته الولايات المتحدة في حرب مسبقة كدولة مارقة وهذا ادعاء كاذب فلم يثبت أن العراق لديه اسلحة تدمير شامل أو يمثل تهديدا لأحد.

تحد خطير

ويجمع المحللون والخبراء على ان استراتيجية الحرب المسبقة لا يمكنها منع ما يطلق عليها دول مارقة من تطوير اسلحة نووية ودللوا على ذلك بامتناع الولايات المتحدة عن مواجهة كوريا الشمالية. ويقولون إن هذه الاستراتيجية غير فعالة في إحباط أو منع الارهابيين أو دول من الحصول على أسلحة التدمير الشامل وهي ايضا تدمر الاستراتيجيات القائمة فعلا لمواجهة اسلحة التدمير الشامل بشكل جماعي. كما أن هذه الاستراتيجية تشكل تحديا خطيرا للقانون الدولي وإطار العمل في الأمم المتحدة -المؤسسة الوحيدة التي قامت على أساس التعاون الدولي الجماعي للحفاظ على السلام -فالمادة٢٤ من ميثاق الأمم المتحدة تقول: "سوف يمتنع كل الاعضاء في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستخدام القوة ضد السيادة الوطنية أو السياسية لأي دولة. وتؤكد المادة ٣٣ بوضوح ان الخلافات الدولية يجب أن تحل بالوسائل السلمية. وهذا يضع قاعدة لشرعية الضربة المسبقة "الاحباط" ومن له الحق في اعطاء هذه الشرعية. بل أن دولا أوروبية حليفة للولايات المتحدة لفترة طويلة تعتبر الحرب المسبقة. خرقا للنظام والقانون الدوليين، وان الولايات المتحدة بتنفيذها لهذه العقيدة حرقت هذا النظام والقانون الدوليين، فليس لأي دولة الحق في أن تنزع من الأمم المتحدة حقها في الحكم على شرعية أو عدم شرعية أي حرب.

ويرى المحللون إن تبني استراتيجية الحرب المسبقة يخلق مثالا لحكومات أخرى لتطبق نفس المنهج وهذا يؤدي الى اثار خطيرة على المستوى الدولي واذا انتهجت دول نهج الولايات المتحدة فمن الممكن لإسرائيل ان تقوم بهجوم مسبق ضد دول عربية - وفعلت ذلك مؤخرا ضد سوريا وهذا خرق واضح للقانون الدولي- أو تقوم باكستان والهند بتوجيه ضربات مسبقة لبعضها أو تقوم كوريا الشمالية بالهجوم على كوريا الجنوبية.. مما يغرق العالم في حروب اقليمية ودولية لا يعرف أحد عواقبها.

ان النظرية التقليدية للسيطرة على التسلح تهدف الى تجنب وتقليل الهجمات المسبقة وضربات الاحباط والحرب بين القوى المختلفة وخاصة الكبرى من خلال المفاوضات وتنظيم التسلح. كما ان هذا يجب ان يطبق على العلاقات بين القوى الكبرى والصغرى. ويبدو ان اعتناق

واصرار ادارة الرئيس الاميركي بوش على الحرب المسبقة وضربات الاحباط يعني انه لم يتراجع عن الردع فحسب وإنما يعمل على تغيير طبيعة الردع، وانها استبدال لمبدأ التدمير المتبادل "التبادلي" المؤكد بالتدمير الأحادي الجانب. والدليل على ذلك قوله في احد خطبة: "ان ردع الحرب الباردة لم يعد يكفي والردع لم يعد يعتمد على التهديد بالرد النووي". وهذا معناه ان الرئيس الاميركي يحول الردع من روسيا الى الدول التي اطلق عليها "مارقة" والتي لا تمتلك مئات الصواريخ ذات الرؤوس النووية -كما كان الموقف اثناء الحرب الباردة- وانما تمتلك - بفرض ثبوت ذلك - عددا قليلا جدا من هذه الاسلحة. وهذا يعني ايضا ان الرئيس الاميركي وسع نطاق الردع الاستراتيجي من ردع دول عن استخدام اسلحة نووية الى ردع الدول الآخرى من امتلاك هذه الاسلحة.

ان استراتيجية الحرب المسبقة تعكس ولع ادارة بوش بالانفراد واكد الرئيس الاميركي ان الولايات المتحدة لن تتردد في العمل وحدها عندما ترى ان ذلك في صالحها أو لتحقيق هدف خاص بها دون الالتفات الى الرأي العام العالمي أو هيئة الأمم لانها تمتلك القوة والقدرة على الفتح لمسافات بعيدة ولديها التفوق العسكري والتكنولوجي والسيطرة حاليا في مجال الفضاء، ومنذ تولي بوش الرئاسة اتخذت ادارته عددا من الخطوات أو الاجراءات الانفرادية لانسحاب الولايات المتحدة من السيطرة على التسلح ومعاهدات عدم الانتشار. فقد أعلن بوش انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية الدفاع المضاد للصواريخ الباليستية في ديسمبر ٢٠٠١ وقرر قيام الولايات المتحدة بتطوير نظام دفاع قومي عن المسرح ضد الصواريخ بحجة حماية الولايات المتحدة من الإرهاب الدولي والدول المارقة. واعلنت الولايات المتحدة إنها ستستمر في اجراء الاختبارات النووية، كما رفضت الادارة الاميركية الالتزام ببروتوكول مؤتمر الاسلحة البيولوجية. وكل هذه الخطوات الانفرادية تعني ان الولايات المتحدة لا تضعف قواعد الحد من التسلح والانتشار فحسب وانما ايضا تناقض ادعاءها بأنها تدعم الحد من انتشار اسلحة التدمير الشامل.

ويقول المحللون انه للمساعدة في الحفاظ على نظام دولي مستقر يمكن لكل الدول ان تعيش فيه آمنة من الفقر والتمييز العنصري والرفض الذي يؤدي غالبا الى نشاط ارهابي وانتشار اسلحة التدمير يجب توفير ضمان يعول عليه لتلك الدول التي تحاول تطوير اسلحة دمار شامل لتحقيق آمنها وان يقدم العالم تأكيدا غير مشروط لأمن الدول التي لا تمتلك مثل هذه الأسلحة. فلا يعقل إن نطالب دولا صغيرة بعدم السعي لامتلاك اسلحة دمار شامل وهي معرضة لعدوان من دول اقوى منها بكثير لاسباب غير شرعية وانتهاك أراضيها وحرية شعوبها لأنها الأضعف تقليديا من الناحية العسكرية. كما لا يعقل ان تطالب الدول النووية الكبرى الدول الاخرى بالامتناع عن امتلاك قدرات نووية في الوقت الذي تستمر هي فيه في اجراء تجارب نووية وتطوير اسلحة نووية تكتيكية وتعبوية تشير الى ان هذه الدول ستستخدمها وقتما تشاء وضد من تشاء من الدول لفرض الارادة أو لاستغلال مواردها الطبيعية مثل النفط والمواد الخام.

وحتى لو اتفق العالم على اسلوب دولي لمنع انتشار اسلحة التدمير الشامل أو لضمان أمن

الدول الأضعف.. فمن الذي يمكنه ان يوقع عقوبة على دولة كبرى مثل الولايات المتحدة اذا خالفت هذه القواعد؟ لقد رفضت الولايات المتحدة الانصياع للمجتمع الدولي لاستكمال اعمال لجان التفتيش في العراق للتأكد من تدمير كل اسلحة الدمار الشامل، واعطاء لجان التفتيش فرصة لاستكمال مهمتها وقررت شن الحرب ضد العراق بمبادرة منها دون موافقة من مجلس الأمن وقرأنا وسمعنا ان الاميركيين قاموا بتطوير قنابل نووية مصغرة "ميني نيوك" لاستخدامها ضد الدول المارقة لضرب مراكز القيادة المحصنة وغيرها من الأهداف، ومن المؤكد ان اميركا اذا قررت استخدامها فلن تأخذ تصريحا بذلك من الأمم المتحدة...! وهناك تساؤل آخر: ما موقف المجتمع الدولي من دول قامت بتطوير وامتلاك سلاح نووي مثل اسرائيل والهند وباكستان وكوريا الشمالية؟ هل يمكن للمجتمع الدولي ان يمنع تلك الدول من استخدام هذه الأسلحة؟ لا اعتقد ذلك...!

لقد طلبت الهند من الولايات المتحدة ان تعطيها صواريخ "باتريوت باك – ٣" لمواجهة الصواريخ الباكستانية، فهل ستعطي الولايات المتحدة هذه الصواريخ للهند فقط ام ستعطيها ايضا لباكستان؟ واذا كانت اسرائيل تمتلك قنابل نووية وصواريخ قادرة على حملها.. فهل ستتفضل الولايات المتحدة على الدول العربية بالحصول على صواريخ "باتريوت باك – ٣" لمواجهة التهديد الصاروخي الاسرائيلي؟ لا اعتقد ذلك..!

ويقول المحللون ان المجتمع الدولي لا يمكنه تحمل فقدان الثقة بقواعد ونظم منع الانتشار والمعاهدات والاتفاقيات الدولية بسبب الفشل الحالي في فرضها. وهناك حقائق بأن جهودا تقودها الأمم المتحدة في مجال عدم الانتشار حققت نجاحات وآخر مجموعات التفتيش للأمم المتحدة التي ارسلت للعراق وعملت فيه لفترة طويلة حققت نتائج ايجابية ملموسة رضي عنها معظم اعضاء مجلس الأمن ما عدا الولايات المتحدة وبريطانيا.

ويقولون ان حكومات وطنية كثيرة لا يمكنها الالتزام باتفاقية منع الانتشار النووي ونزع السلاح النووي واتفاقية الامتناع عن اجراء تفجيرات نووية. فاتفاقية منع الانتشار النووي تقول ان على الدول النووية تنفيذ التزاماتها تجاه نزع السلاح. فالمادة السادسة من الاتفاقية تنص على ان كل عضو في الاتفاقية عليه ان يتخذ الاجراءات الخاصة بخفض سباق التسلح النووي واستكمال نزع السلاح تحت سيطرة حازمة وفعالة دوليا واستمرار ادارة بوش في تأجيل موافقتها على اتفاقية المنع الكامل لاجراء اختبارات نووية وقيامها بانتاج اسلحة نووية تكتيكية سبب شرعي لسعي الدول غير النووية للحصول على قدرات لحماية نفسها ضد أي عدوان.

حق النقض

والأمر الآخر الخطير هو مبدأ الفيتو الذي تتمتع به خمس دول في مجلس لآمن والذي يمنع فرض عقوبات على كل من يخالف اي اتفاقيات دولية مما أدى الى تفرقة واضحة بين الدول وادى الى استغلال تلك الدول لهذا الحق لتحقيق مآرب واهداف لها. فعلى سبيل المثال قامت الولايات المتحدة باستخدام الفيتو ضد كل قرارات مجلس الأمن بشأن مخالفات اسرائيل الصريحة للقوانين الدولية، وهي تعلم ان اسرائيل قامت بتصنيع قنابل نووية ووسائل حمل ولم

تتعرض لها الامم المتحدة من قريب ولا من بعيد لعلم كل الاعضاء بان الولايات المتحدة ستحبط أي قرار لمجلس الأمن في هذا الشأن.

ويجمع كل المحللين على ان استراتيجية الحرب السبقة "الاحباط" هي امتداد لسياسة انفرادية للإدارة الاميركية، وتؤكد نهاية الحرب الباردة وان الولايات المتحدة تمتلك قوة غير مسبوقة لا تدانيها قوة اخرى في العالم الان ولها نفوذ عال قوي، وكل هذا لا يعطي للولايات المتحدة الحق في ان تفعل ما تشاء وقتما تشاء فيما تعتقد انه مصلحة خاصة بها، وهذا يعني انها تسعى الى اقامة نظام دولي جديد تسيطر عليه من خلال مصالحها الخاصة. ولكن العالم كبير ويتكون من دول مختلفة لها نظم وعقائد مختلفة ويجب على الولايات المتحدة ان تعمل في تعاون مع هذه القوى لمواجهة اي مشكلة ولمحاربة الارهاب الدولي الذي تعلن عنه.

وهناك آمل في ان عددا من الدول الكبرى بدأ يشعر بخطورة ما تقوم به الولايات المتحدة، ففرنسا والمانيا وروسيا والصين غير راضية عما يدور على الساحة، وروسيا قامت بتطوير قدراتها العسكرية واعلنت انتاج ٢٠٠ صاروخ نووي عابر للقارات يمكنه اختراق اي نظام دفاع جوي، والصين قامت اخيرا بغزو الفضاء، كل ذلك يؤكد ان الولايات المتحدة ستواجه تحديات في تنفيذ استراتيجيتها الجديدة الحرب المسبقة. والسؤال الذي اوجهه للامة العربية اين نحن من هذا العالم؟ إسرائيل نووية صاروخية وايران في طريقها لان تصبح كذلك قريبا وباكستان نووية صاروخية والهند نووية صاروخية.. وكل هذه الدول اصبحت آمنه من ان تتعرض للحرب المسبقة...! ماذا فعلنا لنصبح اقوياء وتكون لدينا وسائل ردع ضد التهديدات التي نتعرض لها؟

سباق نووي

اذا استخدمت اميركا الصواريخ أو القنابل التكتيكية الصغيرة لضرب مراكز القيادة المحصنة أو المنشآت التي تنتج أو يشتبه في انها تنتج اسلحة تدمير شامل فإن ذلك لن يمنع دولا اخرى من السعي لامتلاك اسلحة نووية لردع أي عدوان اميركي في اطار الحرب المسبقة.

انفراد

الارهاب وانتشار اسلحة الدمار الشامل مشاكل دولية والمجتمع الدولي ككل يمكنه التصرف بشكل جماعي لحل هذه المشاكل وهذا يتحقق بتعاون أمني عالمي وتطبيق الاتفاقيات القائمة واحترامها لا بالغائها وألا تنفرد دولة واحدة بتطبيق ذلك وفقا لمصالحها الخاصة ضاربة عرض الحائط بمصالح باقي دول العالم.

آسيا تركب القطار الأميركي السريع

١١ سبتمبر حسمت تردد واشنطن في التدخل العسكري بآسيا الوسطى

الحرب على الإرهاب شعار مزعوم لتبرير الهيمنة على أوراسيا

الصين بين شقي الرحى الأميركية بعد الفراغ السياسي في المنطقة

أميركا استخدمت العصا والجزرة لالتهام تركة الاتحاد السوفيتي السابق

قبل تولي الجمهوريين السلطة في الولايات المتحدة والى ما قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كان كل اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة آسيا الوسطى ينحصر في اشتراك شركات البترول الاميركية في «كونسرتيوم» خاص ببترول حوض بحر قزوين وآسيا الوسطى. ورغم أن التجارة الاميركية مع هذه المنطقة زادت بصورة ملموسة فإن المحللين كانوا يعتقدون أنها ليست حيوية الى حد كبير للاقتصاد الاميركي. كما ان التطور المحدود للعلاقات السياسية والعسكرية مع جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق لم يضف كثيرا الى هذه الصورة. كما ان الرأي الذي كان سائدا هو انه لا يوجد رئيس اميركي يفكر في ارسال قوات الى آسيا الوسطى أو خلق التزامات طويلة الاجل، لها آثار مهمة بالنسبة لجنوب القوقاز وافغانستان وباكستان وايران ومقاطعة كسيمطج الصينية.. ويطلق على كل ذلك اسيا الوسطى الكبرى.

ومن المعروف أن الولايات المتحدة في عهد الرئيس السابق كلينتون وجهت ضربة صاروخية ضد افغانستان بعد تفجير السفارات الاميركية بشرق افريقيا، على أساس أن قاعدة أبن لادن كانت وراء هذه التفجيرات، ورغم أن حركة طالبان كانت تحتضن أو تستضيف قاعدة إبن لادن لم يقترح أحد من المسؤولين أو السياسيين الاميركيين استخدام القوة العسكرية ضد طالبان وكان الرأي السائد لدى كلينتون ان طالبان انهت الحرب الاهلية في افغانستان وحققت استقرارا داخليا الامر الذي كان من الممكن ان يساعد على انشاء خطوط أنابيب الطاقة من آسيا الوسطى الى موانيء المحيط الهندي عبر افغانستان وخاصة نقل الغاز الطبيعي من تركمانستان الى باكستان. بل كان هناك رأي أن تبحث الادارة الاميركية عن طريقة للتعاون مع حركة طالبان.

ويرى المحللون والمراقبون أن الظروف دفعت الولايات المتحدة إلى التدخل في اسيا الوسطى الكبرى، وأن أسبابا كثيرة تجعلها تبقى هناك، وهذه الأسباب كانت قائمة قبل احداث ١١ سبتمبر بكثير. ثم جاء ١١ سبتمبر لتتخذه ادارة الرئيس بوش ذريعة لتنفيذ مخططها في الهيمنة على أوراسيا التي تشمل اسيا الوسطى الكبرى. وبدأت الخطة بالحملة الاميركية على طالبان والقاعدة. وتمكنت الولايات المتحدة وحلفاؤها ومن بينهم قوات تحالف الشمال الافغاني المضاد لطالبان والذي قام بمهمة القتال البري الرئيسية وبفضل التفوق الساحق للقوة الجوية الاميركية

من القضاء على حركة طالبان واقامة نظام جديد موال في افغانستان. ومع ذلك لم تنجح في القضاء على قاعدة إبن لادن ولم تحكم سيطرتها بعد على افغانستان ولكنها ضمنت وجود قاعدة جوية لها هناك وتواجدا عسكريا ايضا. ولولا مساهمة باكستان في هذه الحملة بالسماح باستخدام أجوائها واحدى قواعدها الجوية وعبور قوات اميركية أراضيها لتغير مسار الحرب ليس من حيث النتيجة ولكن من حيث الخسائر البشرية ومدة الحرب. وتمكنت الولايات المتحدة من ان تضم الى جانبها كلا من باكستان والهند الدولتين النوويتين وتمنع حدوث صدام بينهما قد يتطور الى حرب نووية. وهذا ايضا يدخل ضمن المخطط الاميركي للسيطرة على اوراسيا واحتواء الصين الصاعدة والواعدة والتي تعتبرها الولايات المتحدة التهديد الرئيسي لها في هذا القرن.

قوى المخدرات

ويتحدثون عن قوى ضاربة اخرى عملت ومازالت في اسيا الوسطى الاكبر وركزوا على انتاج الهيروين فيقولون أن افغانستان هي أكبر منتج للهيروين وأن تجارته تمر عبر دول آسيا الوسطى الى العالم الخارجي وان تجارة وتهريب المخدرات ادت الى انتشار الفساد والادمان والعنف في تلك الدول الامر الذي أثر على اقتصادياتها واستقرارها بل ونسف القانون والنظام، وفي الوقت الذي يمكن ان تتيح مصادر طاقة جديدة لدول مستوردة للبترول التحرر بعض الوقت من هيمنة الدول المصدرة للبترول وفتح طريق للرفاهية من صادرات الطاقة القزوينية وخطوط انابيب البترول والغاز الطبيعي ومحطات ضخ. فان هذا الاندفاع والتزاحم من أجل طاقة بحر قزوين يهدد الاستقرار بالمنطقة نظرا للتنافس بين ايران وتركيا وباكستان والهند والصين خاصة بالمنطقة التي تم تهميشها بواسطة الامبراطورية الروسية، والامبراطورية السوفيتية لمدة قرن ونصف من الزمان.

وقبل احداث ١١ سبتمبر بوقت طويل كان القادة الاميركيون يفهمون مشاكل اسيا الوسطى الاكبر، ولكنهم ترددوا في التورط استراتيجيا هناك. ثم في الحملة الاميركية ضد طالبان والقاعدة في افغانستان احتاجت الولايات المتحدة لدول اسيا الوسطى التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي لامداد قوات تحالف الشمال الافغاني بالاسلحة ولاستخدام اجوائها وقواعدها وتدخلت روسيا للحصول على موافقة تلك الدول الاعضاء في كومنولث الدول المستقلة الذي تشكل بعد تحلل الاتحاد السوفيتي. وانتهى الامر بحصول الولايات المتحدة على قواعد في بعض تلك الدول بل وتواجد لعناصر من قواتها المسلحة وان لم تكن بأعداد كبيرة.

وتتحدث مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية عن أن هذه المنطقة توفر ارضية لتطرف ديني مختلف. فالمجتمع يتكون من ملايين من المسلمين «الاغلبية الساحقة» في آسيا الوسطى منذ فجر الاسلام ولكن كان دور الاسلام السياسي -على حد تعبيرهم- محدودا بسبب الضغوط والقيود التي فرضها العهدان الروسي القيصري والسوفيتي -اي سيطرة الامبراطوريتين على تلك المنطقة وكانت هذه الجمهوريات تابعة للاتحاد السوفيتي الى أن استقلت عنه. وبزوال هذا العصر الامبريالي اصبح الاسلام له تأثير واضح على الحياة المدنية

والسياسية وفي نمو مطرد. وليس معنى عودة الشعوب المسلمة في تلك الدول الى ممارسة الشعائر الدينية التي حُرمت عليها من الامبراطورية السوفيتية أن الاسلام السياسي المتطرف هو السائد الان. نعم قد تتشكل جماعات متطرفة كما هو الحال في كل الدول المسيحية وغير المسيحية لكن الاسلام لا يدعو للتطرف لانه دين سماحة. ومع ذلك تصر هذه المراكز على وجود تنظيمات اسلامية متطرفة في تلك الدول وضربوا مثالا بالحركة الاسلامية الاوزبكستانية، ويدعون -دون سند- أن لها علاقات وطيدة بقاعدة إبن لادن وأنها تستخدم طاجيكستان كقناة لعملياتها التي تتركز على اوزبكستان وان نشاطها انتشر في قرغيزستان ايضا.

ويتحدثون عن تنظيم آخر أقل تطرفا اطلق عليه «حزب التحرير الاسلامي» الذي يجاهر بالوسائل السلمية، ولكنه -على حد تعبيرهم- له أهداف تتوافق مع أجندة قاعدة إبن لادن - مجتمع اسلامي عبر القارات - ولا أعرف من أين جاءوا بهذه الفكرة- مجتمع اسلامي عبر القارات؟ وكلنا يعرف ان المسلمين موجودون في كل دول العالم. ويقولون انه بينما تأثرت الحركة الاسلامية لأوزبكستان بسقوط حركة طالبان فقد ظلت كحزب متماسك رغم ان عددا كبيرا من زعمائه داخل السجون في آسيا الوسطى.

وتدعي مراكز الدراسات ان العولمة ستساعد العالم الاسلامي على أن يكون له نفوذ اكبر اذ سيتمكن الناس والبضائع والافكار في العالم الاسلامي من اختراق اسيا الوسطى الكبرى. كما تدعي وجود اسباب تاريخية ستساعد على أن يصبح الاسلام اداة دائمة لاحتجاج سياسي في آسيا الوسطى، فشعوب تلك الدول التي كانت مستعمرة تقوم بالبحث عن هوية جديدة لها، فثقافة اسيا الوسطى وعقيدتها تضمن لها اتصالا اوسع مع العالم الاسلامي والديمقراطية غائبة بينما توجد مشاكل اجتماعية واقتصادية كثيرة.

دعم أميركي

وترى هذه المراكز ان الاسلام لن يكون الوسيلة الوحيدة للاحتجاج واعادة تشكيل الهوية ولكن الاستقلال عن روسيا سيساعد وسط اسيا على التوجه جنوبا في اتجاه العالم الاسلامي الاكبر ولن يكون الارهاب والعسكرية هما الاساس.

وترى هذه المراكز أن سببا آخر يشير الى أن التواجد الاميركي في آسيا الوسطى من المحتمل -الى حد كبير- أن يستمر طويلا لأن نظم الحكم في تلك المنطقة لديها سبب وجيه في جذب الولايات المتحدة للتدخل في شؤونها الداخلية. فالأتوقراط والقادة في اسيا الوسطى يسعون إلى استغلال قوة اميركا وتركيزها على الارهاب في دعم قبضتهم على السلطة. والتحدي الاكبر لهذا ليس توجها ديمقراطيا أو حركات معارضة وطنية من تلك التي تم كبحها أو طردها خارج البلاد وانما هي الجماعات المتطرفة. وحاليا تحاول دول المنطقة الحصول على هذا الدعم الاميركي بعرض نفسها كشركاء للولايات المتحدة في حملتها المزعومة ضد الارهاب، ووجدت في ذلك فرصة لاستغلال اهتمام الولايات المتحدة بحقوق الانسان - على حد قول هذه المراكز - وهم لايدركون أن الولايات المتحدة تريد السيطرة على المنطقة وعلى بترولها وغازها لأنها حيوية بالنسبة لمخططات الولايات المتحدة للسيطرة على أوراسيا وتطويق الصين وتأجيل تحولها الى

قوة عظمى. وتدعي هذه المراكز أن هذا يوفر لتلك النظم الامن وان علاقات وطيدة بين حكومات اسيا الوسطى والولايات المتحدة ستساعدهم في تحقيق أهداف جغرافية سياسية اقليمية والدولة الاكثر رغبة في ربط نفسها بالولايات المتحدة هي اوزبكستان وذريعتها طموحها الهيمنة الاقليمية ومزاعمها الوحدوية تخلق الخوف والشك لدى جيرانها الذين يسعون أيضا لركوب القطار الاميركي.

وتفوز تلك الدول بمعونة اميركية بالسماح للقوات الاميركية باستخدام القواعد الجوية بها على أساس ان هذا سيكون وسيلة لتأكيد ان الموارد الاميركية لا تدعم قوة اوزبكستان وحدها. كما أن حكومات دول آسيا الوسطى «وبتعبير أدق حكام هذه الدول» يرغبون في استمرار الاشتباك الاستراتيجي الاميركي في منطقتهم كمركز ثقل يوازن روسيا.

وترى مراكز الدراسات الاستراتيجية أن الولايات المتحدة نفسها ستقاوم التراجع عبر التزامها الذي اتخذته في المنطقة مهما كانت التكلفة لاسباب استراتيجية سياسية واقتصادية، ولأن التواجد الاميركي في تلك المنطقة - كما تراه هذه المراكز - ضروري للحرب ضد الارهاب.. كيف ذلك؟ هذا ما لم تفسره هذه المراكز، بل تؤكد أن القيادة الاميركية عاقدة العزم على البقاء هناك لفترة طويلة جدا. ويقولون أن الحاجة الى ثقل مضاد لروسيا كان عاملا رئيسيا أدى بأنظمة دول آسيا الوسطى إلى إقامة علاقات عسكرية مع الولايات المتحدة بعد احداث ١١ سبتمبر. واعتقد ان الولايات المتحدة هي التي سعت الى ذلك وقدمت كل المغريات والضغوط والترهيب والترغيب، وساعدها على النجاح خوف تلك الدول من الهيمنة الروسية. فآسيا الوسطى من حيث الموقع تمثل عمقا استراتيجيا لروسيا -وهي قوة متفوقة بصورة ملموسة- وهذه المنطقة للنفوذ والتواجد الاميركي تمثل تهديدا لروسيا بكل المقاييس وباستثناء جنوب القوقاز فان آسيا الوسطى هي المنطقة الوحيدة التي كان للروس فيها نفوذ مؤثر الى أن وصل الاميركيون. وليس بغريب انه في كلتا المنطقتين يوجد تخوف -باستثناء ارمينيا التي تنحاز تقليديا الى روسيا- وستكون روسيا عنيفة للاحتفاظ بسيادتها وتفوقها سواء بالتواطؤ لتحديد طريق خطوط انابيب طاقة حوض بحر قزوين والاحتفاظ بقواعدها العسكرية القائمة فعلا أو محاولة الوصول الى مصادر جديدة ومساعدة الانفصاليين والسعي للسيطرة على عمليات حفظ السلام الاقليمية أو تسويق حربها في الشيشان على أنها حملة ضد الارهاب الامر الذي يجعلها في حاجة ماسة للمرور في اراضي اسيا الوسطى وجنوب القوقاز. ومن الواضح ان روسيا لن تسمح بأن تكون هامشية في آسيا الوسطى -بمعنى ألا يكون لها أي نفوذ - وقامت في العام الماضي بتوقيع اتفاقية عسكرية مع قرغيزستان تسمح بتمركز عدد من الطائرات الروسية المقاتلة والقاذفة وقوة قوامها الف جندي عند قاعدة جوية شرق العاصمة بيشكيك وهذه الطائرات مهمتها دعم «قوة رد فعل سريع» من روسيا وقرغيزستان وكازاخستان وطاجيكستان وافقت هذه الدول على تشكيلها ضمن منظمة الامن الجماعي التي نظمتها مبادرة من روسيا - حجم هذه القوة يزيد على خمسة آلاف جندي- ولهذه الاسباب وقعت نظم آسيوية وسطى اتفاقيات أمنية مع الولايات المتحدة ايضا بمبادرة اميركية وتسمح هذه الاتفاقيات للولايات

المتحدة ببناء بنية أساسية عسكرية في خاناباد بأوزبكستان حيث تم فيها فتح عناصر من فرقة مشاة وفتح طائرات اف-١٥ واف-١٨ في منشآت خاصة قادرة على استقبال طائرات نقل عملاقة اميركية. وهناك خطط لتدريب وتسليح وكالات عسكرية ومخابرات محلية وكل هذا يشير الى تعميق التزام طويل الاجل في مسرح استراتيجي جديد يشكل كازاخستان وطاجيكستان وتركمانستان رغم أن هذه الدول الثلاث لم تساهم بصورة فعالة في الحرب الاميركية على افغانستان. ويمكن القول ان القوة الاميركية تم فتحها في الجناح الجنوبي لروسيا، ومن المتوقع أن يزداد حجم هذه القوة الاميركية «برية وجوية» بصورة ملموسة.

ويرى المحللون أن كل ما يمكن ان تأمل فيه روسيا الان هو أن تكون بمثابة ضابط مساعد للقائد -اي الولايات المتحدة- في آسيا الوسطى وهي المنطقة التي تسيدتها روسيا منذ منتصف القرن التاسع عشر.

ان روسيا الان اضعف من أن توقف التغلغل الاميركي في المنطقة التي كانت ضمن نطاق نفوذها. ويبدو أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتن فضل الاستفادة من التعاون على المدى البعيد. ومع ذلك قام بضغط شديد على دول آسيا الوسطى لكي يكون تعاونها العسكري مع الولايات المتحدة محدودا ولكن يبدو انه فشل في ذلك أو انه تراجع عن الضغط بعنف في مقابل ثمن حصل عليه في مجال المساعدات الاقتصادية وعلاقات امن مع حلف الناتو وتفهم اميركي للحرب في الشيشان.

وهناك حقيقة لابد من ذكرها في هذا الشأن وهي أن التدخل الاميركي في آسيا الوسطى سبق أحداث ١١ سبتمبر. فبعد تفكك الاتحاد السوفيتي بدأت الهند تعيد التفكير في استراتيجيتها الكبرى. وبدأ تقارب اميركي هندي وكان ذلك يعني ان تحالفا استراتيجيا بين الولايات المتحدة والهند على وشك ان يتم. وبعد أحداث ١١ سبتمبر مباشرة عرضت الهند على الولايات قواعد جوية لاستخدامها في الحملة ضد افغانستان. لكن الولايات المتحدة رأت ان تلجأ في ذلك الى باكستان وتم فعلا اتفاق باكستاني اميركي للعبور عبر أجواء باكستان واستخدام احدى قواعدها الجوية. ومع كل ذلك اصبحت الهند شريكا استراتيجيا للولايات الاميركية. وقامت الولايات بجهد كبير لتقليل التوترات بين الهند وباكستان ونجحت في ذلك الى حد ما.

تطويق الصين

تحالف الهند مع الولايات المتحدة زعزع الصين بقدر ما حدث مع باكستان واليابان وشراكة استراتيجية جديدة مع الهند تعني الاحاطة بالصين. وبخلاف اسيا الوسطى وروسيا وباكستان والهند فان الصين لن تحقق مكاسب من التغيير في السياسة الاميركية بعد ١١ سبتمبر وقبل ذلك كان تدعيم النفوذ الصيني في آسيا الوسطى. وتعتبر القيادة الصينية أن آسيا الوسطى منطقة حيوية جديدة، وهي تتاخم كيسيمنلج التي يسكنها مسلمون تحت حكم الصين ولكنهم ثقافيا واثنيا اقرب الى اسيا الوسطى وتوجد بهذه المنطقة اتجاهات للاستقلال والانفصال عن الصين وتتهم الصين هذه التحركات بأنها متطرفة ويجب القضاء عليها بل ان دحر هذه المجموعات في آسيا الوسطى له أسبقية في محادثاتها مع قادة المنطقة.

المياه العكرة

احداث ١١ سبتمبر -في رأي المحللين- عكرت المياه في آسيا الوسطى في وقت كانت الصين فيه تجتازها وتبحر فيها بثبات. والولايات المتحدة التي كانت قد فتحت قواتها على الجناح الشرقي للصين اصبح لها وجود عسكري على الجناح الغربي للصين ايضا ومن المؤكد انه سيدوم طويلا. كما ان روسيا وايران حليفتي الصين يبدو انهما تريدان تهدئة الامور وقبول المصالح الاميركية في آسيا الوسطى واصبح واضحا الان ان الولايات المتحدة ستأخذ القيادة فيما تسميه الحرب ضد الارهاب في آسيا الوسطى وبتعاون كامل من روسيا ودول آسيا الوسطى. كما ان باكستان التي استمرت لعدة عقود في الحصول على دعم الصين ضد الهند اصبحت الان تستضيف قوات اميركية وتسمح لها باستخدام قاعدة جوية باكستانية والعبور عبر اجواء باكستان بحرية كاملة.

مخاطر

يرى المحللون أنه في المراحل الاولى من الحرب على افغانستان كانت هناك علامات تقارب بين الولايات المتحدة وايران وصفها المحللون بالدفء وعرضت الولايات المتحدة لتطوير العلاقات مع ايران مزايا سياسية واقتصادية لكن المحافظين في ايران ترددوا في قبول هذه العروض. والتفكير في مفهوم آسيا الوسطى الكبرى يعكس كيف يمكن لقوى من جزء من هذه المنطقة الشاسعة ان تتسع عبر الحدود لباقي الاجزاء، وتؤثر فيها، ولهذا يعتقد المحللين أنه على الرغم من نجاح الولايات المتحدة في خلق نفوذ وتواجد عسكري في اسيا الوسطى الكبرى وانها نجحت في خلق حلقة احتواء للصين من جميع الجهات فانها ستواجه مخاطر كثيرة في المستقبل المنظور.

الفقراء يدفعون الثمن

القرن الحالي يحمل تناقضات عميقة تفوق آمال التكنولوجيا

عولمة الاقتصاد تلغي الحدود وتنهي سلطة الدولة المركزية

القوة الكبرى الوحيدة تختلق ذرائع نبيلة لتحقيق غايات شريرة

دعوات العولمة أدت إلى زيادة النعرات القومية والاثنية

التطورات المتسارعة خلقت عالما رابعا يضم دولا مهددة بالانهيار

القرن الحالي مليء بمتناقضات عميقة لكن البعض يرى انه يحمل آمالا عريضة. ففي الخمسة والعشرين عاما الماضية حدثت تطورات تكنولوجية وعلمية غيرت العالم بصورة لم يكن يتصورها اسلافنا.. ففي بداية القرن الماضي -وبالتحديد عام ١٩٠٠- سيطرت أوروبا على العالم، وكانت رؤية الأوروبيين تشير إلى عالم أكثر مدنية ورفاهية بسبب الفوائد المحتملة للقوة الصناعية التي بدأت تظهر في أوروبا واحتمالات انتشارها في أنحاء العالم. كما ان التوترات بين القوى الرئيسية في ذلك الوقت كان من الممكن احتواؤها دبلوماسيا وتحقيق توازن في القوى حيث لم تكن هناك قوى يمكنها عسكريا السيطرة على الأخرى. أما في القرن الحالي فالتفاؤل الذي يميز المرحلة الأولى من التطور التكنولوجي «الثورة في التكنولوجيا والاتصالات والمعلومات والأسلحة» تم اضعافه بواسطة الآثار الجانبية غير المخططة لهذه التطورات. فوسائل الإعلام تتنافس يوميا لجذب الانتباه إلى المآسي البيئية وانتشار الفقر في أنحاء كثيرة من العالم ووحشية الحروب والصدامات المختلفة بسبب تأثير الذخائر الدقيقة. والأزمات الاقتصادية والتهديدات التي تمثلها الأسلحة النووية التي تمتلكها دول محدودة توظف امتلاكها لهذه الأسلحة في فرض ارادتها وهيمنتها.

ان الأحداث الجارية الآن معقدة لان العالم يتغير بسرعة أكبر مما سبق، فهناك قوى جديدة تعيد تشكيل كوكب الأرض. ففي العقد الأخير من القرن العشرين شاهدنا ثورة المعلومات والتكنولوجيا ونهاية الحرب الباردة التي دامت حوالي خمسين عاما وانتهى عصر الثنائية القطبية بتحلل الاتحاد السوفيتي وظهرت روسيا الاتحادية ورغم انها قوة نووية عظمى الا ان وضعها الاقتصادي يمنعها من ان تواجه الولايات المتحدة التي أصبحت القوة العظمى التي لا منافس لها حتى الآن ثم ظهرت مجموعات إرهابية دولية، أصبحت ظاهرة رئيسية على الساحة الدولية.

ويتحدث المحللون عن القوى الجديدة التي تشكل الكون «إذا جازت هذه التسمية» وهي:

■ القوي الجديدة في التكنولوجـيا. فمنذ عام ١٩٨٠ تحولت القوى الصناعـية الدولية إلى ما أطلق عليه ما بعد التكنولوجيا الصناعية. وهذه التكنولوجيا جعلت المسافات أقصر وزادت سرعة الاتصـالات. وظهرت خـاصيـة نقل المال عـبر الكمـبيـوتر ونقل الأفكار والصـور عبـر الأقمـار الصناعية والفـاكس والانترنت. واليوم نجد أنفـسنا وسط ثورة المعلومات، وأصبح التغـيير الآن سريعا بدرجة تجعلنا غير قادرين على فهم أبعاد هذه الثورة ودراسة آثارها.

عولمة الاقتصاد

■ الاعتـماد المـتبـادل وتخطي الحدو د الاقليـميـة للقضـايا الجديدة فـقضـايا القرن الـواحد والعشرين متوافـقة وعالمية، وهي تختلف عن القضايا القديمة في أنهـا تعبر حدود الدول بحرية تكاد تكون كاملة.. وعلى سبيل المثال لا يعتبر الفقر مشكلة للولايات المتحدة ولكنه مشكلة دولية. واحد أسباب زيادة الفقر في العالم عولمة الاقتـصاد حيث تساعد المعلومات والاتصالات الجديدة الشركات الكبيرة العابرة للقارات في الـسيطرة على اقتصاد الدول وادارة الأعمال دون ان يكون لها وطن، ويمكن لهذه الشـركات الاستثمـار والتواجد في أي مكان من العالم، كـما يمكن سـحب رؤوس أمـوالها والانتـقـال إلى مكان آخر تخـتـاره هي مثلمـا تم سـحب رأس المال الدولي من أندونيسـيا عام ١٩٩٧ فأرتفع الفـقر بسرعة بين الشـعب الاندونيسي. وفي بعض دول ومناطق العالم –مثل روسيا– هناك تردد كبير للاستثمار بهـا، بينما توجد دول تتميز بقابلية للاستثمار. وبدون استثـمارات تعجز الدول عن توفـير التعليم والرعاية الصحـية وفرص العمل لشـعوبها. وتوجد فجوة كبيرة الآن ومتزايدة بين العالم الغني والعالم الفقير.

■ عدم القدرة المتنامية للدول على حل مشاكلها: فالخبراء يرون أنه لا توجد دولة قادرة على حل مشاكلها المتخطيـة للحدود القومية وحدها فحل مشـاكل الارهاب والهجرة وتجارة المخدرات وتجارة الدعـارة وبيع الاطفال يتطلب تعـاونا من كل الحكومات في كل أنحـاء العالم في مـجال تبادل المعلومات أو فرض القوانين والتنسيق بين أجهزة الشرطة.

إن دولا متـقدمـة وكبـرى مثل الولايات المتـحدة وأوروبا لا يمكنـها ايقاف الارهـاب وتجارة المخدرات منفردة، فالتعاون الدولي أمر مهم في هذا المجال. وفي هذا يجب أن تتساوى الدول في الحقوق والواجبات وان يتم هذا التعاون من خلال الامم المتـحدة حتى لا يستغل التعاون لصالح عدد من الدول دون دول اخرى.

■ وهناك ظاهرة ضـعف سلطة الدولة المركزية الامـر الذي يشـجع اللامركـزية في كل مكان ابتـداء من أوراسـيا وكندا الى آسـيـا ورواندا والكونغـو والهند واندونسـيا والبـرازيل.. حـيث تراجعت قوة الدولة بصورة ملموسة ونجحت حركات اثنية في تقسيم كثير من الدول.

وأدت هذ الظاهرة الى نشـوب حروب أهليـة في بعض الدول مثل رواندا والكونـغو وثورات بعض الاقليات في دول أخرى كما حدث في المكسيك وفي عديد من الدول. والسيادة الوطنية في الدول اصبحت تتـأثر بحيث تتعرض لاحـداث لا يمكنها ان تسيطر عليهـا والدليل على ذلك غزو اراضي دولة مثـل العراق بحجـة مخـتلقة وهي أنهـا تطور اسلحة تدمـير شامل قـد تؤثر على

المصالح الاميركية بالمنطقة، وقد ثبت أن هذا الادعاء كاذب تماما.

والدولة إما أن تكون قومية أو متعددة القوميات أو الاثنيات. ويرى المحللون إن الدول الاثنية هي التي تسبب معظم المشاكل للنظام الدولي بسبب الرغبة لدى المجموعات الاثنية في الاستقلال أو الاندماج في دولة أخرى من نفس الطائفة.

وعلى المستوى الدولي يمكن تصنيف الدول طبقا لمستوى تطورها الاقتصادي الى دول عالم أول وتشمل اميركا الشمالية وأوروبا الغربية واليابان واستراليا ونيوزيلندا ودول عالم ثان أو في مرحلة تحول من الشيوعية الى ديموقراطية السوق «دول أوروبا الوسطى التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق» ودول عالم ثالث معظمها في افريقيا واسيا واميركا اللاتينية ودول عالم رابع أو دول يتعرض وجودها للخطر «أساسا في افريقيا».

إن كثيرا من صناع السياسة في كثير من الدول -ومنها روسيا والصين ودول اميركا اللاتينية- مازالوا يفكرون طبقا لمعطيات الاستراتيجية الجغرافية. كما حددها كلاوزفتز في القرن التاسع عشر في ان السيطرة على أراض وشعوب هي الاساس الذي تعتمد عليه الاستراتيجية الناجحة وتغيرت الأمور ليحل محل ذلك ما يطلق عليه «السياسة الجغرافية» لان الجغرافيا أصبحت الآن أساسية في التركيز على التكنولوجيا الحديثة وعصر الاتصالات الفضائية والمسائل الكونية. ذلك ان الجغرافيا السياسية تحدد مكان وحدود الاراضي الوطنية، وتصنيف خصائص هذه الاراضي وتميز اراضي الدولة عن اراضي الدول الاخرى «الحدود». فالتطورات التكنولوجية ادت الى تطور العناصر القديمة للجغرافيا السياسية مثل الحدود الوطنية للدولة التي اصبحت مسامية بالمقارنة بالقرون السابقة. واكثر المسائل درامية في السياسات الجغرافية الان هي الجدل حول العولمة ضد المحلية.

ان الدولة والأمة والقومية اصبحت معالم حيوية وقوى مؤثرة في النظام الدولي الان ولما كانت الدولة مساحة من الارض لها حكومة ولها سيادة ويسكنها شعب واحد فإن للأمة وحدة «هوية ذاتية» من اناس يعتبرون انفسهم جزء من مجموعة مشتركة «عامة» والقومية تنبع من الهوية الوطنية.

قومية دينية

ويوجد في كثير من انحاء العالم ما يمكن ان يطلق عليه «قوميات دينية» ويصفها المحللون بأنها تركيبة من الدين والقومية العلمانية التي تمزج الهوية القومية العلمانية مع شرعية الأديان. وكثيرا ما تصبح عنيفة كما هو الحال في اسرائيل وهي دولة تدعي أنها ديموقراطية لكنها دولة دينية عنصرية.

ان الفقر وحقوق الانسان والهوة الكبيرة بين دول العالم الاول والعالم الثالث مشاكل عالمية لا خلاف عليها. بسبب اللامساواة بين الناس في دول كثيرة وبين الناس في دولة واحدة. وتحقيق عدالة عالمية أمر عسير لان العدالة - حسب الرأي السائد للخبراء- لها معنيان: الأول يتصل بالاجراءات السليمة في المحاكم والنظام السياسي والنظام الاقتصادي. وتحقق هذا المعنى

للعدالة يعني معاملة كل الناس بمساواة بغض النظر عن الثروة أو الجنس أو العرق أو الدين. والمعنى الثاني للعدالة يشير الى اللامساواة في الظروف التي يواجهها البشر عندما يولدون وهناك من يولدون أغنياء وآخرون «ربما الغالبية» يولدون فقراء، والبعض لديهم آباء ذوو سلطة ونفوذ والأغلبية ليست كذلك. والبعض يعيشون في جو صحي والاخرون لا يحظون بذلك. وهنا يطفو الى السطح سؤال مهم: هل هناك حل لمشكلة الفقر؟ فالأمر الواقع انه لا توجد عدالة دولية كما يريد الخبراء والفقر منتشر في معظم دول العالم إن لم يكن جميعها. ودول العالم الاول تعمل على ان تزداد غنى وان تبقى دول العالم الثالث فقيرة تسهل السيطرة عليها.

وتتحدث دول العالم الاول عن التحرر الاقتصادي بمعنى ان السوق الحرة يجب أن تهيمن على الاقتصاد السياسي للدولة وداخليا يجب على الدولة الحد من سلطاتها في تنظيم الاقتصاد، ودوليا يجب ألا تضع الدولة حواجز امام الاستثمارات مع الدول الاخرى.

وعندما يتمكن الافراد من الشراء والبيع والتجارة بحرية عبر الحدود سيصبح الجميع في حالة افضل على المدى الطويل– وهذا هو رأي دول العالم الاول، ان التطور يتم التعبير عنه اقتصاديا، ومع ذلك توجد أمور كثيرة بالنسبة لوصف التطور أكثر من النمو الاقتصادي للدولة – ومن ذلك توزيع الدخل القومي ومدى التطور السياسي للدولة والحقوق المدنية والظروف والأحوال البيئية. ويشير التطور السياسي الى طبيعة النظام السياسي ومدى نجاحه في دفع عجلة النمو الاقتصادي وكيف يديرونه وكيف يعالجون مشاكله.

إن دور قادة الدول في تعبئة وتوجيه القدرات الوطنية مهم الى حد كبير لان القادة يركزون مشاعر الجماهير على القضايا الوطنية. وفي هذا يوجد فرق كبير وواضح بين قادة انتخبتهم شعوبهم ويحكمون بالشعب وهم من الشعب ومن أجل الشعب ويعلمون ان الشعب يمكنه عزلهم اذا اخطأوا او استغلوا سلطاتهم، وقادة وصلوا الى الحكم بوسائل أخرى ويحكمون شعوبهم بالقوة والطغيان والامثلة على ذلك كثيرة واضحة ففي يوغوسلافيا كان ميلوسوفيتش وفي العراق صدام حسين وغيرهما .

ويقول المحللون ان الزعماء والحركات السياسية استغلت القومية بطرق واساليب كثيرة:

فالقومية الثورية تستغل التطور والتعبئة لخلق شرعية الحكم وفرض طريق اقتراب محدد للتطور. وذكروا فيديل كاسترو في كوبا مثالا لذلك. كما تستغل القومية لمساندة زعيم ما في السعي لسيطرة اقليمية وطموحات للهيمنة أو لإعطاء شرعية لشن حرب على دولة اخرى أو مجموعة من الدول ومثال ذلك الحرب الاميركية ضد أفغانستان والعراق أو لزعزعة حكومة دولة أخرى دون شن حرب عليها باستخدام وسائل الاعلام المختلفة التي تصل بها الى كل انحاء العالم مثل شبكة «سي. إن. إن» وغيرها ولإضفاء شرعية لقيام دولة بتغيير النظام في دولة اخرى باستخدام وسائل الاعلام القوية لاقناع المؤسسات الدستورية والشعب بأنها تشن هذه الحرب لحماية المصالح القومية والأمن في العالم واضفاء شرعية للقيام بالسيطرة على البحار ومصادر الطاقة والخامات لأهداف خاصة بالدولة، فهي تحاول ان تقنع شعبها بأن من حقها السيطرة على هذه المصادر ولو أدى الأمر الى استخدام القوة العسكرية.

مسائل ثانوية

يقول الخبراء ومراكز الدراسات الدولية والاستراتيجية ان الاقتصاد السياسي الدولي هو دراسة تفاعل القوى السياسية والاقتصادية، وحتى المسائل الثانوية لها عناصر اقتصادية وسياسية. ويكاد يكون من المستحيل فصل الديناميكية السياسية الاقتصادية المحلية عن الدولية. ويقولون انه توجد طرق اقتراب نظرية مختلفة تساعد في فهم الديناميكيات السياسية والاقتصادية الدولية مثل الاقتصاد الليبرالي «أي الروح التجارية الجديدة»، والخيار الشعبي ففي اقتصاد دولي ليبرالي يجب ان تقود التجارة الحرة الاقتصاد، ولكن دولا كثيرة تميل الى مذهب حماية الانتاج الوطني لتدعيم صناعاتها وشركات محددة للحفاظ على مستوى العمالة.

عوامل

هناك ثلاثة عوامل تقوي الاقتصاد السياسي الدولي هي توزيع القوة بين الدول، ودور المؤسسات الدولية، والسياسات الداخلية للدول. فتوزيع القوة يؤثر على العلاقات بين الدول القوية والدول الضعيفة، كما ان قواعد النظام الدولي تمليها الدول القوية وعادة ما تخدم مصالحها أساسا.

أهداف

شهدنا كيف استغلت الولايات المتحدة قوتها السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية في الحصول على تأييد عدد من الدول التي ساندتها في حربها على العراق رغم فشلها في الحصول على قرار من مجلس الأمن، واتضح بما لا يدع مجالا للشك ان الهدف من السيطرة على العراق اقتصادي واستراتيجي وليس مجرد التخلص من تهديد غير حقيقي كما ادعت.

انحياز

بالنسبة للسياسات الخارجية نشاهد كيف ان السياسة الاقتصادية الخارجية للولايات المتحدة تجاه الدول النامية تؤثر عليها بل قد تمليها مجموعات الضغط في الكونجرس الاميركي حتى لو كانت هذه السياسة تضر بمصالح قومية اميركية. ولعل الموقف الاميركي من القضية الفلسطينية والانحياز المطلق لاسرائيل أوضح مثال لذلك.

استدراج اليابان لسباق التسلح

طوكيو تنتقل من الدفاع الذاتي إلى التطور العسكري الشامل

تهديدات كوريا الشمالية النووية وراء تغير العقيدة اليابانية

ثلاثة أرباع اليابانيين يرون ان بيونج يانج هي الخطر الاكبر

طوكيو تسعى الى تعديلات دستورية وتشريعية لدخول حلبة التتحدث مراكز الدراسات الاستراتيجية عن تحول كبير في الاستراتيجية اليابانية نتيجة تطور الموقف في كوريا الشمالية التي اعترفت بامتلاكها اسلحة نووية وقدرات صاروخية كبيرة. واعلنت طوكيو في أغسطس الماضي عزمها على تطوير قدراتها الدفاعية الصاروخية بتنفيذ نظام متقدم للدفاع الصاروخي حيث تخطط الوكالة اليابانية للدفاع بحلول عام ٢٠٠٧ لاضافة النظام الجديد الذي يعتمد على تكنولوجيا الصواريخ الاميركية الحالية وعلى الامكانيات الدفاعية اليابانية. ويمثل هذا النظام غلافا للدفاع الجوي من مستويين متتاليين يعتمد الاول في الارتفاع الاقل على استخدام صواريخ باتريوت طراز "آشضتممم" المصممة لاعتراض صواريخ كروز والصواريخ الباليستية بأنواعها. اما المستوى الثاني على الارتفاع الاعلى فيعتمد على استخدام الصواريخ الطويلة المدى طراز "إنتممم" التي يتم اطلاقها رأسيا من القطع البحرية "المدمرات" لاعتراض الاهداف في طبقات الجو العليا على ان تستخدمها المدمرات اليابانية طراز "شظغقإ"

وقد طلبت وكالة الدفاع اليابانية تخصيص موازنة في عام ٢٠٠٤ لبدء تنفيذ المشروع بتمويل قدره ١٣٤ مليار ين -أي حوالي ١,٢٣ مليار دولار- لتجهيز المدمرات اليابانية الاربع بمنظومة الصواريخ "إنتممم" وتجهيز اربع من وحدات الدفاع الجوي اليابانية بمنظومة الصواريخ "آشضتممم" على ان يتم الانتهاء من ذلك في عام ممبمبمتيم. وتهدف وكالة الدفاع اليابانية على المدى الاطول الى ان يتم بنهاية عام٢٠١١ وبتمويل يصل الى ٤,٦ مليار دولار الانتهاء من تزويد المدمرات اليابانية الاربع و١٦ وحدة دفاع جوي من الوحدات اليابانية البالغ عددها ٢٧ وحدة بأنظمة الدفاع الجوي الصاروخية الجديدة.

وتمثل هذه الخطة تغييرا جذريا في السياسة الدفاعية اليابانية والتي كانت تعتمد في دراسات البحوث والتطوير بوكالة الدفاع اليابانية على تنفيذ بعض الاجراءات الوقائية بالتعاون مع الولايات المتحدة فقط.. وهذه المبادرة في تطوير انظمة الدفاع الجوي الصاروخية تهدف اساسا الى مواجهة زيادة التهديدات الواردة من دول اسيا الشرقية في مجال الصواريخ الباليستية واسلحة التدمير الشامل خاصة تلك التهديدات الصادرة من كوريا الشمالية.

ويمثل اهتمام اليابان بموضوع الدفاع الصاروخي بعدا جديدا يضاف الى مبادرة الدفاع الاستراتيجي التي قدمتها ادارة الرئيس الاميركي الأسبق رونالد ريجان في اوائل الثمانينيات

وقد اقتصرت المشاركة اليابانية على مبادرة استكشافية حذرة ومحدودة مثل الاشتراك عام ١٩٨٩ في دراسات هياكل الدفاعات الصاروخية في غرب المحيط الهادي والاشتراك المتواضع في البحوث مع الحكومة والصناعة الامريكية. وقد حدث التحول الكبير في هذه السياسة عقب قيام كوريا الشمالية في اغسطس ١٩٩٨ باطلاق احد صواريخها الباليستية الجديدة ذات المدى المتوسط فوق اليابان. وكنتيجة لقلق طوكيو من هذه الظاهرة التي كشفت عن مدى تعرض اليابان للخطر وقعت مذكرة تفاهم مع واشنطون عام ١٩٩٩ تسمح بالتطوير المشترك للتكنولوجيا المتعلقة بالدفاعات الصاروخية متضمنة المواد المختلطة وتصنيع مخروط المقدمة للصواريخ ومحركات الصواريخ الخفيفة ذات الوقود الصلب. ورغم هذه الجهود المشتركة فان طوكيو رأت أن تحد من المبادرات الخاصة بتطوير الصواريخ لاسباب سياسية ودبلوماسية وان يقتصر الامر على بعض الانشطة المحدودة مع الولايات المتحدة في هذا المجال وهو ما اكده عام ٢٠٠١ مدير وكالة الدفاع اليابانية بقوله ان اليابان اذا كانت ستمتلك نظام دفاع صاروخي فيجب ان يقتصر استخدامه على الدفاع عن الارض اليابانية ويتم استخدامه بواسطة يابانيين وبمبادرة من اليابان نفسها.

مرونة

وعلى النقيض فإن موقف طوكيو الاخير يحقق مرونة اكثر مع التركيز على التطبيقات المباشرة لمبادرات التطوير المشتركة. ومن الواضح ان اليابان راغبة في الاتجاه الى موضوعات عملياتية اكثر اهمية في مجالات القيادة والتحكم واعادة النظر في النقاط القانونية والدستورية الحساسة المتعلقة بها والتي لم تكن اليابان لفترة طويلة تسمح بمناقشتها والخاصة بالاشتراك في المبادرات الامنية ولكن القرار الذي أعلن في فبراير ٢٠٠٣ بالاشتراك في اختبارات الصواريخ الباليستية مع الولايات المتحدة على مقربة من جزر هاواي لمدة عامين تبدأ من ٢٠٠٤ كان القرار الرئيسي الذي ادى الى زيادة مرونة اليابان في مشروع النظم الصاروخية الدفاعية الحديثة. وكانت تصريحات رئيس الوزراء الياباني في اجتماع القمة الذي عقد مع الرئيس بوش في مايو ٢٠٠٣ بأن اليابان ترغب في زيادة وتدعيم افضل الوسائل لدفع التعاون الياباني الامريكي في مجال الصواريخ الدفاعية ذات تأثير ايجابي في السياسة الدفاعية الجديدة. ونتيجة لهذا الموقف خططت الوكالة اليابانية للدفاع في اطار اعداد موازناتها لزيادة قدرها ٧٣,٤ مليون دولار لتمويل الابحاث المشتركة مع الولايات المتحدة والخاصة بالجيل الثاني من الدفاع الصاروخي. ويعتبر تنامي التهديد من جانب كوريا الشمالية السبب المباشر لقيام اليابان بتنشيط دفاعاتها الصاروخية. وفي اكتوبر ٢٠٠٢ حين كشفت كوريا الشمالية عن برنامجها لانتاج اليورانيوم المخصب واعلان بيونج يانج اعادة معالجة اعمدة وقود البلوتونيوم في مفاعلها الذري تسبب ذلك في دفع اهمية المتطلبات الامنية في كل من اليابان والمنطقة حولها. ان اي زيادة في الامكانيات النووية واضافة قنبلة نووية أو اثنتين في حيازة كوريا الشمالية طبقا لاعتقاد كثير من المحللين مع قدرات بيونج يانج الفعلية في مجال اصواريخ البالستية تمثل تهديدا لا يمكن انكاره لليابان.. ويوجد لدى كوريا الشمالية حوالي ٥٠٠ صاروخ من طراز "سكود" القادر على الوصول الى اهداف في كوريا الجنوبية بالاضافة الى حوالي ١٠٠ صاروخ باليستي متوسط المدى وعدد اخر

غير محدود من الصواريخ المتوسطة المدى من طراز توبيودنج ١و٢ والصاروخ توبيودنج-١ ذو المرحلتين قادر على ضرب اليابان والوصول الى سواحل الاسكا طبقا لنتائج اختبارات الاطلاق التي اعلنت عام ١٩٩٨ وليس واضحا حتى الان ما اذا كانت تتوفر لدى كوريا الشمالية امكانيات تحميل رؤوس نووية على الصواريخ المتوسطة المدى ولكن الرصيد الضخم من مخزون الاسلحة الكيماوية الذي تقدره كوريا الجنوبية بحوالي ٥٠٠٠ طن وكذا الاسلحة البيولوجية المحتمل تواجدها "الجمرة الخبيثة والسل والطاعون والكوليرا" يمكن اطلاقها ضد تجمعات سكانية كبيرة لا تتوفر لها الحماية الكافية في اليابان. وقد تزايد قلق القيادات السياسية والامنية اليابانية منذ منتصف التسعينيات ليس فقط بسبب الصواريخ البالستية لدى كوريا الشمالية ولكن بسبب تأكد وكالة الدفاع اليابانية من ان الصين تمثل تهديدا اقليميا حقيقيا ايضا نتيجة قيام بكين بزيادة تمويل الانشطة العسكرية بها وترسانة الصواريخ الكثيفة ذات المدى المتفاوت من الصواريخ القصيرة المدى الى الصواريخ العابرة للقارات والتي اصبحت مصدرا متزايدا للشعور بالقلق. ويشمل مخزون الصين من الصواريخ المتوسطة المدى حوالي بمالي يمبمبمصاروخ طراز "طعتمممشد" ومن الي ينبمصاروخا طراز "طعتمممیه" يمكنها جميعا الوصول الى اليابان. وقد اشار المتحدثون اليابانيون الى الاحتمالات المستقبلية للتحديات التي تمثلها الصواريخ الباليستية في المنطقة مثل الاحتمال المحدود بالاطلاق غير المقصود او الذي يتم بدون تصديق الجهات الرسمية ضد اليابان بصواريخ روسية، او قيام موسكو باعادة تنشيط قدرات الصواريخ المتوسطة المدى بها كرد فعل على تزايد النشاط العسكري الصيني او لتسابق الجيوش في المنطقة.

وحتى كوريا الجنوبية – طبقا لامكانياتها التكنولوجية دون النظر لنواياها الحالية- يمكن اعتبارها تحديا صاروخيا مستقبليا لليابان. وترسانة كوريا الجنوبية المحدودة تتمثل في الصواريخ القصيرة المدي طراز هفلتميه و هفلتمم ذات مدى يصل الى ممبمبمكم فقط، ولكن طموح هذه الدولة في الوصول الى اطلاق قمر صناعي في الفضاء بحلول عام ٢٠٠٥ يمكنها من التحول بسهولة الى برنامج يستخدم هذه الامكانيات التكنولوجية في اغراض هجومية لتحقيق ضربات صاروخية. وكان قرار اليابان بتعجيل مبادرة الدفاع الصاروخي متوافقا في موعده ليس فقط مع التهديدات الجديدة في المنطقة ولكن مع نشاط حليفها الرئيسي والمتضامن معها على طول المدى وهو الولايات المتحدة. وقد كان لانسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية منع انتشار الصواريخ الباليستية في ديسمبر ٢٠٠١ تأثير واضح على قرارات طوكيو. كما كان لقرار ١٧ ديسمبر ٢٠٠٢ للرئيس بوش بنشر الصواريخ الاميركية في قواعد بحرية وارضية في الشرق الاقصى بعدد محدود على ان يتم الانتهاء من تجهيزها للعمليات في ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ اثر لا يمكن اهماله على قرار اليابان.

فوائد

وقد ادى اتجاه اليابان الى زيادة العمل في مجال تكنولوجيا الصواريخ الدفاعية وكذا الاشتراك مع الولايات المتحدة فيها الى بعض الفوائد المهمة. حيث ان تزويد المدمرات البحرية

اليابانية بالصواريخ "إنتمم" يجب ان يوفر نظريا تغطية كاملة لتأمين الدولة بالكامل ضد اطلاق الصواريخ المعادية. وبينما كانت هناك بعض الشكوك حول مدى الاعتماد على تكنولوجيا الصواريخ الدفاعية فان النجاح الواسع الانتشار للعديد من التجارب الاميركية بالاضافة الى الاداء الفعال لصواريخ باتريوت طراز "آضتمم" في ميادين المعركة في حرب العراق ساعدت على طرد هذه الشكوك. وتؤدي زيادة كفاءة النظام الدفاعي الصاروخي الى تأكيدات مهمة للشعب الياباني في مواجهة القلق المتزايد من مخاطر نشوب الحرب حيث كان اكثر من ٨٠ في المئة من الشعب الياباني يؤمنون باحتمال ان يتم استدراج اليابان الى الحرب "طبقا لاستطلاعات الرأي في يناير ٢٠٠٣" ونسبة ٧٤ في المئة أكدوا أن التهديدات ستأتي من كوريا الشمالية و٣٥ في المئة أكدوا أن التهديد سيكون نتيجة هجمات اسلحة الدمار الشامل والصواريخ البالستية. ومواجهة هذه الشكوك تعتبر وسيلة مهمة لتقليل خطورة الابتزاز النفسي الذي قد يرد من جيران معادين.

ويمثل قيام اليابان بتطوير قدراتها لاعتراض الصواريخ الاختيار الايجابي من ثلاثة اختيارات للتعامل مع الدفاع الصاروخي. اما الاختياران الاخران فكل منهما يعتبر دفاعا سلبيا وهما اللجوء الى ملاجيء خاصة واستخدام مهمات الوقاية أو التخطيط لادارة الازمات. اما البديل الخاص بالمبادرة بالضربة المضادة فهو اختيار سياسي غير متطور ولم يحصل على اهتمام القيادة اليابانية. وقد آثار اقتراح مدير الوكالة اليابانية للدفاع بشأن ضرورة قيام اليابان بتطوير قدراتها لتوجيه ضربة اجهاض لمنشآت اطلاق الصواريخ بكوريا الشمالية الكثير من الجدل. واعتبر هذا الاقتراح مبررا غير مباشر للحصول على الصواريخ كروز طراز توماهوك. وهذا البديل الايجابي متعارض الى حد كبير مع البند ٩ في الدستور الياباني والخاص بالعقيدة الدفاعية اليابانية. وبالتالي فانه من المنتظر ان تعتمد طوكيو في المستقبل القريب على واشنطون في توجيه اي ضربة اجهاض محتملة.

وفي هذا الاطار فان مبادرة اليابان الاخيرة في مجال الدفاع الصاروخي ستؤدي الى تدعيم الروابط الضعيفة حاليا مع اميركا. وقد اتضح اخيرا التطور في الحوار والاجواء المرتبطة بالعلاقات اليابانية الاميركية والتي تغيرت للافضل بين الجانبين في المحادثات الصريحة عن التحالف الشامل بدلا من العلاقات الاقليمية المحدودة والمتحفظة وكذا العلاقات الثنائية التي ادت الى مقترحات اكثر ايجابية في التعاون مع خط العلاقات الاميركية البريطانية القائم حاليا وعلى الرغم من هذا التقدم في العلاقات مازالت هناك بعض المخاطر في المبادرات الجديدة. اول هذه المخاطر التكلفة العالية لمشروع الدفاع الصاروخي الذي يواجه مشكلة قبوله محليا خاصة في دولة مازالت تسعى الى زيادة النمو والتقدم الاقتصادي وتواجه بعض الصعاب في ذلك. ويعكس الاتجاهات في الماضي نحو تطوير الدفاع الياباني مثل المحاولة الخاصة في الثمانينات بتصنيع وتطوير طائرة يابانية محلية عسكرية "برنامج عا تم ت"– فان الاوساط الاقتصادية والتجارية في اليابان لا ترى جدوى ايجابية حقيقة من التكنولوجيا الجديدة وكذا في الاوساط العلمية غير المتأكدة من النتائج.

وثاني المخاطر التي تواجه البرنامج الجديد لمبادرة تطوير الدفاع الصاروخي الياباني انه بالرغم من ان التعاون مع الولايات المتحدة يحقق بعض المزايا السياسية الا انه سينقلب الى تقليل قدرة اليابان على اتخاذ قراراتها السياسية بمفردها.

فعلى الرغم من ان اليابان ملتزمة بتدعيم قدرتها في مجال الاقمار الصناعية كما ظهر من خلال اطلاقها لاثنين من الاقمار الصناعية الاستطلاعية في مارس ٢٠٠٣ يتم استكمالها باطلاق ٨ اقمار اخرى حتى عام ٢٠٠٩ سوف تظل اليابان معتمدة على الولايات المتحدة في تحليل نتائج الاستطلاع لهذه الاقمار.

وثالث المخاطر ان تطوير نظام دفاع صاروخي جديد بالتنسيق مع الولايات المتحدة يهدد بسقوط اليابان في مأزق تغيير سياستها المتبعة منذ زمن طويل بدعم انشطة التطوير السلمية فقط واقتصارها على مجال الفضاء الخارجي

تدهور العلاقات

تطوير الدفاع الصاروخي سيؤدي لتداعي العلاقات السياسية لليابان مع الدول المجاورة فقد حذر رئيس الوزراء الصيني نظيره الياباني من المخاطر التي يثيرها تطوير الدفاع الصاروخي والمتمثلة في سباق التسلح بالمنطقة. كما عبر بعض الصينيين عن قلقهم من ان تحركات المدمرات اليابانية المزودة بالصواريخ الجديدة ستسمح للقوات العسكرية اليابانية بالانتشار في اي موقف مستقبلي مما يهدد الصين وتايوان.تنسيق

تركز اليابان في مبادرتها على دفع وتدعيم التنسيق والتعاون العملياتي. حيث تخطط وكالة الدفاع اليابانية في مارس ٢٠٠٥ لانشاء مكتب جديد لرئاسة الاركان المشتركة يتم فيه تجميع الافرع البرية والبحرية والجوية لقوات الدفاع الذاتي عن الدولة. وسيتم في العام القادم اصدار الاطار العام لبرنامج الدفاع الوطني الياباني الجديد الذي تم اصداره لاول مرة في عام ١٩٧٦ ومراجعته في عام ١٩٩٥.

تعديل

سيتطلب البرنامج تعديل موقف "أو ربما الغاء" امتناع اليابان عن الاشتراك في أي مبادرات امنية. وتأمل الحكومة اليابانية ان يتم ذلك بحلول عام ٢٠٠٥ بتمرير مراجعة قرارات اليابان بشأن الوكالة اليابانية للدفاع وقوات الدفاع الذاتي عن الدولة حتى يمكن لرئيس الوزراء تجنب الاجراءات الطويلة والبطيئة للتصديق على تحركات الدفاعات اليابانية. وفي هذا المجال يمكن للحكومة الحصول على دعم الاحزاب المعارضة لهذه للمبادرة وتحقيق نجاحات تشريعية على غرار ما تم في يوليو الماضي من تمرير الموافقة على التمويل الذي يسمح لقوات الدفاع الذاتي عن الدولة بالعمل في العراق وكذا التجديد الذي تم في ٣ اكتوبر الماضي في التشريع الخاص بمقاومة الارهاب الذي يسمح لليابان بتوفير الدعم البحري للقوات الاميركية والبريطانية لعملياتها في المحيط الهندي.

عسكرة الفضاء

سباق التسلح انتقل من البر إلى الفضاء بعد الحرب الباردة

أميركا والصين تتصارعان سرا للهيمنة على العالم من أعلى

مخاوف صينية من دخول اليابان اللعبة ونقل الصراع إلى تايوان

العلاقات الأميركية الصينية تزداد انهيارا بسبب أوراق اللعبة الفضائية

عندما نجحت الصين في اطلاق عدد من سفن الفضاء بلا رواد اعتبر ذلك انجازا تكنولوجيا كبيرا يشير إلى ان بكين تسعى جاهدة لدخول مجال الفضاء. وفعلا في أكتوبر الماضي ٢٠٠٣ اطلقت رائدا على سفينة فضاء لتعلن للعالم انها دخلت مجال الفضاء وتنوي ان يكون لها مكان فيه. وبدأت مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية وكثير من المحللين يتحدثون عن احتمال وقوع صدام بين المصالح الأميركية والصينية على أساس ان الولايات المتحدة ترى ان السيطرة على الفضاء يجب أن تكون لها وحدها بلا منافس وأن دخول طرف آخر هذا الميدان يمثل تهديدا لأمن الولايات المتحدة وتحديا لهذا الأمن. فالولايات المتحدة نصبت نفسها الحارس الأوحد للفضاء وترى الصين في ذلك تحديا للأمن القومي الصيني ومصالحها الاستراتيجية الوطنية.

وتقول احدى الدراسات أن الفضاء يمثل أهمية حيوية للأمن القومي الأميركي وللرفاهية الاقتصادية للشعب الأميركي الأمر الذي يجعل واشنطون تبذل كل ما يمكن لحماية قدراتها في الفضاء، بل ترى أن الأمن والمستقبل الاقتصادي لأميركا وحلفائها يعتمدان على قدرة الولايات المتحدة على العمل بحرية كاملة في الفضاء. ففي المجال الاقتصادي تعتمد الولايات المتحدة على تكنولوجيات الفضاء وقدرتها على دعم نطاق واسع من الأنشطة الاقتصادية والتجارية. ومثال ذلك إنشاء نظام من الاقمار الصناعية في الفضاء اطلق عليه نظام الملاحة وتعيين المحل الكوني شكن الذي يضم استقبال اشارات دقيقة تسمح للسيارات والناقلات والطائرات والسفن بتعيين مواقعها بدقة مع نظام زمني مرتب لاستخدامات عملية لنقل الأموال. وتقول الدراسة ان الشبكة المالية الدولية يمكن ان تنهار في غياب نظام الملاحة وتعيين المحل.. وبالمثل تحمل الاقمار الصناعية التجارية معظم الاتصالات التجارية الدولية. ورغم معدل النمو غير العادي لشبكات الألياف الصناعية للاتصالات ستظل أقمار الاتصالات هي المسيطرة على الاتصالات الدولية.

حرب فضائية

ويؤكد المحللون ان الولايات المتحدة تعتمد بصورة غير عادية على الفضاء في مجال امنها القومي. فالقوات المسلحة الأميركية قامت بدمج تكنولوجيات الفضاء في كل عناصر عملياتها

العسكرية مما أدى إلى تطور غير مسبوق في كل أفرعها وطور إلى حد كبير القوة العسكرية الأميركية. فمنذ حرب الخليج عام ١٩٩١ التي اعتبرت أول "حرب فضائية" في التاريخ اعتمدت القوات المسلحة الأميركية على أقمار بصرية، "أشعة دون الحمراء"، رادارية لتتمكن من رؤية ما يحدث في أرض المعركة في وقت حقيقي.. كما ان الاقمار التجارية سمحت للقادة العسكريين بالاتصال بقواتهم، وكانت اشارات أجهزة الملاحة وتعيين المحل حيوية للهجمات الدقيقة. ونجحت الحملات الجوية على كوسوفو وأفغانستان والعراق في اثبات أهمية العناصر الفضائية في الحرب الحديثة.

واعتمد القادة العسكريون الأميركيون بصورة متنامية على المعلومات الواردة من الأقمار التجارية خصوصا التصوير والاتصالات وقامت هذه الأقمار بتأمين ٨٠ في المئة من الاتصالات العسكرية خلال عملية كوسوفو.

وبسبب اعتماد الفاعلية العسكرية الأميركية والتنافس التجاري على الفضاء بصورة كبيرة فان المحللين يرون ان الولايات المتحدة معرضة لأي خصوم يمكنهم استخدام الفضاء لهجمات ضد الوسائل الفضائية الأميركية، وان هذا هو السبب الرئيسي لرفض الولايات المتحدة أي منافسة أو شراكة في الفضاء. بل ان وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد قال ان أي هجوم على الوسائل الفضائية الأميركية اسوأ بكثير من الهجوم على بيرل هاربور في الحرب العالمية الثانية، وأطلق على هذا الهجوم تسمية "بيرل هاربور فضائية".

أما بالنسبة للصين فتقول الدراسة ان أهدافها في الفضاء تعكس مصالح واسعة تجارية وعسكرية. فمن المنظور الاقتصادي ترى الصين في استكشاف الفضاء جزء من مشروع تطورها، واسبقية أولى في الأجندة القومية والنمو السريع للإقتصاد الصيني في العقدين الماضيين أدى إلى دخول استثمارات في القدرات المدنية الفضائية بسبب النمو الضخم لسوق الاتصالات الصينية الذي دفع بكين إلى اطلاق اقمار اتصالات صناعية صناعة محلية ودولية في الفضاء لتتجاوب مع زيادة الطلب. كما ان وسائل الاطلاق الصينية للأقمار الصناعية منخفضة التكلفة بالمقارنة بالدول الغربية وروسيا وساعد ذلك على ان تخلق الصين سوقا لها في هذا المجال لخدمة عملاء دوليين. وادركت الصين ان بحوث الفضاء يجب ان تحتل الصدارة في المعرفة والعلم وان أي انطلاقات فيها ستؤدي إلى دعم اقتصادها وقدراتها الشاملة على المدى المتوسط والبعيد.

ونتيجة كل ذلك استثمرت الحكومة الصينية أموالا كبيرة في برنامجها الفضائي المخطط. وطورت قاعدة علمية وصناعية قادرة على انتاج منصات اطلاق فضائية واقمار صناعية. وأصبحت منصات الاطلاق الصينية ذات كفاءة يعول عليها وتنافس على المستوى الدولي في القدرة على اطلاق أي قمر صناعي لأي مدار بما في ذلك اقمار الاتصالات واقمار الاستطلاع والاقمار المناخية والبحوث العلمية. ومنذ عام ١٩٩٩ والصين تعد لاطلاق رائد فضاء ونجحت هذا العام في ذلك، كما نجحت في اخفاء ما تقوم به عن المراقبين الأجانب. وكانت السياسة الرسمية للصين هي تدعيم أي اكتشافات في الفضاء لأهداف اقتصادية وعلمية وثقافية

ومعارضة أي عسكرة للفضاء، وحذرت مرارا من أي اختبارات أو تطوير أو استخدام لتمركز أسلحة في الفضاء وأن هذا سينسف الأمن العالمي وسيؤدي إلى سباق تسلح في الفضاء له آثار خطيرة على الاستقرار العالمي.

هاجس الأمن

وأشار بعض المراقبين الصينيين إلى ان جهود الولايات المتحدة لعسكرة الفضاء تدل على طموحات لفرض سيطرة أحادية على الفضاء. ويقول المراقبون انه بعد انتهاء الحرب الباردة وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة تمتلك الميزة الاستراتيجية منفردة على كل كوكب الأرض وتمتلك معظم التكنولوجيا الفضائية المتطورة ومعظم الاقمار الصناعية الموجودة في الفضاء فإنها ترغب في ان تجعل كل الفضاء الخارجي تحت سيطرتها المنفردة عسكريا لتسهيل تنفيذ استراتيجية هيمنتها على العالم خلال القرن الحالي، وهو ما بدأت تنفيذه فعلا.. وطالبت الصين دبلوماسيا باستخدام آلية قانونية متعددة الاطراف وثنائية لتطوير أسلحة الفضاء الخارجي أو عسكرته. وهذه المعارضة الصينية لعسكرة الفضاء دليل على قلق الصين من الهيمنة الأميركية على الفضاء وفي الوقت نفسه ترى الولايات المتحدة ان الهيمنة على الفضاء أمر حيوي لامنها القومي. وكل ذلك يوحي بان العلاقات الصينية الأميركية تتعرض للتردي.

وترى الصين ان نظام الدفاع القومي الأميركي ضد الصواريخ الذي ستدعمه نظم ومستشعرات فضائية كثيرة خطر جسيم بالنسبة للصين وللأمن الدولي، بل ترى ان هذا النظام يهدف أساسا إلى نسف الدرع النووي الصيني الصغير نسبيا. كما انها قلقة مما يدور من برامج بحثية مشتركة بين الولايات المتحدة وحليفتها اليابان في هذا المجال الأمر الذي تعتبره الصين شراكة بينهما لكبح طموحات الصين الاقليمية بل ترى ان هدفه احتواء الصين. وتخشى الصين انضمام اليابان إلى خطة فتح هذا النظام في شمال شرق آسيا الأمر الذي سيؤدي من وجهة نظر الصين إلى زيادة قدرات اليابان العسكرية واحتمال اندماج القوات المسلحة اليابانية بصورة ما مع القوات المسلحة الأميركية في مجال الاتصالات والاستخبارات والاستطلاع في الفضاء.

وترى الصين ان استخدام الفضاء له اثار على مسألة مضيق تايوان الذي كان ولا يزال مصدرا لمواجهة أميركية صينية. ويرى العسكريون الصينيون ان هذه القدرات ستسمح للولايات المتحدة بفتح قوات بالقرب من تايوان دون أن تكتشف لأن المستشعرات المتمركزة في الفضاء والأسلحة الخاصة بالدفاع ضد الصواريخ يمكنها تعمية ترسانة الصواريخ الباليستية الصينية الموجهة ضد تايوان. بالاضافة إلى احتمالات نقل نظم صواريخ مضادة للصواريخ إلى تايوان وهذا في رأي القادة الصينيين سيكون تعاونا عسكريا غير مسبوق بين الولايات المتحدة وتايوان. ويرون اهمية امتلاك الصين لقدرات فضائية لمنع حدوث ذلك.

تهديد متبادل

هذه الخلافات في وجهات النظر تسهم إلى حد كبير في أن واشنطون وبكين تنظران إلى بعضهما على أن كلا منهما تمثل تهديدا للفضاء عسكريا واستراتيجيا. ويرى بعض المحللين انه

رغم ان تكنولوجيا الفضاء الصينية تعتبر متخلفة عن مثيلتها الأميركية فان الصين نجحت في اقامة برامج عسكرية لهدف محدد وهو منع الولايات المتحدة من استخدام الفضاء عسكريا. فعلى سبيل المثال تفيد الانباء بان الصين طورت ليزر عالي الطاقة يمكنه تعمية المستشعرات الموجودة في اقمار التصوير الفضائية الأميركية وقتيا أو بصفة دائمة. كما ان البنتاجون يعتقد أنه بحلول عام ٢٠١٠ ستكون الصين قد طورت تكنولوجيات فضائية متقدمة واقمارا صناعية للاتصالات والتصوير. كما يقال ان ما يقلق البنتاجون ان الصين في سبيلها إلى تطوير قدرات مضادة للاقمار الصناعية يمكنها ان تحرم الولايات المتحدة من استخدام الاقمار الصناعية العسكرية والمدنية. واستنتجت لجنة أميركية تسمى "لجنة مراجعة الأمن الأميركي – الصيني" أن الصين ستحتاج إلى وسيلة استطلاع متمركزة في الفضاء ليمكنها التوجيه بدقة لجيل جديد من صواريخها الباليستية وصواريخ "الكروز" الهجومية البرية و"الكروز" المضادة للسفن. والنوع الأخير مهم في أي عمليات ضد حاملات الطائرات الأميركية في مضيق تايوان. وتقول اللجنة ان الصين تطور خططها لمواجهة أسلحة الفضاء الأميركية. وضربت مثالا لما يمكن ان تفعله الصين في هذا الشأن بأن توجه ضربة مسبقة ضد الوسائل الفضائية الأميركية قبل حدوث أي صدام في مضيق تايوان بهدف منع الولايات المتحدة من تنسيق أي عملية تدخل عسكري في المضيق، كما يمكن للصين ان تربك الاقمار التجارية الأميركية بصورة أو بأخرى لاجبار الولايات المتحدة على صرف النظر عن التدخل العسكري في تايوان.

وترى ان الصين لن تتمكن في المدى القريب من أن تنافس الولايات المتحدة في مجالات تكنولوجيا الفضاء، كما ان الاستثمارات التي خصصتها إدارة بوش لتطوير تكنولوجيا الفضاء ستؤدي إلى بقاء الصين متخلفة بصورة ملموسة في هذا المجال. ومع ذلك من الممكن للصين ان تختار قدرات تكنولوجية فضائية محددة يمكن بواسطتها تحدي مصالح الولايات المتحدة في الفضاء. خاصة ان ٩٥ في المئة من تكنولوجيا الفضاء لها استخدامات مزدوجة الأمر الذي قد يمكن الصين من تحقيق اهدافها في هذا المجال، فعلى سبيل المثال يمكن للصين ان تنجح في تطوير مدى ودقة الحمل الصافي لصواريخها الباليستية العابرة للقارات دون مشاكل تذكر. كما يمكنها الحصول على تكنولوجيات ذات استخدام مزدوج من مصادر عدة. والصين ليست في حاجة إلى ان تتعادل مع الولايات المتحدة تكنولوجيا للاضرار بمصالح أميركا في الفضاء. ويقول عدد من العلماء الصينيين ان الصين يمكنها استخدام خليط من التكنولوجيات القديمة والجديدة بما في ذلك قدرات فضائية متطورة لاضعاف الإرادة السياسية لخصوم متفوقين يعتمدون بصورة كبيرة على الفضاء لإدارة حروبهم. ونجاح هذا الطريق محل جدل ولكن تعرض الولايات المتحدة للعرقلة في الفضاء قد يشجع الصين على مهاجمة النظم الفضائية الأميركية في حالة حدوث صدام في تايوان.

ويعتقد المحللون انه من السابق لاوانه القول بان الدولتين دخلتا فعلا سباقا عسكريا في الفضاء، ومن الممكن ان يصل الطرفان إلى تفاهم بان ذلك ليس في مصلحة أي منهما وان التعاون هو الحل الأمثل. وقد يكون أحد الحلول هو التوصل إلى إجراءات بناء ثقة "متبادلة"، أو

على الأقل تجنب هذا التنافس أو السيطرة عليه بصورة ما. وحتى لو فشلت هذه الجهود في ايقاف التنافس فإن على الدولتين تشكيل سياسات للحد من الشكوك السائدة بينهما إلى جانب تلافي المخاطر والتكاليف التي قد تحدث من مواجهات في الفضاء.

وهذا يعني ان يبدأ الطرفان تطوير مؤسسات أو هيئات وقواعد واجراءات يمكنها خلق اطار للثقة. ومثال ذلك ما حدث ابان الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق من تطوير لإجراءات الحد من التسلح لتفادي المواجهات. وكبداية يجب على الدولتين ان تتفقا على شفافية تدريجية في الفضاء لان غياب المعلومات عن نوايا واعمال كل منهما سيزيد التوترات والتهديدات. وهذا يتطلب ان يعترف الطرفان بوجود مشكلة قائمة فعلا تتطلب التفاهم بينهما على أعلى المستويات. ويجب ان يدرج الفضاء للمناقشة في أول اجتماع مقبل بين الرئيس الأميركي والرئيس الصيني، خاصة ان اجتماعات سابقة أدت إلى نوع من التفاهم في بعض القضايا مثل ما حدث عام ١٩٩٨ بين الرئيسين حيث اتفقا على عدم ضرب الأسلحة النووية.

وعلى المستوى الدولي يجب على الولايات المتحدة ان تسعى لضم الصين إلى محطة الفضاء الدولية لأن برنامج الفضاء الصيني يعتمد على تكنولوجيا روسية.

وعلى الدولتين بدء مباحثات على مستوى اقليمي اوسع يشترك فيها أهم جيران الصين المتقدمين تكنولوجيا. كما يمكن للولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي واليابان استضافة مؤتمر وزاري يشمل قوى لها طموحات فضائية مثل الهند وكوريا الجنوبية وماليزيا وباكستان. بالاضافة إلى المباحثات السياسية على مستوى القمة ويمكن للوفود ان تتبادل معلومات عسكرية وعلمية عن الفضاء. ويمكن لبعض هذه المؤتمرات ان تنظم كجزء من حوارات غير رسمية يقدم فيها كل طرف فرصة لبحث الأمور بصورة أكثر انفتاحا وصراحة.

ومع ذلك فان تكاليف التنافس في تصاعد والمخاطر تزداد حدة في الجو الحالي من الشك المتبادل. كما ان غياب تفاهم مشترك عن النوايا والقدرات يدفع كل دولة إلى افتراض الأسوأ في الطرف الآخر.

وخلاصة القول ان هذه المقترحات التي يقدمها المحللون أبعد من أن تتحقق لأن الولايات المتحدة عازمة على الاستمرار في استراتيجيتها التي تهدف إلى الهيمنة على العالم في الأرض والبحر والفضاء، وان الصين ستستمر في تحدي ذلك وهي في طريقها لتحقيق نجاحات مؤثرة رغم استمرار التفوق الأميركي في هذا المجال. كما ان المحللين لم يتحدثوا عن روسيا التي ورثت كل ما حققه الاتحاد السوفيتي السابق من نجاحات في الفضاء وهل ستقبل انفراد الولايات المتحدة بهذا الوضع والمستقبل القريب سيرد على هذا التساؤل..!

وإذا كان المستقبل للفضاء بالنسبة للاقتصاد وللعسكرية.. وإذا كانت دولة التهديد الرئيسي للأمة العربية وهي إسرائيل قد بدأت غزو الفضاء باطلاقها أكثر من قمر صناعي عسكري للتجسس.. فأين نحن من هذا؟ هل سنظل متخلفين إلى الوقت الذي يستحيل معه اللحاق بالركب؟ لماذا لا تتعاون الدول العربية في اطلاق عدة أقمار صناعية للاتصالات وللملاحة

وللاستطلاع تمدنا بما نحتاج إليه في كل المجالات؟ وهذا لا يعني اننا سندخل التنافس المحتمل بين القوى الكبرى في السيطرة على الفضاء وانما نريد ان نمتلك ما يساعدنا على تطوير اقتصادنا واعطائنا رؤية واضحة للتهديدات التي نتعرض لها..!

خطر

شعرت الصين بالخطر وراحت تطور بشكل متسارع برنامجها الفضائي عندما أعلن الرئيس الأميركي بوش في العام ٢٠٠١ ان بلاده انسحبت من اتفاقية الحد من الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية وانها تطور نظام دفاع قومي ضد الصواريخ الباليستية.

مراقبة

الاستراتيجيون في الولايات المتحدة والصين يراقبون عن كثب جهود الدولتين في تطوير الصراع الفضائي.. وحكم الولايات المتحدة على الصين ونواياها وقدراتها الفضائية سيحدد بشكل كبير رد فعل واشنطون على ذلك.. كما ان حكم بكين على نوايا وقدرات واشنطون سيحدد أيضا رد فعلها. وعموما فان السنوات العشر القادمة ستحدد إلى حد كبير مجريات الأمور بين الدولتين فربما تتحسن العلاقات أو تزداد ترديا.. كما ان أوراق اللعبة الفضائية ستزداد وضوحا على الطاولة.

مرحلة الذرائع الصاروخية

إنتهاء الازمة النووية لم يقنع اميركا ففتحت ملف ايران الصاروخي

محاولات لجر أوروبا واقناعها بأن الصاروخ شهاب يهدد أراضيها

صواريخ أريحا الاسرائيلية تهدد كل أنحاء أوروبا ولم يقلق أحد

مراكز الدراسات الاميركية تنتج افلام رعب عن اسلحة الدمار الايرانية

التقارير تتحدث عن تعاون صاروخي ايراني مع باكستان والهند وكوريا

إيران احدى الدول الثلاث التي وصفها الرئيس بوش بالدولة المارقة التي تشكل تهديدا للولايات المتحدة وحلفائها ومصالحها واحدى الدول المرشحة لاستراتيجية الحرب المسبقة التي طبقها الرئيس الاميركي على العراق. وتم التلويح بعقوبات وضربات وربما غزو لإيران الا ان الموقف الأميركي الحالي في العراق وفي أفغانستان والرأي العام الدولي وانتخابات الرئاسة الاميركية القادمة "٢٠٠٤" أدت إلى ان تقوم الولايات المتحدة بتحرك دبلوماسي وسياسي للضغط على إيران للتراجع عن برنامجها النووي. ووافقت إيران على تفتيش هيئة الطاقة الدولية على كل منشآتها النووية لتثبت للعالم ان برنامجها النووي للاغراض السلمية. ومع ذلك مازالت الولايات المتحدة تتهم إيران بالغش والخداع.

وبدأت وسائل الإعلام ومراكز الدراسات الاستراتيجية الأميركية حملة جديدة على إيران تحت عنوان الصواريخ الباليستية الإيرانية.. ويبدو انها تبحث عن ذريعة جديدة غير السلاح النووي لضرب إيران أو اخضاعها للإدارة الأميركية.

وتقول هذه المراكز ان إيران أعلنت في نوفمبر ٢٠٠٣ انها أوقفت مؤقتا تطوير صاروخها "شهاب-٤" وهو يتفوق على الصاروخ "شهاب-٣" ولم تبدأ مرحلة انتاجه بعد ولكن التقديرات -كما تقول هذه المراكز- ان تصميمه وقدراته تمكنه من ضرب أهداف في أوروبا. ومن الواضح ان اقحام أوروبا في الأمر دعوة خبيثة لاثارة الرأي العام والدول الأوروبية ضد إيران ولم تشر هذه المراكز الى ان إسرائيل تمتلك صواريخ "اريحا-مم واريحا-تجمم التي يمكنها الوصول إلى أهداف في كل أنحاء أوروبا. وتدعي هذه المراكز ان اعلان إيران توقف برنامج الصاروخ "شهاب-٤" جاء بعد ان أعلنت انها قد تتوقف عن انشطتها بالنسبة لتخصيب اليورانيوم استجابة لقلق دولي - على حد تعبيرهم - متزايد بالنسبة للبرامج الصاروخية والنووية الإيرانية. ويرى المحللون انه إذا كان العرض الإيراني حركة تكتيكية لتهدئة النقد الأوروبي والأميركي لطهران فإنه لا يمثل جزء من أي إجراء فعلي لخفض أو وقف البرنامج الصاروخي الإيراني. ويقولون ان عرض الصواريخ "شهاب -٣" على شاشة التليفزيون الايراني في استعراض عسكري يشير إلى التفاخر والتباهي وان إيران نجحت فعلا في تطوير

قدراتها الصاروخية.

مئات الصواريخ

وطبقا لتقديرات وكالة المخابرات المركزية الاميركية "سي. آي. إيه" فإن تمتلك ايران عدة مئات من الصواريخ الباليستية القصيرة المدى تشمل الصاروخ كوندار -/٦٩ سي اس اس-٨ ذا المدى ١٥٠ كيلو مترا والصاروخ شهاب -١ "سكود ب" ذا المدى ٣٠٠ كم، والصاروخ شهاب -/٢سكود سي بمدى ٥٠٠ كيلو متر. وبالاضافة الى ذلك تقول الوكالة ان ايران قامت بتجربة صاروخ "فتح -١١٠" وهو باليستي بمدى ٤٠٠ كيلومتر ويقال ان هذا الصاروخ يحتمل ان يكون هو نفس الصاروخ الصيني إم-١١, ولكن تطوير الصاروخ شهاب-٣ هو الذي اثار قلقا في الأوساط الدفاعية الغربية. وتقول الوكالة ان الصاروخ شهاب-٣" استخدمت فيه تكنولوجيا الصاروخ الكوري الشمالي نودنج. وهو صاروخ ذو مرحلة واحدة وقود سائل يتم اطلاقه من على قاذف متحرك تم تطويره من قاذف الصاروخ سكود. وتقول الوكالة ان التقديرات المبدئية لمداه هي ١٣٠٠ كيلومتر وهو مدى يمكنه الوصول إلى إسرائيل وشركاء آخرين للولايات المتحدة في الشرق الأوسط.. ولم تذكر الوكالة من هم هؤلاء الشركاء الآخرون وإلى اجزاء من أوروبا. ومع ذلك فان البيانات الأخيرة التي اصدرتها إيران ذكرت ان مدى الصاروخ ١٧٠٠ كيلومترا بينما حذرت إسرائيل من ان المدى قد يزيد على ٢٥٠٠ كيلومتر. وترى الوكالة انه ليس واضحا الحمل الصافي لهذا الصاروخ وان كانت قدرته بحوالي ٧٥٠-١٠٠٠ كيلوجرام. ومع ذلك فان المزاعم المختلفة عن المدى الكبير لم تتأكد للوكالة وان كانت تجزم بان تطوير الصاروخ شهاب -٣ لزيادة مداه وحملة الصافي تجري على قدم وساق. وترى وكالة المخابرات المركزية الاميركية ان ما قيل عن ان إيران ستوقف انتاج الصاروخ شهاب - ٤ أمر مشكوك فيه إلى حد كبير، وان ايران مصممة على تطوير مركبة فضاء قد تكون لها استخدامات عسكرية.

وفي يوليو ٢٠٠٣ أعلن مرشد الثورة الاسلامية الايرانية اية الله خاميني ان الصاروخ شهاب-٣ دخل الخدمة في القوات المسلحة الإيرانية. ومع ذلك تقول الوكالة ان معنى هذا الاعلان غير واضح، فبرنامج الصاروخ شهاب -٣ اجريت فيه تسعة تجارب فقط منها أربع تجارب ناجحة وفشل التجارب الخمس الاخرى كان لعيب في المحركات ولكنها تعتقد ان كوريا الشمالية تغلبت على هذه العيوب وأن إيران حصلت على نتائج هذه الابحاث. ومع ذلك ترى الوكالة ان العدد الصغير من التجارب لا يمثل قاعدة كافية للخروج باستنتاجات ان الصاروخ ناجح ويعتمد عليه. وفي مقابلة تليفزيونية لوزير الدفاع الإيراني منذ ثلاث سنوات ذكر عدة مشاكل تواجه انتاج الصاروخ شهاب-٣ وان نظام توجيهه ودرجة دقته ومحركاته تواجه صعوبات.

وقال انه من وجهة النظر العملياتية يعتبره لم يصل إلى المستوى المطلوب، وقال ان إيران مهتمة بتغيير الصواريخ التي تستخدم الوقود السائل. وتدعي المصادر الروسية والإسرائيلية ان الخطأ المحتمل للصاروخ شهاب يؤكد ان ٥٠ في المئة من الصواريخ ستسقط على مسافة من ٣

إلى ٥ كيلومترات من الهدف. وترى وكالة المخابرات المركزية الاميركية ان هذا الصاروخ غير فعال ضد الأهداف العسكرية حتى لو تم تزويده برأس نووي من الجيل الأول، وترى الوكالة ان هذا الصاروخ سيستخدم كسلاح رعب ضد المناطق الأهلة بالسكان.

ويقول المراقبون ان المعلومات مستمرة في التراكم بالنسبة لدول تقدم الدعم لإيران في برنامجها الصاروخي. وقال احد كبار المسؤولين في البنتاجون "وزارة الدفاع الأميركية" ان التقارير تفيد بأن إيران نشطة في جلب مهندسين في مجال الصواريخ من الخارج. وانه على الرغم من العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على إيران والضغوط التي مارستها على روسيا والصين وكوريا الشمالية للامتناع عن امداد إيران بأي تكنولوجيا في هذا المجال الا ان إيران نجحت في التغلب على ذلك واستمر تدفق كثير من الخبرات والتكنولوجيا في مجال الصواريخ بصورة ما، كما ان الاستخدام المزدوج لكثير من التكنولوجيات المدنية ايضا ساعد إيران في تحقيق أهدافها.

وذكرت المصادر انه خلال زيارة الرئيس الإيراني محمد خاتمي للهند وقف إلى جوار الرئيس الهندي في منصة شاهدا منها طابور عرض للصاروخ اجني. وانتهت الزيارة باعلان عن خطط لتعاون الدولتين في مجال التكنولوجيا بينما في أوائل نفس العام ظهرت معالم تعاون طويل الأمد بين الدولتين في مجال تخصصات عسكرية عدة شملت الفضاء العسكري. ويجزم المحللون بعدم التأكد من امتداد هذا التعاون إلى مجال الصواريخ الباليستية.

وتقول وكالة المخابرات المركزية ان هناك تقارير مقلقة باحتمال وجود خطط بإمداد كوريا الشمالية لإيران بصواريخ تاييبودنج. وتاييبونج ١ "مركبة اطلاق فضائية" تم اختبارها مرة واحدة ويمكن ان يصل مداها " ٢٥٠٠ كيلومتر" إلى أي نقطة استراتيجية على سطح الكرة الأرضية اعتمادا على المراحل والحمل الصافي. وتزعم مصادر إسرائيلية ان كوريا الشمالية أمدت إيران بمحركات لهذا الصاروخ. أما الصاروخ الكوري تاييودوج-٢ فلم يختبر في الطيران رغم الزعم بانه -نظريا- له حمل صافي كبير ومن الممكن ان تكون له رأس نووية ويصل إلى مدى عابر للقارات. ويقول المحللون ان كوريا الشمالية أعلنت توقفها عن إجراء تجارب على هذا الصاروخ طوال عام ٢٠٠٣ وان كان ذلك يعني ان يسري هذا الحظر على إجراء تجارب في إيران.

وترى وكالة المخابرات الاميركية ان انخفاض دقة الصواريخ الباليسيتية الإيرانية تشير إلى أن استخدامها اساسا سيكون لحمل أسلحة دمار شامل. وتقول ان لدى إيران برامج أسلحة كيماوية وتكنولوجية ونووية. وأكثر ما يثير الخوف انه بنهاية العقد الحالي "حتى ٢٠١٠" قد تتمكن إيران من تزويد صواريخها برؤوس نووية. ويتوقف ذلك إلى حد كبير على قدرة إيران على توفير المواد اللازمة لانتاج هذا النوع من الرؤوس ولذلك يرى المحللون ان تقييم هذا التهديد يعتمد على نجاح الجهود الدبلوماسية الدولية المشتركة لايقاف البرنامج النووي الإيراني. وحتى لو نجح هذا البرنامج في تحقيق تقدم ملموس فان قدرة إيران على انتاج صاروخ باليستي مسلح برأس نووية سوف تظل تواجه صعوبات ومشاكل في المستقبل حتى لو نجحت طهران

في صناعة أول جيل من القنبلة النووية زنة ١٠٠٠كجم.. ويعتقد ان إيران ستواجه مشاكل في الحمل الصافي للصاروخ شهاب-٣ وقد تضطر إذا حاولت تزويده برأس نووي ان تضحي بجزء كبير من المدى. ومع ذلك مازال المحللون ينظرون بقلق إلى علاقات إيران بكوريا الشمالية ومن خلالها مع باكستان الأمر الذي قد يوفر لإيران الحصول على تكنولوجيا نودنج الكوري الشمالي.

ويرى المحللون ان حمل وتوصيل العوامل البيولوجية أمر صعب باستخدام صاروخ باليستي خاصة إلى مدى كبير لأن الذخائر البيولوجية تحتاج لأن تتحمل عوامل واثار دخول الغلاف الجوي. وقد تحترق فالصاروخ الباليستي ينطلق رأسيا ليصل إلى ارتفاع كبير يخرج خارج نطاق الغلاف الجوي للأرض ثم يبدأ اتخاذ مساره تجاه الهدف إلى ان يصل إلى منطقة فينقض من أعلى ليدخل الغلاف الجوي من جديد وعند دخوله يتعرض لحرارة عالية جدا نتيجة احتكاك بالغلاف الجوي أثناء عودة اختراقه له ويتعرض لارتفاع كبير جدا في درجة الحرارة نتيجة احتكاكه بالغلاف الجوي للأرض تصل إلى ألوف الدرجات وهذا قد يؤدي إلى تلف العوامل البيولوجية وتصبح غير مؤثرة. ولكي لا يحترق الصاروخ يغلف رأسه وهو أول ما يخترق الغلاف الجوي ليتحمل هذه الحرارة ولا يحترق مع ان الرأس مصنوع من معدن قوي جدا. كما ان توصيل هذه العوامل يحتاج إلى رأس حامل وليس رأسا متفجرا بمعنى انه عند اقتراب الصاروخ من منطقة الهدف تقوم وسيلة بفتحه لتنطلق منه الذخائر البيولوجية وتسمى الذخيرة الثانوية لتسقط على الأرض في المساحة المطلوبة لتلويث الهدف. اما إذا كان الرأس سيصطدم بالأرض وهو انفجاري فان الانفجار سيقضي على العوامل البيولوجية ويفقدها تأثيرها المطلوب أو على الأقل يحد منه إلى حد كبير. ولكل هذه العوامل تفضل الصواريخ كروز والطائرات كوسيلة لتوصيل العوامل البيولوجية. وامر اخر يثيره الخبراء وهو ان الصواريخ الباليستية الايرانية ذات درجة دقة متدنية "الخطأ المحتمل ٣-٥ كم من نقطة السقوط" وهذا يعني احتمال وصول العوامل إلى منطقة غير منطقة الهدف. وتؤكد معلومات وكالة المخابرات المركزية ان إيران لها قدرات محدودة للغاية لتسليح رؤوس بعوامل بيولوجية ولديها قدرة أعلى لتركيبها على صواريخ كروز ولديها صواريخ كروز صينية تستخدم ضد السفن ويمكن استخدمها في مهمة توصيل العوامل البيولوجية ولكن مداها محدود إلى حد كبير.

أما بالنسبة للأسلحة الكيماوية فيرى الخبراء انه يمكن خلال بضع سنوات ان تنجح إيران في تركيبها كرؤوس حربية على الصاروخ شهاب-٣ اعتمادا على نوع العامل الكيماوي والحمل الصافي. ومع ذلك فان تكنولوجيا التسليح الكيماوي في إيران تفتقر لأمر مهم وهو انها ستعبأ جاهزة في الرأس المقاتل وهذا فيه خطورة على القوات الصديقة والدول الصديقة التي قد يمر عليها الصاروخ ولو سقط فيها فسيؤدي الى كارثة. والتكنولوجيا الحديثة للتغلب على ذلك هي ما يطلق عليه النظام الثنائي بمعنى ان تعبأ المواد التي عند مزجها يتولد الغاز القاتل وتعبأ منفصلة عن بعضها ولا يحدث الاختلاط الا عند دخول منطقة الهدف فتتكون المادة أو العامل المطلوب وهذا يتطلب تكنولوجيا متطورة لضمان ذلك لا تتوفر إلا للولايات المتحدة وروسيا.

وبالنسبة للدول التي لديها ذخائر كيماوية للمدفعية بالنظام الاحادي ترتدي الاطقم ملابس واقية من الغازات اثناء اطلاقها لهذه الذخيرة وتداولها أثناء التعمير خطر داهم على اطقم المدافع. كما ان مدة التخزين الطويلة للمادة الجاهزة للعمل تعرضها لتفاعلات قد تفسدها أو تقلل تأثيرها. وكل ذلك تم تفاديه بأن العناصر الرئيسية التي تولد العامل عندما يتم اختلاطها تعبأ في اوان أو انابيب منفصلة ولا يتم خلطها إلا بجهاز خاص لا يعمل إلا عند الاقتراب من الهدف فيقوم بكسر الاناء لتختلط المواد فيتكون العامل ليكون جاهزا للتأثير.

شكوك

يقول المحللون ان كل الاعتبارات تخلق شكوكا حول مدى التهديد الذي تشكله الصواريخ الباليستية الايرانية في المستقبل المنظور ولذلك يقترحون اجراءات كثيرة يمكن اتخاذها -أو قد تكون قد اتخذت- للحد من هذا التهديد وربما التخلص منه نهائيا منها الاجراءات السياسية ابتداء من القيود على التصدير الى المفاوضات الدبلوماسية في اقناع ايران بالتوقف عن المضي في برنامجها الصاروخي.

صاروخ شهريا

مصادر روسية واسرائيلية تدعي ان ايران يمكنها انتاج من صاروخ الى صاروخين كل شهر على مدى السنوات القليلة المقبلة. ومع ذلك من الممكن لايران تطوير قدراتها التصنيعية الداخلية وبالتالي زيادة عدد ما تنتجه شهريا.

تساؤلات

يجب أن يتم تحديد الى أي مدى قامت ايران بتنويع والتوسع في برنامجها الصاروخي بتطوير مدى اكبر، أو صواريخ كروز هجوم بري، أو تطوير وسائل حمل حديثة لاسلحة التدمير الشامل خاصة البيولوجية والكيماوية. وهل نجحت ايران في تزويد صاروخها "شهاب-٣" بنظام الملاحة وتعيين المحل الكوني وهو موجود تجاريا ويمكن استخدامه عسكريا رغم ان درجة دقته اقل من النظم العسكرية، وكيف يمكن بالضغط على الدول والشركات التجارية عدم السماح بذلك؟

حل دبلوماسي

يرى المحللون ان حلا دبلوماسيا لايقاف البرنامج الصاروخي النووي الايراني يجب ان يتم وان ينجح. لكنهم لم يحددوا كيف تطمئن ايران لموقف ونوايا الولايات المتحدة منها بعد ان صنفها بوش ضمن محور الشر.

يرى المحللون ان حلا دبلوماسيا لايقاف البرنامج الصاروخي النووي الايراني يجب ان يتم وان ينجح. لكنهم لم يحددوا كيف تطمئن ايران لموقف ونوايا الولايات المتحدة منها بعد ان صنفها بوش ضمن محور الشر.

الأمة العربية جزيرة نووية

إسرائيل والهند وباكستان وإيران حزام ناسف حول الجسد العربي

الصراع النووي بين نيودلهي وإسلام أباد وصل إلى البحر

البرنامج الهندي المدمر جاهز للانطلاق خلال خمس سنوات

تحويل السفن المرورية الساحلية إلى منصات لاطلاق الصواريخ

يرى المحللون والمراقبون أن بعدا جديدا للتنافس النووي الهندي - الباكستاني بدأ في الظهور بصورة سريعة في البحار.. فالهند تتفاوض مع روسيا للحصول على غواصات نووية ويبدو انها ستنجح وأن المفاوضات وصلت الى مرحلتها الأخيرة فعلا، كما ان الهند أجرت تجارب لجيل جديد من الصواريخ البحرية. ففي نوفمبر الماضي أجرت تجربة من منصة بحرية لصاروخ كروز قادر على حمل رأس نووي اطلق عليه اسم "براهاموس" وذلك للمرة الثالثة خلال عدة اسابيع. ويعتقد المحللون ان باكستان ستحاول ان تحذر حذو الهند لخلق قدرات نووية تتمركز بحرا يمكن اطلاقها من على السفن أو الغواصات، وهذا الأمر -حسب رأي المحللين- سيزيد تعقيد الموقف في جنوب آسيا.

ومن المعروف انه في الخمسينات والستينات من القرن الماضي كانت البحرية الهندية تسعى لأن يكون لها دور مؤثر في المحيط الهندي ومياه جنوب آسيا. ومع ذلك كانت البحرية، الهندية مترددة في تطوير قدرات نووية بحرية خوفا من تأثير ذلك على حجم قواتها التقليدية البحرية. لكن المحللين يؤكدون ان هذا تغير بصورة حادة بعد التفجيرات النووية التي قامت بها الهند عام ١٩٩٨ والتي خلقت مدى واسعا من القدرات الاستراتيجية. كما ان البحرية الهندية اعادت تقرير موقفها بسبب التواجد المتزايد للبحرية الصينية في المحيط الهندي. وبعد هذه التفجيرات النووية "الاختبارية" اصبح واضحا أن برنامج التسليح للقوات الهندية بدأ يخطو خطوات كبيرة اعتبارا من يناير ٢٠٠٣ وأصبحت العقيدة الهندية تؤمن بضرورة امتلاك قدرات ردع نووية مؤثرة وإن قرارها هو عدم توجيه الضربة الأولى، وأن يكون الرد على أول ضربة نووية كثيفا لاحداث دمار محدود. وادى هذا الى اهتمام البحرية الهندية بتطوير قدرات ضربة نووية بحرية آمنة.

وبالنسبة لباكستان كان للقوات البحرية دور محدود في سياسة الدولة الأمنية صُمم على اساس مواجهة قوات بحرية هندية كبيرة. وبعد عام ١٩٩٨ بدأت البحرية الباكستانية تهتم بتطوير قدرات نووية ولكن لم يعط هذا الأمر أسبقية أولى خاصة وان الحكومة الباكستانية

يسيطر عليها ضباط من القوات البرية، كما ان النظرة الى ردع نووي متمركز بحرا لم تحتل مكانا في العقيدة الباكستانية التي تؤمن بالاعتماد على الضربة الأولى لردع التفوق الكمي الهندي وتفوق قوات الهند المسلحة التقليدية حجما وتسليحا في البر والجو. ومع ذلك يرى المحللون ان تغيرا بطيئا في هذه العقيدة "عقيدة الضربة الأولى" بدأ يحدث وان لم يكن قد تأكد بعد.

برامج نووية

ويقول المراقبون ان الهند تقوم حاليا بتنفيذ ستة برامج نووية رئيسية في البحر تشمل الحصول على غواصات نووية وتطوير قدرات صواريخ نووية. فلقد اصرت البحرية الهندية دائما على الحصول على غواصات نووية للتعرف على تكنولوجيا صناعة هذه الغواصات بأقل تكلفة ممكنة. وادى ذلك الى استئجار غواصة روسية نووية طراز ٦٧٠ أ سكات تعرف في الغرب باسم "تشارلي -١" وهي غواصة نووية مسلحة بصواريخ موجهة "اس اس جي ان" من انتاج عام ,١٩٨٨

ورغم أن هذه الغواصة اعيدت الى روسيا عام ١٩٩١ كان من المتوقع ان تصل الى الهند غواصة اضافية من نفس النوع "اس اس جي ان". ولكن انهيار الاتحاد السوفيتي ادى الى توقف هذا البرنامج. وعلى مدى السنوات العشر الأخيرة كانت الهند على وشك الانتهاء من التفاوض مع روسيا للحصول على غواصتين نوويتين. ونص البروتوكول العسكري الروسي - الهندي الذي تم توقيعه في يناير ٢٠٠٣ بواسطة وزير الدفاع الهندي ووزير الدفاع الروسي بالنسبة للصناعات والعلوم والتكنولوجيا على التأجير لمدة ثلاث سنوات لغواصات نووية بارز/ سكلوكا/ب "تعديل للغواصة اكالا اس اس جي ان" في عام ٢٠٠٦/٢٠٠٥ والمرحلة النهائية للمفاوضات على وشك الانتهاء.

وكمرحلة انتقالية تعمل الهند على تحويل سفن المرور الساحلية ليمكنها حمل قاذف صواريخ واحد. وفي عام ٢٠٠٠ طورت السفينة "سابهادرا" لتكون منصة اطلاق صواريخ في ترسانة بومباي البحرية بمعاونة شركة "لارسن آند توربو". وتم تدعيم سطح السفينة التي كانت تحمل طائرات هليكوبتر وتقويته وتحويله الى منصات اطلاق. كما تم وضع منصة مزودة بجهاز توازن هيدروليكي على سطح السفينة ليكون بمثابة قاذف الاطلاق للصواريخ. ويمكن وضع صاروخين باليستيين في هنجر طائرات الهليكوبتر بالسفينة على وسيلة يمكن تحريكها وعليها الصاروخ الى منصة الاطلاق. كما تم توفير حامل متحرك على السفينة لضبط بيانات توجيه الصاروخ. ورغم اجراء اختبار اطلاق مرتين لهذا الصاروخ الا ان التجارب لم تكن مقنعة أو ناجحة تماما. كما ان الخبراء يرون ان هذه الصواريخ بهذه الصورة معرضة لهجمات جوية وانها ستكون احد الاهداف الاولى في اي صدام. ومع ذلك يقال ان هذه التجارب مجرد اختبار تكنولوجي لاطلاق الصواريخ من الغواصات.

ويقول المحللون انه على الرغم من ان الهند تعمل على تطوير وبناء غواصة نووية يمكنها حمل صواريخ باليستيه واطلاقها منذ السبعينات -في برنامج اطلق عليه سفن تكنولوجيا

متقدمة– فان الأمر لم يحظ بتركيز وعناية الا في الاعوام القليلة الماضية. وكان تأجير الغواصة الروسية "اس اس جي ان" في اواخر الثمانينات قد اعطى دفعة لهذا البرنامج. ويرى الخبراء والمراقبون ان هذا البرنامج يتوقع ان يعطي نتائج ايجابية بعد استئجار الغواصات الروسية المعدلة طراز "اكالا" والمنتظر ان يمهد الطريق لنجاح البرنامج عام ٢٠٠٧/٢٠٠٨. والخطة الموضوعة هي أن تسلح السفن المتطورة تكنولوجيا بقدرات اطلاق صواريخ باليستية لتكون اقل عرضه للهجمات الجوية. ومع ذلك مازال هناك جدل حول طراز الصاروخ... هل هو صاروخ كروز يطلق من البر؟ أم صاروخ يمكن أن يطلق برا أو بحرا؟

ولقد قسم البرنامج الهندي الذي اطلق عليه "سفينة متقدمة تكنولوجيا" الى ثلاثة اجزاء هي بناء المحرك النووي وبناء الجسم وبناء الرأس النووي المقاتل. ويعتقد المراقبون ان المحرك النووي تم تطويره في مركز البحوث الذرية في كالباكان بالقرب من تشيناي. ويرون ان قدرة ضغط المياه حوالي ١٩٠ ميجاوات. وصمم جسم الغواصة على اساس تصميم الغواصة تشارلي – ١ "اس اس جي ان" بازاحة تقدر بحوالي ٦٠٠٠ طن. ويبدو ان الهند تغلبت على مشكلة رئيسية هي اجراء اختبار بري للمفاعل في كالباكام ويبدو ان التجربة تمت عام ٢٠٠٠ – ٢٠٠١. وان الصاروخ البحري القادر على حمل رأس نووي طراز "دهانوش" هو طراز معدل من الصاروخ البري "بريتاي – ٣" ولكن له مدى اكبر. ولم يتم اجراء تجارب للصاروخ "دهانوش" ولا حاجة لذلك اذ سبق ان اجريت عشرون تجربة للصاروخ "بريتاي". ولقد تم اختبار الصاروخ دهانوش مرتين في البحر من فوق سفينة وفشل في احداهما. ويمكن فتح هذا الصاروخ على متن الغواصات بسبب حجمه. ومن المتوقع ان تجري الهند تجارب اضافية في المستقبل القريب لاطلاقه من غواصه. وهناك صاروخ هندي آخر يطلق عليه "سيجاريكا" وهو تصميم هندي تعرض لكثير من النقد بسبب خواصه. ففي سبتمبر ١٩٩٨ كان أول اعلان رسمي عن هذا الصاروخ بواسطة وزير الدفاع الهندي الذي قال انه صاروخ يمكن اطلاقه من سفينة أو غواصة. ورغم ان فتح هذا الصاروخ بدأ في اوائل التسعينات فان المعلومات عنه قليلة بما في ذلك هل هو صاروخ باليستي أم صاروخ كروز. ومع ذلك يقول المراقبون انه من البيانات القليلة المتاحة يبدو انه صاروخ مركب في غواصة نووية وان مداه يصل الى ٣٠٠ كيلو متر، ويعتقدون انه سيتم فتحه على الغواصة شيءب.

اما الصاروخ الهندي المعروف باسم "براهاموس" فهو صاروخ كروز اسرع من الصوت تصل سرعته الى ٣ ماخ –أي ثلاث مرات سرعة الصوت– ثم تطويره في تعاون بين منظمة البحوث والتطوير العسكرية الهندية وشركة روسية هي ماشينو ستروينيا. وهو مزيج من التكنولوجيا الروسية في التصميم بالنسبة للدفع وبرامج الحاسب الالكتروني "سوفت وير" ورغم امكانية اطلاق هذا الصاروخ من غواصة أو من سفينة سطح أو من طائرة أو من البر فانه صاروخ مضاد للسفن اساسا. ولقد تم تجربة هذا الصاروخ بنجاح ست مرات منها اربع تجارب تمت عام ٢٠٠٢ من فوق مدمرة هندية في البحر على مقربة من الشواطيء الهندية. ومن المتوقع ان يبدأ انتاج مشترك روسي – هندي لهذا الصاروخ عام ٢٠٠٤ على اساس ادخاله الخدمة بعد

نجاحه في كل من القوات المسلحة الروسية والقوات المسلحة الهندية. كما ان الهند تعتقد انها ستجد اسواقا كثيرة لتصديره.

كل هذه المعلومات عما يحدث بالهند تعرفها باكستان الأمر الذي دفع اسلام أباد الى السعي لأن تحصل على نفس القدرات، ولذلك حاولت الحصول على غواصات نووية الا ان التمويل كان دائما عقبة في تحقيقها لهذا الهدف. ويبدو ان باكستان بذلت جهدا كبيرا في شراء غواصات نووية صينية طراز "هان" ويبدو انها تسعى جادة لتحقيق ذلك رغم العقبات التمويلية والاقتصادية. ومن المعروف انه بعد التفجيرات النووية الهندية والباكستانية بعام اعطيت البحرية الباكستانية دورا نوويا ولكن المراقبين لا يعرفون كيف سيتحقق لباكستان هذا الهدف. ومع ذلك فإن لدى باكستان صواريخ نووية متحركة واخرى ثابته الأمر الذي يحقق لها مرونة لا بأس بها في اطلاق هذه الصواريخ ردا على أي ضربة هندية نووية. كما ان بعض الخبراء يؤكدون امكانية فتح باكستان لبعض صواريخها النووية فوق سفن وخاصة الصواريخ الباليستية المتوسطة المدى مثل الصاروخ "شاهين" ومداه يتراوح بين ٧٥٠، ٢٠٠٠ كيلو متر. والصاروخ "غاوري" ومداه ١٥٠٠ كيلو متر.. رغم ان هذا الأمر ليس له ميزة استراتيجية، ولا توجد أي دلائل حتى الآن على ان باكستان تتجه الى هذا الخيار.

ومع ذلك فان كثيرا من الخبراء يؤكدون قدرة باكستان -لو أرادت- على تعديل الانابيب التقليدية الخاصة بالصواريخ المضادة للسفن مثل الهاربون "٢٢٠ كيلو متر مدى" ويمكن تعديلها لاطلاق صواريخ نووية. وهذا الحل قد يكون هو المفضل للقوات الباكستانية وهذا يتطلب انتاج رؤوس نووية صغيرة لتناسب هذه الانابيب "رؤوس بقطر ٣٤,٣ سنتيمتر" ولكن الخبراء يعتقدون ان هذا ليس في مقدور الخبرات الباكستانية الحالية.

ان اسرائيل تمتلك أسلحة نووية "حوالي ٢٠٠ قنبلة نووية" وصواريخ "اريحا" بمدى يزيد على ١٥٠٠كم الى جانب ان الغواصات الثلاث التي حصلت عليها من المانيا مزودة بأنابيب لاطلاق الصواريخ وكل ذلك يجعل المنطقة التي نعيش فيها ونتفاعل بها ومعها مهددة بأخطار نووية وصاروخية خطيرة.

مساعي إيران

ان ايران تسعى لأن تكون دولة نووية واعتقد انها ستنجح في ذلك رغم الضغوط الاميركية والدولية.. وتلعب ايران ببراعة لمواجهة هذه الضغوط ووافقت على قيام هيئة الطاقة الدولية بالتفتيش على منشآتها النووية لتثبت انها لاهداف مدنية. ولم تكتشف هذه الهيئة ما يدين ايران في تخصيب اليورانيوم، وتجزم اجهزة المخابرات انها تخفي شيئا وانها خلال ثلاث سنوات أو اكثر قليلا ستمتلك سلاحا نوويا. كما انها اطلقت وانتجت صاروخا مداه يزيد على ١٣٠٠ كيلومتر وهو ايضا سلاح ردع مؤثر. ولو انضمت لنادي الدول النووية فان هذا يعني ان منطقة الشرق الاوسط الكبرى ستصبح بها ٤ دول نووية وهناك توترات جادة بين تلك الدول مما سيكون تهديدا لأمن المنطقة وتهديدا لامننا القومي.

وقد شاركت الولايات المتحدة اسرائيل انتاج صاروخ مضاد للصواريخ واعطت اسرائيل صواريخ "باتريوت باك-٣" القادرة على اعتراض الصواريخ البـاليستية. وقد يكون هذا النظام ناجحا ضد اعداد محدودة من الصواريخ الباليستية التي تطلق ضد دولة ما، أما اذا كان عدد الصواريخ كبيرا فإن نظام الدفاع المضاد للصواريخ لن يعترض الا اعدادا محدودة، في حين ستصل اعداد اخرى لأهدافها، كما ان الأمر يتطلب اكتشاف هذه الصواريخ بمجرد اطلاقها. أما الصواريخ كروز فمسألة اخرى يصعب على أي نظام دفاع ضد الصواريخ أن يعترضها بنجاح. والمعلومات تفيد بأن الهند وباكستان وربما ايران ايضا في طريقها لانتاج صواريخ كروز. وهذا يعني ان التهديدات خطيرة وقد يؤدي اي صدام بين دولتين مثل الهند وباكستان الى تبادل قصف نووي، وقد تجد الصين في ذلك فرصة لتصفية حساب بينها وبين الهند، وقد تشتعل المنطقة في حرب مدمرة أثارها خطيرة للغاية.

وهناك أمر آخر إستجد على الساحة النووية وهو القنابل النووية المصغرة "الميني نيوك" التي انتجتها الولايات المتحدة لاستخدامها ضد اهداف أصغر مثل مراكز القيادة والسيطرة المحصنة تحت الارض على عمق كبير، وضد الكهوف التي قد تلجأ اليها عناصر من قوات الخصم. ويدعي المسؤولون الاميركيون أن أثارها التدميرية محدودة كما لو كانت اسلحة نووية رحيمة. ومن الطبيعي أنه يمكن أن تركب على رؤوس الصواريخ الكروز مثل التوماهوك أو الصواريخ التي تطلقها الطائرات من على مسافات بعيدة خاصة الطائرات الشبح. وهناك من يهدد باستخدامها لتدمير القدرات النووية المستجدة لدولة مثل ايران. ولم يتطرق أحد لرد فعل الدولة التي تتعرض لضربات ميني نيوك.. هل ستستسلم أم ستلجأ الى رد نووي بكل ما لديها وضد أي أهداف ترى أنها ستردع الولايات المتحدة عن تنفيذ مخططاتها وهو ما قيل بالنسبة لكوريا الشمالية التي يمكنها الرد على مثل هذا الهجوم أو التهديد أن تدمر سول عاصمة كوريا الشمالية وهناك قواعد عسكرية اميركية في الشرق الاقصى في مدى الصواريخ الكورية الشمالية. وماذا يمكن ان يحدث اذا تطور الموقف الى مثل هذه الصورة؟ هل تنشب حرب نووية شاملة؟ وما أثرها على المجتمع الدولي؟ أم سيقتصر استخدام "الميني نيوك" على دول غير نووية ترى الولايات المتحدة معاقبتها لسبب أو لآخر.. ولا تجرؤ على اطلاقها على دولة نووية صاروخية حتى ولو كانت قدراتها محدودة؟

هل من الممكن ان تستخدم الولايات المتحدة هذه القنابل "الميني نيوك" في أي حملة حرب مسبقة تقوم بها ضد دولة مارقة لتوفر أي خسائر محتملة قد تتعرض لها في حملة برية على اساس ان الدولة التي قد يتم فيها ضرب عدد من المطارات ومراكز القيادة السياسية والعسكرية ستنهار مقاومتها وتُلقي السلاح؟ أليس هذا هو ما حدث لليابان خلال الحرب العالمية الثانية عندما اسقطت عليها قنبلتا هيروشيما ونجازاكي فاستسلمت دون قيد أو شرط! هل ستكرر الولايات المتحدة بصورة مصغرة ضربتي هيروشيما ونجازاكي بنفس الحجة التي أعلنها الرئيس الاميركي آنذاك بأنها انقذت ألوف الأرواح في الطرفين كانت ستموت في العمليات الحربية التقليدية قدرها بنحو ٣٥٠ الف جندي.

الموقف الساخن

الموقف بين الهند وباكستان ساخن رغم محاولات الولايات المتحدة نزع فتيل الصدام بين البلدين والذي قد يتحول إلى حرب نووية تكون لها اثار خطيرة على منطقة الشرق الأوسط الكبرى وعلى العالم كله.

ظن خاطيء

هناك من يظن خطأ ان الولايات المتحدة قادرة على ردع التهديدات النووية المحيطة بالمنطقة لكن الواقع يؤكد ان احتمالات نشوب حرب نووية واردة في أي لحظة ولأي سبب وفي هذه الحالة فإن تدخل الولايات المتحدة إذا وقع الصدام النووي يكون مستحيلا لأنها لن تزج بنفسها في أتون حرب نووية بعيدة عن أراضيها.

لا تحرك ساكنا

التهديدات النووية تحيط بالأمة العربية من كل جانب ومع ذلك لا نحرك ساكنا للدفاع عن أراضينا وردع هذه التهديدات والعالم كله ينطلق في مجالات التكنولوجيا بسرعة الضوء ونحن عن الركب متخلفون.

منع الانتشار النووي حبر على ورق

الدول الكبرى مازالت تتسابق لتطوير أسلحة الدمار الشامل

أميركا تحولت الى قوة منفردة لحماية مصالحها لا لحماية العالم

دول العالم تعيد حساباتها لتحمي نفسها بقوة ردع ذاتية

اليابان تواجه تهديدات متنامية والاعتماد على اميركا لا يكفي

الأمن الياباني مهدد بالخطر النووي من الصين والهند وكوريا

اليابانيون يمتلكون القدرة على الانتاج النووي وتمنعهم عقدة هيروشيما

وقعت الدول الكبرى اتفاقية لمنع انتشار أسلحة التدمير الشامل لتطبيقها على كل دول العالم باستثناء الدول الكبرى التي احتفظت لنفسها بترسانات ضخمة من اسلحة التدمير الشامل الثلاث -نووية وبيولوجية وكيماوية- لتكون رادعا لباقي دول العالم ولفرض مصالحها على العالم. وعندما سقط الاتحاد السوفيتي أصبحت الدول التي تمتلك هذه الاسلحة هي الولايات المتحدة وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا. ومع ذلك تمكنت دول -لم توقع على الاتفاقية- من أن تصبح نووية مثل الهند وباكستان واسرائيل واخيرا كوريا الشمالية ولم يفعل العالم شيئا لمنع انتشار هذه الاسلحة في تلك الدول. والولايات المتحدة التي اعتبرت نفسها قوة عظمى منفرده تفرض هذا الحظر على الدول الاخرى تغاضت بل باركت وساعدت اسرائيل لكي تمتلك كل انواع اسلحة التدمير الشامل ووسائل حملها من طائرات وصواريخ باليستية بعيدة المدى «١٥٠٠كم» وفي طريقها لامتلاك مدى «٢٥٠٠ كم»، وباركت تحول الهند وباكستان لقوتين نوويتين واصبحتا صديقتين للولايات المتحدة لاسباب اهمها احتواء الصين الصاعدة.. اما كوريا الشمالية التي تحولت الى نووية في تحد صارخ لاميركا فلم تجرؤ واشنطون على مهاجمتها لأنها قادرة على ايذاء وضع الولايات المتحدة في شرق اسيا اذا ما تعرضت لتهديد اميركي، رغم ان الرئيس بوش كان قد صنف كوريا الشمالية ضمن الدول المارقة ومحور الشر «كوريا الشمالية وايران والعراق» وقبل في النهاية التفاوض مع كوريا الشمالية لحل المشكلة دبلوماسيا.

وبعد احداث ١١ سبتمبر استغلت الولايات المتحدة الفرصة بمهارة واعلنت حربا على الارهاب ثم خلقت تحالفا دوليا لشن حملة على طالبان والقاعدة في افغانستان نجحت في اسقاط حركة طالبان وتشتيت تنظيم القاعدة بعد أن كبدتهما خسائر كبيرة واقامت نظاما جديدا في افغانستان وان كان المحللون والمعلقون يعتقدون ان الحملة في افغانستان لم تنته بانتصار كامل اذ مازالت الاثنية والقبلية ولوردات الحرب يشكلون خطورة على الاستقرار في افغانستان. ولكن اصبح

للولايات المتحدة تواجد عسكري وقواعد هناك اذا نظرنا اليها في اطار استراتيجية اميركية لاحتواء الصين لوجدنا ان دائرة الاحتواء تسير قدما خاصة وقد حصلت الولايات المتحدة على قواعد وتواجد في دول آسيا الوسطى. ولاستكمال هذه الدائرة وايضا لتحقيق سيطرة اميركية على كل بترول الشرق الاوسط قررت الولايات المتحدة غزو العراق وتغيير النظام واقامة نظام جديد موال لها وايضا الحصول على قواعد وتواجد عسكري في العراق لتكتمل حلقة الاحتواء للصين وللسيطرة على اوراسيا وعلى اكثر من ٧٠ في المئة من مصادر الطاقة الطبيعية في العالم كخطوة مهمة في سبيل تحقيق هيمنة اميركية على العالم.

اسباب شرعية

وتحدث الكثير من المحللين عن انه رغم اتفاقية منع الانتشار فان الدول التي تريد ان تتحول الى دول نووية تسعى لذلك لتوفير قوة ردع ضد تهديدات حقيقية من دول اقوى منها تقليديا أو دول نووية متفوقة تسعى للهيمنة عليها. ويرى البعض ان هذه الدول لديها اسباب وجيهة وشرعية لذلك وليس لتهديد الدول الكبرى كما تدعي الولايات المتحدة.

وهناك تساؤل يدور بين معظم المحللين بالنسبة لليابان: هل ستتحول الى قوة نووية قريبا؟ ولماذا؟ وما موقف الولايات المتحدة ازاء ذلك؟.

ولسنوات طويلة تنبأ علماء الواقعية بأن اليابان ستقرر بناء اسلحة نووية اذا شعرت بأن بقاءها مهدد بقوة عسكرية اجنبية. ويعتقد المحللون ان الوضع الحالي في منطقة جنوب شرق اسيا قد يشير الى ان الصين قد تصبح تهديدا رئيسيا لليابان. ولذلك بدأ البعض في اليابان يقول أن الدستور الياباني يبيح أن تصبح اليابان نووية «انتاج اسلحة نووية ذات مدى محدود» للدفاع عن نفسها. ويقول البعض انه اذا زادت كثافة التوتر الدولي فإن مدنيين يابانيين سيحاولون بأن اليابان يجب ان تبني اسلحة نووية.

ويقول المحللون ان اليابان تكره الاسلحة النووية وهذا الشعور يتفوق على الاختلافات في الايديولوجية السياسية والمعتقدات. كما أن الفزع الغريزي وكراهية الاسلحة النووية منتشر بين قطاعات كبيرة في المجتمع الياباني. ويرى المحللون ان هذا يمثل الجذور الاساسية لموقف اليابان ضد التسليح النووي ويمثل ردعا قوي ضد الرغبة في ان تصبح اليابان نووية.

ويقول المحللون ان جذور هذا الشعور المضاد للتسلح النووي وهو شعور قوي يكمن اساسا في الخبرة اليابانية من تجربتها خاصة وهي الدولة الوحيدة التي تعرضت لتجربة الضرب بالسلاح النووي «تجربة تدمير هيروشيما ونجازاكي» باقنابل النووية الاميركية خلال الحرب العالمية الثانية فقد نتج عن الكارثة مصرع ١٤٠ ألفا في هيروشيما وحوالي ٧٠ الف في ناجازاكي. وفي السنوات التي تلت ذلك مات عشرات الالوف من اليابانيين بسبب امراض القنبلة النووية - وهو فيروس مرضي بسبب التعرض للاشعاعات الناتجة من الانفجارات النووية-. ولم يكن هؤلاء الضحايا جنودا أو مقاتلين وانما مدنيين لا حول لهم ولا قوة. ومن المؤكد ان مأساة هيروشيما وناجازاكي كان لها تأثير كبير على الثقافة اليابانية بعد الحرب. وعلى مدى

نصف القرن المنصرم صدرت كتب كثيرة وبرامج تليفزيونية واذاعية بل وكتب هزلية وحلقات كارتون عن القنابل النووية اظهرت مدى الرعب من الحرب النووية.

ويرى المحللون ان هناك عاملا آخر مهما وهي الاضرار التي اصابت صناعة صيد الاسماك بسبب التجارب النووية التي اجريت في المحيط الباسيفيكي عام ١٩٥٤، فالاشعاعات التي تساقطت نتيجة تجربة اول قنبلة هيدروجينية اميركية أدت الى تلوث الشواطيءوقارب صيد ياباني معروف باسم «لاكي دراجون» خارج اليابان واصابة اطقمه البالغ عددهم ٢٣ بحارا رغم ان القارب كان على مسافة ٢٥ كيلو مترا من منطقة الحظر التي اعلنت عنها الولايات المتحدة في وقت التجربة.

ويقول المحللون ان تطور سياسة اللانووي للحكومة اليابانية عكست دائما الكراهية للاسلحة النووية. ومنذ ان بدأت اليابان برنامج تطوير الطاقة النووية في منتصف الخمسينات أعلن المسؤولون الحكوميون مرارا ان هذا الجهد لا يشير الى ان اليابان لن تمتلك أسلحة نووية في أي وقت من الأوقات. وفي عام ١٩٥٨ اعلن رئيس الوزراء الياباني امام مجلس الشيوخ ان اليابان تختار الا تمتلك اسلحة نووية رغم ان «دستور السلام» بعد الحرب لا يمنع نهائيا امتلاكها اهدافا دفاعية بحته وهناك امثلة عديدة لهذه التصريحات تمت في سنوات كثيرة بعد هذا التاريخ شملت ما أطلق عليه «الاسس الثلاثة ضد السلاح النووي». بل ان رئيس الوزراء الياباني ساتو حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٤ بسبب نشاطه ضد الانتشار النووي.

ويرى بعض المحللين ان هناك اسباب تجعل تحول اليابان الى قوة نووية امرا مستبعدا وهي:

■ ان قرار اليابان للتحول الى قوة نووية سينسف استقرار البيئة الدولية التي تعيش فيها اليابان. فاليابان تستورد حوالي ٦٠ في المئة من اجمالي مطالب الطاقة اللازمة لها وحوالي ١٠٠ في المئة من احتياجاتها من النفط. وفي السنة المالية ٢٠٠٠ كان الاكتفاء الياباني الذاتي من الوحدات الحرارية ٤٠ في المئة ومن الحبوب ٢٨ في المئة وكدولة تتكون من عدد من الجزر تعتمد اليابان على الخطوط الملاحية في وارداتها وصادراتها.

أمة مسالمة

■ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية انتهزت اليابان كل الفرص لتثبت للمجتمع الدولي خاصة لجيرانها الشرق آسيويين انها ولدت من جديد كامة مسالمة، واصبحت سياستها واستراتيجيتها بعد الحرب دفاعية بحتة وعملت على اقناع جاراتها بألا تتحول الى دولة عسكرية بأي حال من الأحوال.

■ ان قرار اليابان لتطوير اسلحة نووية سيكون له حتما تأثير على علاقاتها مع الولايات المتحدة التي تعتبرها أهم علاقة دولية لها. كما أن الولايات المتحدة لن تقبل تحول اليابان الى قوة نووية.

ويرى هؤلاء عكس كثير من المراقبين الدوليين ان قرار التحول الى قوة نووية سيضعف القوة السياسية لليابان دوليا، وان اليابان اكتسبت احترام امم اخرى نتيجة قرارها بألا تصبح دولة

نووية رغم قدراتها المالية والعلمية والفنية والصناعية على ذلك.

أما المحللون والمراقبون الذين يقولون باحتمال تحول اليابان الى قوة نووية في المستقبل المنظور فيرون ان كل العناصر التي تحقق ذلك متوفرة ما عدا الإرادة، ويؤكدون ان رسميين يابانيين حاليين يرون ان اليابان ستبدأ تطوير أسلحة نووية في المستقبل القريب. ويدللون على ذلك بوجود مشاعر متنامية في أوساط شعبية وسياسية بأن اليابان معرضة لتهديدات حقيقية من عدد من دول المنطقة النووية والصاروخية، وان اطلاق كوريا الشمالية لصاروخ باليستي مداه ٢٠٠٠كم عبر اجواء اليابان جعل طوكيو تفكر جديا في ذلك.

ويقول المحللون ان الاشتباك بعيد المدى للولايات المتحدة مع شرق آسيا -سواء كان سياسيا أو دبلوماسيا أو اقتصاديا أو عسكريا- كان يهدف دائما الى تشجيع وخلق بنية أمنية سلمية بان تجعل واشنطن من نفسها مخفف صدمة ضد أي توترات. ولاستمرار ذلك وللمحافظة على مصالحها الاقليمية ترى واشنطن ان عليها المحافظة على معاهدات التحالف بينها وبين عدد من دول تلك المنطقة وفي مقدمتها اليابان لانها تعتقد ان هذا يمثل حجر الزاوية والركن الاساسي للاستقرار السلمي في شرق آسيا. ومع ذلك لا يعتقد الخبراء ان تحالفا مثل حلف الناتو في المنطقة أمر ممكن بأي صورة من الصور في المستقبل المنظور ولذلك يعتقدون ان بناء هذا التحالف من دول مثل اليابان وكوريا الجنوبية والتواجد العسكري الاميركي بالمنطقة امر مهم لا يمكن الاستغناء عنه، بل تعتقد اميركا ان عليها دعم اشتباكها مع دول المنطقة التي لا تتحالف معها مثل سنغافورة واندورنيسيا وماليزيا وفيتنام.

وفي رأيي ان النمو النووي الصيني الكبير وقيام بكين ببناء صواريخ عابرة للقارات وزيادة قدرتها على امكانية توجيه ضربات نووية قوية لاراضي الولايات المتحدة -وهو ما يجري حاليا على قدم وساق- الى جانب توسعها في فتح قدرات صاروخية ونووية اقليمية سيجبر اليابان على التفكير جديا في ان تصبح نووية لانها ستعتقد ان الولايات المتحدة لن تجازف باستخدام مظلتها النووية ضد الصين وتعرض اراضي الولايات المتحدة لرد فعل صيني مؤثر.

وعلى الرغم من الرأي القائل بأن الولايات المتحدة ستقوم بانشاء نظام دفاعي ضد الصواريخ عن اليابان فإن ذلك لا يكفي لتحقيق الأمن لليابان لانه نظام يعترض عددا محدودا من الصواريخ ولا يمكنه منع ضربة مركزه بعدد كبير منها. كما ان اليابان ستنظر الى ان الهند وباكستان تحولتا الى قوة نووية ولم تفعل الولايات المتحدة شيئا لايقاف ذلك بل اعتبرت انهما دولتان صديقتان لها ولا تمثلان تهديدا لا للولايات المتحدة ولا لصالحها ولا لأصدقائها. وبالقطع لو تحولت اليابان الى قوة نووية فإنها لن تمثل تهديدا للولايات المتحدة أو لمصالحها أو لاصدقائها بل ستبقى على تحالفها مع الولايات المتحدة وعلى التواجد العسكري باراضيها. الى جانب انه من المعروف ان الولايات المتحدة اعتبرت الهند النووية في صالحها للعداء القائم بين الهند والصين وان القوة النووية الهندية اضافة الى قوة الردع ضد الصين.

ومن المتوقع- حسب رأي كثير من المحللين- ان كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ستتوحدان اما بسبب انهيار كوريا الشمالية أو سلميا أو نتيجة حرب في شبه الجزيرة وان ذلك ايضا

محتمل في سنوات قليلـة قادمة، ومن المحتمل بعد الاتحاد ان تُبـقي كوريا الموحدة على القدرات النووية التي ترثهـا من كوريا الشمـالية وهذا سـيقلق اليابان ويشـجعهـا على التحـول الى قوة نووية.

توترات

التوترات الـتاريخيـة بين الدول المتجـاورة في جنوب شرق آسـيا قد تؤدي الـى اقتناع دول بإعادة النظر في تطوير قدرات نووية

نمو

النمو الاقـتصادي والـعسكري الصيني يقلق الـيابان. كمـا أن التوترات بدأت تعود لـلمنطقة واليابان دولة غير نووية تعتمد على المظلة النووية الاميركية وهذا يزيد مستوى قلق طوكيو.

تساؤلات

هناك تساؤلات تقفـز الى الذهن حول الوضـع في شرق وجنوب شرق آسـيا ستجـيب عليها الاعوام القـادمة.. ومنها مـاذا ستـفعل الولايات المتحـدة اذا تحولت اليابـان الى قوة نووية وهل ستطبق عليها استراتيجية حرب الاحباط؟ أم سـتقبل الامر الواقع اذا استمرت اليابان حليفا لها.. والاجابة السريعة ان الولايات المتحدة ستقبل ذلك كـما سبق ان قبلت تحول الهند وباكستان الى قوة نووية.. وماذا سيكون المـوقف في المنطقة؟ هل سيزداد التوتر كمـا يحدث في جنوب آسيا؟ وهل ستقف الصين مكتوفة الايدي؟.

نظرية السلام النووي

الخبراء المتفائلون يرون أن الانتشار النووي يدعم أمن العالم

امتلاك الصغار للسلاح النووي يردع محاولات الغزو من جانب الكبار

أحادية القطب في العالم اطلقت يد اميركا في تصريف الشؤون الدولية

القنابل النووية الصغيرة تجعل اسلحة الدمار قابلة للاستخدام في أي حرب

اتفاقيات منع الانتشار لن تمنع الدول من امتلاك اسلحة دمار لحماية أراضيها

تحت عنوان مثير لأحد مراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية هو "السلام النووي المخادع أو الكاذب" أثار عدد من الباحثين فكرة غريبة وهي أن انتشار الاسلحة النووية يدعم الامن والسلام الدوليين لأنها تقلل فرص الصدام بين الدول خوفا من الدمار الذي تحدثه هذه الاسلحة. وبنى هؤلاء الباحثون نظريتهم على الموقف الذي ساد ابان الحرب الباردة بين القوتين الاعظم – الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق– اذ أدى التدمير الشامل المتبادل المؤكد في حالة نشوب حرب نووية بينهما الى تراجع الدولتين عن اللجوء الى الحل النووي في أي أزمة بينهما. وفعلا انتهت الحرب الباردة دون صدام نووي.

ويبنى هؤلاء الباحثون نظريتهم على أن استراتيجيات الردع تفرض الحذر الشديد وبالتالي تقلل من نشوب اي حرب نووية وان القتال في مواجهة اسلحة نووية استراتيجية يجب أن يكون محدودا لأن أي دولة لديها مثل هذه الاسلحة قد ترد نوويا اذا تعرضت مصالحها الحيوية للتهديد. وهذا يعني –من وجهة نظرهم– ان الحروب بين دول لديها اسلحة نووية قد لا تنشب، واذا نشبت فمن المحتمل أن يكون الصدام محدودا لأن المتحاربين قد يتوقفوا قبل أن يتصاعد الامر الى استخدام الاسلحة النووية. وضربوا مثالا بالصدام بين الهند وباكتسان حول مشكلة كشمير والتي كانت سببا لنشوب عدة حروب بين الدولتين وبمجرد تحول الدولتين الى قوتين نوويتين تراجع احتمال وقوع صدام بينهما خوفا من تصاعده الى صدام نووي مدمر.

وكان المعروف في كل الاوساط الاستراتيجية ان الردع النووي ناجح ومؤثر وأن دولة مثل الولايات المتحدة يمكنها ردع اي خصم لها بنجاح لما تمتلكه من قوات تقليدية متفوقة وما تمتلكه من قوات وقدرات نووية ساحقة. ومع ذلك فإن ما يقوله هذا المركز هو أن الردع النووي لم يعد كما كان من حيث منعه للحروب بدليل ان الولايات المتحدة قررت وبدأت تنفيذ استراتيجية "الحرب المسبقة" ضد دول اطلقت عليها مارقة وهي كوريا الشمالية والعراق وايران ثم اختارت العراق لبدء تطبيق هذه الاستراتيجية مدعية أنها دولة تهدد امن الولايات المتحدة رغم أنها لم

تكن دولة نووية ولا تمتلك اي اسلحة تدمير شامل اخرى ولا وسائل الحمل، وكان واضحا أن الردع الاميركي لها ناجح أما كوريا الشمالية التي ثبت انها نووية فعلا فقد تراجعت الولايات المتحدة عن تطبيق استراتيجية الحرب المسبقة عليها ربما خوفا من رد فعل كوري شمالي ضد كوريا الجنوبية تقليدي او نووي.. وبدأت الولايات المتحدة نشاطا دبلوماسيا مع كوريا الشمالية أشركت فيه الصين وكوريا الجنوبية، ورغم عدم نجاح المساعي الدبلوماسية حتى الان يبدو ان الموقف تجمد ولا ينتظر ان تهاجم الولايات المتحدة كوريا الشمالية الان او في المستقبل المنظور.

تهديد وردع

ويقول المحللون ان الاسلحة النووية كانت واحدا من عوامل كثيرة ساهمت في الاستقرار الدولي ابان الحرب الباردة.. وذكروا من بين هذه العوامل التطور في وسائل الاستطلاع والاعتدال في الايديولوجيات وقواعد اللعبة التي سادت آنذاك ومنها احترام مناطق النفوذ وتجنب المواجهات المباشرة وتفهم ان استخدام الاسلحة النووية هو الحل الاخير الذي يمكن اللجوء اليه.

ان دولا كثيرة في العالم يمكنها الخروج بدروس من تاريخ استخدام الولايات المتحدة للاسلحة النووية ضد اليابان في الحرب العالمية الثانية.. وهي ان الاسلحة النووية يمكن استخدامها استراتيجيا لكسب الحرب. وواقعيا في المراحل الاولى من تطوير الولايات المتحدة لعقيدتها النووية مالت الى اعتبار السلاح النووي مثل المدفعية او الطائرة او الدبابة والرهانات تكشف عن انه لمدة عشرين عاما بعد الحرب العالمية الثانية كان الرئيس الأميركي يميل الى ادخال التهديدات النووية في المواجهات العسكرية رغم تعرض الولايات المتحدة لرد فعل نووي من الاتحاد السوفيتي فالرئيس ايزنهاور - على سبيل المثال - هدد باستخدام الاسلحة النووية خلال الحرب الكورية وفي الخلافات بين الصين وتايوان وهذه المواقف تصور وجهة النظر القائلة بان دولة قد تنظر الى الاسلحة النووية كاداة فعالة في فرض ارادتها على منافسيها.

ويرى عدد من المحللين انه بعد اكثر من خمسين عاما من استخدام القنابل النووية في حرب عالمية وبعد انتهاء الحرب الباردة واختفاء الاتحاد السوفيتي وتربع الولايات المتحدة على قمة النظام العالمي كقوة عظمى منفردة يبدو ان التفكير الان هو ان السلاح النووي يمكن ان يكون سلاحا لفرض الارادة ومعاقبة الخصوم، فلقد قامت الولايات المتحدة بانتاج قنابل نووية مصغرة "ميني نيوك" هددت باستخدامها في حرب افغانستان ضد الكهوف التي اختبأت فيها عناصر طالبان والقاعدة وهددت باستخدامها في حربها الاخيرة ضد العراق لتدمير مراكز القيادة المحصنة على عمق كبير تحت الارض.. ومن المعتقد انها لن تتورع عن استخدام هذه القنابل المصغرة ضد دول اخرى غير نووية او تواجه قواتها التقليدية صعوبات في غزوها لاجبار تلك الدول على الخضوع للسياسة والاستراتيجية الاميركية. ومن المؤكد انها لن تستخدمها ضد اي دولة لديها قنابل نووية ذات قوة ٢٠ طنا او اكثر لخطورة رد هذه الدول على اي ضربات اميركية باطلاقها على حلفاء او مصالح الولايات المتحدة الامر الذي سيسبب اضرارا بالغة. وفي كل هذه الخلافات فان اميركا متأكدة من ان اراضيها بمنأى عن قدرات هذه الدول

التي لا تملك الوسائل التي تصل الى الاراضي الاميركية.

كما ان البنية الاساسية للاسلحة النووية ومنشآت تصنيعها خاصة في الدول التي لم تنجح بعد في صناعة هذه القنابل تمثل اهدافا مغرية لضربات نووية مصغرة بحجة انها ضربات احباط لمنع تلك الدول من امتلاك سلاح نووي قد يمثل تهديدا لمصالح الولايات المتحدة وحلفائها.

ومن الامور الخطيرة بالنسبة لامتلاك الاسلحة النووية ان الدول لضمان قطع الرأس اي ضرب مراكز القيادة والسيطرة والاستطلاع والمخابرات وبالذات البنية الاساسية لهذه النظم تفوض سلطة اطلاق اسلحتها النووية لانساق ثابتة من سلسلة القيادة لان هذا يضمن لقادة الميدان الوسائل للرد ضد خصم ينجح في القضاء على قيادة الدولة في العاصمة او لضمان توفير الفرصة للقادة العسكريين للجوء الى الاسلحة النووية للدفاع ضد عمليات هجومية برية.. وتوجد امثلة تاريخية لهذا فخلال ازمة الصواريخ الكوبية اعطى خروشوف السلطة لقادة القوات السوفيتية في كوبا بإستخدام اسلحة نووية تكتيكية اذا هاجمت الولايات المتحدة هذه القوات هناك ولم يتمكن القادة السوفيت في كوبا من الرجوع الى موسكو لاخذ الاذن بالرد باستخدام هذه الاسلحة.

وفي الهند جهز القادة المدنيون الهنود المسيطرون على الاسلحة النووية الهندية تعليمات في مظاريف مختومة وسرية للغاية يفتحها القادة العسكريون في حالة شن باكستان او الصين ضربات نووية ضد الهند تؤدي الى تدمير السلطة المدنية في نيودلهي.

وترى هذه الدراسة ان الخصوم المسلحين نوويا قد يرون في حساباتهم ان الشرف والخوف والمصالح التي تحتم شن حرب محدودة الاهداف لن تؤدي الى تبادل تراشق نووي.. وعلى سبيل المثال قد ترى دولة انها قد تشن عمليات عسكرية تقليدية لتحقيق اهداف محدودة مثل الاستيلاء على جزء من الاراضي لا يهدد المصالح الحيوية للخصم مما يقلل من خطورة حدوث رد فعل نووي. والتاريخ به امثلة عن دول غير نووية لديها رغبة في الهجوم على خصم نووي ولعل حرب فيتنام ضد الولايات المتحدة مثال لهذه الحالة -على حد رأيهم- وان كنت اعتقد ان الولايات المتحدة وهي في موقف حرج ابان حرب فيتنام لم تلجأ الى السلاح النووي خوفا من رد فعل الاتحاد السوفيتي.

وتقول الدراسة ان الدول قد تظن انه يمكنها السيطرة على مدى ومستوى الحرب حتى اذا تم تبادل نووي فيها، وضربوا مثالا بان هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركي الاسبق كان في ذهنه مثل هذا السيناريو عندما قال خلال الحرب الباردة انه من الممكن السيطرة على نمط من الحرب النووية المحدودة ولكنه حذر من ان نظرية الحد من الحرب يجب ان يتم تقريرها مقدما عن طريق الدبلوماسية لتقليل توقع الخطأ في الحسابات والخطأ في التقدير الذي قد يؤدي الى ان تصبح الحرب بلا حدود وهذه مخاطرة لا اعتقد ان احدا يمكنه ان يضمنها من الطرفين.

ويعتقد القائمون بهذه الدراسة ان كل هذه السيناريوهات تشير الى تعقد الموقف اذا نشب

صدام بين دول نووية مهمـا كانت محدودية حجم التسليح النووي لطرف او لآخـر.. ويعتقدون ان الاثار المحتملة لأي صدام نووي سيمنع وقوعه بين دول لديها اسلحة نووية وهذا ايضا يؤكد لماذا تحاول دول اضعف في القدرات الـتقليدية الحصول على سلاح نووي لتأمـين نفسـها ومنع العدوان عليها من دول اقوى تقليديا بصورة كبيرة ونووية في نفس الوقت.

ولقد اصبح من المؤكد واقعيا ان اتفاقيات منع الانتشار لن تمنع الدول تحت هذه الظروف من السعي لان تصبح نووية، ولعل في كـوريا الشمالية وما قامت به دليـلا قاطعا على ذلك. ويدعي المحللون ان التدخل الدبلوماسي الاميركي في الازمـات الاقليمية كطرف ثالث قد يكون ضروريا في المستـقبل لتقليـل احتمالات نشـوب حرب نووية، وضـربوا مثالا بدور الولايات المتـحدة في الازمة بين الهند وباكستان وانها نجحت في نزع فـتيل تصاعد الخلافات بين الدولتين الى صدام نووي مدمر.

دمار بيولوجي

وللاسف الشديد اقتصر الحديث في هذه الدراسة على الاسلحة النووية مع ان اسلحة تدمير شامل اخـرى في مقدمـتها الاسـلحة البيـولوجية يمكن ان تحـدث اثارا ضخـمة لا تقل عن اثار الاسلحة النووية.

ويمكن تجميع الاسلحة البيولوجية في اربع مجموعات:

× المجـموعـة الاولى هي الفيـروس الذي يعتـبر اصـغر صـورة من صور الحـياة، ومـعظم الفيروسات يمكن رؤيتـها تحت المجهر وتزرع على شرائح "خلايا" حية مـثل الانسجة الحية او بويضات مخصبة ويمكن تغيير الفيروس بالهندسة الوراثية لكل فيروس او الحامض العضوي.

× المجموعـة الثانية هي الريكتسيـات التي تتوسط بين الفيروس والبكتيـريا والتي تنمو فقط على الانسجة الحية.

× المجموعة الثالثة هي البكتيريا وهي اكبـر من الفيروس ويتراوح حجمها بين ٣ و١ ميكرون وعدة ميكرونات ويسهل انتاجها على مستوى كبير.

المجموعة الرابعة هي الفطريات ولكن عددا قليلا من اصنافها مثل كومسيد يوايدما يكوسيس يستخدم على نطاق واسع في الحرب البيولوجية.

والمواد البيولوجـية المعروفة التي تم استـخدامها في التسليح في الماضي تـشمل بوتولينيوم توكسين وستانيلو انتراوتكسين ب والانثراكس ولقد سمعنا عن الذعر الذي سببه الانثراكس في الولايات المتحدة وفيروس فنزويلا وغيرها.

ويمكن تعبئة المواد البـيولوجية في نفس انواع الذخائر مثل دانات المدفـعية والرؤوس المقاتلة للصواريخ الباليسـتية.. الخ. ومن المعروف ان الاسلحة البيولوجـية يمكن ان يكون تأثيرها قاتلا كالاسلحـة النووية في اسوأ التقديرات وان الـبعض منها قد يحـدث اثارا اكثر تدميـرا لأي قوة تسعى لاحتلال مساحة كبيرة من ارض الخصم.

وأجرت الامم المتحدة دراسة لمقارنة الاثار الناتجة عن توجيه عشرة اطنان من المواد البيولوجية العالية التأثير وقنبلة نووية قوتها واحد ميجا طن فوجدت ان العنصر البيولوجي يمكنه تغطية منطقة مساحتها مئة الف كيلو متر مربع والقنبلة النووية حتى ٣٠٠ كيلو متر مربع كما ان زمن استمرار الفاعلية عدة ايام بالنسبة للسلاح البيولوجي وثوان بالنسبة للسلاح النووي.

ان اسلحة التدمير الشامل واستخدامها امر خطير على البشرية والقوى العظمى تمتلك من هذه الاسلحة ارقاما يمكنها تدمير الكرة الارضية والبشرية عشرات المرات وتصر هذه القوى على ان لها وحدها الحق في امتلاك هذه الاسلحة، اما الدول الصغرى فعليها ان تمتنع عن امتلاك هذه الاسلحة وان تخضع لارادة القوى الكبرى.

إن اسرائيل دولة متطرفة دينيا وعرقيا وقد اعترف الرئيس بوش بانها دولة يهودية في الوقت الذي تنادي فيه الولايات المتحدة بالعولمة وتمتلك اسرائيل تسليحا نوويا ولديها اسلحة بيولوجية وكيماوية ولديها وسائل حمل من طائرات الى صواريخ ولها ثلاثة اقمار صناعية بالاضافة الى ان لها وصلات على نظام الاقمار العسكرية الاميركية تحصل منها على كل ما تريد من صور ومعلومات في وقت حقيقي. وهي احتلت ومازالت تحتل اراضي دول اخرى بالقوة وترفض بصلف تنفيذ قرارات مجلس الامن! انها بكل المقاييس تهديد حال لكل الدول العربية يجب أن تمتلك وسائل ردعه. وهو امر ممكن ومتاح ولا يحتاج إلا للقرار. لقد نجحت كوريا الشمالية في ان تصبح دولة نووية وصاروخية ونشاهد كيف ترددت القوة العظمى الوحيدة –الولايات المتحدة– في تطبيق استراتيجية الحرب المسبقة ضدها وبدأت استخدام الدبلوماسية لايجاد حل لما تدعيه اميركا من انها تهدد الولايات المتحدة وحلفاءها ومصالحها بينما ترى كوريا الشمالية انها قامت بذلك لمنع العدوان عليها.

لا أدعو الى ان تطور الدول العربية قدرات نووية لأنني اعتقد انها غير قادرة على ذلك الان ولن يسمح لها الغرب والولايات المتحدة بذلك لكنني ادعوها الى ان تمتلك قدرات لردع التهديد عليها والعدوان وهذا امر في مقدورها وفي استطاعتها.

سؤال

عندما يدعي المحللون ان التدخل الدبلوماسي الاميركي في الازمات الاقليمية ضروري لمنع الصدامات يتبادر الى الذهن سؤال مهم هو: لماذا الولايات المتحدة منفردة؟ لماذا هي الخصم والحكم؟ وهي القاضي والجلاد؟ وأين دور الأمم المتحدة التي يفترض ان اميركا عضو فيها مع دول اخرى فاعلة.. ولا شك ان العالم كله يتمنى الا يقع صدام نووي في أي منطقة من الكرة الارضية.

إيران في حزام الزلزال الأميركي

تقارير هيئة الطاقة الذرية بداية الهجمة الأميركية على طهران

واشنطن تلعب علي تفكيك إيران من الداخل بدلا من الغزو الخارجي

متاعب أميركا في العراق وافغانستان تبعد شبح الحرب عن طهران

نتيجة الانتخابات الرئاسية الأميركية تحدد اتجاه الريح في المسألة الإيرانية

يدور في الاوساط الغربية ومراكز الدراسات الاستراتيجية الدولية جدل حول البرنامج النووي الايراني. وفي يونيو الماضي صدر تقرير عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية الدولية عن هذا البرنامج خلق تزايدا في القلق الدولي وهذا يعني قلق الغرب بزعامة الولايات المتحدة بالنسبة لنوايا ايران النووية، والقى التقرير الضوء على النية الاساسية للطاقة النووية في ايران بما يشير الى أن هذا البرنامج حجر أساس لانتاج سلاح نووي. وقيل أن التقرير شحذ همم عدد من الدول أهمها الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي وروسيا الامر الذي قد يؤدي الى زيادة الضغط على ايران للالتزام باتفاقية عدم انتشار الاسلحة النووية.

ويقول المحللون ان هذا الضغط سيهدف الى تأكيد خضوع ايران لتفتيش هيئة الطاقة الذرية وخاصة لبروتوكولها الاضافي الذي صُمم لزيادة شفافية أي برنامج نووي لأي دولة. ولكن الحكومة الايرانية -كما يدعي المحللون- قاومت ذلك وطالبت بشروط لقبولها هذه الاجراءات. ولتحقيق شرعية لموقفه داخليا قام النظام الايراني- مرة اخرى- باستخدام ورقة القومية الايرانية وبرر اعماله بأنها تدافع عن المحاولة الأميركية لحرمان ايران من أي تكنولوجيا متطورة لاسباب غير مشروعة.

ويرى المحللون إنه بسبب عدم المعرفة الدقيقة للبرنامج الايراني فإن الوقت المتاح لمحاولة حل هذه المسألة الشائكة قليل، والضغط الخارجي أمر تحتمه الاستراتيجية وان كان ذلك غير كاف حتى على المدى الطويل حتى لو تم النجاح في كسب بعض الوقت في المدى القريب. ويتطلب الامر جهودا اضافية للتأثير على السياسات النووية في ايران بالعمل على خلق جدل داخل المجتمع الايراني حول هذه المسألة. وهذا النوع من الشفافية السياسية -كما يطلق عليه المحللون- قد يؤدي إلى ان يقوم المتشددون بالكشف عن حقيقة هذا البرنامج واهدافه. وقد يساعد هذا الجدل في التمييز بين التكنولوجيا النووية والاسلحة النووية، اي بين تطوير تكنولوجيا نووية وتطوير اسلحة نووية.

ويقول المحللون ان المتشددين في الحكومة الايرانية كانوا ومازالوا يحددون السياسات

الامنية للجمهورية الاسلامية الايرانية. وان الخبرة الخاصة لايران في الثورة والحرب والعقوبات والابتعاد عن المجتمع الدولي خلقت احساسا مشتركا من الغربة في بيئة عدوانية الامر الذي يترك مجالا ضيقا للحوار والجدل. وبالاضافة الى ذلك فإن السياسات الخارجية والامنية لم تكن تاريخيا في مقدمة اهتمامات الاصلاحيين. ولكن هذا الوضع تغير في السنوات الاخيرة لأن تكلفة اختيارات المتشددين بالنسبة للسياسة الامنية ارتفعت بصورة حادة الامر الذي أثر على آمال التطوير في ايران. وعليه فإن المحللين يرون ان الخاصية المميزة للتحدي الايراني للانتشار وديناميكية السياسة الداخلية الايرانية تمثل فرصة للولايات المتحدة وحلفائها في اتباع استراتيجية شاملة يمكنها ان تشجع تحول الجدل الايراني الداخلي ليتفق مع الجهود الخارجية لاغراء أو اجبار الايرانيين على الالتزام بقواعد عدم الانتشار.

ويقول المحللون ان هيئة الطاقة الذرية الدولية اكدت في تقارير سابقة بأن ايران خالفت التزاماتها لانها فشلت في تبرير استيرادها لمواد نووية وبناء مصنع لانتاج الماء الثقيل ومنشآت لتنشيط اليورانيوم ومعالجته وتخزينه. ومع ذلك لم تتماد الهيئة في القول بأن ايران خالفت اتفاقية منع الانتشار وهي خطوة كان من المؤكد أنها ستقود الى ابلاغ الامم المتحدة "مجلس الامن"، ولكن بدلا من ذلك ترجمت الهيئة ذلك الى أنها مجرد خطأ يتطلب ان تدعو روسيا والاتحاد الاوروبي ايران لتنفيذ البروتوكول الاضافي. ومع ذلك فان احتمالات قيام ايران بتوسيع قدراتها النووية اثار قلقا حول نواياها.

استثناء إسرائيل

أما في الولايات المتحدة فقد استقبل تقرير هيئة الطاقة الذرية على أنه تأكيد بأن ايران مصرة على برنامج تسليحها النووي والامر المحزن والعجيب في هذا المجال ان اسرائيل لديها برنامج نووي وانتجت اسلحة نووية "٢٠٠ رأس نووي" وصواريخ ارض- ارض بمدى يزيد على ١٥٠٠ كم قادرة على حمل رؤوس نووية وسرقت من الولايات المتحدة أجهزة ركبتها على طائراتها ليمكنها حمل وتوصيل اسلحة نووية الى أي منطقة في الشرق الاوسط الاكبر ولم توقع اسرائيل على اتفاقية عدم الانتشار ورفضت اي رقابة او تفتيش لهيئة الطاقة الذرية على منشآتها النووية ولم ترد كلمة واحدة لا من الولايات المتحدة ولا من دول الاتحاد الاوروبي ولا روسيا أو هيئة الامم المتحدة في هذا الشأن والجميع يعلم ان اسرائيل دولة عنصرية عدوانية بل ان الرئيس بوش وصفها بأنها دولة يهودية وان الولايات المتحدة ملتزمة بأمنها وسلامتها.. انها مفارقات مخزية علي صعيد المجتمع الدولي.

وليس معنى هذا أنني أؤيد تحول ايران الى دولة نووية فلإيران طموحات منها السيطرة على منطقة الخليج وهذا يعني أنها تهديد للأمن القومي العربي، ولكن اسرائيل التهديد الرئيسي لهذا الامن وقدراتها النووية تجعلها اخطر تهديد لكل المنطقة.. ولكن لو تحولت ايران الى قوة نووية وهي ترى ان اسرائيل تهديد لها واسرائيل ترى ان ايران تهديد لها ولطموحاتها.. الا يمكن أن يؤدي تحول ايران لقوة نووية نوع من تحييد التهديد النووي الاسرائيلي كما حدث بين الهند وباكستان.. ربما!

إن مـا تمتلكه اسرائيل مـن قدرات يغطي مـديات تصل الى دول اوروبيـة ودول آسيـوية بل وروسيا ومع ذلك نجد ان تركيا لـها علاقة شراكة استراتيجية مع اسـرائيل ولم تثر تركيا يوما من الايام مشكلة القدرات النووية الاسرائيلية.. أليس هذا غريبا بكل المقاييس!

ونعـود الى مشكلة ايران لنعـرف ان تقرير وكـالة الطاقـة الذرية عنها تم نشـره بعد الغـزو الامـيركي البـريطاني للعـراق، ولكن الحرب على العـراق كانت حـالة فـريدة –على حد تعـبيـر المحللين– وليست سـياسة لمنع الانتـشار فلم يثبت أن العـراق يمتلك قدرات نووية كمـا ان لجان التفتيش على العراق مارست عملها دون عوائق تذكر.

ويقول المحللون ان إدارة الرئيس بوش تصر على تنفيذ استراتيجيتها لمنع الانتشار وتفصلها حسب كل حالة لكن ايران تمثل ظروفـا تجيز سياسة مخـتلفة عن السياسات التي طبـقتها على عضوين آخـرين من محور الشـر. فالولايات المتحدة ترى– لاسـبابها الخاصـة– ان دولا مارقة متورطة في الارهاب او تـشجعه أو تقوم بعـدوان اقليمي أو تهديد دول اخرى أو تقـوم بأعمال قـمع داخلها، وترى الولايات المتـحدة ان امـتـلاك تلك الدول لاسلحة دمـار شـامل يعـرض دول الغرب لتهـديد خطير. ومع ذلك فان ايران ليـست دولة منبوذة مثل عراق صدام حـسين وليست ككوريا الشماليـة. والبرنامج النووي الايراني أقل تطورا من برنامج كوريا الشماليـة ولكنه اكثر تطورا من البرنامج العراقي قبل حرب ٢٠٠٣.

ومن المعروف ان المفـتشين الدوليين اكدوا قـبل الحرب ان البرنامج النووي العـراقي كأن لم يكن ومع ذلك هاجمتـه الولايات المتحدة رغم معارضـة دولية كبيرة ورغم فشلهـا في الحصول على قرار من مجلس الامن باستخدام القوة.

ويقـول المراقبـون والمحللون أن آخر تقـرير لهيـئة الـطاقة الذرية الدوليـة يشيـر الى توسع ملمـوس في البنية النووية لايران ولكـن من المشكوك فيـه ان ايران تمتلك كل العناصر الـلازمة لبرنامج تسليح نووي كامل. وبخلاف كوريا الشمالية التي تكون قد انتجت مواد نووية لصناعة سلاحين نووين وتسعى للـحصول على مواد اكثـر فإن تقديرات هيئة الطاقـة النذرية ومصادر المخابرات تقول ان ايران تبعد ثلاث سنوات من صناعة قنبلة نووية.

ويقول المحللون ان أهم المعالم التي تميز ايران عن دول محور الـشر الاخرى ان نظامها شبه الديمقراطي وهي تسمية غريبة لأن النظام اما ان يكون ديمقراطيا أو غير ديمقراطي ولا وجود لما يمكن أن يطلق عليـه نظام شبـه ديمقراطي. وذكـروا انه في نظام صدام حـسين كان عـقاب من يسب الرئيس هو الاعـدام ولم تكن هناك سيـاسات بالمرة. وفي كـوريا الشمـالية خلق كـيم ايل سونج وابنه كـيم جونج ايل نظاما سـياسيا ذا عـلاقة بسلالة ملكيـة وقام على عبادة اشـخاص "تقديس الرئيس الكوري الشمالي". وعلى النقيض من ذلك يرى المحللون ان ايران شعب متمرد يقوم بنقد الحـكومة ويميل الى الجدل والمعارضة. وهـذا يعني اعترافهم بوجود ديمـقراطية من نوع خاص في ايران. ويقـولون أنه في آخر اسـتفتاء للـرأي يرى عشرون في المئـة من الشعب الايراني السعي لتطبيـع العلاقات مع الولايات المتحـدة والاشتباك مع المجـتمع الدولي. والرأي العـام الايراني يدعم دورا نشطا دولـيا لايران يـسمح بـأن ينظر الى ايران بانتـبـاه ولا ينسف

محاولة سعي ايران الشرعي لتحقيق امنها القومي.

ان الثغرة بين المحافظين المتشددين في ايران وباقي المجتمع اتسعت وهي دليل على كل مشكلة تواجه ايران. وبالنسبة للسياسة الخارجية وسياسة الامن القومي تتضح هذه الثغرة في الخلاف بين أصحاب طريق الاقتراب الايديولوجي بالنسبة للعلاقات الخارجية واولئك الذين يركزون على المصلحة الوطنية التي تؤدي الى تقديرات يائسة لاحتياجات ايران الدفاعية والدرجة التي يجب على الدول أن تشتبك عندها في نظم تعاونية أو مشتركة امنية مع جيرانها ومع المجتمع الدولي ككل. وسيزداد الفرق بين الفصيلين بزيادة الضغوط الدولية على ايران بالنسبة لبرنامجها النووي.

تعاطف

وفي محاولة من بعض المراقبين الغربيين لأن يكونوا غير منحازين نجدهم يتعاطفون مع اران بالنسبة لمحاولتها امتلاك سلاح نووي لمواجهة أو ردع "اسرائيل وباكستان والهند" وبسبب وجود قوات عسكرية اميركية على حدودها وبالقرب منها "تواجد عسكري اميركي في الخليج وفي العراق وفي افغانستان وفي آسيا الوسطى" الأمر الذي يشكل تهديدا لأمن ايران. وبعض هؤلاء المراقبين يجادلون ايضا في أن دوافع ايران لتطوير اسلحة نووية ليست خاصية للنظام الحالي اذا ما عدنا بالذاكرة لشاه ايران الذي قام بانشاء مفاعل بوشهر وبالنظر من خلال المنظار السياسي يقولون أن القومية الفارسية هي المحرك الاساسي للبرنامج النووي.

ويقول المحللون أنه باختفاء نظام صدام حسين من الجارة العراق فقد البرنامج النووي الايراني أي ضرورة استراتيجية، وان ايران تستخدم اسرائيل لاحراج الولايات المتحدة في مهاجمة البرنامج النووي الايراني وانها بهذا تحاول أن تدمج نفسها في العالم العربي بدعم الفلسطينيين والادعاء بأن التهديد الاسرائيلي يعطي شرعية للبرنامج الايراني الصاروخي. ويقول المحللون انه لا يوجد أحد في ايران أو في أي مكان آخر يقترح ان تسعى ايران لمواجهة عسكرية مع اسرائيل من أجل الفلسطينيين ويقولون أنه لتفادي ذلك فضلت ايران ان تقوم بتدعيم مجموعات فلسطينية مثل حماس والجهاد لاظهار دعمها للفلسطينيين.

وكعادة المعلقين والمحللين الغربيين المنحازين لاسرائيل دائما يقولون ان سعي ايران للحصول على اسلحة نووية مع سجلها الذي يحتوي على عدم الاعتراف باسرائيل ودعم الهجمات عليها والسعي لاحباط اي سلام معها –كل ذلك يزيد قلق الولايات المتحدة من ايران. ويقولون أن ايران لو غيرت سياستها تجاه اسرائيل فإن ذلك سينزع شرعية بحثها عن سلاح نووي.

ويقول المحللون أن حجة تجاورها مع باكستان كذريعة لتطوير سلاح نووي تبدو أقل واقعية، فلاتوجد بين الدولتين اي خلافات والخلاف الوحيد هو تنافس طائفي نتيجة فشل باكستان في السيطرة على الصدامات التي تحدث كثيرا بين المجتمعات السنية والشيعية الباكستانية. ويقولون أن باكستان مشغولة بخلافاتها مع الهند وخاصة حول مسألة كشمير وان كانوا يرون ان حصول ايران على سلاح نووي يمثل قلقا لباكستان، وأن هذا قد يدفع

باكستان لمساعدة السعودية في السير في نفس الطريق "على حد رأي المعلقين". وكل هذا محاولات من المعلقين للقول بأنه لا يوجد سبب يدعو لأن تصبح ايران دولة نووية، ولم نسمع عن تحليل لسبب جعل اسرائيل دولة نووية.

ويرى المحللون أن التغير الجاري في طبيعة الرأي العام في ايران بالنسبة للمسألة الفلسطينية مثال لما يمكن أن يحدث عندما تصبح مسألة ما محل جدل. فالمحافظون في ايران اداروا مناقشة حول تعريف هذه المسألة، فسياسة ايران تجاه عملية السلام في الشرق الاوسط تأسست على التعاطف مع القضية الفلسطينية، وتم السماح لمن يوصفون بالمتشددين بالتعبير عن هذا التعاطف وفي الشهور الاخيرة اتسع نطاق الجدل حينما بدأ ايرانيون وخاصة اعضاء في البرلمان يتساءلون لماذا اعطى للمتشددين توقيع على بياض لتقرير هذه المسألة؟ وعلى الرغم من وجود رأي عام يدعم الفلسطينيين فلقد زاد تساؤل الايرانيين عن صورة هذا الدعم وهل يعني تقديم دعم لمجموعات تستخدم العنف؟ ولماذا يؤدي ذلك الى نسف دعم الممثلين الفلسطينيين الذين تم انتخابهم؟ وكيف يمكن تبني مواقف راديكالية تدعم الشعب الفلسطيني؟ وهل يمكن لايران أن تساعد القضية دبلوماسيا؟ وما هو الثمن الذي ستدفعه ايران لمثل هذه السياسات؟

ومع هذه التساؤلات من الاصلاحيين والرأي العام يمكن القول ان المتشددين قد فقدوا السيطرة على تلك المسألة "وهذا رأي المراقبين" وهم الان في موقف دفاعي. وحتى اذا لم يتم انتخاب هؤلاء النواب بواسطة الشعب وانما تم تعيينهم بواسطة القائد الاعلى اية الله علي خامنئي واستمروا في التمسك بهذه السياسة فإنها سوف لا تنجح عندما يدرك الايرانيون انها سياسة تخالف الرأي العام الايراني، وسيجد المتشددون أن الامر اكثر صعوبة لاعطاء شرعية لهذه السياسات.

ويقول المحللون ان المتشددين يرون في البرنامج النووي الضمان المثالي للنفوذ والامن الايراني، ويؤمنون بأن كل التكنولوجيا النووية للاغراض السلمية والعسكرية أمر ضروري لتطوير ايران وفتح المجال لمناقشة هذه المسألة جماهيريا أمر يواجه صعوبات شديدة في ايران لأن مستوى الخبرة الشعبية في هذا المجال منخفض كما أنها مسألة تكتنفها المشاعر القومية ومناقشة قرار تم اتخاذه فعلا قد يمثل رسالة غير جيدة للعالم الخارجي كما ان الجو العالمي مشحون باستعراض القوة الاميركية واستراتيجية الكاوبوي.

محاولة أميركية

يرى المحللون أن الجدل الدائر في ايران حول سعي طهران للحصول على اسلحة نووية يميل الى التركيز على حق ايران في الحصول على التكنولوجيا اللازمة لتطوير برنامج طاقة نووية مستقل بغض النظر عن كل الاتهامات الموجهة الى ايران على الرغم من أن احتمالات استخدام هذه التكنولوجيا قد تؤدي الى صناعة اسلحة نووية. واعتبر المتشددون في ايران ان محاولة الولايات المتحدة إعاقة الحصول على هذه التكنولوجيا هي محاولة لإبقاء ايران متخلفة وغير

مستقلة أو تابعة.

يتحدث المحللون عن كيف يمكن للولايات المتحدة أن تؤثر وتشكل هذا الجدل الدائر في ايران فيقولون أن الأمر يختلف عن الازمة الحالية مع كوريا الشمالية حيث اصبح السلاح النووي في كوريا أمرا واقعا يكاد يستحيل الغاؤه أما بالنسبة لايران فالامر مازال ممكنا ايقافه بتعاون من المجتمع الدولي.

والواضح أن الولايات المتحدة تبذل كل جهودها لمنع ايران من أن تصبح قوة نووية لأنها لو أصبحت كذلك فسيتعذر على الولايات المتحدة مهاجمتها كما فعلت مع العراق وكما هو واضح من عدم اللجوء الى القوة المسلحة مع كوريا الشمالية خوفا من رد فعل نووي كوري محدود. وهي تحاول الان حل الازمة الكورية دبلوماسيا وكوريا الشمالية تصر على عقد اتفاقية عدم اعتداء مع الولايات المتحدة والاخيرة ترفض الفكرة تماما. وكوريا الشمالية تسرع من برنامجها بصورة ملموسة. ومهاجمة ايران هذا العام أو العام المقبل أمر متعذر بالنسبة للولايات المتحدة لاسباب كثيرة، وهي تلجأ الى إثارة الفرقة داخل ايران لعرقلة المشروع وتزيد من ضغطها على الحكومة الايرانية بكل الطرق. وطبقا لما نشر فإن امام ايران ثلاث سنوات لبناء سلاح نووي اذا كانت جادة في هذا المجال. فهل سيتأجل العدوان على ايران لما بعد انتخابات الرئاسة الاميركية؟ سؤال سيجيب عليه المستقبل القريب!

صفحة	الفهرس
٥	مقدمة
٩	١ ـ العراق
١١	ـ الحرب تدق أبواب العراق
١٩	ـ إعداد المسرح العربى للحرب
٢٧	ـ إعداد المسرح لغزو العراق
٣٤	ـ حرب بلا نهاية
٤٠	ـ عراق ما بعد صدام على صيفح ساخن
٤٥	ـ انتهى القتال والحرب مستمرة
٥١	ـ أمريكا تضرب الجميع لردع الصين
٥٦	ـ أمريكا تلعب على المكشوف
٦٢	ـ العراق انقذ كوريا وايران
٦٩	ـ عالم جديد بعد غزو العراق
٧٥	ـ ماذا بعد ضرب العراق
٨١	ـ الحرب فى نهاية النفق
٨٧	ـ المظاهرات ضد الحرب مصالح لا مبادئ
٩٣	ـ أمركة العراق
٩٨	ـ أين أسلحة الدمار الشامل
١٠٤	ـ لغز العلاقات الأمريكية الايرانية
١٠٩	ـ سقوط الاقنعة فى العراق
١١٥	ـ اشباح العراق تطارد قوات التحالف
١٢٠	ـ الرهان الخاسر على منطق القوة
١٢٧	٢ ـ عالم جديد
١٢٩	ـ إسرائيل أهم صفحة فى الكتاب الأمريكى

الفهرس	صفحة
	٢٧٢

صفحة	الفهرس

رقم الإيداع
٢٠٠٤/٨٣٨٦
الرقم الدولى I.S. B. N
977 - 08 - 1162 - 9



هذا الكتاب مجموعة مقالات نشرتها جريدة الاتحاد الاماراتية للمشير أبو غزالة عن خطط الولايات المتحدة للهيمنة على ثروات المنطقة العربية وتحجيم القوى المتنامية الأخرى لغرض هيمنتها علي العالم بأسره وتشكيل عالم جديد وفقا لمصالحها بحجج واهية، ألا وهى عدم انتشار أسلحة الدمار الشامل ومكافحة الارهاب ونشر الديمقراطية وشنت حربا غير شرعية علي العراق واحتلته للسيطرة على ثرواته واقامة قواعد عسكرية تحقق لها ماتريد.. وما فعلته حقيقة هو الدمار الشامل للقانون الدولى والأمم المتحدة وحقوق الانسان.. كما يعرض رؤيته لمواجهة الأخطار التى تواجه الأمة العربية على هويتها وثرواتها ومستقبل أبنائها..

